

ضَوْءُ الشَّمْسِ

في قوله صلى الله عليه وسلم

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»

كِتَابٌ عَنِ بَرِيعِ الْحَرِيثِ الزُّكُورِ (عَفِيفَةٌ ، وَثَنَةٌ - وَفَقِيرَةٌ)
عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ - بِإِذْنِهَا

تَأَلَّفَ

سَيِّحُ الْإِسْلَامِ وَمُنَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ (فِي عَصْرِ)

مُحَمَّدُ (بَوَالَهْرَجِي) (الْعِيَّادِي)

(١٢٦٦-١٣٢٨ هـ)

(١٨٤٩-١٩٠٩ م)

قَدِمَ لَهُ وَقَرَّطَهُ جِلَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ مِنْهُمْ السَّادَةُ أَصْحَابُ الْقَضِيَّةِ

الشيخ	الشيخ	الشيخ	الشيخ
محمد حسن حبنكة الميداني	ملا رمضان	عبد الرزاق الحفاز	حسين خطاب

خَرَجَ أَحَادِيثُهُ وَنَسَبَ آيَاتُهُ وَوَرَّبَ فِهَارِسُهُ : الْفَقِيرُ إِلَيْهِ تَعَالَى مُحَمَّدٌ سَلِيمُ الْحِمَامِيِّ

الْخَزَنَةُ الْهَدَوَى

ضَوْءُ الشَّمْسِ

في قوله صلى الله عليه وسلم

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ »

كِتَابٌ عَنِ بَرِيحِ الْفَرَسِ الْمَكِينِ (عَقِيدَةُ . وَصْنَةُ - وَفَرْنًا)
عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ - بِأَوَّلَتِهَا

تأليف

شيخ الإسلام ومفتي العالم الإسلامي (في عصره)

محمد (نور الدين) (السيدي)

(١٢٦٦-١٣٢٨ هـ)
(١٨٤٩-١٩٠٩ م)

قدم له وقرظه جلة من العلماء الثقات منهم السادة أصحاب الفضيلة

الشيخ محمد حسن جبنكة الميداني الشيخ ملا رمضان الشيخ عبدالرزاق الحفاز الشيخ حسين خطاب

خرج أحاديث ونسب آتت ورتب - مهاره - الفقير اليه تعال محمد سليم الحامي

الجزء الأول

يطلب من مكتبة اليسر - دمشق - حلبوني - هاتف ٢٤٥٨٦٧٣

وَهَلْ بَعْدَ مَوْتِهِ الشَّمْسُ يَبْدُو لَكَ الدُّجَى
وَهَلْ عِنْدَهُ يَبْقَى عَلَى الْأَفَقِ مِنْ جَحْمٍ

هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي لَوْ شِئْتَرِيهِ فَقِي بَوَازِيهِ ذَهَبًا أَقْسَمْتُ لَمْ يُكَلِّمْ
حَوَى مَعَانِي لِلْإِسْلَامِ عَالِيَةً مِنْ دُرِّ مَحَرِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفِيِّ الْعَلَمِ
أَنْعَمَ بِجَامِعِهِ أَكْرَمَ بِطَائِعِهِ قَدْ أَسَدًا يَا نِعْمَةً مِنْ أَوْفَرِ النِّعَمِ

« مُعَرِّفٌ بِالْمَعْنَى »

الطبعة الثانية

مصححة ومنقحة

حقوق الطبع والتلخيص

محفوظة للمحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للهِ مدد

إلى علماء العالمين تذكرة واعترافاً باجميل
إلى الطلاب والباحثين مادة . ومرجعاً للدراسة والتدليل
إلى أبائنا وأقربائنا عنوان يشكر للجميل
نقدم هذا السفر الجليل

الناشر

هفيد المؤلف يأذن بطبع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الأستاذ محمد الحماصي المحترم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد بلغنا أنكم تريدون تجديد طبع بعض كتب المرحوم
جدي السيد محمد أبي الهندي الصيادي « رحمه الله تعالى » ومنها كتاب
« ضوء الشمس » وكتاب « الحقيقة الباهرة » وإني أوافق على ذلك وأن
يكون الطبع بإشراف الأستاذ « عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط »
حفظكم الله ووفقكم وإياه لما فيه الخير للمسلمين أجمعين والله الموفق .

حفيد المؤلف

حلب في غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٣

ومحمد^{١١} تاج الدين الصيادي الرفاعي،

الموافق ٣ نيسان سنة ١٩٧٣

« صورة طبق الاصل »

بناية الأوفاء بالعصرونية « النهضة الإسلامية »

شارح : نحات الوزير بحلب

(١) ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه « الفرقان الدامع » بالحق أنه طبل أهل البيت
ص ١٠٠ - ٩٩ في معرض كلامه على طريقته المباركة فارجع اليه إن شئت - بحقه -

تصدير

بقلم : العلامة التحرير ، مربي الجيل
الأستاذ الشيخ حسن حبكة الميداني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه خيرة الخلق
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد : فقد أطلعني الشاب الأديب الصالح السيد محمد الحماوي وفقه
الله ورعاه على طبعة جديدة منمقة ومحقة لكتاب « ضوء الشمس »
على حديث الرسول الأعظم ﷺ « بني الإسلام على خمس » مؤلفه
الحبيب النسيب العلامة العارف بالله الشيخ « محمد أبو الهدى الرفاعي
الصيادي » قدس الله روحه ، وثور ضريحه : فتصفحته بصورة خاطفة
فوجدته كتاباً نفيساً فريداً في بابه ، حوى من المسائل الفقهية المعتمدة ،
والحكم المفيدة ، والمواظظ المؤثرة : ما تفرق في كثير من الكتب العلمية
والمؤلفات النادرة ، ولخص ما طال الكلام فيه من مسائل التوحيد
والمعرفة بالله تعالى ، بأسلوب لطيف شيق ، ونسق مستحسن ، رحم
الله المؤلف وأجزل ثوابه ، وجزى الله المعلق خيراً وزاد في نشاطه .
ورزقنا التوفيق والهدى إنه سبحانه جميع قريب بحسب الدعوات .

« والحمد لله رب العالمين »

خادم الجيل
محمد حسن حبكة الميداني

تعريف

بقلم : العالم الجليل فقيه الحنفية
الأستاذ الشيخ : عبد الرزاق الحفاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله
أجمعين الذي أرسله الله سبحانه وتعالى إلى الخلق كلهم عامة بشيراً ونذيراً
وسراجاً منيراً ، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ،
علمه شديد القوى ، صلى الله عليه كلما ذكره الناكرون وغفل عن
ذكره الغافلون .

وبعد : فإني قرأت كتاب «ضوء الشمس» في قوله ﷺ «بني الاسلام
على خمس» للمرحوم صاحب السيادة والساحة السيد «محمد أبي الهدي
الصادي» رحمه الله وجعل الجنة مثواه وكنت معجباً بما رأيت فيه
من البضائع النفيسة التي يتطلبها كل مريد للاستفادة ، سواء كان من فقه
أو عقيدة فهو مصدر للفتوى إن أراد ومصدر للبحث في الكلام إن
استزاد ، وكلها تستند إلى الصحيح من الأقوال والصادق من الآثار ،

وإني بصفتي أحد المتسبين إلى مذهب الإمام الأعظم « أبي حنيفة » : كم كنت معجباً بدقة المؤلف رحمه الله في نقل الأحكام الشرعية بحيث لا يدخل الشك على النبي يريد أخذ النص من كتابه هذا وذلك لأنه كان دائماً يتحرى المقتضى به من الأقوال والراجح من الأعمال ، لذا فإني أحت كل طالب على مطالعة هذا الكتاب والأخذ من ثمراته اليانعة ما يبيل به غلته ويروي به ظمأه .

ختاماً أسأل الله العظيم من فضله أن يجزي عنا سيدنا محمداً ﷺ خير الجزاء وأن يرحم العلماء الأعلام وأن يجزل لهم كثير العطاء .
الشيخ : « عبد الرزاق الحفار »

تعريف

بقلم العلامة العارف بالله

« فقيه الشافعية »

الشيخ : ملا رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين.
وبعد : فإن كتاب «ضوء الشمس» ضياء للقلوب ، مهذب للتنفوس
موصول إلى معرفة علام الغيوب لمن قرأ أو سمع ، ليجعله ميزاناً لدينه
لا نطقاً على لسانه فإن الحال لازم للأول بعيد عن الثاني ، كيف لا وقد
احتوى على أركان الاسلام التي ذكرها رسول الله ﷺ في حديث « بني
الاسلام على خمس ... الحديث » وعلى شرحها الواسع من حيث الاحكام
على المذاهب الأربعة والاعراب ، مع ضم الفوائد والزوائد اليه . بل هو
متعرض أيضاً للعقيدة وشمائل رسول الله ﷺ وسيرته وأخلاقه، وفيها
فوائد كثيرة : فإنه يحجب على المكلف أن يعرف اسم « نبيه ﷺ » واسم أبيه وأمه
ومحل ولادته ودفنه وأنه كان معتدل القامة أبيض مشرباً بالحمرة .. الخ .. »
بل هو يبين أيضاً زبدة سلوك السالكين وكيفية من التخلية والتحلية .
فبحسب اطلاع القاصر من إتمام المطالعة لهذا الكتاب وبحسب
فكري القائر : أراه كتاباً يقتنى حيث إنه محتو على فوائد جمة
وتحقيقات عظيمة . فجزى الله مؤلفه عن المسلمين خيراً ونسأله تعالى
أن ينفعنا وينفع المسلمين به . والحمد لله رب العالمين

الشيخ « ملا رمضان »

تَقْرِیظ

بقلم العلامة : فقيه المالكية
الأستاذ الشيخ : « زين العابدين التونسي »

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما أنعمت ، ونشكرك على ما أوليت ، ونصلي
ونسلم على إمام أوليائك ، وخاتم أنبيائك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام
صلى الله عليه وعلى آله السادة الأخيار وأصحابه القادة الأبرار وعلى
العلماء العاملين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : لما كان العلم سبب سعادة الأمة وأصل حياتها الطيبة
المباركة وخاصة ما كان منها لبث الفضائل ، وقمع الرذائل ، الأمر الذي
تكفل الدين الاسلامي بالقيام به : فقد وجدت من الكتب التي ألفت لنشر
الدعوة الاسلامية وبيان ما حوته الشريعة الغراء من حكم وأحكام هذا
الكتاب : كتاب « ضوء الشمس » في قوله عليه السلام « بني الاسلام على
خمس » رحم الله مؤلفه رحمة واسعة وأجزل ثوابه وبارك الله لنا شره ،
على هذا العمل الصالح المبرور وجزاهم الله خيراً ، وأسأل الله عز وجل
أن يضع له القبول في الأرض وأن يعي له من قارئيه آذاناً صاغية
وقلوباً واعية حتى يقارنه العمل الذي هو الغاية المنشودة من طلب العلم .
والحمد لله رب العالمين .

الشيخ « زين العابدين التونسي »

تقريظ

بقلم العالم الجليل مفتي الحنبلية
العارف بالله الأستاذ الشيخ : احمد الشامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أثار الوجود بالخلصين من أحبابه ووفقههم لاستنباط الأحكام فبينوا للناس أمرار علوم الشريعة والطريقة والحقيقة . وأزالوا عن قلوب الموفقين ظلام الغفلة والأوهام ففازوا بحب مولاهم والنظر إليه في دار السلام . والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد المبعوث بشيراً ونذيراً لسائر الأنام ورضي الله عن الصحابة المالحين بأنوار إيمانهم دياجي الظلام ورين الأوهام .

وبعد: فلقد طالعت بعض ما في كتاب «ضوء الشمس» في قوله ﷺ « بني الإسلام على خمس » وبالبعض يعرف الكل . للشيخ سيدي الشيخ « محمد أبي الهدى الصيادي » قدس سره ، فوجدته بجرأ متلاطم الأمواج في بيان ما يسعد كل من اقتناه واتخذ مؤناً له في الخلوة والجلوة والسفر والحضر من صحة العقيدة ومعرفة الشائكل النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، ومن التحلي بالأوصاف الحميدة المرضية كما ورد في الحديث الشريف من قوله ﷺ « يبلغ المؤمن بحسن الخلق درجة الصائم القائم » . وقد بين الأخلاق السامية بصاحبها مرتبة الكمال : من الزهد والكرم والإيثار والحب في الله كما بين ما يجب على

الانسان التخلي عنه كالكبر والعجب والحقد والحسد وحب الدنيا
والدعوى ... إلى غير ذلك مما يجعل الانسان يهوي أسفل الحضيض^(١) .
كما بين مقام الإحسان وأرشد إليه بمتابعة سيد الأكوان الموصلة لحب
مولانا الرحمان ذي الفضل والامتنان .

و خلاصة القول في هذا الكتاب : أنه يزيكي النفوس ويطهر القلوب
و يصفى الأسرار لمعاملة علام الغيوب فرضى الله عن مؤلفه وجزاه عن
المسلمين خيراً .

وكان اطلاعي عليه بإشارة من المتفاني بحب آل الصيادي سيدي
الشيخ « عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط » السقباني الدمشقي للاح في
الله الأستاذ محمد بن سيدي الشيخ الفاضل « سليم الحامي » جزى الله
الجميع خيراً ووفقنا لما فيه رضاه دنيا وأخرى . وصلى الله على سيدنا
محمد الأمين وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آل كل وصحب كل
أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين .

٢٠ ربيع الأنور سنة ١٣٩٣

٢٢ نيسان سنة ١٩٧٣

الفقيه اليه تعالى « أحمد بن صالح الشامي »
الحنبلي مذهباً ، الشافلي طريقة ، الأثري عقيدة
الدومي مولداً وإقامة

(١) الحضيض : القرار في الأرض عند سفح الجبل . « كما في القاموس » - عطف -

تقديم

بقلم العالم الجليل : شيخ القراء
الأستاذ الشيخ : حسين خطاب

الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ونسأله الوفاة من كل زلل والهداية والتوفيق
لأقوم طريق ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد أشرف المخلوقات ونور
الكائنات الهادي إلى الصراط المستقيم والمبعوث رحمة للعالمين سيد الأنبياء
 والمرسلين وسند الأولين والآخرين وشفيع المذنبين يوم الدين وعلى آله
وأصحابه الأطهار حماة الشريعة والدين أقطار الهداية ساداتنا الفقهاء
وقاداتنا الأمناء والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن خير ما يزين الإنسان ويرفعه بعد التشرف بحفظ كتاب
الله عز وجل واتقان علومه أن يأخذ بمفاتيح السنة المطهرة التي هي
الدليل الثاني من أدلة الاسلام والنور الوضاء الذي ينير الصراط السوي
لفهم الكتاب العزيز فإنها خير دليل يكشف عن غيبات كنوز القرآن
ويوضح أسرارها حيث وردت على لسان من (لا ينطق عن الهوى) أن هو

إلا وحي يوحى)، ولذا تنافس النجباء والمخلصون من أسلافنا العلماء في
الاقبال على حديث رسول الله ﷺ جمعاً وتالياً وشرحاً وتوضيحاً فمنهم
المقل، ومنهم المكثر، ومنهم المسهب، ومنهم المختصر، وناهيك بكتب
السنن المشهورة التي أجمع العلماء على اعتمادها والأخذ بما فيها، وشروحها
التي تفنن فيها أصحابها إيضاحاً واستنباطاً وتعليقاً وتفريراً.

وكان من اغترف من هذا المعين الذي لا ينضب، وأخذ من الخير
بنصيب: السيد الشريف النسيب صاحب التآليف المشهورة، والحكم
الحادية المنشورة أخو بني الصياد السيد: «محمد أبو الهدى الصيادي
الرفاعي» الذي أضاف إلى منزلته الروحية ووشيجته النسيبية الشريفة
صلة علمية ومعرفة أدبية فادى بدلوه بين الدلاء، وضم إلى عمل أسلافه
العلماء والأتقياء عملاً أثار الطريق للمبتدئين وذلّل به الصعاب للسالكين
معتمداً في ذلك على ما اقتبسه من الشعلة التي لا يخبو ضياؤها وقد بث
اشعاعها جده المصطفى «صلوات الله عليه وأزكى تحايا» في جوامع
كلمه الثيرات، وحجج أحاديثه البينات التي منها قوله عليه الصلاة
والسلام «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»،
الحديث: (الذي اختاره السيد «الصيادي» عمدة لكتابه الذي قدمه نبراساً
للأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وأشار بتسميته إلى أشعة
النور التي انبثت خيوطها من مستودعات كلمه عليه الصلاة والسلام
«بني الإسلام على خمس» حيث جعل عنوان كتابه «ضوء الشمس في

قوله ﷺ : بني الاسلام على خمس ، وان في هذه التسمية لمغزى رفيعاً ومعنى عميقاً حملاً السيد « الصيادي » على تلمس الخير والهدى في جنبات كل زاوية من كلمات هذا الحديث الذي دار في فلكه ضوء الشمس الروحية والعقلية وإذا به يعود من هذه الرحلة المتعة بخبر عميم وفضل جسيم من الهدى والنور يلمه في طيات كتابه المشار إليه وينشره على اخوانه وذويه الذين عاشوا على سنته في عهده والذين نسجوا على منواله من بعده فجاء خير شرح فيها علمت لهذا الحديث الشريف ، يحتاج إليه كل سالك ، ويفتقر إليه كل ناسك ، بل كل من يريد تصحيح معتقده وتقوم عبادته على مذهب أهل السنة والجماعة فقد جمع فيه « أبو الهدى » باقه من التوحيد والفقه ، مع نبذة من السيرة النبوية ألم بها شوائل وأخلاقاً وآداباً ومعجزات ، إلى لفظة كريمة في محبة رسول الله ﷺ وبيان فضله وفضل أصحابه وآل بيته والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرين بالجنة ، مع بيان ما يجب التخلي عنه من الأخلاق المرذولة ، وما يجب التحلي به من المعرفة الفاضلة ثم قدم شرحاً وافياً للأركان الأربعة التي هي عماد الاسلام وأركانه المتبعة : الصلاة والزكاة والصيام والحج . حتى لكأنك تقرأ في كتاب فقهي منقح على مذهب السادة الحنفية ، أو في فقه مقارن مع المذاهب الأخرى .

وقد شفع ذلك كله : بترغيب وترهيب بليغين بقلمه الرائع المعروف . وقد قسم الكتاب إلى جزأين ينتهي أولهما في أواخر مباحث الصلاة وينتهي الجزء الثاني في أواخر مباحث الحج التي تصلح أن تكون بفردتها مرجعاً لناسك الحج والزيارة ، وذيل ذلك بمطلب في فضل

الجهاد ، وخاتمة لمعت بوارقها من ضوء شمس هذا الكتاب .

هذا : وإن أول من أطلعني على هذا الكتاب الأخ الصالح الشيخ « مصطفى التركاني » في مجلسه التوجيهي الأسبوعي حيث كان يلي منه على اخوانه ما يمتن به عقيدتهم ويفقههم في دينهم ويهذب أخلاقهم فسر في مجلسه وما سمعت منه آنذاك من الثناء العطر على « ضوء الشمس » .

ولما عزم اخواننا على إعادة طبع هذا الكتاب الذي ندر وجود نسخه بين الأيدي : طلب إلى الأخ « محمد سليم الحامي » الشاب الذي نشأ في طلب العلم والعبادة - وقد أسند إليه وإلى زمرة من اخوانه تحقيق هذا الكتاب : أن أقدم له بسطور متواضعة فتصفحته على عجل ، فازددت به تعلقاً وبؤلفه إعجاباً وعلمت أن للسيد « الصيادي » اطلاعاً بعيد الغور في علوم الشريعة الظاهرة بالاضافة إلى ما اشتهر به من المذهب الصوفي الذي كاد أن يسدل سراً كثيفاً على علومه الشرعية التي قدمها في « ضوء الشمس » وأمثاله من الكتب .

فيما حبنا : لو توجهت العناية لنشر هذه الكتب^(١) أيضاً لينشر الجناحان ويتعادل الميزان ، فلا تطفيف ولا خسران ، وبذلك تنعم الفائدة للسالكين ، ويتضح المنهج للناسكين ويتلاقى الطرفان على طريق سوي

(١) قد حقق الله وله الحمد أمينه الشيخ حفظه الله فما هو كتاب « ضوء الشمس » في قوله صلى الله عليه وسلم : « بهر الاسلام على خمس » بين أبدي القراء بنيلون من لبعاد يستنبهون بشمس وينلوه ان شاء الله تعالى كتاب « الحقيقة الباهرة - في أسرار الشريعة الظاهرة » المؤلف رحمه الله وهو شرح بليغ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « الايمان بضع وسبعون شعباً » الحديث « فليترقب » .

صرّط الله العزيز الحميد الذي دعا إليه كتاب الله المبين وأيدته سنة سيد
الأولين والآخرين .

وقد طرّز الكتاب في طبعته السابقة بمديد من الكلمات التي أشادت
بالسيد « الصيادي » وغزير علمه وبديع الهامه في شعره ونثره وشريف
نسبه ورقّة طبعه وغير ذلك مما لا مزيد عليه لقائل إلا أنني أرجو بما
رحمته حسن القبول ، وتيسير الوصول ، وأنت أدرج في عداد القوم
الصالحين وما ذلك على الله بعزيز ، وأخيراً فجزى الله خيراً كل من
شارك في هذا الكتاب إلى الوجود في رأي أو تصحيح أو تحقيق أو بذل
فأنه كريم مثان لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهو خير الشاكرين .

دمشق : في ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٩٣

٧ حزيران سنة ١٩٧٣

خادم القرآن الكريم
الشيخ « حسين خطاب »

بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على سيد
السَّادات وفخر الكائنات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

وبعد : فإن نشر عبير العلم إنما يكمل بأمرين : بتعليمه لمستحقه ،
وبإحياء تراثه ليكون في متناول رواده وبهذا يوفي أهل العلم ميثاقاً
أخذه الله عليهم . وإلته لمنصب خطير أمر الخلافه عن الذات المحمديه
لرفع منار الهدى للشاردين ، والصدع بالحق رغم الكيد والختل والمروق
من ربهه هذا الدين ، فالناشرون للحق لوجه الحق سبحانه الداعون لله
على بصيرة يحدوهم الاخلاص والزهد في استرضاء أهواء الناس ، أولئك
خلفاء المصطفى بشاهد قوله : « اللهم ارحم خلفائي قلنا : يا رسول الله
ومن خلفائك ؟ قال : الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس » أولئك
في جهاد دائم إحياء للسنة وقمعاً للبدعة لم يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا
قليل ، ولم يشترؤا بآيات الله ثمناً قليلاً ، ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه ،
ولم تأخذهم في الله لومة لائم حرصاً على جمع الكلمة وتوحيد الأمة ومن
هؤلاء الذين احتباهم الله لتلك الرتبة التقضاء : شيخ الاسلام في زمنه

مقدمة ضرة الشمس

وعلمة دار الخلافة في ظرفه « الشريف الحبيب النسيب السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي » تحف الأمة الحميدة بمؤلفاته العظيمة القيمة التي تربو على المئين في شتى المباحث العلمية ، ومنها هذا السفر الجليل الذي عز نظيره ، وندر ما يضارعه في بابه ، فقد جاء تبياناً يشع كما تشع الشمس في أفقها فتكسب الأرض ضياء وحياة وكأنني به رضي الله عنه لاحظ هذه التسمية فأسماء « ضوء الشمس في شرح الحديث الشريف بني الإسلام على خمس » ومن توفيق الله أنه حرك لهذا المؤلف القيم قلوب إخواننا الموفقين لنشره وتعميم فائدته هذا ولتجديد طبعه مبررات ملحّة : أولاً ندرة نسخه فكان الراغب في هذا الكتاب يبذل جهداً لا يستهان به للحصول على نسخة واحدة فلا يكاد يظفر بها ، وثانياً رداءة الطباعة واكتظاظ الكلمات مما يسبب للقارئ تعباً في القراءة ومللاً في البحث عدا ما يصادف القارئ من أغلاط وأضحة مع أنه كتاب يقرّ العالم المنصف بفضله وعلو كعبه على كثير من الكتب لما حواه من ثروة علمية ثرة وتحقيقات بديعة ونكات تشريعية مأخوذة من لباب الشريعة الغراء فجاء بحمد الله كما تراه أيها الأخ المؤمن كتاباً أنيقاً يرفل بثوب قشيب ترتاح إليه نفس القارئ وتنتزه في روضه عين الناظر ، كيف لا وهو السفر الذي حوى من العقيدة الإسلامية لبابها ، ومن السيرة النبوية والشأنات المصطفوية غررها ، ومن البحث في شؤون النبي ومحبيه وأسبابها ما يشفي القلوب من أمراضها والعقول من أوهامها وشكوكها يبراهين لا تدافع تلجى الموفق أن يعدل عن سواها إلى

حاماها الآمن وظلها الوارف يضاف إلى ذلك بحث المؤلف عن أسباب
 التقطيع والعمياء بالله عن حضرة الله ورسوله: بحثه عن الأخلاق النعمة
 والمسالك الملتوية التي تشل روابط الألفة وتعمق بذور الأحقاد، ثم
 تناول العبادات والغاية منها بشكل لا يدع القارئ يأخذ الأحكام منترعة
 من أماكن غريبة عن وطنها بل يأخذها بالباعث على القيام بها مشفوعة
 ببيان الغاية من العمل بها يدعمها الدليل وحب الأسوة بالرسول الأعظم.
 ولعلني (وأنا غير مبالغ بما أقول ولا متجازف) : ان هذا الكتاب بما
 حواه يكفي ما يحتاجه المسلم من عبادات ومعاملات وسواها . يغني عن
 غيره ولا يغني غيره عنه في بابه ، جمع فاعلى وأرشد فهدى . ثم تنويه
 للكتاب بنبدأ سماها (لوامع) اقتبسها من ضوء الشمس فجاءت كرحيق
 النوار . هذا الكتاب : أكد في اللمعة الأولى شأن العقيدة وآثارها
 الفعالة في الأنفس ببيان يحاصر العقل أن يتسلل أو يتنصل بوقفه وجهاً
 لوجه أمام آلاء الله وآياته المبثوثة في الأنفس والأفاق ، مشفوعاً بعاطفة
 الحب العميق للحق المنعم جل وعلا كما أبان في اللمعة الثانية
 مكانة النبي الأعظم وأنه عين الإنسانية ومنقذها وهاديها وأسوتها
 المؤمن ، وأنه مفتاح باب السعادة الدنيوية والأخروية ، وأنه كما
 يقول رحمه الله : كال غيره كال عن نقص ، وكله كال عن
 كال ، أوتي جوامع الكلم وانقطعت به نبوة التشريع . كما نوه
 باللمعة الثالثة على أمر خطير ذلكم هو : العمل على التوازن في أمر
 الدنيا والآخرة في اتجاه مستقيم إلى الله فكثير وقع في الإفراط

أو التفریط والحق التوسط والاعتدال فنحن أمة وسط (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) وما أجل قوله : إن الأنبياء والأولياء زادهم الله علواً واحتراماً ما طلبوا شيئاً من الدنيا إلا ليتوجهوا به إلى الله لأنهم طلبوا الرضا المطلق كما قال موسى عليه السلام (وعجلت إليك رب لترضى) وبعضهم على ذلك قوة الرغبة وكلال الحبة في العبودية لا غير ، فهم يلاحظون هذا المقصد حيث توجهوا فانهم طلبوا الأشياء لله وتركوها لله . ثم عندما يعقب على الآية القرآنية (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) يقول : الطيب هو الطاهر المنزه عن الظلم والاعتصاب والخدم المذمومة شرعاً وفي ذلك سرّ الإشارة لاقتناء الطيبات واستحصاها بوجه مشروع لا يضر في منفعة الخلق وأمنيتهم لأن القرآن العظيم أمر بالتجارة والصناعة واغتنام المنفعة السماوية والأرضية بشرط عدم المضرة لأحد من الناس وتلك غاية التمدن والترقي في الكسب وحفظ الشرف وحماية الأدب الانساني العام . فدونك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب المستطاب قيماً يهدي إلى الرشيد ، مباركاً يشف صدور قوم مؤمنين بروحك منظره ، ويهدي إليك التفائس مخبره ، على العكوز الثمينة والثروات الرائعة وقعت يدك : فاحمد الله وكن من الشاكرين وجزى الله خيراً من ساهم في ابراز هذا الكتاب لحيز الوجود بأي سبب ولئن تولى تحقيقه وطباعته ولا يفوتنا أن نتوه بأن العبد سَمَّته العجز وشارته النسيان والكمال لله وحده فما رأيت أيها القارئ من صواب فذلك فضل الله وما كان من ذهول أو خطأ أو تقصير أو تساهل في تحقيق ولا سيما

في موضوع الأحاديث الشريفة فذلك أولاً : لما أسلفنا من عجز العبد
وثانياً : لتقلّة المصادر الموفّرة لديّنا ولسعة إطلاع المؤلّف رضي الله عنه
لأنّ ما أتّيح له من وفرة الكتب في الأستانة دار الخلافّة في وقته وسعة
الإطلاع ودقّة الملاحظة وجودة النكاه وإصابة مظانّ المراجعة للمسائل
والأحاديث، كلّ ذلك لا يشا كلّ فيه غيره شهد بذلك الموافق والمخالف،
وحسب المتصفّ : التّثبت قبل الحكم سلباً أو إيجاباً ومن القواعد المقرّرة
(عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود) .

نسأل الله أن يجعل ما رقه هذا البنّان الفاني خالصاً لوجه الله الذي
فضّل السموات والأرض .

وختاماً إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفّيقني إلّا بالله عليه
توكّلت وإليه أنيب .

الشيخ « مصطفى بن عبد الرزاق التّركاني »

ترجمة المؤلف

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشرف الصلاة وأتم التسليم على خير البرية
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد حرصنا غاية الحرص أن يكون المتحدث عن المؤلف
رحمه الله تعالى وارثاً من ورائه علماً وعملاً ليكون ذلك أنقى وأبقى
فتملأنا في العلامة الفاضل والمرشد القدوة : شيخنا وأستاذنا ومرشدنا
الشيخ محمود الشقفة أدام الله به النفع للمسلمين ، فجاءنا منه حفظه الله
قوله المبارك : إني أوصيت الأستاذ محمداً الحربلي الصيادي بأن يقوم
نيابة عني بتسطير ما ترغبون لعلمي بموفور إطلاعه في هذا الباب وقد
نفذ الأمر وها أنا أرسله لكم . وكأنه يقول حفظه الله : إن أدرى الناس
بالرجل أهله وجيرانه وإن السيد الحربلي هو فرع تلك الدوحة الصيادية
المباركة فمن قسك بفن منها أوصله إلى الأصل النبوي الطيب وكما قيل :
الترم طريق الخير يجمعك بأهله ، ولدى إطلاعنا على ما كتبه السيد
الحربلي حفظه الله في المترجم رحمه الله وجدناه بجرأ لا ساحل له
يقذف بالجواهر والدرر ويفيض بالحكم والعبر فاقتبسنا منه للقارئ
الكريم ما خف حمله وغلائنه - على أنه ثمين كله - ليكون نبراساً له
يستضيء بنوره ويستهدي بهديه والله ولي المتقين .

التعريفُ بالمؤلف

هو منبع العرفان ، ومجمع البيان ، ومفخرة أهل الزمان ، شيخ الاسلام وأشهر علماء المسلمين في عصره : محمد بن حسن وادي بن علي ابن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني ، أبو الهادي ، ينتهي نسبه إلى رسول الله ﷺ .

ولد رحمه الله تعالى سنة ١٢٦٦ هجرية في « خان شيخون » من أعمال « معرة النعمان - الملحقة - بولاية حلب الشهباء » . وفيها ارتضع لبان التقوى من والدة أقسمت وهي البرّة التقيّة أنها ما أرضعته مرة إلا وهي على وضوء^(١) .

ولما بلغ ستة أعوام من العمر قرأ القرآن بثلاثة أشهر ، وفي السنة السابعة أتقن علم التجويد والقراءات وفنونها على شيخ القراء في تلك الديار الرجل الصالح الشيخ : « محمود بن الحاج طه » . وكتب وأحسن الكتابة وقرأ « متن الغاية » وشرحه في المذهب الشافعي على الشيخ المذكور ثم لازم غيره من العلماء فقرأ العربية والفقه على مذهب الإمام

(١) انظر : لمطبع النادي في ترجمة السيد أبي الهادي الصيادي ، علامة : محمد توري آل الملق الأرماني .

أبي حنيفة رحمه الله وتبحر في علوم الأدب واللغة والأصول والحديث والتفسير وتوسع في الفنون وحفظ أكثر المتن وتبحر في علوم البلاغة والتاريخ والأنساب والبيان والبدیع ، وطال باعه في التصوف فحل بدقيق تصرفه غوامض معانيه وأوضح مضمرات خوافيه وبلغت محفوظاته إلى ما يزيد عن « مائة ألف » بيت .

ثم انتقل إلى حلب الشهباء فاجتمع فيها بالعلماء والفضلاء فاشتهر اسمه بالتقوى والاثابة ، وعلا نجمه بالعلم والورع ، وأجازته والده العارف الفاضل بالطريقة الرفاعية طريقة الأسلاف الأفاضل فانتشر له الجناحان : الشريعة والحقيقة ، وقام برفع منار الطريق بأوضح منهاج وأسلم طريق ، ثم أخذ إجازة التبرك بإذن والده من العارف الجليل السيد : علي بن السيد خير الله الصيادي شيخ المشايخ بحلب الشهباء طيب الله ثراه .

وفي سنة « ١٢٨٣ هـ » قصد بغداد لزيارة أجداده عن طريق « حلب الشهباء » إلى « أرفه » وهي مدينة « الرها » فأقبل عليه متصرفها المرحوم « شبلي باشا العريان » ووقف بخدمته وانتمى إلى طريقته هو وأكابر رجال البلدة ولا زالت البركة تشمل قدميه من بلد إلى بلد حتى وصل بغداد وكان إن اجتمع^(١) بشيخه المبارك القطب الغوث السيد : محمد مهدي بهاء الدين الشهير بالرواس . فانتقطع إليه وعول في طريق الله

(١) سبق هذا الاجتماع لغناء مبارك وذلك سنة ١٢٨٠ هجرية - بسين الشيخ .
وللسيد ومهره آنذاك « أربع » سنوات : انظر تفصيله في كتاب « بوارق الحقائق » ص ٩٢ - وفي « طي السجل » ص : ٤٨٤ ، فإن في ثنياه عظة وعبرة .

عليه وبقي في خدمته « ستة أشهر وسبعة عشر يوماً » وكان أن حفظ
منه ألوف الآيات من شعره العذب المبارك . وبعدها قفل راجعاً إلى
أهله مزوداً بكل خير .

وفي سنة « ١٢٨٧هـ »^(١) توجه إلى « استانبول » دار الخلافة وأحيلت
لعهده نقابة أشرف « جسر الشغور » وذلك في زمن السلطان « عبد
العزير خان » فكان ينتقل بينها وبين بلدته « خان شيخون » ويدث في
الديار الحلبية مر الطريق الأحدي الناجح حتى كثر مريدوه ، وكان
أن أنشأ زاوية في « كفر ديبين » من أعمال « جسر الشغور » .

وفي سنة « ١٢٩١هـ » عين تقيب أشرف « حلب » وذلك في زيارته
« الآستانة » للمرة الثانية ، وما زال نجمه يتألق حتى استقدمه السلطان :
« عبد الحميد العثماني » ، فقتضى حوائجه وطلب منه الاجتماع به مرة أو مرتين
في كل أسبوع ولما استأذنه المؤلف رحمه الله في السفر منعه ونصبه
« رئاسة مجلس المشايخ في دار الخلافة » وخصص له منزلاً وطلب منه
استجلاب عائلته إلى الآستانة واستمر على ذلك زهاء « ثلاثين سنة »
— كان خلالها من كبار ثقات الخليفة حتى انه كانت له الكلمة العليا في
نصب القضاة والمفتين^(٢) — لا يمنعه ما ذكر من اسداء النصيحة للخليفة

(١) انظر ترجمة السيد أبي الغدو الرحمة في غاية كتاب « التاريخ الأوحد »

والمسلمين خدمة للدين الحنيف رغم كثرة الوشاة والحاسدين وجهلة
البلاد المارقين .

وكان المرض لا يفتؤ يعاوده في آخر حياته عليه من الله سبحانه
الرحمة والرضوان حين أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ م وقبل
تنازل السلطان « عبد الحميد » عن العرش بمدة وجيزة فأضت روحه
الطاهرة إلى بارئها عز وجل مفارقة أهله وأحبابه^(١) في « جزيرة
الأمراء » في « رينكيبو » ليلة السبت لـ « ٦ » ليال خلين من ربيع الأول
سنة « ١٣٢٧ »^(٢) هجرية فانتقل بذلك الجبل الأشم من عالم الفناء إلى
عالم الخلود^(٣) وانطوت بذلك أنبل وأمجّد صفحة من التاريخ القريب .
أما حليته : فكان رحمه الله أنيق المظهر ، طويل القامة من غير
إفراط بديشاً باعتدال ، قحي اللون ، عظيم الهامة ، واسع العينين ،
أسود الشعر واللحية بيباض قليل ، عظيم الهيبة والوقار حتى لكانه
أسد في صورة إنسان^(٤) .

(١) بلغ أتباعه وخلفاؤه رحمه الله « ثلاثة آلاف رجل » وله ذرية طيبة مباركة ،
لا تزال أنواره بأدبة على مجامعنا ؛ انظر « القول الفصل » للمرحوم الفاضل حسن حسني
الطبراني .

(٢) وإلى ذهب أكثر مترجمي السيد المؤلف رحمه الله تعالى خلافاً لما ذهب إليه
التركمان في أعلامه من أن وفاته كانت سنة « ١٣٢٨ » هجرية - قتيبت .

(٣) قال السيد آدم الجندي في كتابه : أعلام الأدب : « دفن رحمه الله في زاوية التي
كانت منزله في « يشكطاش » باحتفال عظيم مهيب اشترك فيه جميع السلطات الحاكمة
وفي عام « ١٩٣٧ » تم نقل جثمانه الطاهر إلى حلب ودفن في الزاوية الصاعدة إلى حسابة
والده المنوف سنة « ١٣٥٧ » هجرية . رحمه الله رحمة واسعة .

(٤) أعلام الأدب : السيد آدم الجندي .

وكان من وصفه أنه : فصيح اللسان ، قوي الحجّة ، ثابت الجنان
حاضر البديّة ، يفرض عليك أن تهابه وتحترمه وإن كنت من أخصامه
يتحدث إلى زائريه مبدئاً عظيم اهتمامه بشؤونهم ، ترخر أحاديثه بالحكمة
الراجحة ، والبحث الطريف في ابتسامه هي السحر الحلال .

هو مفرد ومحمد وأبو الهدى من كان في شك فتلك مأثره

وأما تأليفه : فقد عدت منها « مائتين وخمسة عشر » مؤلفاً جلّها
في التفسير والفقه والحديث والتصوف والتراجم وأصول الدين ، تم
طبعا في حياته وجدد طبع بعضها على يد الأستاذ الجليل : عبد الحكيم بن
سليم عبد الباسط « حفظه الله » وبهمة المحسن الفاضل : محي الدين غنام
جزاهما الله عن المسلمين كل خير . كما للمؤلف رحمه الله : شعر عذب
جمع في ديوانين مطبوعين .

ثناء لعلماء على المؤلف

السيد أبو الهدى : رجل أيد الله به الشريعة المطهرة ، وأوضح به الطريقة المنورة ، وأحيا به قلوباً ماتت أو كادت . وثبت به أفئدة لولاه لمادت أو حادت ، وجع له من شرف الأسلاف والأصول والعلم بالمعقول والمنقول ما جعله كالغيث أين وقع نفع^(١) .

العلامة : محمد نوري آل المكي الأرميحي

فإذا سألتي أن أصف لك عوامل السحر في نفسه الوثابة وخلاصة روحه فقد كلفتني شططاً ذلك هو موضع الإعجاز في مواهبه التي سميت به إلى أوج المعالي^(٢) .

السيد : أدهم الجندي

إن لكل زمان رجالاً ، ولكل ميدان أبطالاً ، وإن رجل هذا الزمان عملاً وعلماً ، وبطل ميدان البيان نثراً ونظماً : شيخنا العلامة صاحب الساحة : محمد أبو الهدى الصيادي . لا زالت مناقبه متلوة بلسان كل رائح وغادي .

مفتي بيروت العلامة : يوسف الذهاني

(١) التفهيمات الهداية للعلامة : محمد نوري آل المكي الأرميحي . رحمه الله تعالى ص : ٣٤ - ٣١ .

(٢) اعلام الأدب : للسيد أدهم الجندي . رحمه الله تعالى .

مرشد السالكين ، ومرني المريدين العلامة السيد : محمد أبو الهدى
الصيادي فرع الدوحة النبوية ، وفنن الأرومة الهاشمية ، أسأل الله أن يبقني
أمثاله موثلاً للدين ومؤيداً لشريعة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه
 وآله وسلم .^(١)

العلامة الشيخ : عبد الرحمن الشربيني

حبر المعارف الالهية وبحرها ، ويدر سماء العوارف وزهرها ، من
سما ذكره فطار في الأقطار ، وثما قدره الظاهر ظهور الشمس في رابعة
النهار : السيد أبو الهدى الصيادي ابن السيد الجليل حسن وادي .
السيد محي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري

ترجمه بجيزة الشيخ عبد الرزاق البيطار الدمشقي في تاريخه « حلية
البشر »^(٢) ، وأخذ عنه السيد أبو بكر بن شهاب الباعلوي تزيل الهند ،
وقرظ أربعينه المسماة « شفاء القلوب » شيخنا مسند المدينة « أبو ظاهر »
وشيوخ الجامع الأزهر : الشمس محمد الأنباري^(٣) وغيره . وقال فيه

(١) من تقريره على كتاب المؤلف « نور الانصاف في كشف ظلمة الخلاف » : ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) انظر الترجمة مختصرة في كتاب المحيط الهادي : ص ١٠٩ - جمع وترتيب الأستاذ
الجليل عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط حفظه الله تعالى .

(٣) كان مما قال العلامة الكبير الشيخ محمد تقي الدين الآتاني في تقريره لكتاب
المؤلف « نور الابصار » : « بركة السلف وبقية الخلف العلامة العامل والمرشد الكامل الجامع بين
الشريعة والحقيقة والمرشد بنور الله الى اقوام طريقه ، فرع الشجرة الهاشمية ، وفخر العصاة
الأحذية الرفاعية » فشرعوا بالاعتناء صاحب السحابة والسيادة الشيخ محمد أبو الهدى .

صديقنا تقيب الأشراف بالديار المصرية الكاتب الشهير السيد توفيق
البكري الصديقي في كتابه « صهاريج اللؤلؤ » : رفيع العماد ، كثير
الرماد ، رحب الصدر والفؤاد ، معطاء غطريف ، يرى أن شيقاً في باطن
البصرة^(١) : قسم بينه وبين الضعيف .

العلامة المحدث الكبير الشيخ : عبد الحى الكتاني

علامة زمانه ، ورئيس أقرانه ، المتجلى بشرفي العلم والنسب ،
والتجلى بفخري المعجم والعرب ، زين المولي وعين قضاة العساكر لازال
بدر إقباله سافر .

العلامة صاحب الفتاوى : محمد علاء الدين هابدين

لو كان في الزمن الماضي لعد من الـ	أفراد أهل النهى والمظهر العالي
فقد علاقداً في كل منقبة	وفضله باهر في الحال والقال
لابدع ان عدّ مثل الأقدمين فقد	فاق الرسول الورى مع أنه التالى

العلامة الفاضل : محمد صالح المتير الحسيني

ورثاه رحمه الله كثيره .

(١) البصرة ، واحدة البر ، وهو : الفصح ، كذا في الفاعوس .

كَلِمَة جَق

ان من الوفاء للمؤلف رحمه الله وما قدمه للأمة الاسلامية جمعاء من
مفاخر يميل لها التاريخ طرباً : أن نشهد أن حياة هذا الرجل العظيم
سيفر جليل لا تخلو صفحة من صفحاته من المثل العليا ، إذ كان الوحيد
الذي يجرؤ على مصارحة السلطان بكل الحقائق ، ومن أكبر المطالبين
بالاصلاحات في البلاد العربية . وأن نحسي فيه تلك العبقريّة المتوثبة
للعلا ، والمتسمة كل خير وفضيلة . ونحترم ذلك الرجل الجليل الذي
ما قصده أحد من أبناء جنسه إلا وآزره ولى حاجته ، ولعل من بعض
حسنااته أنه حما بنفوذه كتاب العرب والأدباء أمثال : توفيق البكري
والمويلحي والرافعي والزهاوي وغيرهم . وما حضر أحد من طلاب
العرب إلا قصد داره وفي مقدمتهم الزعيم الثائر : « ابراهيم هنانو » حين
قصد « الآستانة » للدراسة .

وان التاريخ ليحفظ للرجل بحق أنه كان الأب الرحيم لأبناء جنسه
الذي يبذل قصارى جهده لحيرم وصلاحهم والذي لم تقلك عليه بهرجة
السلطنة أو أنفة المنصب وزخرفته منافذ الرحمة من نفسه أو عزة الايمان
من قلبه ولسانه .

فرحم الله ذلك الرجل الذي بذل لأمته عصارة فكره وعطف قلبه
وجنى يده حتى أودى مصاباً « بمرض القلب » وعلى شفّيته^(١) أصدقاء
قوله تعالى « والعاقبة للمتقين » .

جزى الله المؤلف عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وبوأه من الجنة
أعلى فراديسها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وهنا نأتي على نهاية الترجمة بعونه تعالى، وعملاً بإشارة شيخنا الوارث
الحمدى والنائب الأحمدي، سيدي الشيخ محمود الشقفة، نفعتنا الله ببركات
علومه ، وذلك في يوم الخميس الأول من ربيع الثاني سنة ١٣٩٣ هجرية
بقلم العبد الفقير لرحمة مولاه التقدير .

محمد بن احمد بن محمد الحويلي الصيادي

والحمد لله رب العالمين

(١) كان قد زار قبره قبل وفاته رحمه الله بأيام قليلة وقدم أبناء العرب فنسي مرضه
وأخذ يفسر الآية الكريمة « والعاقبة للمتقين » تفسيراً مطولاً بليغاً : أعلام الأدب لسيد
أدم الجندي .

مَقْدَمَةُ الْمُؤَلِّفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سواه لا يحمد ، وغيره لا يعبد ، والصلاة والسلام على
الهادي الأبعد والرسول المؤيد ، علة الخلق وحبیب الحق نبينا ومولانا
وسيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله وأصحابه أصحاب الشرف الخلد والمجد
الذي لا يحمد وعلى التابعين وتابعيهم ما طلع نجم وتلألأ فرقد . آمين .

« أما بعد » فيقول العبد المفتقر الى عناية المولى المعين الهادي ،
تقيب الأثراف لحلب الشبهاء خويدم الفقراء محمد أبو الهدى ابن السيد
حسن وادي ابن السيد علي ابن السيد خزّام ابن السيد علي الخزّام بن
السيد حسين برهان الدين الرفاعي الصيادي ، غفر الله ذنوبه وستر
بمحض كرمه عيوبه . آمين :

إني لما رأيت ان الدنيا ظل زائل ، ولسان الوجود يشهد ان من فيها
ضيف راحل . واشتغلت الهمم على الغالب بهذه الدنيا الفانية ، وكانت تعم

الغفلة عن الآخرة الباقية وذهب القوم الذين علت همهم في الله وصرفت
أوقاتهم لخدمة شريعة رسول الله ﷺ .
أولئك قوم أن بنوا أحسنوا البنأ
وأن عاهدوا أوفوا وأن عقدوا شدوا

وكثر في زماننا فساد الأخلاق ، والخلاف والشقاق ، وتعلقت الآمال
بالأغيار فظن المحجوب دوام البقاء في هذه الدار ، والحال أن الأمر
كما قيل :

خلقنا لأمر لو علمنا خفيه لما حببنا المرء ليلي ولا لبني
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الأراحة تعقب الحزنأ

كيف لا وهي أيام قليلة وأوقات غير طويلة والناقد بصير وإلى الله
المصير وقد ورد في الخبر عن النبي الصادق الأير عليه السلام أنه قال « والذي
نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم ليكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً »^(١)
أردت أن أخدم الأخوان بكتاب يفصح عن بعض هذا الشأن طمعاً بأن
أندرج في سلك خدمة الشرع المنيب وأن أئشرف بشرح حديث من

(١) ذكر المؤلف رحمه الله أول الحديث ، وثمته :
« ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، لاندرون لتجرون أو لا تتجرون »
وراء الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء
رضي الله تعالى عنه وهو حديث صحيح ١ - علقه .

أحاديث البشير النذير مع اني في كل فن قليل البضاعة لاسيما في هذه
الصناعة وقد كان السائق لي على هذا المقصد حب الصالحات وانما الأعمال
باليات ، ومن تشبه يقوم فهو منهم . كيف لا والقوم خدام الشريعة لا
يشقى جلسهم ولا يرد عنهم واني كما قيل :

احب الصالحين ولست منهم وارجو ان اتال بهم شفاعه"
واكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في البضاعة

فن* الله والحمد لله بالمطلوب وساعدت يد العناية بالأمول والمرغوب
وجرى القلم فجمع بفضل الله شتات هذا الكتاب اللطيف المؤلف
الطريف وحصل العون فشيدت مبانيه على أساس متين ، وأصل من
أصول الدين مكين . وقد رتبته على منوال عجيب وسلكت به سلوكاً
يحسن لدى كل عاقل أديب وقسمته الى جزأين كلاهما كالقررة للعين .
واسأل الله العظيم ان يجعله خالصاً لوجهه الكريم وان يحفظه من كيد
كل حاسد ومكابر معاند فان الحاسد ينكر مالا ينكر ويذكر مالا يذكر
ويبدل الطريقة ويقلب الحقيقة « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق
ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد
اذا حد » وها هو بحمد الله طافح بالنصوص القرآنية ، والاخبار
الحمدية ، والآثار المرضية ، انتخبته من أوضح ما جاء به علماء هذا الدين
وأخذوه من لباب أحكام الشرع وحكم الكتاب المبين وسميته : ضوء

(١) البيتان للإمام الشافعي . رحمه الله .

الشمس في قوله ﷺ «بني الاسلام على خمس» فليعلم أن دين الاسلام قام على هذه الأركان القوية والقواعد المرفوعة المستقيمة وقد أوضحت ما انطوى فيها من غوامض حكم الشريعة الغراء والطريقة الزهراء وأخذت على قدر الامكان بكشف حقائقها وحل دقائقها . هذا وإن أمر ديننا انتظم من وعد ووعد ترتب على عمل قائم من أمر ونهي . وإن نتائج الانتثار بما أمر به الدين والانتفاء عما نهى عنه لم يأت النتائج السليمة التي يقف عندها العقل الجوهري فيذعن ، والقلب السليم فيطمئن ، ويغلب لديها العقل المحجوب عن أن يرد أحكامها أو أن يهدم نظامها ، بل يعترف لسان حاسدها ، وقلب جاحدها بأنها الطريقة الصحيحة والشريعة الراجحة المليحة ، والحجة البيضاء والحجة الثابتة العليا بلى والله ، إنها لمدار الخير في الباطن والظاهر وجلباب السعادة في الأول والآخر . امرت بمكارم الأخلاق ، ونهت عن ذميمة على الإطلاق ، وأوضحت طريق المعاش والمعاد وبينت منهج حفظ الأديان والبلاد وعرفتنا حكمة توحيد الصانع وارشدتنا الى الخوف منه تعالى في جميع المواطن والمواضع . فما أحسن هذه الدلالة النبوية والعناية الحمديدية التي دللتنا على خالق لا يحتاج برهات ألوهيته دليلاً ، ولا يرى حزب الخلق الى غيره سبيلاً ، ولا يعول في الملمات إلا عليه ، ولا يلتجأ في المهمات إلا إليه ، ألا ترى العبد من أي ملة كان وعلى أي معتقد انطوى إذا كان في البحر أو في القفر وانصرمت وسيلته وانقطعت حيلته يضرع اليه ، وتلقت

طبيعته الآدمية بكليتها الى التوكل عليه . فان طبائع الأشياء المصنوعة
اذا تتبعت نهايتها انقطعت أصولها ورجعت الى قدرته ، وانتهت الى
صنعه وحكته . نعم .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وان آية الله الكبرى ونعمة الله العظمى نبينا الشارح الكريم
ورسولنا الدليل العظيم جمع لنا بشريته الخير كله وألبسنا من سندس
طريقته النبوية أشرف حلة . فهو لا ريب أفصح البشر لساناً وأحسنهم
خلقاً ، وأعذبهم بياناً ، وأعلى النبيين همماً واثبت المرسلين قدماً
وارفعهم معراجاً واقربهم منهاجاً . فأنعم به من حبيب حضائر القدس
بطبيب ذكره معطرة ، ودوائر الأكوام بشموس عدله منورة . فالتناجي
من اقتدى به عليه الصلاة والسلام . وتشرف باتباعه . والآخذ بكل ما
أوضحه من أحكام الاسلام . فالحمد لله على أن جعلنا من أمته ، عليه
صلوات الله ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله . وهذا أو ان الشروع في بيان الحديث الشريف الذي وضعنا له هذا
الكتاب خدمة لشريعة النبي الكريم الأبواب وتشرفاً وتبركاً بخدمة
كلام أصدق القائلين بعد رب العالمين . ﷺ . انتهى .

الحديث الشريف

« عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عبيد الله بن محمد بن الخطاب رضي الله عنه » تعالى « عنهما
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ »

« رواه البخاري ومسلم »

الحديث الشريف

طريقه ورواياته

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عاصم وهو ابن محمد بن زبدين عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » وحيث ورد هذا الحديث الشريف من طرق : أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي . وبناء على وروده من طرق عديدة على روايات كثيرة فلنذكر بعضاً منها تبركاً بالفاظه ﷺ وحرصاً على تمام الفائدة ورجاء للدخول في دعائه ﷺ بالرحمة لما روي عن ابن عباس أنه ﷺ قال : اللهم ارحم خلفائي قلنا : يا رسول الله ، ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس ، فنقول : حدثنا محمد بن عبد الله بن غير الحمدا في حدثنا أبو خالد يعني سليمان بن حبان الآخر ، عن ابن مالك الأشجعي عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر عن النبي ﷺ ، أنه قال « بني الإسلام على خمسة على أن يوحد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج » فقال رجل : الحج وصيام

رمضان؟ قال: «لا، صيام رمضان والحج» هكذا سمعته من رسول الله ﷺ
وحدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا يحيى بن زكريا حدثنا سعد بن
طارق حدثنا سعد بن عبيدة السلمي عن ابن عمر عن النبي ﷺ انه
قال: «بني الاسلام على خمس على ان يعبد الله ويكفر بما دونه واقام
الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان». وحدثنا ابن غير
حدثنا ابي حدثنا حنظلة قال سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاووساً ان
رجلاً قال لعبد الله بن عمر ألا تغزو؟ فقال: ابي سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «ان الاسلام بني على خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت» حدثنا أبو بكر ابن أبي
شيبه وزهير بن حرب جميعاً عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن
ابراهيم عن أبي حبان عن زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة
قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول
الله: ما الايمان؟ قال: «ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله
وتؤمن بالبعث الآخر». قال يا رسول الله: ما الاسلام؟ قال: «الاسلام
أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة
المفروضة وتصوم رمضان الحديث...» .

حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع
عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: سلوني، فها هو
ان يسألوه فجاءه رجل فجلس عند ركبته فقال: يا رسول الله ما

الاسلام ؟ قال : لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان قال صدقت - الحديث ...

حدثنا قتيبة بن سعيد بن جيل بن طريف بن عبد الله الثقفي عن مالك بن أنيس فيما قرئ عليه عن أبي سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نثر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول . حتى دنا من رسول الله ﷺ فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرها قال : لا ، الا انت تطوع ، وصيام شهر رمضان فقال هل علي غيره . قال : لا ، الا ان تطوع ، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال هل علي غيرها قال : لا ، الا ان تطوع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال : رسول الله ﷺ : أفلح ان صدق . وفي رواية : أفلح وأبيه ان صدق . أو دخل الجنة وأبيه ان صدق .

« مطلب » في تحقيقات الطبغ

حدثني أبو بكر ابن اسحاق حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا يحيى ابن سعيد عن أبي زرعة عن أبي هريرة ، ان امرأياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ؟ قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة

وتصوم رمضان ، قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا
 انقص منه . فلما ولى قال النبي ﷺ : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل
 الجنة فليتنظر إلى هذا » . والاحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن لا
 يحصى اللسان ولا يحصرها قلم البنان فهي بحمد الله ، أجل من أن تحصى
 وأعظم من أن تستقصى . والكتب الستة^(١) وغيرها طائفة بطيب نشرها
 وفتح عطرها . فلنقتصر على ما ذكرناه ولنعد لما قصدناه . « فنقول » :
 شرح الحديث الشريف « بني الاسلام على خمس ... » :

قلت : لا يخفى أن هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه ﷺ
 المشار إليها بقوله ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام
 اختصاراً » . وهل المراد بجوامع الكلم القواعد الكلية الجامعة للفروع
 الجزئية ، أو الكلمات اليسيرة الجامعة للحكم الغزيرة والمعاني الكثيرة ؟
 قولان : أظهرهما : الثاني . وقد تصدى جملة من العلماء والمحدثين لجمع
 جوامع كلمه ﷺ في مؤلفات عديدة ومصنفات فريدة فجزمهم
 الله عنا خير الجزاء يوم العرض واللقاء . ثم إن هذا الحديث الشريف
 من أصح الأحاديث النبوية وأعلاها سنداً وقد اتفق على صحته جميع
 المحدثين ويكفيك أن ممن رواه : الامامين المحدثين والفاضلين الشريين أبا
 عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري وأبا الحسين مسلم بن الحجاج

(١) الكتب الستة هي : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، وسنن أبي داود
 وجامع الترمذي - أو (سنن الترمذي) - وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه . انظر
 الرسالة المستطرفة للسيد محمد بن جعفر الكتاني ص ١٠ - ط ٣ .

في صحيحهما اللذين هما اصح جميع الكتب بعد كتاب الله . وقد انتهت
 الرياضة في علم الحديث في اقطار الأرض الى أربعة قوم: البخاري ببخارى^(١) ،
 ومسلم بنيسابور^(٢) ، وأبو زرعة بالري ، والدارمي^(٣) بسمرقند ،
 واكبرهم وأشهرهم المولى محمد البخاري فقد قيل في حقه : إنه آية من
 آيات الله يحيى على وجه الأرض . قال النووي^(٤) : سمع من البخاري
 (سبعون) ألف رجل وكان يحضر مجلسه (عشرون) ألفاً . ومن روى
 عنه الترمذي^(٥) ، والنسائي^(٦) ، وغيرهما من أكابر المحدثين . ولا يخفى
 ان الحديث الصحيح هو : ما اتصل استاده برسول الله ﷺ وخلا

-
- (١) بخارى بالقصر : أعظم مدينة وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام .
 (٢) نيسابور : مدينة مشهورة بخراسان من أحسن مدنها وأجمعها لقطع والحجر .
 (٣) أبو زرعة : صاحب المسند المعروف باسمه . وهو عبيد الله بن عبد الكريم بن
 يزيد بن فروخ الغرشي الرازي منسوب الى الرازي بزيادة الراء وهي مدينة مشهورة من
 أميات البلاد تولى عام ٢٦٤ هـ .
 (٤) الدارمي : هو أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبيد
 الصمد التميمي السمرقندي الدارمي - نسبة الى دارم بن مالك بطن كبير من ثيم - المتوفى
 بربو سنة ٢٥٥ هـ .
 (٥) النووي : هو الامام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي . نسبة
 الى قرية نوى من قرى دمشق .
 (٦) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الصهاك السلمي بضم
 السين . نسبة الى بني سليم والترمذي نسبة الى ترمذ : مدينة قديمة على أطراف نهر بلخ المسى
 يصبحت تولى سنة ٢٧٩ هـ .
 (٧) النسائي : هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بهر (الفسالي)
 نسبة الى نسا مدينة بخراسان والمتوفى بالزمنة مدينة فلسطين من أرض الشام والمذقون بها
 سنة ٣٠٣ هـ .

عن العلة^(١) والشذوذ^(٢) وكانت رواته كلهم عدولا ثقة معروفين بالحفظ والضبط ، كما قال العلامة البيهقي في ارجوزته :

أولها الصحيح وهو ما اتصل اسناده ولم يشذ أو يُعل
برويه عدل ضابط عن مثله معتمد في ضبطه ونقله

فهذا مما رواه الثقات العدول وتلقوه بالقبول وعضده ما سبق من الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ولولا خشية الإطالة والخروج عن المقصود لتكلمنا على رواية هذا الحديث الشريف وبيننا رفعة مقاماتهم وعلو درجاتهم فلنكتف بشهرة أوصافهم ولنصرف عنات المهمة نحو المقصود متكئين على الرب المعبود ذي الكرم والجود ولا يخفى ما في قوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس » إلى آخره من الحجاز ، وقد جاء في غاية الحسن وفي نهاية درجات الفصاحة والبلاغة وذلك : أن البناء لا يكون إلا في المحسوسات فاستعمله في المعقولات مجازا بالاستعارة . وتقديره ، أن يقال : شبه دين الإسلام بحصن مبني على أقوى الدعائم وأعظم الأركان يجامع الرصانة والصيانة في كل منها ، فإن الحصن الرصين يصون ويمنع عن الوقوع في أيدي الأعداء كما أن الدين المتين يصون ويمنع من الوقوع في نار المخالفات في الدنيا والسقوط في نار جهنم في الآخرة واستعير المشبه به لخصيه وطوي ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو البناء

(١) علة : هي أمر تخفي في الحديث ، لا يتبدى إلى اكتشافه إلا الجهابذة من المحدثين الذين يزورون بين صحيح الحديث وسقيه كما يميز الصبر في بين جبابذة الخلق وزبوعها .
(٢) الشذوذ : هو مخالفة الثقة لمن هو أولى منه .

على طريق الاستعارة المكنية . واثبات البناء تخييل إما باق على حقيقته أو مستعار استعارة تخيلية ، وتقرر لها أن يقال : لما شبه الاسلام بالحصن الحصين أخذ الوهم يخترع له بناء كبناء الحصن فشبه البناء المتخيل بالبناء المحقق واستعير المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التخيلية ثم اشتق منه (بني) على طريق الاستعارة التبعية لجريانها أولاً في المصادر ثم في المشتقات فإن قلت : الحصن ونحوه ، إنما يبنى في العادة على أربعة أركان وهنا قد بني الاسلام على خمسة قصار بين الاسلام والحصن فرق من جهة عدد الأركان فلم يصح التشبيه ؟ أجيب بأجوبة أولها : أنه لم يصرح الحديث الشريف بأن هذه الخمسة أركان : وإنما صرح بأنها بني عليها الاسلام فلا مانع من أن يجعل أول واحد منها أساساً وباقيا أركاناً . ولا يخفى عليك ما في جعل شهادتي الاسلام أساساً لبقية أركانه من الحسن فكما أن البناء لا يقوم إلا على أساس كذلك الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، لا تنفع بل ولا تصح إلا بعد وجود الأساس وهو : الشهادتان .

ثانياً : لا مانع من الزيادة على أربعة أركان فقد يتصور أن يبنى الحصن على خمس دعائم أو أكثر أيضاً . ولا وجه للحصر في الأربعة وإن كان أمراً أغلبياً .

ثالثاً : لا يلزم من تشبيه شيء بآخر أن يكون موافقاً له من سائر الجهات ولو لزم ذلك لانتقضت أكثر أمثلة المجاز كما هو ظاهر . فإنت قلت : قد عرفوا الركن بأنه : ما يتعدم الشيء بانعدامه ، ولا يخفى أن

الصلاة والزكاة وما بعدهما لا يتعدم الاسلام بانعدامها ألا ترى أن من أقره بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة يحكم بإسلامه وإن لم يفعل شيئاً من هذه العبادات وإذا ترك المسلم ذلك عمداً لا يقضى بكفره . فما وجه عدّها أركاناً ؟ أجيب : بأنها لشدة ارتباطها بالدين ولكثرة ما ورد في الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية من التأكيد في طلبها والتشديد في فعلها والوعيد الشديد لمن تركها فلذلك تزلت منزلة الأركان فساغ تسميتها أركاناً ، ولذلك يقال : الصلاة عماد الدين فمن هدمها فقد هدم الدين ، فليتأمل . ثم لا يخفى أن 'بني' فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله ، ضم أوله وكسر ما قبل آخره وهو مشتق من البناء الذي هو تقيص الهدم .

وقوله : (الاسلام) نائب فاعل (بني) ولا بد لحذف الفاعل وتحويل صيغة الفعل المبني للمعلوم الى صيغة الفعل المبني للمجهول من حكمة وهي : اما العلم بالفاعل او الجهل به او الخوف منه او الخوف عليه او تعظيمه او تحقيره . الى غير ذلك مما هو مسطور في 'المختصر' وغيره من كتب المعاني . ومعلوم انه قد حذف الفاعل في الحديث المذكور للعلم به اذ من المعلوم بالضرورة : ان النبي بقى دين الاسلام على هذه الدعائم والأركان هو 'الله' سبحانه وتعالى .

'والاسلام' لغة : هو الاستسلام والانتقاد والاذعان . ومنه قوله تعالى 'قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا'^(١) وشرعاً : الانتقاد للأفعال

(١) الحجرات / ١٤ -

الشرعية الظاهرة . وأما الايمان فهو في اللغة : التصديق، وشرعاً :
 التصديق بما علم من الدين بالضرورة . فبين الايمان والاسلام فرق ظاهر،
 وإن أوهم كلام بعضهم اتحادهما ، ولذلك قال عليه السلام : « الاسلام
 علانية والايمان في القلب »^(١) ويدل على ذلك حديث جبريل حيث
 سأل رسول الله ﷺ عن الاسلام فأجابه بقوله : « ان تشهد ان لا إله إلا الله
 وان محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » الى آخره . وسأله
ﷺ عن الايمان ؟ فقال : « ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ..
 الحديث » . نعم ورد اطلاق الاسلام على الايمان كما ورد اطلاق الايمان
 على الاسلام كقوله عليه الصلاة والسلام « الإيمانيات بضع وسبعون باباً
 فادّنها امامة الأذى عن الطريق وأرفعها قول : لا إله إلا الله »^(٢) وورد
 أيضاً اطلاق الاسلام على ما يعم الايمان كقوله تعالى : (ان الدين عند الله
 الاسلام)^(٣) وقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فكلن يقبل منه
 وهو في الآخرة من الخاسرين)^(٤) كما ورد اطلاق الايمان على ما يعم الاسلام
 أيضاً كقوله ﷺ : « الإيمان : اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل
 بالاركان »^(٥) وهذه الاطلاقات من باب التجوز والتوسع على عادة العرب

(١) رواه ابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه . وهو حديث حسن .

(٢) بين المؤلف رحمه الله هذه الأبواب مشروحة في كتابه (الحقيقة الباهرة في
 أسرار الشريعة الظاهرة) والحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة .

(٣) آل عمران / ١٩ (٤) آل عمران / ٨٥

(٥) رواه القسري في الألقاب عن عائشة رضي الله عنها بلفظه « الايمان بالله : =

في ذلك . وإذا أضيفت إلى هذا المقال زال عنك الإشكال الحاصل من تعدد الاستعمال . ومما ينبغي أن يعلم : أن الإسلام بدون إيمان لا ينفع صاحبه في الآخرة ، وإن عصم ماله ودمه في الدنيا فإن من أقر بلسانه بالشهادتين وأظهر الإسلام وانتقاد لما شرعه الرسول من الأحكام ، وعنده في قلبه أدنى شبهة أو أقل شك وريب في صدق ما جاء به رسول الله ﷺ مما علم ثبوته ضرورة فهو منافق مخلد في جهنم لا يقبل الله منه عملاً ولا يغفر له زللاً ، وهو أشد من الكافر الصريح . قال تعالى : (أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)^(١) وكذلك الإيمان بالقلب مع الإصرار على العناد باللسان لا يجدي نفعاً ولا يفيد شيئاً . وأما من آمن بقلبه ولم يتكلم بالشهادتين في لسانه ومات على ذلك فقد اختلفوا فيه ، ومنشأ الخلاف ، أن النطق بالشهادتين هل هو شرط لإجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من النكاح والتوارث ونحوها غير داخل في معنى الإيمان أو جزء داخل في معناه ؟ قولان مشهوران : ذهب كثير من الفضلاء والمحققين إلى الأول . وهو أرفق وعلى هذا فن صدق بقلبه ولم يعترف بلسانه لا لعناد بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند الله تعالى . وذهب كثير من العلماء المتقدمين بل والأئمة المجتهدين إلى الثاني ، وهو الأحوط . ومن قال بالأول

== الإقرار باللسان ، وتصديق القلب ، ومن بالأركان ، وابن حنبل ، والطبراني في الكبير
 بلفظ « الإيمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان » وعمل بالأركان « من علي رضي الله عنه
 وكرم الله وجهه » . اهـ .

العلامة الشيخ أبو منصور^(١) من الماتريديّة - والقاضي^(٢) والاستاذ^(٣) من الاشاعرة . وروي ذلك أيضاً عن الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان عليه السلام في أحد قوليّه ، واليه ذهب أبو الحسن الصالحى ، ومن صرح بالقول الثانى : العلامة السعد^(٤) فى التلويح - والعلامة القاضي^(٥) فى الشفاء - والدليل على أن محل الايمان « القلب » آيات كثيرة وأحاديث شيرة فمن الآيات قوله تعالى : (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان)^(٦) وقوله عز شأنه (وقلبه مطمئن بالايمان)^(٧) وقوله جل جلاله : (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم)^(٨) ومن الاحاديث النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ثبت قلبي على

-
- (١) هو محمد أبو منصور الماتريدى نسبة إلى ماثريد بسمرقند وفيما تولى سنة ٢٢٢ هـ وإليه ينسب المذهب الماتريدى فى علم الكلام . ا هـ .
 (٢) القاضي : هو أبو بكر الباقلاوى ، واسمه محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر من كبار علماء الكلام . ا هـ .
 (٣) الاستاذ : هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران . عالم بالفقه والأصول نشأ فى أسفرايين بين نيسابور وجرجان . له تأليف عديدة ، أشهرها « الجامع فى أصول الدين » مات فى نيسابور سنة ٤٤٨ هـ .
 (٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى . المتوفى سنة ٧٩٢ هـ . والتلويح هو شرحه على التوضيح لمن التفتيح فى علم أصول الفقه للامام القاضي - صدر الشريعة - حبيب الله بن مسعود الحنبلى البخارى المتوفى سنة ٧٤٧ هـ .
 (٥) القاضي : هو : حياض بن موسى بن حياض بن عمرو الجعفى السبى . عالم الفقه وامام أعلى الحديث فى وقته . وهو صاحب كتاب (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) ا هـ .

(٦) البقرة / ٢٢ /

(٧) النحل / ١٠٦ /

(٨) الحجرات / ١٤ /

دينك ، وقوله عليه الصلاة والسلام سيدنا اسامة رضي الله عنه - حين قتل
من قال لا إله إلا الله - : « هلا شققت عن قلبه ؟ » وبقيت هنا فوائد :
منها - ان اثنين لا يحتاجان في صحة إيمانها الى النطق ، الأول : الأخرس ،
والثاني : من آمن بقلبه واحترمه المتية ^١ قبل النطق بالشهادتين من
غير تأخير ولا تراخ أصلاً . ومنها - ان مفتاح الاسلام : الشهادة بالآلية
والوحدانية للملك العلام . وبالرسالة : سيد الرسل العظام بقول : أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فلو أتى شخص بالفاظ
أخرى توازي هذا المعنى كان قال : أعلم وأقر وأعترف بأن الله معبود
بحق لا رب سواه ، وأصدق بأن محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث من عند الله هل
يكفيه ذلك أم لا بد من الشهادتين بلفظيهما ؟ ذهب ابن عرفة المالكي ^٢ إلى
التأني ، وجزم بمثله بعض متأخري الشافعية ، معالين بأن الشارع صلى الله عليه وسلم
تعبداً بلفظ « أشهد » فلا بد منه ولا يجزىء لفظ آخر عنه ونص كثير من
الثقات على : أنه لا يتعين النفي والاثبات ، حتى لو قال : الله إله واحد ، ومحمد
رسول ، يكفي ، ويصير بذلك من المسلمين وتجري عليه سائر أحكام
الموحدين . ومنها - هل يشترط لصحة الاسلام الموالاة بين الشهادتين بأن
تكون الشهادة لتبيننا صلى الله عليه وسلم بالرسالة المتصلة بالشهادة لله سبحانه وتعالى

(١) قال صاحب القاموس : واحترمه التنية : أخذته .

(٢) ابن عرفة : هو محمد بن محمد بن عرفة ، الورعني : امام نونى وعالمها وخطيبها
في عصره . من أجل كتب : « المختصر الكبير » في فقه المالكية - كانت ولادته ووفاته في
نونى (ولد سنة ٧١٩ هـ - وتوفي سنة ٨٠٣ هـ) ا هـ - عهده .

بالهوية والوحدانية أم لا يشترط ؟ قولان : ذهب بعضهم إلى الأول ، وذهب آخرون إلى الثاني ، وقالوا : لو شهد الله بالالهية والوحدانية وبعد سنين وأعوام شهد برسائله عليه الصلاة والسلام ، فإنه يصير من أهل الاسلام وتجري عليه سائر الأحكام . ومنها - هل يشترط الترتيب بين الشهادتين بأن تكون الشهادة ثم مقدمة على الشهادة لرسول الله أم لا يشترط ذلك ؟ الصحيح : الأول . وهو الذي عليه المعول ، فلو قال : محمد رسول الله ، لا إله إلا الله . لا يكون داخلاً في هذا الدين ، ولا تجري عليه أحكام المسلمين . كما اختاره كثير من المحققين ، وذلك لأن إثبات الرسالة له ﷺ فرع عن إثبات المرسل جل وعلا فيجب تقديم الأصل على الفرع كما صرح به أئمة الشرع . ومنها - لو ترجم عن الشهادتين بلغة أخرى بأن تكلم بكلمات فارسية مفيدة لمعنى مطابق لمعنى الشهادتين هل يكفيه ذلك ويصير به مسلماً أم لا ؟ أجاب بعضهم بأنه إن كان يحسن العربية ففيه وجهان ، أحدهما : أنه يحزته ذلك ، وإن كان لا يحسن العربية كفاه ذلك اتفاقاً . ومنها - لو صدق رجل يوحدانية الله سبحانه وتعالى ورسالة نبينا ﷺ وشرع في النطق بالشهادتين وقبل أن يتمها اعتقل لسانه أو حصل له عارض منعه عن إتمام النطق ومات قبل التمكن ؟ فلا ريب في صحة إيمانه ، ويكون من أهل هذا الدين ومن جملة الناجين .

مذهب أهل السنة والجماعة - في الأعمال

ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان، فمن صدق بقلبه وأقر بلسانه فهو مسلم مؤمن موحد وينفعه إيمانه يوم القيامة وإن كان يعذب على ترك الطاعات وإهمال العبادات لكنه لا يخلد في العذاب ومآبه إلى جنة النعيم وهذا ما عليه الأئمة الانحياز . وأما المعتزلة^(١) فانهم ضلوا عن طريق الصواب وقالوا بأن الإيمان هو: التصديق والنطق وسائر الطاعات والأعمال الصالحات وترك المعاصي والمسكرات، وزعموا بأن من صدق في قلبه وأذعن باللسان فليس من أهل الإيمان حتى يفعل جميع المأمورات وينتهي عن جميع المنهيات وزعموا أن من فعل كبيرة فهو كافر مغلد في النيران باق في دار الهوان وهذا زعم^(٢) باطل، وكلام بلا طائل، نعم لا ريب في أن كمال الإيمان إنما يكون بالاعتقاد بالجنان والنطق باللسان والعمل بالأركان . وعليه يحمل كلام السلف المتقدمين فيوافق ما صرح به أكابر المتأخرين، والآيات القرآنية بأمرها دالة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، قال تعالى:

(١) وهم أتباع واصل بن عطاء - الذي اعتزل حنيفة الحسن البصري - فقال فيه الحسن: اعتزلنا واصل. فغلب أتباعه إليه . وسوا بالمعتزلة .
(٢) الزعم : ضرب من الكذب .

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)^(١) ولم يقل سبحانه وتعالى : شرط لصحة إيمانكم الصيام . وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)^(٢) وقال تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً)^(٣) وقال تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن)^(٤) بل دلت بعض الآيات على أن المعاصي والإيمان قد يجمعان قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)^(٥) وقال تعالى (الذين آمنوا ولم يهاجروا)^(٦) وقال تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)^(٧) وقد أجمع علماء هذا الدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين على : أن شرط صحة العبادات وجود الإيمان . ولا ريب في أن الشرط^(٨) غير المشروط ، فإن الطهارة مثلاً شرط في صحة الصلاة . ولا شك أن الطهارة غير الصلاة . بل كون العبادات أمراً آخر غير الإيمان مستفاد من صريح الآيات السابقة فإنه تعالى عطف الأعمال على الإيمان فقال : (آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) إلى غير ذلك . ومن الأمور البديية أن العطف يقتضي المغايرة ، فالخاصل : أن مذهبنا واعتقادنا معشر أهل السنة والجماعة : أن الأعمال ليست شرطاً في صحة الإيمان .

(١) البقرة / ١٨٣ . (٢) بولس / ٩ .
(٣) التوبة / ٩ . (٤) طه / ١١٢ .
(٥) الانعام / ٨٢ . (٦) الانفال / ٧٤ . (٧) الحجرات / ٩ .
(٨) الشرط : في اللغة ، مصدر بمعنى إقام الشيء ، وإقامه وجعه : شرط . وبتحريك الزلج بمعنى : العلامة ، وجعه : أشرط . قال تعالى : (فقد جاء أشرطها) أي : علامتها ، واصطلاحاً : هو ما يلزم من عدمه عدم المشروط ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته . ا . هـ . راجعه إن شئت في مظانه من كتب الأصول . محققه .

« مطالب » في التوبة

قال « رحمه الله » : ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بفعل شيء من المنكرات ومقارفة^(١) الذنوب والمنيات، ونقول: من فعل ذلك فاما أن يتوب عنه وإما أن يموت مُصيراً عليه فان تاب تاب الله عليه . وقد أمر سبحانه وتعالى بالتوبة فقال: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً)^(٢) والتوبة النصوح : هي الندم والاستغفار والرجوع عما اقترفته من الأوزار والعزم على أن لا يعود . وأخبر سبحانه وتعالى بأنه يحب التائب بقوله تعالى: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)^(٣) وفي الحديث الشريف « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » رواه ابن ماجة عن ابن مسعود الحكيم . وفي حديث آخر « التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب » رواه القشيري وابن النجار عن أنس رضي الله تعالى عنه .

(١) في القاموس : قارف الخطيئة : خالطها .

(٢) التحريم / ٨ / .

(٣) البقرة / ٢٢٢ / .

هل يزيد الإيمان وينقص

قال المؤلف رحمه الله : « إذا عرفت أن الإيمان هو : تصديق القلب واعتقاده القاطع الجازم بكل ما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه فهل يزيد وينقص أم لا ؟ وقع الخلاف في هذه المسألة ، فمذهب امامنا الأعظم والهام المقدم « أبي حنيفة النعمان » ومن تبعه من الأئمة الأعيان : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص . لأنه عبارة عن التصديق في القلب ، وهذا نقصه شك وكفر ولا يسمى إيماناً إلا إذا بلغ درجة النهاية بأن يكون بريئاً من الشكوك والأوهام ، في جميع ما جاء به عليه الصلاة والسلام ، ولذلك أنكر جمهور الموحدين وأكابر المتكلمين زيادته ونقصه وذهب بعض السلف وجماعة من الخلف إلى أنه يزيد وينقص . فزيادته بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ورسوخ نور الأعمال الصالحة في القلوب الطاهرة ، ونقصه بعدم ذلك ، وقالوا : لا يرتب صاحب عقل فضلاً عن ذي علم وفضل في أن إيمان سيدنا « أبي بكر الصديق » رضي الله تعالى عنه وإيمان بقية الأربعة الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ليس كإيمان أحاد الناس ، ولذلك قال أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه : لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً . فمن أين يقاس إيمانه

بايماننا ؟ فضلاً عن ايمان من نشأ في البراري والقفار بعيداً عن القرى والامصار ، فلم ير أحداً من علماء التوحيد ولم يكن في أمره إلا -على- مجرد السماع والتقليد . فبذلك ثبت أن الإيمان قابل للزيادة والنقصان ، قلنا : لا شك أن عدم المساواة في القوة والضعف ليس زيادة في حقيقة الايمان وجوهره وإنما هو زيادة في وصفه ، وذلك كالإنسان المريض والإنسان القوي ، فإن الإنسانية فيها على حد سواء . نعم قد تغايرت الأوصاف ، فإن أحدهما موصوف بالقوة والآخر موصوف بالضعف وهكذا الايمان ، فلا تختلف الحقائق الإيمانية وإنما تختلف صفاتها من قوة وضعف . ومرادنا بكون الإيمان لا يزيد ولا ينقص أنه لا يزيد ولا ينقص جوهره ، وحقيقته ، أما أوصافه : فهي قابلة للزيادة والنقصان لكونها تزيد بالأعمال الصالحة والخوف من الله وتنقص بالعكس .

« مطلب » في لفظ « المؤمن » وكونه من أسماء الله تعالى

قال « رحمه الله » : فإن قلت : فعلى هذا كل من صدق تصديقاً صحيحاً وأقر إقراراً صريحاً فقد حاز وصف الإيمان ويقال فيه : إنه مؤمن حقاً ، ومعلوم أن لفظ (مؤمن) وارد في أسماء الله الحسنى « التسعة والتسعين » فهل يجوز إطلاقه على غيره تعالى ؟ وإذا جاز إطلاقه فهل هما بمعنى واحد ؟ أم بينهما تفاوت في المعنى وإن اتحدا في اللفظ والمبنى ،

قلت: أما الإطلاق المذكور فهو جازئ بلا مقال ، وسائق بلا اشكال ، لأن هذا اللفظ غير مختص بالله . أما المختص بالله تعالى كلفظ الجلالة وكالرحمن معرفاً أو مطلقاً ، فلا يجوز إطلاقه على غيره جل وعلا . وأما إطلاق المؤمن على غيره تعالى فهو جازئ ويشهد لذلك نص القرآن ، قال تعالى : (قد أفلح المؤمنون)^(١) وقال تعالى : (أولئك هم المؤمنون حقا)^(٢) وقال تعالى : (وخافون إن كنتم مؤمنين)^(٣) وقال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)^(٤) إلى غير ذلك من الآيات التي لا تقبل الحصر . وأما معناها فمختلف لأن معنى المؤمن هو : وصف الإنسان المصدق بما جاء به الرسول ﷺ ومعنى المؤمن الذي هو من الأسماء الحسنى : إما المصدق لنفسه وأنبيائه ورسله وملائكة قدسه ، وإما الهادي لعباده إلى الإيمان . وقيل: معنى المؤمن في حقه تعالى أنه يؤمن عباده الأبرار من عذاب النار . وعلى كل فبين «مؤمن» الذي هو من أسماء الله الحسنى^(٥) وصفاته الحسنى، وبين مؤمن الذي هو صفة الإنسان الحائز لحقيقة الإيمان بون عظيم، وفرق جسيم،

(١) المؤمنون / ١ -

(٢) الانفال / ٤ -

(٣) آل عمران / ١٧٥ -

(٤) المؤمن (ظفر) / ٢٨ -

(٥) ورد في الحديث الشريف (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ... الحديث) رواه الترمذي وابن حبان والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه - وهو حديث صحيح - واليه أشار المؤلف أن البحث - ٥١ - محقق .

ويكفيك قدم الأولى وحدث الثانية . لأن صفاته تعالى كلها قديمة
وصفات العبد كلها حادثة فالصفات القديمة مخصوصة بذاته الكريمة
والصفات الحادثة قائمة بالحوادث التي أولها عدم ، وآخرها عدم .

« مطلب » في وصف « الإيمان » بالفرم

قال « رحمه الله » : وقد نشأ مما تقدم شيء آخر وهو : أن الإيمان
يوصف بكونه قديماً غير مخلوق ، وبكونه حادثاً مخلوقاً لأنه إن أريد به
معنى الهداية التي هي من صفات الحق سبحانه وتعالى كان صفة قديمة
كسائر صفاته سبحانه وتعالى . وإن أريد به معنى التصديق بالرسول
وبما جاؤوا به عليهم الصلاة والسلام فهو صفة حادثة من الصفات
البشرية وصفات البشر بدايتها ونهايتها عدم ، ولا توصف ببقاء ولا قدم ،
وتحقيق أمثال هذا المقام منوط بكتب الكلام ، المصنفة لبيان عقائد
الإسلام ، فناهيك بها من كتب ، وناهيك بهذا العلم من علم ، فإن
موضوعه أشرف الموضوعات ومعلومه أجل المعلومات ، وغايته
أشرف الغايات . وتعلمه من الواجبات حتى صرح بعضهم بوجوب تعلمه
على كل مسلم .

« مطلب » في المؤسس المقدم

قال « رحمه الله » : واختلف العلماء فيمن آمن ولم ينظر في علم

العقائد ولم يقف على شيء من علم التوحيد وإنما كانت عقائده بمجرد التقليد، فقيل: لا يكتفى بتقليده ونقل ذلك عن الأشعري^(١) والقاضي والاستاذ وإمام الحرمين^(٢). بل حكى بعضهم: الإجماع على ذلك. وعزاه ابن القصار للإمام «مالك» ونقل أيضاً عن الجمهور: عدم جواز التقليد في العقائد الدينية، واختلفوا في المقلد، فمنهم من قال: إنه مؤمن عاصٍ مطلقاً، ومنهم من فصل فقال: إن كان فيه أهلية للنظر والاستدلال فهو عاصٍ بلا اشكال، وإن لم يكن فيه أهلية لذلك فلا حرج عليه، وقيل: إن قلد النصوص القطعية كآليات القرآنية، والأحاديث الصحيحة النبوية صح إيمانه، وإن قلد الناس في عقائدهم فلا يصح إيمانه، ولا ينجو يوم القيامة، لأن غير المعصوم يجوز عليه الخطأ فلا يقبل في عقائد الدين التي لا بد لأهلها من الأدلة والبراهين. والحاصل أن تعلم هذا العلم كبقية العلوم الثلاثة الشرعية^(٣) من أهم الواجبات وأجزل القربات.

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة؛ كان من الأئمة المتكلمين المحدثين ولد في البصرة سنة ٢٦٠ هـ وتلقى مذهب المعتزلة فكان من المعتزليين فيه ثم رجع وجاهد بخلافهم. له تصانيف جليلة. توفي رحمه الله ببغداد سنة ٣٢٢ هـ.

(٢) أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بإمام الحرمين؛ أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورجل إلى بغداد فمكة ثم إلى المدينة، فافتى ودرس بجامعة طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور. وكان يهضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة. جليل في الفقه وأصول الدين، توفي رحمه الله بنيسابور سنة (٥٤٧ هـ - ١١٥٥ م).

(٣) قد بيدها المؤلف (رحم الله) فيما بعد.

علوم الشرع « ثمرة »

وقد قالوا : علوم الشرع ثلاثة : العلم بالعقائد الدينية ، والعلم بالنفاسير القرآنية ، والعلم بالأحكام الفقهية . ولا يخفى عليك ما في حسن تسمية هذا الدين المتين بالإسلام والايان من الاشارة بلطف إلى ثمراته الحسان وهي : السلامة والأمان . فمن أسلم فقد سلم ، ومن آمن فقد آمن ، والاسلام مصدر : أسلم ، وهو من باب الأفعال من النوع الأول من مزيد الثلاثي ، وليس من المهموز لأن « الهمزة » مزيدة كما لا يخفى .

« مطلب » في نور ﷺ (على خمس)

قال « رحمه الله » : وقوله ﷺ « على خمس » لا يخفى أن « على » تستعمل إسماً وفعلًا وحرفًا . إلا أنها إذا كانت إسماً أو حرفاً فإنها ترسم بالياء ، وإذا كانت فعلًا فإنها ترسم بالالف ، لأن القاعدة : أن الفعل الماضي المعتل إذا كان واوياً يرسم بالالف نحو (غزا - دعا - رجا) وإن كان يائياً يرسم بالياء نحو (أتى - رأى - أعطى) وإذا أشكل عليك الفعل ولم تعلم أنه (واوي أو يائي) فأت له بضمير المتكلم أو المخاطب مثلاً : تظهر لك حقيقة ففي الأفعال الثلاثة الأولى لو أتيت بالضمير المذكور لقلت (غزوت ، ودعوت ، ورجوت) بخلاف الأفعال الثلاثة

الأخرى فأنها يقال فيها (أتيت ، ورأيت . وأعطيت) وبذلك يظهر لك أن (علّا) الذي هو من قسم الفعل الماضي يرسم بالآلف ، لأنه (واوي) كما سبقت الإشارة إليه ، فإنه يقال فيه «علوت» دون «عليت» ، ومصدره أيضاً شاهدٌ على ذلك لأنه العلو بالواو لا بالياء . فالخاصل: أن (على) المذكورة في نص هذا الحديث الشريف ليست فعلاً وإنها هي دائرة بين الإسمية والحرفية فإن جعلت إسماً فهي ظرف مكان بمعنى (فوق) منصوبة على الظرفية المكانية متعلقة في قوله (بُني) والمعنى: (والله أعلم) بني الإسلام فوق خمس أركان : شهادة أن لا إله إلا الله ، إلى آخره . ويكون (على) مضافاً (وخمس) مضافاً إليه . وإن جعلت حرفاً وهو الأولى والأقرب ، فهي متعلقة أيضاً بقوله « بني » .

ولا يخفى أن حرف الجر الأصلي لا بد له من معنى وأن « على » لها معان عديدة . فمنها : الاستعلاء ، وهو ينقسم إلى قسمين : حسي ، ومعنوي . فالحسي: نحو قوله تعالى : (وعليها وعلى الفلك تحملون)^(١) والمعنوي: نحو قوله تعالى: (فضلنا بعضهم على بعض)^(٢) ومنها: أن تكون بمعنى « مع » نحو قوله تعالى: (وآتى المال على حبه)^(٣) أي « مع » حبه وقوله تعالى : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم)^(٤) أي « مع » ظلمهم ومنها:

(١) المؤمنون / ٢٢ - المؤمن (طاهر) / ٨٠ .

(٢) البقرة / ٢٥٣ .

(٣) البقرة / ١٧٧ .

(٤) الزمر / ٦٠ .

التعليل، نحو قوله تعالى: {ولتكبروا الله على ما هداكم} ^(١) ومنها الظرفية،
 نحو قوله تعالى: {ودخل المدينة على حين غفلة} ^(٢) ومنها: أن تكون
 بمعنى «الباء»، نحو (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) ^(٣). ومنها: أن
 تكون بمعنى «لكن» التي هي للاستدراك، وهو: تعقيب الكلام برفع ما
 يتوهم ثبوته، أو نفيه. نحو: فلان كثير الخوف والحشية من الله تعالى
 على أنه لا يياس من رحمة الله تعالى أي: لكنه لا يياس. إلى غير ذلك من
 المعاني المسطورة في محلها، والأنسب من هذه المعاني في هذا المقام أن
 تكون «على» للاستعلاء المعنوي لأن الأركان الدينية ليست من الأمور
 الحسية، أعني: المحسوسة والمشاهدة بحاسة البصر ويحتمل «على»
 - بعد - أن تكون بمعنى «الباء» وعليه فالمعنى: بني الإسلام بخمسة
 أشياء فان قلت: إذا جعلت (على) بمعنى الباء فلا اشكال، أما إذا جعلت
 بمعنى «الاستعلاء» لزم اتحاد المبني والمبني عليه، ألا ترى؟ أن الإسلام هو
 هذه الأشياء الخمسة يعينها كما يدل على ذلك حديث جبريل المار الذكر،
 فإنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام؟ فأجابه بقوله: «أن تشهد
 أن لا إله إلا الله وأنت محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة..
 الحديث». فكيف يصح بناء الشيء على نفسه؟! اجيب بأن الإسلام غير
 منحصر في هذه الأشياء الخمسة لأن الفرائض والواجبات التي يتعين
 الاذعان لها والعمل بها والسنن والمندوبات التي حض الشارع ﷺ

(١) البقرة / ١٨٥.

(٢) القصص / ٢٥.

(٣) الأعراف / ١٠٥.

عليها ونديها الأمة اليها كثيرة . وكلها داخلة في الأعمال التي هي داخلة في مفهوم الاسلام غير أن أعظمها وأهمها وأعلاها هذه الحجة . ويدل على ذلك أحاديث أخرى . فمنها قوله ﷺ « الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحيلة شعبة من الإيمان » . رواه مسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجه ، وقد بين ﷺ لجبريل عليه الصلاة والسلام أمهات الفرائض وأعظمها وأعلاها وأهمها واكتفى بذلك إما لأن البقية كالتوابع لهذه الحجة أو لغير ذلك من الأسرار والحكم . وحينئذ فلا يكون بناء الاسلام على هذه الحجة من قبيل بناء الشيء على نفسه فلا اشكال والحمد لله على كل حال . هذا وقد جعل ﷺ لفظ « خمس » مذكراً في هذا المقام وهو الأفصح هنا ، كما لا يخفى على ذوي الافهام ، وذلك لأن القاعدة انه إذا ذكر العدد والمعدود فمن « الثلاثة - إلى - عشرة » يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر فتقول عندي (خمسة رجال) و (سبع نسوة) سواء كان تذكر المعدود وتأنيثه حقيقياً أو مجازياً فالأول نحو (الاسلام) والثاني نحو قوله تعالى : (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام)^(١) هذا كله إذا ذكر المعدود فإن كان المعدود محذوفاً فلك رعاية هذه القاعدة ، بأن تقول صمت خمسة وسهرت ثلاثاً تريد صمت خمسة أيام وسهرت ثلاث ليال . ولك عدم رعايتها لكن الأفصح رعاية هذه القاعدة ذكر

(١) الخاق / ٧ / .

المعدود أو حذف .. كما نص عليه العلامة الأشموني^(١) في شرحه على الخلاصة . تبعاً لجماعة من النحويين . وقيده العلامة السبكي^(٢) بما إذا كان المحذوف خصوص لفظة (أيام) وجعل حذف التاء هو الموافق لكلام العرب . فالخاصل أنه لا خلاف بين الجماعة والعلامة السبكي في أن تجريد «خمس» عن «التاء» في الحديث الشريف هو الإفصح وكيف لا يكون كذلك وقد نطق به أفصح العرب بياناً وأوضحهم تبياناً وقد عرفوا العدد : بأنه ما سوى نصف مجموع حاشيتيه القريبتين أو البعيدتين - مثلاً - «خسة» تسمى عدداً لأن حاشيتها السفلى «أربعة» وحاشيتها العليا «سنة» فإذا جمعت الحاشيتين وقسمتها خرج العدد المذكور بعينه . ولهذا قالوا : لا يسمى الواحد عدداً إذ ليس له حاشية سفلى حتى يمكن إجراء القسامة المذكورة في حقه . ومنه تعلم أنه لا يجوز إطلاق العدد على الله سبحانه وتعالى لأنه سبحانه وتعالى هو الواحد الحقيقي . والوحدة تنافي التعدد . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ...

(١) هو : العلامة نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني الشافعي - شارح الخلاصة (أنفة بن مالك) في فن العربية . ١ .
 (٢) هـ : أبو الحسن نفي الدين علي بن عبد الكليل بن علي بن قاسم السبكي الأنصاري الخزرجي شيخ الإسلام في عصره - له تأليف عديدة وتصانيف جليلة وله سنة ٦٨٠ هـ ونوفى (رحمه الله) سنة ٧٥٦ هـ - ١ . محققه .

« شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ »
وفي رواية : وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

« أركان الإسلام - من أركان الإسلام »

الركن الأول

« الشهادتان »

« مطلب » في قوله ﷺ « شهادة »

قال : « رحمه الله تعالى » : وقوله ﷺ (شهادة) بدل من قوله (خمس) بدل مفصل من يحمل - وذلك أن تقول بدل : بعض من كل ولا يخفى أن التعبير بالبدل جرى على مذهب البصريين وأما الكوفيون فيسمونه ترجمة وتبييناً - ولا بد في البدل المذكور من دلالة ما قبله عليه اجمالاً ، وقد عرفوا البدل من حيث هو بأنه لفظة : عوض . واصطلاحاً : التابع المقصود بالحكم بلا واسطة . وقسموه إلى أربعة أقسام : البدل المطابق نحو (إلى صراط العزيز الحميد الله)^(١) وبدل البعض من الكل نحو (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)^(٢) وبدل الاشتغال نحو « نفعتي زيد علمه » والبدل المبين « الزم

(١) سورة ابراهيم آية (٢-١) .

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧/ .

العلم العمل ، وقد علمت أن البديل الواقع في لفظ الحديث الشريف وهو لفظ شهادة (بديل بعض من كل) غير أنه يشكل عليه ما نص عليه النحويون من أن بديل البعض من الكل وبديل الاشتغال لابد لهما من رابط ، أي من ضمير يعود على المبدل منه ، ويمكن أن يجاب عنه بأن لزوم الرابط المذكور غير متفق عليه بينهم بل صحح العلامة ابن مالك ^(١) في شرح كافيته : عدم اشتراطه ، وإن صحح غيره الاشتراط . ويمكن أن يقال : الضمير مقدر ، والتقدير : شهادة أن لا إله إلا الله منها ، أي من الحس المذكورة ، على حد قوله تعالى (من استطاع إليه سبيلاً) أي منهم . على أن محل لزوم الضمير عند ذكر بعض المبدل منه فقط . أما عند استيفاء جميع أبعاضه فلا حاجة إليه كما في قولك : أقسام الكلمة ثلاثة : اسم ، وفعل ، وحرف . نص على ذلك بعض شراح «الأجرومية» وإنما تعين جر لفظ (شهادة) على البدلية لأن الرواية بالخفض كما ضبطه «البيخاري» في صحيحه فلا يسوغ رفعه ولا نصبه ولو ساغ لجاز فيه أوجه أخرى . والحكمة في تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله : « شهادة أن لا إله إلا الله » دون قول : (لا إله إلا الله) : أن الشهادة أبلغ من القول ونحوه . ومن أجل ذلك تعين هذا اللفظ في أداء الشهادة حتى عدوه ركناً لها . فلو شهد رجل على آخر ولم يقل : أشهد ، بل قال : أقول ، وأعلم ، وأخبر ، لا يكفي .

(١) ابن مالك : هو إمام الشهادة أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبيد الله بن مالك الطائي الجبالي المولود سنة ٦٠٠ من الهجرة ، و (الكافية الشافية) أروحية (في ثلاثة آلاف بيت) وشرحها (له) غوالي رحمه الله في دمشق سنة ٦٧٢ هـ .

وذلك لأن الشهادة : إخبار عن مشاهدة . وتتضمن اليمين فكان الشاهد إذا قال : أشهد بكذا فقد قال : أشهد بالله أنني شاهدت كذا وكذا . ولا يوجد لفظ واحد متضمن لمعنيين وهما القسم و الشهادة ، غير هذا . وإذا كانت الشهادة بالأموال ونحوها من الأمور الدنيوية أختار لها الشرع لفظ « أشهد » فلأن يختار هذا اللفظ للشهادة يوحدانية الإله ورسالة سيدنا رسول الله ﷺ أولى وأحرى . ومع التأكيد الأكيد المفهوم من هذه الكلمة ، أكد ﷺ ، وحدانية الله عز شأنه وجل سلطانه بشيتين آخرين وهما : « أن » ، و « لا » النافية للجنس مع إلا المفيدة للحصر والقصر .

« مطلب » في قول ﷺ (أن)

فأما « أن » فقد نص العلماء قاطبة : على أنها تفيد التوكيد سواء كانت مخففة أو مشددة . مكسورة الهمزة أو مفتوحة كما قال « الأشموني » في شرح الخلاصة معنى « إن وأن » التوكيد . قال محشيه « الصبان »^(١) : أي تقوية النسبة وتقريرها في ذهن السامع إيجابية أو سلبية على الصحيح . وتوكيد النسبة تارة يكون لدفع الشك فيها وتارة يكون لدفع انكارها والأول مستحسن . والثاني واجب . قال ابن القيم : ولا ينافي كون المفتوحة

(١) هو : محمد بن علي الصبان - أبو العرفان - من علماء مصر له تأليف عديدة ، وروايت التي نوه ذكرها للزم في أربعة أجزاء على شرح الأعمري (لأمية بن مالك) توفي المرحوم رحمه الله سنة ١٢٠٩ هـ

للتوكيد أنها بمعنى المصدر وهو لا يفيد التوكيد. لأن كون الشيء بمعنى شيء ، لا يلزم أن يساويه في كل ما يفيد، فاندفع ما لآي حيان - انتهى. ولا يخفى أن (إن) المكسورة إذا خففت فإنها تلغى عن العمل في الأكثر ، وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين (إن) النافية . وأما (أن) المفتوحة إذا خففت فإنها تكون عاملة . وتحتاج إلى اسم وخبر غير أن اسمها يكون ضمير الشأن ، وخبرها الجملة الواقعة بعدها . ولذلك قال في الخلاصة :

وان تخفف أن فاسمها استكن والخبر اجمل جملة من بعد أن

ويجب أن يجعل اسمها الذي هو ضمير الشأن منصوباً وجملة الخبر مرفوعة على ما هو المشهور من أن (إن) وأخواتها تنصب الاسم وترفع الخبر . وهناك لغة أخرى على ما صرح به بعضهم وهي نصب الجزأين . لكن هذه اللغة أثبتها قوم وأنكرها آخرون وخرج عليها قول الشاعر :

إذا أسودَّ جنح الليل فلتكن

خطاك خفافاً إن حرأنا أسداً^(١)

مطلب في قوله عنه (لا) مع البحث في كلمة (إله) لفظاً ومعنى.

وأما (لا) فإنها تنفي الجنس وقد صرح العلماء بإفادتها للتوكيد فني

(١) يلبس هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة . والشاهد فيه : (نصب الجزأين) على لغة بعض العرب . حكاه جماعة من العلماء . منهم ابن سيده . ١٠ .

شرح الألفية للعلامة «الأشموني» ما نصه فإن «لا» لتأكيد النفي و «إن» لتأكيد الإثبات يعني أن «لا» تفيد نفياً أكيداً قوياً كما افاده العلامة الصبان أيضاً. وأعلم أن «لا» حرف والحرف لا يستحق عملاً غير الجر فكان حقه أن لا ينصب ولا يرفع لكنه عمل العمل المذكور لوجهين : أحدهما : أن «لا» النافية للجنس من خواص الأسماء ومتى اختص الحرف بالاسم أو بالفعل ساغ جعله عاملاً فيه .

ثانيها : أن «لا» المذكورة أشبهت أن الحفظة المفتوحة لكونها على حرفين أولها متحرك ، وثانيها ساكن . ولكونها تفيد التأكيد فلذلك استحقت أن تعمل كعمل (أن) المذكورة ، فصارت مثلها في نصب الاسم ورفع الخبر . وقد ذكروا لعملها شروطاً سبعة ، وهي : أن تكون نافية ، وأن يكون منفيها الجنس ، وأن يكون نفيه نصاً ، وأن لا يدخل عليها جار ، وأن يكون اسمها نكرة ، وأن يتصل بها ، وأن يكون خبرها أيضاً نكرة . فإن تخلف شرط من هذه الشروط أهملت كما هو مقرر في محله وقد اجتمعت هذه الشروط في كلمة الشهادة الشريفة فتكون «لا» عاملة عمل «أن» واسمها وخبرها محذوف تقديره كائن أو موجود . ولا يصح أن يكون لفظ الجلالة خبراً لأنه سبق قريباً أنه يشترط أن يكون خبر «لا» نكرة ، ومعلوم : أن لفظ الجلالة أعرف المعارف على الإطلاق فلا يسوغ أن يكون خبراً لها بل يتعين أن يكون لفظ الجلالة بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف ، ولا يصح نصبه على الاستثناء لأن الرواية بالرفع كما ضبطه البخاري في

صحيحه ، وأنه مشتق على ما في القاموس ^(١) من أنه (إله) إلهة
 وألوهة بمعنى عبد عبادة و (إله) هو على وزن «فعال» بكسر الفاء ،
 بمعنى «مفعول» فيكون بمعنى «مالوه» أي: معبود وهو نصرة شاملة لكل
 معبود فلذلك ساغ دخول « لا » الجنس عليه ، كما سبقت الإشارة إليه .
 ولا خفاء في أن « لا » الجنسية يستلزم نفياً نفياً الأفراد جميعها ، ولذلك
 تسمى « لا » التبريئية ، أي: التنزيئية ، لأنها تيسر وتزهد كل فرد من
 الأفراد عن الاتصاف بخبرها . فها هنا قامت « لا » بنفي وجود جنس
 « الآلهة » الموجب لنفي كل فرد من أفرادها ولحققتها « إلا » فأخرجت
 الاسم الكريم من النفي المذكور وأفادت أن وصف الإلهية على ذاته تعالى
 مقصور . ومن البديهي أن كلمة « الشهاداة » الشريفة مثبتة الألوهية
 لله . نافية لها عن جميع ما سواه . مؤكدة في ذلك غاية التأكيد متضمنة
 كما يأتي شرحه لعقائد التوحيد . ودليل هذه الكلمة وشواهدا من العقل
 والنقل لا يحصرها إنسان ولا يحيط بها لسان . كيف لا وكل شيء لو تأملته
 لوجدته ناطقاً بلسان الحال بوحدةانية الملك المتعال كما قال القائل :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فوجود ذي الجلال وتفرده في الأقوال والأفعال غني في نفسه عن
 الاستدلال حتى أن لسان حال الجهادات تشهد بوحدةانيته تعالى وتدل

(١) هو : القاموس المحيط والرجع الهمز اللغة ، للإمام إمام فاضل القضاة محمد الدين
 أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي البهبودي المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ .

أحوالها على ربوبيته وعظمته وعز (ديمويته) تعالى عن أن يحتاج وجوده إلى دليل وبرهان كيف لا وهو الباقي وما سواه فان .

« مطلب » في كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني ^(١) رحمه الله في الومرانية

و (هنا) نذكر تبركاً وتيمناً ما قاله الغوث الأعظم والشيخ المكرم حجة الصوفية ، ومقتدى علماء الشريعة الأحمدية سيدنا السيد الشيخ محي الدين « عبد القادر الجيلاني » نفعنا الله بعلومه و (رحمه الله) في كتابه (الغنية) لطالبي طريق الحق عز وجل ، في باب « معرفة الصانع عز وجل » يعلم ماوجب عند العلماء رضي الله تعالى عنهم من معرفته تعالى وفي ذلك من أسرار التوحيد ما يتور العقيدة ويصلح القلب ويقمع الشيطان ويزهق الباطل ، وهذا ما قاله الشيخ « قدس سره » :

أما معرفة الصانع عز وجل بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهي أن يعرف ويثبت أن : واحداً ، أحداً ، فرداً ، صمداً ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن

(١) عبد القادر الجيلاني - هو الشيخ العارف الكبير والولي الشير شيخ الشيوخ أبو محمد محي الدين عبد القادر بن عبد الله (ابن موسى) بن جيسكي « دوست » الحسني بختي نسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، وهو مؤسس الطريقة القادرية ومن كبار الزهاد والصوفية ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً فالتصق بشيوخ العلم وتصرف وبرع في أساليب الوعظ ، وتفقه ، وجمع الحديث ، وقرأ الأدب ، واشتهر ، وكان يأكل من عمل يده ، وتصدر للتدريس والفتوى ببغداد سنة ٥٢٥ هـ ، وصنف كتباً في الفروع والأصول ، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٥٦١ هـ ، ألفه ملخصاً : من « الاعتقاد للزركلي » وطبعت السجل للسيد محمد مهدي بهاء الدين الشير بالرواس ، قدس سره .

له كفواً أحد، ليس كثلّه شيء وهو السميع البصير لا شبيه له ولا نظير
ولا عون ولا شريك ولا ظهير، ولا وزير، ولا نند، ولا مشير له،
ليس بحسم فيمس ولا بجوهر فيحس ولا عرض فيقضى ولا ذي تركيب
أو آلة وتأليف وماهية وتحديد، وهو الله للسماء رافع، وللأرض واضع،
لا طبيعة من الطبائع ولا طالع من الطوائع، ولا ظلمة تظهر ولا نور
يزهر حاضر الأشياء علماً، شاهد لها من غير مماسة، عزيز قاهر، حاكم
قادر، راحم غافر سائر، معز ناصر، رؤوف، خالق، فاطر،
أول، آخر، ظاهر، باطن، فرد، معبود، حي لا يموت، أزلي
لا يموت، أبدي الملوكوت، سرمدي الجبروت، قيوم لا ينام، عزيز
لا يضام، منيع لا يرام، قله الاسماء العظام، والمواهب الكرام، قضى
بالفناء على جميع الأنام، فقال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والإكرام) ^(١) وقال (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه) ^(٢) خلق الخلائق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم. لا مقدم
لما آخر ولا مؤخر لما قدم. أراد العالم وما هم فاعلوه، ولو عصمهم لما
خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه. يعلم السر وأخفى، عليم
بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. هو المحرك،
هو المسكن. لم تتصوره الأوهام ولا تقدره الأذهان. ولا يقاس بالناس.
جل أن يشبه بما صنعه. أو يضاف إلى ما اخترعه وابتدعه. محصي

(١) الرحمن / ٢٦ - ٢٧ .

(٢) فاطر / ١٠ .

الانفاس، القائم على كل نفس بما كسبت، لقد أحصاهم وعدهم عدأ، وكلهم آتية يوم القيامة فردأ. لتجزى كل نفس بما تسعى. ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، غني عن خلقه. يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق، يحير ولا يحار عليه، الخليفة مفتقرة اليه. لم يخلقهم لاجتلاب نفع ولا لدفع ضر بل إرادة مجردة. قال تعالى : (ذو العرش المجيدُ فعال لما يريد)^(١) منفرد بالتقدرة على اختراع الأعيان وكشف الضر والبلوى وتقليب الأعيان وتغيير الأحوال كل يوم هو في شأن . يسوق ما قدر إلى ما وقت . حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متتكم ، آمر ، ناه ، وأنه تعالى عادل في حكمه وقضائه . وعمن متفضل في إنعامه وعطائه . مبدئ ومعيد محيي ومميت . جواد لا يخل . حلیم لا يعجل . حفيظ لا ينسى . إلى غير ذلك مما قاله رحمته الله .

« مطلب » في كدام العموم : « جدول الدين السبوطي »^(٢) في الترميز

وذكر الامام العلامة والبحر الفهامة شيخ الشيوخ «جلال الدين

(١) البروج / ١٥ - ١٦ / .

(٢) جلال الدين السبوطي - هو : الامام الباحث الحافظ المؤرخ الأدب جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخطيري السبوطي . له نحو (٥٠٠) مصنف منها الكبير والصغير . . نشأ بتيما في القاهرة ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه مغزوا عن أصحابه فألف أكثر كتبه وكان الأغنياء يزورونه وكذلك الأمراء وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر اليه وأرسل اليه هدايا فردعها وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة ٩١١ هـ .

السيوطي في كتابه (الكنز المدفون والفلك المشحون) :

صانع العالم « قادر » ، والدليل عليه : استحالة وجود العقل من
ليس بقادر . ثم هو على كل مقدور قادر كما هو بكل معلوم عالم . لأن
فعله محكم متقن والفعل المحكم يدل على أن فاعله عالم . صانع العالم « مريد »
لأن فعله مترتب فلا بد أن يكون قاصداً إلى تقديم ما قدم وتأخير
ما أخر ، وهو سبحانه « حي » لأن من شرط القادر العالم المريد أن
يكون حياً . فأن الملو ت ينافي هذه الصفات . والدليل على أنه سميع
بصير ، أن السمع والبصر (صفتا) مدح وفي نفيها نقص لا يرتفع ذلك
النقص إلا بثبوتها ، والنقص في صفاته تعالى محال .

علم التقديم سبحانه وتعالى ليس بكسب ولا ضرورة لأن ذلك من
سمات « المحدث » . والدليل على أنه متكلم أنه ملك والمملك يصح منه الأمر
والنهي والوعد والوعيد وكلامه قديم لو لم يكن له في الأزل كلام لكن
بضد الكلام موصوفاً ، ولو كان ضد كلامه قديماً لم يحز أن يكون له في
الأزل كلام ، وذلك محال لما ذكرناه . كلام الباري جل وعلا ليس بعربي
ولا بسرياني ولا عبري لأن هذه أوصاف اللفظ المركب من الحروف ،
وكلامه ليس بحروف . قراءة أحدنا للقرآن ولفظه وأصواته كلها مخلوقة
والمقروء غير مخلوق ، فالمقروء كلام الله القائل بذاته . والقراءة مرة
تكون طاعة ، ومرة تكون معصية « إذا كان القارئ جنباً » ومرة
تطيب ومرة لا تطيب ، ومرة تزيد ومرة تنقص . كلام الله

سبحانه وتعالى يشتمل على أمر ونهي وخبر واستخبار وخطاب ونداء ووعيد ووعد وقصاص وأمثال وناسخ ومنسوخ ووعظ ووصية وتنبيه وتهذيب . لا يقال: صفات الباري سبحانه وتعالى القائمة بذاته تخالفه ولا يقال أنها توافقته لأن الموافقة والمخالفة فرع للغيرية والتغاير بينه وبين صفاته محال . ولا يقال لصفاته القدسية أنها مع الله بل هي مختصة بذاته سبحانه وتعالى قائمة به . الباري سبحانه وتعالى قادر على إعادة ما عدم من الموجودات جواهرها وأعراضها الآن الإعادة في معنى الابتداء من حيث إنه موجود عن عدم . لا فرق بين الإرادة والمشيئة فكل ما شاءه الباري فقد أراده وما أراده فقد شاءه . دليله : أنه لا يقال أردت وما شئت ، وشئت وما أردت ، وهو سبحانه وتعالى يريد لجميع ما يجري في سلطانه من خير وشر ، ونفع وضر ، وطاعة ومعصية ، وسفه وحكمة ، ولأنه لو حدث حادث في ملكه من غير إرادته لَحَقَّه النقص . وذلك محال في حقه سبحانه وتعالى .

(العبد) مستطيع لا كسايه بدليل : أنه يجد الفرق بين ما هو عاجز عنه وقادر عليه بالضرورة .

لا واجب على الله بوجه ، لأن الواجب يقتضي موجباً والموجب فوق الموجب عليه . وليس أحد فوق الباري سبحانه ، وهو جل وعلا يجوز له أن يفعل في ملكه ما يشاء لأنه مالك على الإطلاق .

(الطاعات) علامات الثواب لا علقها ، (والمعاصي) أمارات العقوبة لا علقها ، لأن التقديم سبحانه وتعالى يستحيل أن يستحق عليه شيء .

(الحسن): ما لفاعله أن يفعل (والتبحيح): ما ليس لفاعله أن يفعل ،
(والظلم) وضع الشيء في غير محله ، ودليل هذه الجملة : أطراد هذه المعاني
وانعكاسها في معانيها .

(الواجبات) كلها سمعية ليس فيها شيء عقلي . دليله : أن العقل عرض ،
ويستحيل أن يقال : إنه موجب . انتهى بحروفه .

واعلم : أن كلمة « لا إله إلا الله » هي : كلمة التوحيد ، وهي الشاهدة
بوحداية الحميد المجيد ، وهي كلمة الإيمان بالله ، والجامعة للقلب مع الله ،
والنافية لغير الله ، والمزكية لنفوس أهل الله ، والمخلصة لأسرار أحباب
الله ، والمطهرة لقلوب أولياء الله ، والقائمة لعدو الله « إبليس » لعنه
الله . ولذلك ورد « أنها تجعل في جنب إبليس مثل الأكلة^(١) » في جنب
بني آدم .

« مطلب » في فضل التكرار وأفضله (لا اله الا الله)

قال « رحمه الله » : ولله الكلمة الشريفة آثار عجيبة وأسرار
غريبة ، منها : أن جميع حروفها جوفية ، وفي ذلك إشارة إلى أنه
ينبغي للذاكر أن يأتي بها من خالص جوفه ليشهد حلاوة مياينها ولذة
معانيها ، ومنها : أنها مجردة عن جميع الحروف المعجمة إشارة : إلى أنه
ينبغي للذاكر بها أن يكون مجرداً عن الأغيار ، مراقباً للفاعل المختار
(١) في القاموس المحيط : والأسيلة : داء في العضو يكثر منه : (الحكة) . ١٠ .

سبحانه وتعالى ، ومنها : أن هذه الكلمة المنوّه بذكرها والمشار الى علو قدرها جاءت على اثني عشر حرفاً ، وشهور السنة اثنا عشر شهراً . وأفضل حروفها أربعة ، وهي حروف لفظ الجلالة ^(١) وكذلك أفضل الشهور أربعة ، وهي : الأشهر الحرم . قال بعضهم : والإشارة في ذلك إلى أن من قالها كُفِّرَتْ عنه ذنوب العام ، وغفر الله تعالى لقائلها ما أوقعه فيه من الذنوب والآثام ، والحاصل أنت حصول المزايا الجزيلة ، وعلو الشرف والفضيلة ، لقائل هذه الكلمة الجليلة لا يشك فيه الغي الجاهل ، فضلاً عن النبيه العاقل ، ولأجل ما لها من علو الشأن ، نطق بها القرآن ، فقال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) ^(٢) فإن قلت : النبي ﷺ يعلم أنه لا معبود بحق سوى « الله » سبحانه وتعالى فما معنى الأمر بالعلم ؟ أجيب بجوابين : أحدهما : أن المعنى ، فاثبت على ما أنت عليه من العلم ، وهذا كقولك لجالس يريد القيام : اجلس لأنقم . وقد جاء نظير ذلك في آيات أخرى من القرآن ، قال تعالى : (يا أيها النبي اتق الله) ^(٣) ومعلوم أن معناه دُم على تقواه ، لأنه ﷺ موصوف بأعظم درجات التقوى في سائر الحالات ، وعلى مدى الأوقات ، فليس المراد من الأمر بالتقوى إلا طلب الدوام والثبات . ثانيها : الخطاب للنبي ﷺ والمراد : قومه ،

(١) وهو : (الله) ، سبحانه وتعالى .

(٢) سورة محمد / ١٩ .

(٣) الأحزاب / ١ .

وقد ذكر هذين الجوابين العلامة « الرازي »^(١) في تفسيره صريحاً ، وأشار للجواب الأول العلامة « البيضاوي »^(٢) حيث قال في تفسير قوله تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) : فأنيت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية . ووافقه « أبو حيان » فقال ما نصه : والمعنى : دم على علمك بتوحيدي .

وما أمر الله تعالى به رسوله ﷺ من التوحيد فقد أمر به جميع النبيين وعامة المرسلين وعمم فرضيته على جميع الأدميين . وهو أول ما خاطب الله تعالى به « موسى » عليه السلام . قال تعالى : (فلما أتاها نوحي يا موسى إني أنا ربك)^(٣) ثم قال تعالى : (فاستمع لما يوحى إني أنا الله)^(٤) وأكد ذلك بقوله : (لا إله إلا أنا فاعبدني) .

قال العلامة الرازي : يدل ذلك على أن علم الأصول مقدم على علم الفروع ، لأن التوحيد من علم الأصول ، والعبادة من علم الفروع ، أي : وقد قدم ذكر التوحيد على الأمر بالعبادة وما ذلك إلا لأن التوحيد

(١) الرازي : هو محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله فخر الدين الرازي الامام الفقيه ، أوجده زمانه في العقول والشعور وعلوم الأوتار وهو فخر الشب ، له تأليف جليلة . منها : تفسير القرآن الكريم - ط ١ - وله شعر بالعربية والفارسية توفي سنة ٦٠٦ هـ .
(٢) البيضاوي : هو : ناصر الدين ، أبو سعيد ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البیضاوي ، فاض ، معسر ، علامة - ولد في المدينة البيضاء بفارس (قرب شيراز) وتوفي في تبريز سنة ٦٨٨ هـ من تصانيفه : أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ط ١ وغيره - ١٠١ .

(٣) ط ١ / ١١ - ١٢ / ١

(٤) ط ١ / ١٣ - ١٤ / ١

أحق بالتقديم لأنه الأساس الذي تنبني عليه العبادة ، فإن غير الموحّد لا تصح له عبادة كما لا يخفى .

والاحاديث الواردة في هذه الكلمة الشريفة أعني : (لا إله إلا الله) أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى ، ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله ما نصه : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وزهير بن حرب كلاهما عن اسماعيل بن إبراهيم قال أبو بكر حدثنا ابن علية عن خالد قال حدثني الوليد بن مسلم بن حمران عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » وفيه أيضاً بسنده المتصل عن رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله ، لا يلقى الله عز وجل بها عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة » وفيه أيضاً بسنده المتصل عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » وفيه أيضاً بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » وفيه أيضاً من حديث آخر « من لقيت يشهد : أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة » . وفيه من حديث آخر : « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار » وفيه أيضاً من حديث آخر « لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه » . وفي حديث آخر : « أفضل الذكر لا إله إلا الله

وأفضل الدعاء الحمد لله^(١). وفي حديث آخر: «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا ترك ذنباً»^(٢). وفي الحديث «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»^(٣). والحاصل: إن الآيات القرآنية، والاحاديث الصحيحة النبوية الشاهدة بفضل «لا إله إلا الله» كثيرة وشهيرة ويكفينا شرفاً أنها عنوان على النجاة من النار، وفصل وفارق بين المؤمنين والكفار.

«كلمة التوحيد» شاملة لما يجب له تعالى، وما يجوز، وما يستحيل. وقد قرر علماء التوحيد: أن «كلمة لا إله إلا الله»، مع قلة كلماتها شاملة وجامعة لما يجب لله تعالى ولما يجوز ولما يستحيل وذلك لأن لا إله إلا الله قد أثبتت الإلهية لله تعالى ونفتها عن غيره سبحانه وتعالى ومعنى: «الإله»: المستغنى عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل ما عداه. فالمعنى: لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقر إليه ما عداه إلا الله، أما استغناؤه سبحانه وتعالى عن كل ما عداه فهو يوجب له عز شأنه

(١) رواه ابن ماجه، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم. كلهم من طريق «طلحة بن عمار» عن جابر رضي الله عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ١ - ١٠٠ من الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

(٢) رواه ابن ماجه عن أم هانئ. وهو حديث ضعيف. ١ - ١٠٠. راجعه في الجامع الصغير للسيوطي. «رحم الله».

(٣) الحديث بتمامه هو: قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: (أفضل الدعاء دهاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له). رواه مالك عن طلحة بن عبيد بن كريب مرسلاً. ١ - ١٠٠. راجعه في «الفتح الكبير» في الزيادة على الجامع الصغير. ١ - ١٠٠. محققه.

الاتصاف بالوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والتزّه عن جميع النقائص والقيام بالنفس ، بمعنى : أنه لا يفتقر إلى محل ولا إلى مخصص ، ويدخل في ذلك وجوب السمع ، والبصر ، والكلام المنزه عن المشابهة لكلام البشر ، إذ لو لم تجب له هذه الصفات لكان سبحانه وتعالى مفتقراً إلى محدث يحدثه ، وإلى محل يكتنفه ، وإلى مخصص يخصصه وإلى من يدفع عنه النقائص ، تعالى القادر المالك عن امثال ذلك ، وكيف يتصور افتقاره جل شأنه إلى شيء مما ذكر وهو المستغني عن كل ما سواه ، ويؤخذ من ذلك : انه سبحانه وتعالى منزّه عن أضداد هذه الصفات ، لانه متى ثبت له سبحانه وتعالى صفة استحالة ضدها ، اذ اجتماع الضدين محال .

فحيث أفادت هذه الكلمة الشريفة : أن الله سبحانه وتعالى موجود ، قديم ، باق ، مخالف للحوادث ، منزّه عن جميع النقائص ، سميع ، بصير ، متكلم ، لازم ، نفي ضدها بالضرورة .

فيستحيل عليه سبحانه وتعالى : العدم ، والحدوث ، والفناء ، والموافقة للحوادث ، والاتصاف بشيء من النقائص ، وكذلك يستحيل عليه سبحانه وتعالى : الصمم ، والعمى ، والبيكم .

وأما افتقار كل ما عداه إليه جل شأنه فهو يوجب له تعالى : الحياة ، والقدرة والإرادة ، والعلم ، إذ لو انتفى شيء منها لم يمكن أن يوجد شيء من الحوادث ، بل كان وجود هذه الكائنات من المستحيلات .

وإذا لم يوجد شيء فلا يفتقر إليه تعالى شيء إذ المعدوم لا يوصف
بالاحتياج والافتقار وهو سبحانه وتعالى يفتقر إليه كل ما سواه .

ويوجب ذلك له تعالى (الوحدانية) في ذاته وصفاته وأفعاله ، لأنه
لو كان متعدداً لما وجد شيء من هذه المخلوقات فلم يحتاج إليه شيء ، كيف
وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه ، ويؤخذ من ذلك : ان هذه العوالم
بأسرها كلها حوادث ، إذ لو كان شيء منها قديماً لكان مستغنياً عن الله
تعالى ، كيف يتصور ذلك ؟ وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه .

ويوجب ذلك أنه لا ضار ولا نافع ولا أصل ولا قاطع ، ولا محرك
لشيء من الساكنات ، ولا مسكن لشيء من المتحركات ، ولا مؤثر في
الوجود في ذرة من عالم الغيب والشهود سوى الموجود «سبحانه وتعالى»
ولولا ذلك لاستغنى هذا المؤثر فيه عن الله بوجود مؤثر غيره ، كيف ؟
وهو سبحانه وتعالى المفتقر إليه كل ما سواه .

وإذا وجبت له سبحانه وتعالى صفات الحياة والقدرة والعلم والارادة
والوحدانية ، انتفت واستحالت أضدادها بالضرورة فيستحيل عليه
تعالى : الموت ، والعجز ، والجبل ، والكراهة ، والتعدد . تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً .

ويؤخذ من ذلك أيضاً أنه له فعل كل ممكن وتركه ، لأنه لو لم يكن
له فعل الممكنات ، لكان عاجزاً عن إيجاد هذه الموجودات ، وكيف
يوصف بالعجز ؟ وهو سبحانه وتعالى مفتقر إليه كل ما عداه .

فتحصل من ذلك : ان كلمة الشهادة جامعة لكافة ما يجب لله تعالى من الصفات وما يجوز وما يستحيل .

« الشهادة » رسالة النبي ﷺ جامعة لما يجب المرسل

وما يجوز وما يستحيل

وكا أن صفات الله تعالى واجبها وجازها ومستحيلها داخل تحت هذه الكلمة الشريفة كذلك الشهادة للرسول ﷺ بقولنا : بمحمد رسول الله ، جامعة لما يجب للمرسل عليهم الصلاة والسلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم كما قرر ذلك في محله ولذلك قال في الجوهرة ^(١) :
وجامع معنى الذي تقررا شهادة التوحيد فاطرح المرا

وقد ذكر في السنوسية ^(٢) تفصيل ما تضمنته كلمتا التوحيد ، ثم قال : فقد بان تضمن كلمتي الشهادة مع قلة حروفها لجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الايمان في حقه تعالى ، وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولعلها لاختصارها مع اشتغالها على ما ذكرناه ، جعلها الشرع دليلا على ما في القلب من الاسلام ، ولم يقبل من أحد الايمان إلا

(١) منظومة في التوحيد السيد الكفائي ، قلب مالكي .

(٢) السنوسية : في مع التوحيد أيضاً - السيد محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب

السنوسي الحنفي ، عالم فاضل وصالح ، له تأليف جليلة منها « العقيدة الصغرى » و

« العقيدة الكبرى » ، توفي رحمه الله عام ٩٠٥ هـ . انتهى - محققه .

بها ، فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان حتى تترج مع معناها بلحمه ودمه فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب أن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر . انتهى .

(فائدة) في لفظ « الجلالة » وأنه « الاسم الأعظم » الذي لم يسم به غيره سبحانه وتعالى - وقد أفاد^(١) وأجاده وذكر ما يرتاح إليه القلب والنفوس ، ونبه على ثمة ذكر الله سبحانه وتعالى بهذه الكلمة الجليلة المشتملة على النفي والاثبات ، والحاوية لاسم الذات ، وهو لفظ « الله » سبحانه وتعالى الذي هو أفضل جميع أسمائه تعالى حتى نص كثير من العلماء والأئمة الفضلاء على أنه : هو اسم الله الأعظم^(٢) ، الذي إذا دعي

(١) الضمير هنا عائذ على صاحب «النسوية» التي تقدم ذكرها . والله تعالى أعلم .
(٢) ورد في « اسم الله الأعظم » أحاديث كثيرة اختلعت منها اختصاراً مايلي :
« اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في البقرة » وآل عمران ، وطه » رواء ابن ماجه والطبراني والحاكم . عن أبي أمامة رضي الله عنه .
« اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية : قل اللهم مالك الملك . . الآية » . رواء الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .
« اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر سورة الحشر » رواء الديلمي في مسند الفردوس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

« قلت : « الآيات التي هي في آخر سورة الحشر والتي ذكر فيها اسم « الله الأعظم » كاض عليه الحديث هي : من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اللّوا الله » إلى قوله عز وجل : « يسبح له مائي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » . ومن الملاحظ : أن لفظ « الله » قد تكرر في هذه الآيات الكريمة (٩) مرات .

« اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين » وإفكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفاحة آل عمران « ألتسم الله لا إله إلا هو المحي القيوم » رواء أحمد في مسنده . وأبو داود والترمذي وابن ماجه . عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها . وقال الترمذي فيه : حديث حسن صحيح .
« انظروا إن أردت التوسع في بابي في كتم العباد ج » ، الجامع الصغير ج١ ، الترغيب والترهيب لمحاتب الشذري ج٣ ، ١٠١ . عتق .

به أعطى ، وإذا سئل به أجاب ، وهذا ما اختاره كثير من المحققين ، وعدم استجابة الدعاء به عاجلاً ، إنما هو لعدم استجتماع الشروط ، ولذلك سئل بعضهم عن اسم الله الأعظم ؟ فقال : هو الله ، بشرط : أن تذكر الله وليس في قلبك إلا الله ، فدل على أن من شروط الدعاء تفرغ القلب لله سبحانه وتعالى وعدم تعلقه بشيء سواه ، وقد ذكر هذا الاسم الكريم في القرآن العظيم « ألفين وثلاثمائة وستين مرة » . وأعظميته باعتبار مدلوله : لأنه « اسم » ، أي : علم على الذات ، وبقيّة الأسماء أعلام على الصفات ، ولا يخفى ما بينها من الفرق الكلي ، ومما يدل على مزيد شرف هذا الاسم الكريم : أنك لو حذفت الألف لقلت : « لله » ولو حذفت إحدى لاميه ونطقت بما بقي من حروفه لكان « اله » ولو حذفت اللامين معاً لقلت « آه » ، وهو : اسم من أسماء الله تعالى ، ولو حذفت الألف مع اللام الأولى لقلت « له » ولو حذفت الألف مع اللامين لقلت : « هو » ، فهو بتصرفاته جميعها دال على الذات الاقدس سبحانه وتعالى بخلاف بقية الأسماء الجليلة ، فانك لو فككتها لم تستفد منها ما استفيد من لفظ الجلالة وما أحسن ما قاله المرحوم الشيخ محمد^{١٣} وفا أفندي الرفاعي ، رحمه الله ، في ذلك :

(٣) الشيخ محمد وفا الرفاعي ، هو : محمد بن محمد بن عمر ، أبو الوفا الرفاعي الحلبي ، شاعر من شيوخ العلم في حلب مولده ووفاته فيها (١١٧٩ هـ - ١٢٦٤ هـ) له أخبار وتصانيف منها « ديوان شعر » كبير و « أسماء الأولياء » الدفونين في حلب « وأرجوزة في النحو » (٥٠٠) بيت و « ديوان خطب » ١٠١ . محققه .

تناسقت أحرف الجلالة	أربعة للبذور هالة
فواحدان حذفت صارت	له في الرسم لا محالة
وثانياً إن حذفت تبقى	له وقد أثبتت كماله
وثالثاً إن حذفت كانت	هوية حققت جلاله
الله لا سواء	فدن بهذا فالكل آله

ومما يدل ذلك أيضاً على مزيد شرف هذا الاسم وعلو شأنه : أنه لم يتسم به أحد غير الله سبحانه وتعالى ، بل حجب الله جل جلاله وعم نواله كافة المخلوقات عن التسمية بهذا الاسم ، ولذلك قال تعالى : (هل تعلم له سمياً)^(١) أي هل تعلم أحداً غير الله سمي «الله» وقد نص على ذلك المفسر الكبير العلامة الرازي الشيرازي حيث قال في الكلام على هذه الآية الشريفة : المراد أنه سبحانه وتعالى ليس له شريك في اسمه ، وهم وإن كانوا يطلقون لفظ (إله) على الوثن فما أطلقوا لفظ «الله» على شيء سواء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما . لا يسمى بالرحمن غيره تعالى . انتهى .

وكتب العلامة القاضي البيضاوي على قوله تعالى : (هل تعلم له سمياً) ما نصه : أي مثلاً يستحق أن يسمى الهاً واحداً يسمى «الله» فإن المشركين وإن سموه الصم «الها» لم يسموه (الله) قط ، وذلك لظهور أحديته . وتعالى ذاته عن المماثلة ، بحيث لم يقبل اللبس والمكابر .

(١) سورة مريم آية / ٦٥ /

ونص العلامة أبو السعود^(١) رحمه الله : على أن لفظ الجلالة هو علم
مختص بالمعبود بحق لم يطلق على غيره أصلاً . قال بعضهم : وإنما كان علماً
لأنه لو كان صفة لم يكن قول « لا إله إلا الله » توحيداً - مثل : لا إله
إلا الرحمن - لأن الصفة لا تنع من وقوع الشركة .

« مطلب » في اسم تعالى (الرحمن)

قال المؤلف رحمه الله : وما سبق عن ابن عباس رضي الله عنها
من أنه لا يسمى « بالرحمن » غير الله تعالى لا ينافية ما أنشده بعض
الكفار في حق مسيحة الكذاب لعنه الله من قول : مادحاً له :
سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً وأنت خير الوري لا زلت رحماناً

فإن ذلك من تعنت القائل في كفره ، وقيل : المختص بالله ، ما كان
معرفاً بلام التعريف ، أما المجرد عنها فيطلق على الله تعالى وعلى غيره ،
كما ذكره العلامة الباجوري^(٢) في حاشيته على السمرقندية عند الكلام
على البسملة الشريفة . وما استفيد مما سبق من أن الرحمن صفة من صفات
الله تعالى لا علم على ذاته المقدسة هو المشهور ، وقيل إنه علم واستأنس

(٢) أبو السعود بن محي الدين محمد العادي : فقيه ، مفسر ، تقلب في مناصب القضاء
وانتقل مقتباً في قسطنطينية . له « إرشاد العقل السليم » ط ١٠٠٠ ر ٥ « جلدان في التفسير »
قلت : ونبعت بخطيب المهرين - ١٠٠٠ .

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام : إبراهيم الباجوري ، وحاشيته على السمرقندية
في « علم البيان » تقع في إحدى وسبعين صفحة . ١٠٠٠ - محققه .

له بقوله تعالى « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن »^(١) ذكره العلامة أبو النجا ... في حاشيته على الشيخ خالد .

والحاصل أن كلمة (الله) هي أفضل أسماء الله ، وما احتوت عليه من الخصائص الجزيلة ، والأسرار الجليلة لا يدخل تحت الحصر ، ولذلك تعين هذا الاسم لشهادة التوحيد وهي « لا إله إلا الله » المدرج تحتها ما يجب له وما يجوز وما يستحيل على الله كما مر تقريره .

« مطلب » في « التكرار » وكونه باللسان والقلب

قال « رحمه الله » : فإن قيل : جاء في القرآن العظيم . في حق ذكر هذا الاسم الكريم ، وهو لفظ (الله) . آيتان ، ظاهر كل منهما كالمنا في لظاهر الأخرى قال تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)^(٢) وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)^(٣) وكيف يتصور للإنسان اجتماع الخوف والاطمئنان عند ذكر هذا الاسم الجليل الشأن ؟ أجيب : بأن المراد من ذكر الله في الآية الأولى ذكره بآلانه ،

(١) سورة الاسراء / ١١٠ / .

(٢) هو العلامة « أبو النجا » صاحب الحاشية على شرح الشيخ خالد الأزهرى على متن الأجرودية في علم اللغة العربية . قلت : ولم يصرح الشيخ « أبو النجا » - رحمه الله - باسمه في مقدمة الحاشية المذكورة بل اكتفى بقوله « إلى وضعت هذه الحاشية في ولائها من طلبة العلم » . فواضعا منه « تقدمه الله بالرحمة والرضوان » والحاشية تقع في مائة وثلاث وأربعين صفحة . ١٠٠ .

(٣) الزمر / ٢٨ / .

(٤) الأنفال / ٢ / - ١٠٠ علقه .

ووفور نعمائه ، وكثرة فضله ، وسعة رحمته ، والمراد من ذكر الله في الآية الثانية : ذكره بما أعده لأهل الأوزار من عذاب النار ، وبسّ القرار ، فذكر الله تعالى لأحبابه أهل الطاعات ، المعرضين عن اللذات ، والفائين في حب الذات : يوجب لهم اطمئنان القلوب ، وأحب شيء عندهم ذكر « اسم » المحبوب ، وأما ذكر اسمه تعالى لمن أعرض عن الطاعات ، واستغرق في المخالقات ، وانكب على تحصيل الشهوات : فهو موجب للوجل والخوف منه جلّت عظّمته وعلت قدرته .

واعلم أن ذكر الله سواء كان باسم الذات ، أو بالنفي والاثبات ، إنما تظهر ثمراته لمن ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه ، بخلاف من ذكر الله تعالى بلسانه ، وكان قلبه مشغولاً قد طبعت فيه صور الكائنات ، وتعلقت به معاني الموجودات ، وهو غافل عن الملك الحنان المنان المذكور بكل لسان ، فذكره قليل الجدوى .

وقد قسم العلامة « الغزالي »^(١) التوحيد إلى أقسام فقال : التوحيد ينقسم إلى لب ، ولب لب ، وإلى قشر ، وقشر قشر ، ومثال ذلك « اللوز » فإنه قشرتين عليا وسفلى ، وله لبّ وهو : القلب . ولب لب ، وهو : الدهن ، فقال القشر : أن يقول العبد بلسانه : لا إله إلا الله

(١) الغزالي : هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد حجة الاسلام ، فيلسوف ، متصوف له نحو مائتي « مصنف » في العقائد والتصوف والفلسفة والأصول والتفسير وله كتب بالفارسية ولد في طوس (خراسان) عام ٤٥٠ هـ - وتوفي فيها عام ٥٠٥ هـ - انتهى -

وقلبه غافل عن الله ، ومثال قشر القشر : توحيد المنافق ، فإنه ينقعه مادام في الدنيا ، فإذا مات طرح في النار مع جملة الكفار ، ومثال اللب : توحيد المؤمن بالله الذي لا يخلو من الحضور مع الله ومثل لب اللب : توحيد العارف الذي بلغ مقام الإحسان المشار إليه بقول سيد الأكوان « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(١).

وهذا التوحيد الذي تتفجر في القلوب أنواره ، وتظهر آثاره ، وتبدو أسرارها ، فليجتهد الذاكر في دوام الحضور مع المذكور ، فإن لم يستطع الحضور على الوجه المسطور ، فلا يترك الذكر فلعل الله تعالى يمن عليه برفع النقاب وكشف الحجاب ، وفتح الأبواب ، ويحسن له المآب ، إن ذلك على الله يسير ، وهو على كل شيء قدير .

ولذلك قال العلامة العارف « ابن عطاء الله الاسكندري »^(٢) في حكمه « لا تترك الذكر مع الله تعالى لعدم الحضور فيه ، فعسى أن ينقلك من ذكر مع غيبة ، إلى ذكر مع حضور ، ومن ذكر مع حضور إلى غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز » . ويؤيد ذلك قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »^(٣) فمن جاهد في الله هداه الله ،

(١) هذا بعض حديث رواه أبو نعم في الحلية عن زيد بن أرقم - رتنت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « أحسب نفسك مع الموتى ، وانت دعوة المظلوم فانا مستجابة » وهو حديث حسن - ١٠٠ .

(٢) ابن عطاء الله الاسكندري : هو تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري متصوف ، شاذلي ، من العلماء . له تصانيف منها « الحكم العطائية » في التصوف و « لاج العروس » في الوصايا والعقائد . وغيرها - توفي عام ٧٠٩ هـ .

(٣) سورة العنكبوت / ٦٩ / ١٠٠ .

وإن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لنفحات الله وكرمه سبحانه
وتعالى فإنه فياض وهو القادر على شفاء القلوب من العلل والأمراض ،
وتخليتها من سائر الأدواء والأعراض ، فعلى العبد : دوام الاجتهاد ، ومن
الله الفيض والإمداد ، وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا
قال العبد : لا إله إلا الله خرقت سقوف السماء حتى تصير في كتابه مثل
القمر وأعماله حولها مثل الكواكب » وفي الحديث : « أخبرني جبريل
أن لا إله إلا الله أنيس المسلم عند موته ، وفي قبره ، وحين يخرج من
قبره » . انتهى

ومها رغب العبد في تطهير قلبه وشفائه من مرضه وسلامته من
رينه ^(١) فليكثر من ذكر لا إله إلا الله فإنها جلاء القلوب ومطهرة من
الذنوب ومرضية لعلام الغيوب وهي الشمس المضيئة بأنوار هدايتها
للموحدين ، والقمر المنير لأهل اليقين والكواكب التي يهايتدى
في ظلمات ليل الشكوك والأوهام ، والنار المحرقة للذنوب والآثام .

الكلمة الطيبة الشجرة الطيبة

وقد شبهها الحق « جل جلاله » بالشجرة فقال عز من قائل (ألم تر

(١) الزئبق : الطينع والفس ، ومنه قوله تعالى « كلاب ران على فلولهم »
أي طينع وخشم . انظره في القاموس المحيط ، وفي « النهاية لابن الأثير » : « الزئبق »
والزئبق سواه ، كالعقابير والعقيب . ٥١ .

كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة (أي مثل (لا إله إلا الله) كمثل الشجرة المعروفة بشجرة النخل ، ووجه التشابه ظاهر من وجوه فان الشجرة المذكورة لا تنبت إلا في أرض طيبة وكذلك (لا إله إلا الله) لا تنبت إلا في القلب الطيب ، وأما القلب الخبيث كقلب المشرك والمنافق فلا تنبت فيه ولا تستقر أنوارها عليه ، فإنه لا ينشرح لقبول الإيمان ولا يميل إلا إلى الكفر والطغيان ، ولا يسعى إلا لئلا يهدأ ، ولا يثمر جده وسعيه إلا غار الهون والحذلان ، وكذلك الشجرة المذكورة من أطوال الأشجار وهكذا كلمة التوحيد فإنها مغروسة في قلب المؤمن وأنوارها واصله إلى العرش ، وكذلك شجرة النخل أسفلها حطب وأعلاها تمر ورطب ، وكلمة الشهادة أولها شاقة على من لم يكن ذاق أضرارها ورأى بعين بصيرته أسرارها ، ولا سيما مع ما ينبغي عليها من التكليف بعبادة الله وترك جميع ما حرم الله فمن صبر على ذلك وصل إلى ثمرتها وهي الجنة المنقودة ، والجنة الموعودة .
 أما الأولى: فهي القرب المعنوي من الرب الرحيم ، وأما الأخرى : فهي المصير إلى جنات النعيم . ولا شك أن « لا إله إلا الله » مفتاح الجنة كما ورد عن صاحب السنة . ففي الحديث « مفاتيح الجنة لا إله إلا الله » .
 رواه الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه لكن لا بد للمفتاح من أسنان ، وهي متابعة سيد ولد عدنان ، الموجبة لرضاء الديان وعجبة

الرحمن (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(١) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله)^(٢) ولا شك أن رسول الله ﷺ هو باب الله الأعظم قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله)^(٣) .

مطلب فيما ورد « في الترغيب بالذكر » من كلام رسول الله ﷺ

وقد أمر رسول الله ﷺ بذكر الله في أحاديث كثيرة ، ورغب إلى الذكر في أخباره الصحيحة الشريفة .

فمن ذلك قوله ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين » . رواه الطبراني عن ابن مسعود وقال حديث حسن أو صحيح .

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين ، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم ، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الصريد »^(٤) - أي تساقط - وذاكر الله في الغافلين يعرفه

(١) سورة آل عمران / ٣١ - /

(٢) سورة المائدة / ٥ - /

(٣) سورة البقرة / ١٨٩ - /

(٤) ولي رواية « من الجليل » ورواه الزعزعي « من الترغيب » وهو الصحيح .

والصريد : البئر . (النهاية لابن الأثير ٢ / ٢١) .

الله مقعداً من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعد كل فصيح وأعجمي، ذكره أبو نعيم في الحلية^(١).

وفي سنن ابن ماجه بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا انبشكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله»^(٢).

وفي السنن أيضاً بالسند المتصل إلى سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وتغشتهم الرحمة، وتنزل عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». وفيها: «عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنا لله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت لي شفتاه».

وفيها: عن عبد الله بن بشر رضى الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أنشئت به قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل».

وفيها: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأعلم كلمة لا يقولها

(١) الحلية لمؤلف كتاب حلية الأولياء، لأن نعيم أحد بن عبد الله بن أحد الأصحاب.

(٢) وذكره السيوطي في الجامع الصغير من رواية «أبي النرداء» رضي الله عنه.

وهو حديث صحيح.

أحد عند موته إلا كانت نوراً لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان
 لها روحاً عند الموت . انتهى .
 وهذه الكلمة هي : لا إله إلا الله ، كما نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة شهيرة .

« مطلب » فيما ورد في الترغيب بالذكر من كلام الله تعالى

على أن فضل الذكر ثبت بآيات قرآنية عديدة ، كل آية منها كفاية في
 المقصود كقوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر
 الله أكبر)^(١) . فانه دل على أن ذكر الله تعالى أمر كبير ولا سيما
 ما اشتملت عليه الصلاة فإنه أكبر . وكقوله تعالى : (فاذكروني أذكركم
 واشكروا لي ولا تكفرون)^(٢) وقوله تعالى : (والذاكرين الله كثيراً
 والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً)^(٣) . وكفى بذلك دليلاً
 على أفضلية الذكر . وإذا نظرت إلى شرف المذكور وعلو قدره وسموه
 واتصافه بجميع الكمالات ، وتنزهه عن كافة النقيصات ، وسعة حلمه
 ورحمته ، وعظيم جوده وكرمه ومنته ، وأن جميع النعم واردة منه ،
 وصادرة على الحقيقة عنه ، عرفت شأن ذكره تعالى ولم نحتاج إلى دليل
 آخر .

(١) العنكبوت / ٤٥ .

(٢) سورة البقرة آية / ١٥٢ .

(٣) الأحزاب / ٣٥ .

فإن قلت : قال تعالى : (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً) - فتنى يصير العبد من الذاكرين الله كثيراً وهل لذلك حد محدود ؟ وهل تكلم على ذلك أحد من أئمة الشرع ؟ قلت : قد سئل عن مثل ذلك العلامة « ابن الصلاح »^(١) رحمه الله تعالى ؟ فاجاب ، بأنه من واطب على الماثور من الأذكار في الصباح والمساء وفي الأوقات المختلفة فهو من الذاكرين الله كثيراً ، وفي الحديث « من أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى »^(٢) .

« مطلب » في فوائد الذكر

قال العلامة عبد الرحمن الصفوي « رحمه الله تعالى » : قال : أهل التصوف ! للذكر بداية وهي : توجه صادق ، وله توسط وهو : نور طارق ، وله نهاية ، وهي : حال خارق ، وله أصل وهو : الصفا ، وله فرع وهو : الوفاء ، وله شرط وهو : الحضور ، وله بساط وهو : العمل الصالح ، وله خاصية وهي : الفتح المبين .

قال أبو سعيد الخراز « رحمه الله تعالى » : إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً فتح له باب الذكر فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ،

(١) ابن الصلاح : هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشيرازي القرطبي ، أبو عمرو المعروف بابن الصلاح : أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأحاديث الرجال . توفي بدمشق ٦٤٣ هـ / ١٢٤١ هـ .

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله تعالى عنها - وهو حديث ضعيف - ١ - ١ - ١ .

ثم رفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا نظر الجلال والعظمة بقي بلا « هو » فيصير فانياً بريئاً عن دعوات نفسه محفوظاً بالله .

وقال غيره : الذكر تزيق المذنبين ، وأنيس المنقطعين ، وكسر المتوكلين ، وغذاء الموقنين ، وحيلة الراضين ، ومبده العارفين ، وبساط المقربين ، وشراب المحبين .

وفي رسالة الامام القشيري^(١) رحمه الله تعالى عن بعضهم انه قال : دخلت غيطة فوجدت رجلاً يذكر الله تعالى وعنده سبع عظيم . فقلت ما هذا ؟ فقال سأل الله أن يسلط علي كلباً من كلابه إذا غفلت في ذكره . وسئل الامام السبكي . رحمته الله عن قوله ﷺ : « إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية » فقال : أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى .

وقيل في قوله تعالى - في قصة الهدهد - حكاية عن نبيه سليمان عليه الصلاة والسلام : (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبيين لأعذبته عذاباً شديداً)^(٢) الآية ... المراد بالعذاب الشديد هو ابتعاده عن مجالس الذكر .

(١) الامام القشيري : أبو القاسم ، زين الاسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري ، من بني قشير ، شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين ومن كتب « الرسالة القشيرية » ط ٢٠٠٠ توفي رحمه الله بنيسابور عام / ٤٦٥ هـ - ١٠٦١ .

(٢) قتيل / ٢٠ - ٢١ / .

وقيل : في قوله تعالى : (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)^(١) الظالم لنفسه هو : الذاكر بلسانه ، والمقتصد : الذاكر بقلبه ، والسابق بالخيرات : الذي لا ينسى ربه .

قال ابن عطاء الله الاسكندري : يحتاج الذاكر إلى ثلاثة أنوار : نور الهداية ، ونور الكفاية ، ونور العناية . فمن من الله عليه بنور الهداية فهو معصوم من الشرك ، ومن من الله عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر والفواحش ، ومن من الله عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة والحركات التي لأهل الغفلات ، فالتور الأول للظالم ، والثاني للمقتصد ، والثالث للسابق بالخيرات .

وسئل الواسطي^(٢) عن الذكر فقال : الخروج عن ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب .

قال محمد بن الحنفية^(٣) : إن الملائكة يغيضون أبصارهم عن ذكر الله كما تغيضون أبصاركم عن البرق .

وقد سمى النبي ﷺ ذكر الله : برياض الجنة . ففي الحديث

(١) فاطر / ١٧ .

(٢) الواسطي : هو علي بن الحسن بن أحمد الشافعي ، زاهد ، مات محرماً بدم . له خلاصة الكبير - ط - في أسب السبب الرهاهي الكبير . ولد سنة ٤٠٦ هـ وتوفي بدم . سنة ٤٣٣ هـ .

(٣) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي المعروف بابن الحنفية . أخو الحسن والحسين رضي الله عنهما غير أن أم حنيفة بنت جعفر الحنفية مولده ووفاته في المدينة المنورة توفي رضي الله عنه سنة ٨٠ هـ .

الشريف ، إذا مررت برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟
قال : حلق الذكر ^(١) .

وقال بعضهم لأبي ^(٢) يزيد البسطامي رحمته الله : إن لي معك سرأ
ميعادك تحت شجرة طوبى ^(٣) فقال أبو يزيد : نحن تحت شجرة طوبى
مادمننا في ذكر الله تعالى .

وعن أمير المؤمنين سيدنا علي رحمته الله وكرم الله وجهه أنه قال :
إن الله يتجلى للذاكرين عند الذكر وتلاوة القرآن .

وعن شيخ الصوفية السيد الجنيد ^(٤) رحمته الله أنه قال في قوله تعالى
(والذي يمتني - أي بالغفلة - ثم يحيني ^(٥) - أي بالذكر -) .

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه وهو حديث صحيح . ٥١ .

(٢) أبو يزيد البسطامي : طبرفور بن عيسى : زاهد مشهور ، له أخبار ، نسبت له بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) توفي رحمه الله عام ٢٦٦ هـ - ٥١ .

(٣) طوبى : اسم الجنة ، وقيل شجرة فيها ، وفي الحديث : طوبى : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة لخرج من أكمامها . رواه أحمد في مسنده وابن حبان عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه وهو حديث صحيح . وأصل طوبى : فعلى ، من الطوى . فلما مضت الطاء انقلبت ثياب وأمرأ . انظر التوبة لابن الأثير ٣ / ١٤١ .

(٤) الجنيد : أبو القاسم ، الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، صوفي ، وعالم جليل ، قال أحمد معاصريه : ما رأيت جنتاً مثله ، وهو شيخ الطائفة (أي الصوفية) وإمام الدنيا في زمانه لكون مذهبه معصوفاً عن العقائد الزميمة ومن كان من طريقنا مضبوط والكاتب والسنة . توفي (رحمه الله) عام ٢٩٧ هـ .

(٥) الشعراء / ٨١ / .

وقال الحسن البصري^(١) : ما جلس قوم يذكرون الله تعالى وفيهم واحد من أهل الجنة الا شفعه الله في الجميع .

« مطلب » في استجاب مد الصوت في (لا إله إلا الله)

ويستحب مد الصوت في قول (لا إله إلا الله) كما ذكره العلامة « النووي » وذلك لما ورد من الأحاديث الدالة على طلب مد الصوت بها . فمن ذلك قوله عليه السلام : « من قال (لا إله إلا الله) ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال » . وذكر الصفوي رحمه الله تعالى أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قال : العبد (لا إله إلا الله) يصعد بها ملك فيستقبله في السماء ملك آخر فيقول : من أين ؟ فيقول : وأنت إلى أين ؟ فيقول : أصعد بها (أي بشهادته) إلى ربه فيقول الآخر : وأنا أنزل ببرأته من النار » .

وفي الحديث « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : لا إله إلا الله » ذكره في آداب الاقطاب للعلامة العارف بالله الشيخ علي الكازروني الرفاعي قدس سره .

(١) الحسن البصري : أبو سعيد ، الحسن بن يسار البصري ، تابعي ، إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه ، ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت له حبة في القلوب ، قال فيه الغزالي « رحمه الله » : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الانبياء وأفريقهم مدياً من الصحابة . توفي رحمه الله « بالبصرة عام ١١٠ هـ » .

وفيه : لا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بالذكر . ونقل عن الاستاذ أبي علي الدقاق « قدس سره » أنه قال : الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل ، وذكر الله بالقلب للمريدين ، به يدفعون الآفات التي تقصدهم .

« مطلب » في الذكر وفضله وأنه غير مخصوص بوقت معين

ومن « خصائص الذكر » أنه غير موقت بوقت مخصوص فلما من وقت إلا والعبد مأمور به ، والصلاة وإن كانت من أعظم الطاعات وأفضل العبادات لكنها لا تصح في بعض الأوقات ، والذكر مطلوب في عموم الأوقات ، وجميع الحالات ، إلا نادراً ، قال الله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)^(١) . وقال : (رجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)^(٢) . وفي الخبر « ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال لرسول الله ﷺ : إن الله تعالى يقول : أعطيت أمتك ما لم أعطه أمة من الأمم . قال وما ذاك يا جبريل ؟ قال : قوله تعالى : (فاذكروني اذكركم) وقد تقدم ذكر هذه الآية . وفي بعض الكتب « إن موسى قال : يا رب أين تسكن ؟ قال : في قلب عبدي المؤمن » ومعناه سكون الذكر في القلب .

(١) آل عمران / ١٩١ .

(٢) النور / ٣٧ .

وقال الحسن^(١) : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ،
والذكر ، وقرأة القرآن ، فان وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .
قال الحريري : كان من أصحابنا رجل يكتر من أن يقول : الله .
الله . فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وجرى الدم فكتب على
الأرض : الله . الله .

قيل : إن أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب عليه السلام وكرم الله
وجهه ، مر على مقبرة فقال : السلام عليكم يا أهل لا إله إلا الله ، كيف
وجدتم لا إله إلا الله ؟ ! فهتف هاتف يقول : وجدناها المنجية من
كل مهلكة .

وسئل بعضهم عن قوله تعالى : (وبئر معطلة وقصر
مشيد)^(٢) فقال : البئر المعطلة : قلب الكافر معطل عن قول « لا إله
إلا الله » والقصر المشيد : قلب المؤمن معمور بقول « لا إله إلا الله » .
وقال بعضهم في قوله تعالى : (غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب)^(٣) : غافر الذنب وقابل التوب لمن قال : « لا إله إلا الله » .
شديد العقاب على من أنكر « لا إله إلا الله » .

وقال بعضهم في قوله تعالى : (فلا عدوان إلا على الظالمين)^(٤) : هم
الذين لم يقولوا « لا إله إلا الله » .

(١) الحسن : إذا أطلق . أريد به : الحسن البصري . انظر ترجمته ص (٧٢) .

(٢) الحج / ٥٥ / .

(٣) غافر (المؤمن) / ١٠ / .

(٤) البقرة / ١٩٣ / .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها أنه قال : ينادي مناد من تحت العرش أيتها الجنة وما فيك من النعيم لمن أنت ؟ فتقول : لأهل « لا إله إلا الله » . وأنا محرمة على من لم يقل : « لا إله إلا الله » . ثم تقول النار وما فيها من العذاب لا يدخلني إلا من أنكر « لا إله إلا الله » ، ولا أطلب إلا من كذب بـ « لا إله إلا الله » ، وأنا محرمة على من قال : « لا إله إلا الله » ، ثم تقول مغفرة الله ورحمته أنا لأهل « لا إله إلا الله » ، وناصرة لمن قال : « لا إله إلا الله » ، ومحبة لمن قال : « لا إله إلا الله » والجنة مباحة لمن قال : « لا إله إلا الله » ، والنار محرمة على من قال : « لا إله إلا الله » .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله ، مخلصاً من قلبه أو نفسه »^{١١} .

وكان عليه السلام يقول « أفضل الحسنات لا إله إلا الله » .
وكان عليه السلام يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار »^{١٢} . فقال معاذ رضي الله عنه : أفلا أخبر بها الناس يا رسول الله فيستبشروا ؟ قال : « إذا يتكلموا » .

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي رواية أخرى « مخلصاً من قلبه » . الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ٢/٢١٩ - ٢٠١ .
(٢) روى مسلم والترمذي الحديث أن قوله صلى الله عليه وسلم : « حرم الله عليه النار » وفق الحديث من رواية البخاري ومسلم عن أنس ومعاذ رضي الله تعالى عنهما .

وكان ﷺ يقول : « ما قال عبد : لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر »^(١) وفي رواية « قيل يا رسول الله : وما إخلاصها ؟ قال : أن تحجزه عما حرم الله عليه » .

« مطلب » في مر « لا اله الا الله »

وكان ﷺ يقول : « من قال : لا إله إلا الله . ومدها . هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر » وكان ﷺ يقول : « قال : موسى عليه الصلاة والسلام : يارب علني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال : قل لا إله إلا الله . قال : يارب كل عبادك يقولون لا إله إلا الله . قال : قل لا إله إلا الله . قال : يارب إنما أريد شيئاً تخصني به قال : يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله »^(٢) .

وكان ﷺ يقول « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله »^(٣) وكان عبادة بن الصامت رضى الله عنه يقول : كنا عند رسول

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . وقوله : (وفي رواية) . رواه الطبراني في الكبير . ١٠١ . الترغيب والترهيب ج ٣ - الفتح الكبير ج ٣ .

(٢) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه ، والحاكم . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وقال الحاكم : صحيح الاستناد . ١٠١ .

(٣) رواه ابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه ، والحاكم . كلهم من طريق « طلحة بن خراش » عن جابر رضي الله عنه ، وقال الحاكم : صحيح الاستناد . ١٠١ .

اللَّهُ ﷻ فقال : « هل فيكم غريب - يعني أهل الكتاب - قلنا : لا يارسول الله . فامرنا بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : ألا ابشروا فإن الله قد غفر لكم » ^(١) .

وكان ﷺ يقول : « جددوا إيمانكم . فقال له رجل يارسول الله ! كيف تجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله » ^(٢) .
وكان ﷺ يقول : « أكثروا من قول لا إله إلا الله - قبل أن يحال بينكم وبينها » ^(٣) .

وكان ﷺ يقول : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الضحيفة من السيئات ، حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » ^(٤) .

وكان ﷺ يقول : « ألا أخبركم بوصية نوح عليه الصلاة والسلام قالوا : بلى : يارسول الله قال : أوصي ابنه باثنين - فقال لابنه : يا بني أوصيك بقول - لا إله إلا الله - فإن السموات والأرض وما فيها لو وضعت في كفة ، ووضع في كفة ، وإله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح »

(١) رواه أحمد بإسناد حسن ، والطبراني وغيرهما .

(٢) رواه أحمد ، والطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه وإسناد أحمد حسن .

(٣) رواه أبو يعلى بإسناد جيد قوي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه .

منها، ولو أن السموات والأرض وما فيها كانت حلقة فوضعت - لا إله إلا الله - عليها لقصمتها^(١).

« مطلب » في الترغيب بالذكر ورفع الصوت به

وكان جابر رضي الله عنه يقول: رفع رجل صوته بالذكر، فقال: رجل لو أن هذا خفض من صوته، فقال رسول الله ﷺ «دعوه فإنه أواه»^(٢).

قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: وكان الناس على عهد عمر رضي الله عنه يرفعون أصواتهم بالذكر عند غروب الشمس فرموا بذكروا مرة فيرسل إليهم عمر: إن ارفعوا أصواتكم بالذكر فإن الشمس قد دنت للغروب.

وكان ﷺ يقول: «ليذكرن الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى»^(٣).

وكان ﷺ يقول «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»^(٤).

(١) رواه الحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وقال: صحيح الإسناد. ٨١. ع. ٨١.

(٢) أخرجه البيهقي عن جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه من طريق فراج عن أبي الغيث. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ٨١.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه.

وكان ﷺ يقول : « أكثرُوا ذكرَ الله حتى يقولوا : «مجنون»^(١)
 وكانت ﷺ يقول « اذكروا الله ذكرًا يقول الشافقون انكم
 مراؤون »^(٢) .

«مطلب» في معنى الذكر والتهنئة وما جاء من الاخبار والاشعار في ذلك

وكان ﷺ يقول كثيراً : « سبق المفسرُ دون فقال له رجل :
 وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : «الذاكرون الله كثيراً»^(٣) وفي رواية
 فقال : « المفردون هم المهتزون بذكر الله تعالى . يضع الذكر عنهم ألقاهم
 فيأتون يوم القيامة خفافاً » . وكان ﷺ يقول : « علامة حب الله
 تعالى : حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله : بغض ذكر الله عز وجل »^(٤)
 وكان ﷺ يقول : « مامن يوم وليلة إلا والله عز وجل فيه صدقة

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه ، والطحاوي في مشيخته في شعب الايمان ،
 عن أبي سعيد الخدري . وقال الحاكم : صحيح الاسناد . الترغيب والترهيب ٢/٣٠٦
 الفتح الكبير ١/٢٢٤ . هـ .

(٢) رواه الطبراني ، ورواه البيهقي عن أبي الجوزاء مرسلًا . عن ابن عباس رضي
 الله عنهما . هـ .

(٣) المفردون : يفتح الفاء ويكرر الزاء . والحدث رواه مسلم واللفظه والترغيب
 ولفظه : يا رسول الله وما المفردون ؟ قال : « الساجدون بذكر الله ... الحديث » .
 والمهتزون بذكر الله : هم المولعون بالذكر ، الدائمون عليه ، لا يبالون ما قيل
 فيهم ولا ما فعل بهم . هـ .

(٤) رواه البيهقي في شعب الايمان عن انس رضي الله عنه ، الفتح الكبير ٢/٢٣٠ . هـ .

ين بها على من يشاء من عباده، وما من^١ الله على عبد بأفضل من أن يلهمه ذكره^{١٩}.

وكان عليه السلام يقول : « أعظم المجاهدين أجراً : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً »^{٢٠} وكذلك كان عليه السلام يقول : إذا سئل عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، فقال أبو بكر لعمر يوماً : يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله عليه السلام : « أجل يا أبا بكر »^{٢١} .
وكان عليه السلام يقول : « لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله تعالى لكان الذكر لله أفضل »^{٢٢} .

وكانت أم سليم رضي الله عنها تقول : قال لي رسول الله عليه السلام : « أكثرني من ذكر الله تعالى فانك لا تأتين الله تعالى بشيء أحب إليه من كثرة ذكره »^{٢٣} .

وكان عليه السلام يقول « من لم يكثر ذكر الله فقد بصرى من الإيمان »^{٢٤} .
وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنها يقول : ذكر الله تعالى بالغداة والعشي أعظم من حطم السيوف في سبيل الله »^{٢٥} .

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن « أبي قر » رضي الله عنه . اهـ .

(٢) هو بعض حديث رواه أحمد والطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . اهـ .

(٣) هو نسخة الحديث السابق الذي رواه أحمد والطبراني .

(٤) رواه الطبراني وهو : « حديث حسن » .

(٥) رواه الطبراني بإسناد جيد .

(٦) رواه الطبراني في الأوسط والصفير عن أبي هريرة رضي الله عنه . وهو : « حديث قريب » .

(٧) روى الديلمي حديثاً قريباً من لفظه وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « تذكر الله بالغداة والعشي خير من حطم السيوف في سبيل الله » . اهـ .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « أكثروا من ذكر الله ولا تصاحبوا إلا من يعينكم على ذكر الله » .

وكان عليه السلام يقول : إني لله عز وجل يقول : « يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني » ^(١) .

وكان عليه السلام يقول : « ما من ساعة قرأ ابن آدم لم يذكر الله تعالى فيها بخير الا تحسر عليها يوم القيامة » ^(٢) وقال أبو هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقول : « الا أخبركم بمن يدخل الجنة وهو يضحك قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الذين لا تزال ألستهم رطبة من ذكر الله تعالى » . وخرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال : آله ، ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أثنى جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة » ^(٣) .

وكان عليه السلام يقول : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم ، فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل

(١) رواء الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه . اهـ .

(٢) رواء ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها . الترمذي والترمذي .

٢٠٩/٢ . اهـ .

(٣) رواء مسلم والترمذي والنسائي عن معاوية رضي الله عنه .

بجالس الذكر ^(١١).

وكان عليه السلام يقول: « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء ان قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » ^(١٢)

وكان عليه السلام يقول : « إن الله تبارك وتعالى سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم » ^(١٣).

وكان عليه السلام يقول : « غنيمة مجالس الذكر الجنة » ^(١٤).

وكان عليه السلام يقول : « ان الله سرايا من الملائكة تحيل وتقف على مجالس الذكر في الأرض ، فارتعوا في رياض الجنة ، قالوا وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ، فاعبدوا أو روحوا في ذكر الله ، وذكروا أنفسكم ، من كان يحب أن يعلم منزلة عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد من حيث أترله من نفسه » ^(١٥).

(١) رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي ، وغيرهم . عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . اهـ .

(٢) رواه أحمد ، ورواه عنج بهم في الصحيح [لأبي حنيفة] ، وأبو يعلى ، والبخاري ، والطبراني ، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل : الترمذي ، والقرطبي ٣٠/٢٢٢ .

(٣) اكتفى المؤلف رحمه الله بصدر الحديث وكتبت « ثم يقولون وأيديهم إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أئتنا على عباد من عبادك يعظمون آلامك ويثبون كتبك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسألونك لأخبرهم وديارهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : هذؤنهم » رويهم رحمتي ، ثم اجلساء لا يشقى بهم جليسهم » رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه . اهـ .

(٤) رواه أحمد بإسناد حسن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . اهـ .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا ، وأبو يعلى ، والبخاري ، والحاكم ، والبيهقي ، عن « جابر رضي الله عنه » . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . اهـ .

وكان عليه السلام يقول : « رياض الجنة خلق الذكر فإذا مررتم بها فارتعوا » يعني : اجلسوا معهم فيها .

(كرامة للشبلي)^(١) ويحكى أن الشبلي « رحمه الله تعالى » مرض فأرسل الخليفة له طبيباً غير مسلم ليعالجه فصار كلما عالجته يزداد مرضه فقال له الطبيب مرة : يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفائك في قطع عضو من أعضائي لفعلت ، فقال له الشبلي : شفائي في قطع زنارك ، فأسلم الطبيب ووثب الشبلي « قدس الله روحه » فرحاً مسروراً ، وكانما قد نشط من عقال ، فلما بلغ ذلك الخليفة قال : ظننت أني أرسلت الطبيب إلى المريض والحال أني أرسلت المريض إلى الطبيب .

(الشيخ الهندي) وكان ببلاد الهند شيخ كبير السن ضعيف القوى وكان يعبد صنماً فوقع له أمر مهم فاستغاث بالصم وقال له : عبدتك مدة طويلة فأغثني في هذا الأمر الذي وقعت به فلم يقم به ، فرمق بطرقه إلى السماء وهمت عينه بالبكاء مستحيياً من الله غاية الاستحياء وبادر بالتضرع والدعاء ، ونادى يا صمد ، فسمع صوتاً في الهواء يقول : لبيك يا عبدي اطلب ما تريد ، فتبرأ من عبادة الأصنام ووحّد الله الملك العلام . فقالت الملائكة : ربنا عبد الصم مدة من السنين والأعوام ،

(١) الشبلي : هو أبو بكر ، دلف بن جعفر الشبلي : فاك ، كان في أول أمره وإلياً في « دياره » من نواحي « رشتاق الري » ثم ترك الزلاها وعكف على العبادة ، فاشهر بالصلاح ، له شعر جيد سلك به مسالك التصوف . أصله من « خراسان » ومولده ووفاته بغداد (٢٤٧ هـ - ٣٣٤ هـ) .

وبقي يدعوه جملة من الليالي والأيام ، ولم يجب نداه ولم يرحم شكواه ،
 ودعاك مرة واحدة فأجبتك ولييته وتقبلت دعاءه ، فقال : يا ملائكتي ،
 إذا دعا الصنم فلم يجبه ودعا الصمد فلم يجبه فما الفرق حينئذ بينهما ؟ !
 وفي الحديث ' من قال - لا إله إلا الله - مخلصاً وفي رواية صدقاً ،
 وفي رواية من قلبه دخل الجنة ' رواه البزار عن أبي سعيد . قال المناوي :
 ورجاله ثقات . وفي حديث آخر ' من قال لا إله إلا الله نفعت يوماً
 من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه ' ^(١) قال المناوي ^(٢) : لأنه لما أخلص
 عند قول : ' لا إله إلا الله ' . أفاض الله على قلبه نوراً أحياء به فبذلك
 التور طهر جسده فنفعته عند فصل القضاء . وفي الحديث المشهور
 ' سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله : رجل ذكر الله ففاضت
 عيناه ، ورجل يحب عبداً لا يجبه إلا لله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد
 من شدة حبه إياها ، ورجل يعطي الصدقة يمينه فيكاد يخفيها عن
 شئاله وإمام مقسط في رعيته ، ورجل عرضت عليه امرأة نفسها ذات
 منصب وجمال فتركها لجلال الله ، ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا
 العدو فانكشفوا فحمى آخرهم حتى نجا ونجوا أو استشهد ' . وإذا تأملت

(١) رواه البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه رواية الصحيح .
 (٢) الحلق المناوي : زين الدين ، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين
 العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري : من كبار العلماء بالدين والفنون . اتزوى البيهقي
 والتصنيف وكان غليل الطعام ، كثير السير ، فرض وضعت أطرافه ، فجعل يلهو
 « تاج الدين » محمد « يستمل منه تأليفه » له نحو ثلاثين مصنفاً منها الكبير والصغير . ومن
 كتب « الجواهر النقية في الآداب السلطانية » - خ « و « سيرة عمر بن عبد العزيز » - خ «
 و « كنوز الحقائق في الحديث » - ط « وغيره » . توفي « رحمه الله » في القاهرة سنة ٨٠٦ هـ .

في هذا الحديث عرفت ان أعظم هؤلاء السبعة : الذين يظلمهم الله في ذلك اليوم الشديد الأهوال العظيم النكال الثقيل الاغلال هو : من ذكر الله خاشعاً خاشياً وتذبت إلى أن الذكر من أعظم العبادات ، واجزل الطاعات ، وأحسن القربات لرب الأرضين والسموات ، ولا سيما ذكر الله تعالى بقول : لا إله إلا الله . أتى خير الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى . أنها أفضل ما قالها هو والنبيون من قبله . قال سهل التستري^(١) رحمه الله تعالى : ليس لقول لا إله إلا الله إلا النظر إلى وجه الله عز وجل ، وأما الجنة فهي ثواب الأعمال . وقال بعضهم في قوله تعالى : (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت)^(٢) : يتجلى يوم القيامة نور كلمة « لا إله إلا الله » فيضمحل في ذلك نور الشمس ونور القمر والنجوم لأن أنوار الشمس وسائر الكواكب أنوار مجازية ونور « لا إله إلا الله » نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة . وقد جاء في الأثر : « أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة » . قيل : والسبب في ذلك : أنه في قوله : « لا إله إلا الله » قد ردّ على كل كافر وكافرة ، وأبطل قول كل مشرك ومشركة فلا

(١) سهل التستري : سهل بن عبد الله بن بولس التستري : أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، والمشتكين في علوم الاخلاص والرياضات وحبوب الأعمال له كتاب في « تفسير القرآن » مخ « مختصر نوحي رحمه الله سنة ٨٢٨ هـ . انظره في طبقات الصوفية ، والوفيات . اهـ
(٢) سورة النكوير / ١ - ٢ .

جرم أنه يستحق الأجر والثواب بعدهم. وقيل في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا)^(١) المراد بالقول السديد : قول : « لا إله إلا الله » وروي « أن النبي ﷺ كان يمشي في الطريق ويقول : قلوا : لا إله إلا الله تفلحوا » ذكره العلامة الشيخ أحمد الفشتي^(٢) في مجالسة السنية على الأربعين النووية . وقال سفيان^(٣) بن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم (لا إله إلا الله) ، وإن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة مثل الماء في الدنيا. ويفسر قول سفيان سفيان الثوري^(٤) رحمه الله تعالى : أن لذة قول (لا إله إلا الله) في الدار

(١) الأحزاب / ٧٠ .

(٢) أحمد الفشتي : هو العالم العلامة ، والطبر القسامة ، الشيخ أحمد بن الشيخ حجازي الفشتي : شارح الأربعين النووية ، للامام النووي « رحمه الله » على شكل « مجالس » في كتاب الطبعة في « مئة وخمس وثلاثين صفحة » جاء : المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية : قال « رحمه الله » في مقدمته : وضعت « أي المجالس » لتكون تذكرة لنفسي وللفاعرين مثلي ، ضاماً إليها من الفوائد الطريفة ، والمواضع الشريفة والنكت الطريفة ، ما تقرؤه الأجيال ، وتستأنف الأئمة . انتهى ملخصاً .

(٣) سفيان بن عيينة بن ميسون الخزازي الكوفي : محدث الحرم . كان حافظاً ، ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر . قال الشافعي « رحمه الله » : لو لا مالك وسفيان لأذهب علم الحجاز . وكان أعور . وحج سبعين سنة . ولد بالكوفة ومات سنة ١٩٥ هـ . ومن كتبه « الجامع » في الحديث . وكتاب في التفسير : انظر تذكرة الحفاظ (١) : ٢٤٢ - والزكاة المستطرفة : ٣٦ .

(٤) سفيان الثوري : أبو عبد الله . سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من مشايخ أمير المؤمنين في الحديث . كان سيد أهل زمانه في علوم الدين وفي التقوى . ولد ونشأ في الكوفة سنة ٩٧ هـ . وطلب المنصور للولاية فأبى وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة ثم طلب المهدي ، فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١ هـ . له من الكتب « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » كلاهما في الحديث . وكتاب في « الفرائض » وكان آية في الحفظ . من كلامه : ما حفظت شيئاً غلبت . ولابن الجوزي كتاب في مناقبه : حول الإسلام ٨٤ : ١٩ . وابن النديم ١ : ٢٩٥ . ا . بحقه

الآخرة كنزة شرب الماء في دار الدنيا . وروي عن مجاهد : في تفسير قوله تعالى (وأسئلكم نعمه ظاهرة وباطنة)^(١) أن أسبغ النعم على أهل الله تعريفهم أن « لا إله إلا الله » .

« كلمة التوحيد » ترفع إلى الله تعالى من غير واسطة

وقيل : أن جميع الأعمال الصالحة من صيام وصلاة وصدقات وغيرها يرفعها الملك إلى الله سبحانه وتعالى إلا (لا إله إلا الله) فإنها تصعد إلى الله « جل جلاله » بنفسها بلا واسطة بدليل قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب)^(٢) وهو قول لا إله إلا الله و (العمل الصالح يرفعه) إلى الله من وكلّهُ الله تعالى يرفعه من الملائكة حكاة القشفي . نقلاً عن العلامة (الفخر الرازي) وذكر عن هذا الفاضل الجليل أنه إذا كانت آخر الزمان فليس شيء من الطاعات فضل كفضل قول : لا إله إلا الله لأن صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة ، وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص في شيء منها ، أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله ، والمؤمن لا يذكرها إلا عن حميم قلب . وفي الخبر (يقول الله عز وجل لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي) ويقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، سبع كلمات وللعبدة سبعة أعضاء فكل كلمة من هؤلاء الكلمات السبع تغلق باباً من أبواب النار عن الأعضاء السبع . وفي

(١) الباق / ٢٠ /

(٢) مطر / ١٠ / - ١٠١ -

الحديث « من كان آخر كلامه من الدنيا - لا إله إلا الله - دخل الجنة »^(١)
وفي الحديث أيضاً « ليس على أهل - لا إله إلا الله - وحشة في قبورهم
ولا في نشورهم ، وكأني بأهل - لا إله إلا الله - يتفوضون التراب عن
رؤوسهم ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن »^(٢) . وروى
القرطبي بسنده « أن رسول الله ﷺ قال : حضر ملك الموت عليه
الصلاة والسلام رجلاً ، فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة
ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً
بجفنه يقول : - لا إله إلا الله - فقال : وجبت لك الجنة بقول كلمة
الإخلاص »^(٣) . يعني - لا إله إلا الله - وفي الحديث الشريف « كلمات
الفرج : لا إله إلا الله الخليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ،
لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم »^(٤) وقد
كتب العلامة عبد الرؤوف المناوي على هذا الحديث الشريف ما نصه :
هذا الدعاء كان مشهوراً عند أهل البيت يسمونه : دعاء الفرّج ، فيتكلمون
به في النوائب والشدائد متعارف عندهم الفرّج به .

-
- (١) رواه الحاكم في مستدركه ، وأبو داود ، وأحمد في مسنده عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه ، بلفظ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .
(٢) رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ : « ليس على أهل لا إله إلا
الله وحشة في الموت ولا في النشور ، وكأني أنظر إليهم عند الصبيحة
يتفوضون رؤوسهم من التراب يقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » . ١ .
(٣) ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا بلفظ قريب من هذا اللفظ : في كتاب المختصرين .
وأخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه : كنز العمال ١ - ١ .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الفرّج » عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي حديث آخر « كَلِمَاتٌ مِنْ قَالِهَا عِنْدَ وَفَاتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ثَلَاثًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثَلَاثًا ، تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(١) وفي حديث آخر « كَلِمَتَانِ أَحَدَاهُمَا لَيْسَ لَهَا نَاهِيَةٌ دُونَ الْعَرْشِ وَالْآخَرَى قَلَامَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ » رواه الطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . وفي حديث آخر « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ . وَاذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ »^(٢) . وفي حديث آخر « عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ ، وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ ، وَاحْزَنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ » . رواه ابن التضر ^(٣) عن أبي يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال العلامة « عبد الرؤوف المناوي » : وهذا من جوامع الكلم . وروى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكَ بِسُحْبَانِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُنَّ يَحْطِطُنَ الْخَطَايَا كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا »^(٤) . وفي حديث آخر « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ بِمَنْزِلَةِ الصَّابِرِ فِي

(١) رواه ابن حبان عن علي رضي الله عنه وكرمه الله وجهه .

(٢) ذكر المؤلف رحمه الله صدر الحديث وثبت : « ... وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ » رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في المعجم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . اهـ

(٣) ذكر السيوطي الحديث في الجامع الصغير وقال : أخرجه ابن الصبر عن أبي يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . اهـ .

(٤) رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه . اهـ .

الفارين ، رواه الطبراني عن ابن مسعود بإسناد حسن أو صحيح . وفي حديث آخر ، ذكر الله في الغافلين مثل النبي يقاتل عن الفارين . وذكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم وذكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد كحلت من الصرير . الحديث ^(١) أي : الذي سقطت أوراقه من البرد . وفي حديث آخر ، ذكر الله في رمضان مغفور له ^(٢) وفي الحديث ، ذكر الله شفاء القلوب ^(٣) قال المناوي : هو دواء لها مما يلحقها من ظلمة الذنوب ، ويدنسها من دنس الغفلة ، وفي الحديث ، من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة ^(٤) قال العلامة المذكور في شرح هذا الحديث : لأنه تعالى لا يجمع على عبده خوفين ، فمن خافه في الدنيا فلا خوف عليه في الآخرة بل يكون من الأمنين فيها . وفي الحديث : « اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب » ^(٥) قال المناوي : أي : مساعد لك على تحصيل مطلوبك لأنه تعالى يحب أن يذكر فإذا ذكر أعطي . وفي الخبر : « يقول الله تعالى : من شغله ذكرني عن

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما . ١٠١ .

(٢) ذكر المؤلف رحمه الله صدر الحديث وثبته : ... وسائل الله قبله لا يذهب .

رواه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي . عن ابن عمر رضي الله عنهما . ١٠١ .

(٣) رواه الذهبي في مستدركه عن أنس رضي الله عنه . ١٠١ .

(٤) رواه الحاكم في مستدركه . عن أنس رضي الله عنه . ١٠١ .

(٥) رواه ابن خرازمي عن عطاء بن أبي مسلم مرسلاً . ١٠١ .

مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين^(١). وفي الحديث «من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه البزار عن عمر رضي الله عنه. وفي حديث آخر «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم عليه النار» رواه الامام مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم. وفي رواية «من شهد أن لا إله إلا الله وأنت محمداً رسول الله صادقاً من قلبه حرم الله عليه النار» وفي الحديث «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن قال: لا إله إلا الله، ولا يكفره بذنوب ولا يخرج من الاسلام بعمل... الحديث»^(٢) وفي حديث آخر «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيراً، والمظلوم، والامام المقسط»^(٣) وروى ابن عدي في «الكامل» وابن مردويه عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عن الجنة: لا إله إلا الله» وأخرج الامام أحمد في صحيحه، والحاكم في مستدركه عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «جدوا إيمانكم وأكثروا من قول: لا إله إلا الله». وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أكثرُوا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها»^(٤). وفي الحديث «ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن

-
- (١) رواه البخاري وغيره عن - عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما. ورواه أبو نعيم والبيهقي بلفظ: «من شفعه ذكرني عن مسألتي، أعطيته قبل أن يسألني». ٥١.
 (٢) رواه أبو داود عن أنس رضي الله عنه. ٥١.
 (٣) رواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه. ٥١.
 (٤) رواه أبو يعلى بإسناد جيد لمؤيد. ٥١.

عنده^(١) وفي حديث آخر «يجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتخف بهم الملائكة وتفساهم الرحمة ويذكروهم الله على عرشه»^(٢) قلت : والمقصود من ذكر الله عند العارفين ورجال السنة رضي الله تعالى عنهم : تطهير القلب من الأغيار واشغال جراحة اللسان بذكر الإله الباقي ، لكي ينقطع عن اللسان التفوه بذكر الأغيار بالكلية ، وفي هذا سر حقيقة الافتقار إلى الله « سبحانه وتعالى » وعلى ذلك كان رسول الله ﷺ ، فإذا ظفر العبد بهذا الوصف فقد ظفر بتابعة رسول الله ﷺ وتجرد من وهم الغيرية ، وقد كان رسول الله ﷺ دائم الافتقار إلى مولاه حتى كان يقول : لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين . وهذه بركة حضور القلب مع الله والتجرد من لوث الوجود فإن ذكر الله إذا أحاط بالقلب واشتغل به اللسان دفع الأغيار ، كيف لا وقد قال الله تعالى : (ولذكر الله أكبر)^(٣) وإنما يصح دفع الأغيار للذاكر إذا عظم الله سبحانه وتعالى حالة ذكره الله ، والتعظيم لذكر الله هو : أن يتجرد العبد عند ذكره الله... من كل شيء ومن نفسه أيضاً ، وما أحسن في هذا الباب قول مولانا وسيدنا الامام العارف بالله تاج الطائفة السيد صدر الدين^(٤) علي ابن الاستاذ الأشهر والقطب الأكبر

(١) رواه القزويني وابن ماجه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

(٣) العنكبوت / ٤٥ .

(٤) السيد صدر الدين علي : ابن السيد أحمد عز الدين الصياد . ولد سنة ٦٤٥ هـ . وتركه أبوه وله من العمر خمس وعشرون سنة . تلقى العلم الشافعي عن القاضي «عزالدين محمد بن الصائغ» . وحضر أيضاً على العلامة : جمال الدين بن واصل الشافعي الحموي =

مولانا السيد الشيخ عز الدين^(١) أحد الصياد قدس سرهما :

عظموا ذكر حبيبي فيه المكسور يجبر
واتركوا الأغيار طراً ولذكر الله أكبر

« وفيهما . ورجع بعد لقائه العلوم الشرعية إلى رواقه المبارك الشريف وانقطع في خلوته »
« بكتين » سنة ٦٩٥ هـ . ودفن عاذياً لأبيه في قبته وعليها صندوق واحد . اهـ .

(١) السيد عز الدين أحد الصياد : أبو علي عز الدين أحد الصياد ابن عبد الرحيم بن عثمان بن حسن بن محمد عسلة ابن أحمد بن علي بن السيد الحسن رفاة المكي تزيل المغرب . ينسب إليه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، من طريق سيظه الحسين رضي الله عنه . ولما دام ٥٧٤ هـ . أي قبل وفاة جده لأمه السيد أحد الكبير الرفاعي بأربع سنين . ولما كبر سلك على يد أخيه عبد الحسن وبصحبته تخرج وتفقه ، وتلقى التفسير والحديث على الشيخ عبد المنعم الواسطي . كان كثير الخشوع والحياء من الله تعالى ، زائد البكاء ، قليل الكلام . ولما اشتغل أمره خرج من العراق إلى الحجاز حاجاً ومعتصراً وجاور بالمدينة : (٩) سنين ، أخذ عنه المارقي : ابن تيمية الحنفية ، والامام عبد الكريم بن محمد الزاهدي القزويني . صاحب « التفرغ الكبير على الوجيز » . والشيخ علم الدين بن محمد السخاوي ، صاحب « شرح الشاطبية » و « المفصل » وفيهما من الكتب . والشيخ عز الدين الأبيدي . وخلائق .

ودخل « مصر » فأقبل عليه الناس وتلمذ له العلماء والشيوخ وأكابر الرجال وحضر مجلسه « جمال الدين » أبو عمرو بن الحاجب « رحمه الله » ثم رحل إلى اليمن وبعدها إلى الشام ودخل دمشق وعمر زاوية في « ميدان المعصية » تعرف بزاوية الرفاعي . وآل أمره إلى « متكين » قرية من أعمال « عمرة الثغمان » من أعمال « حلب » .

قلت : قال فيه المؤلف « رحمه الله » : أما السيد عز الدين أحد الصياد ، فإنه تمت بركته ، وظهرت دولته ، وقاد الله إليه القلوب ، وبني الزوايا والرباطات ، وقصده الناس من العراق والمغرب والحجاز واليمن . وبلغ مريدوه حال حياته ما يزيد عن مائتي ألف . وكان إذا حل بالناس تحيطوا مستسقوا به فيسفلون ببركته . توفي « رحمه الله » بكتين عام ٦٩٥ هـ . وقبره معروف بزار . انظر ترجمته مبسوطه في « خزائن الامداد » للمؤلف . ولي « سواد العينين » للسيد عبد الكريم الزاهدي . اهـ .

وذكر المولى العارف بالله الشيخ «أحمد بن جلال» الرفاعي المصري خليفة شيخ الطوائف في عصره إمام الرفاعية رافع ألوية الهدى في الطريقة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، صاحب العلم والفضل الوافي مولانا زين الدين أبوبكر الخوافي قدس سرهما في كتابه «جلاء الصدى» الذي ألفه بسيرة شيخ الأولياء وملجأ الفقراء ، الاستاذ الأكبر مولانا السيد الشيخ أحمد^(١) الرفاعي الحسيني الكبير «قدس سره» ونفعنا

(١) السيد أحمد الرفاعي ، هو أبو العباس ، أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني . ينتمي نسبة إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طريق سبطه الحسين رضي الله عنه . ولد في قرية «حسن» من أعمال واسط - بالعراق - وتلقه وتآدب في واسط ، وتصوف فالتزم إليه خلق كثير من الفقهاء كان قومه اعتقاد كبير . وهو مؤسس الطريقة الرفاعية وانتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق . وشرح أحوال القوم وكشف منازلهم . وتخرج بصحبته جماعة كثيرة ، وتلمذ له خلق لا يحصون . وفي كتاب «عجائب واسط» لابن المذهب : إن عدد خلفاء السيد الرفاعي . وخلفائهم بلغ «مائة وثلاثين ألفاً حال حياته» وجمع بعض كلامه في رسالة حيث «رحيق الكوثر» ط «وهو الذي مثل من وصف الرحيل المتمكن؟ فقال : هو الذي لم نصب له سنان على أعلى شامخ جبل في الأرض وعلت عليه الزمان ما غبرته . وكان إذا صعد الكرسي لا يقوم قائماً وإنما يتحدث قاعداً» وكان يسمع حديث البعده والغريب حتى الأطرش والأهم إذا حضروا يفتح الله إمامهم لكلامه . «قلت» والجمله «هو شيخ الاسلام ورحمة الله للخامس والعالم . قطب الأقطاب ويحيى الله والدين . قال الشيخ «مكي الواسطي» فيه رضي الله عنه : «كنت مع السيد أحمد الرفاعي ليلة «أم عبيدة» فأحسبته أنه أوعين خصلة من خصال المصطفى صلى الله عليه وسلم . وهذا ما أدركته من طاهر أحواله فكيف يبطلها؟»

حيات أن يأتي الزمان بمثل
إن الزمان بمثله يبطل

وله تأليف عديدة وتضافات جلية . توفي رضي الله عنه بـ «أم عبيدة» بين «واسط والبصرة» وقبوره إلى الآن على رحال الجماهير من مالكي طريقتهم وكانت وفاته سنة ٧٢٨ هـ . انظر ترجمته مبسوطه في ترقى الحرمين - لتلميذ الدين الطوسي - . وفي كتاب

الله ببركات علومه : إن السيد أحمد الرفاعي « قدس الله سره العزيز »
 ورضي الله عنه قال: من قال: الله أكبر ، وفي قلبه شيء أكبر منه
 فقد كذب نفسه على لسانه ، ومن أراد أن يعرف قدر معرفته بالله
 فلينظر قدر هيئته عنده وفي خدمته ، وإن القلب هو محل الأنوار
 ومورد الفوائد وبه يصح الاعتبار ، جعله الله أميراً فقال: (إن في
 ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ^(١) وجعله أسيراً فقال: (أن الله يحول
 بين المرء وقلبه) ^(٢). وقال أئمة الله ببركته: وجدان القلب مع الله تعالى:
 بغية الأنبياء ، ومثية الأولياء ، أي سادة : إذا حصل لكم (الله) حصل لكم كل
 شيء وقال رضي الله عنه: من خاف الله ذكر الله ، ومن ذكر الله خاف
 الله ، ثم تلا (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن
 الجنة هي المأوى) ^(٣) وقال: إن العبد حالة ذكره يخاطب ربه ، فإذا
 تفكر واعتبر وذل وخشع وتواضع وخضع ، فإن ذلك ينظره الله تعالى
 بعين الرحمة والمحبة ، فيحبه ويحبب إليه خلقه ويجعل له الهيبة في قلوب
 العالمين ، وكل من رآه هابه وأحبه . قال صاحب العوارف : قال الله
 تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ^(٤) ذكر بكلمة « إنما »

« ربيع العاشقين » لعلي بن جمال الجداد « و « المنفعة للسكية » للغاروني الواسطي «
 و « خلاصة الأكبر » لعلي الواسطي « و « العقود الجوهرية » لأحمد عزت باشا الغاروني «
 و « التاريخ الأوحد » للمؤلف . (هـ) . بحقه .

(١) سورة ق / ٣٧ .

(٢) الانفال / ٢٤ .

(٣) البازعات / ٤٠ - ٤١ .

(٤) قاطر / ٢٨ .

فَيَنْتَفِي الْعِلْمُ عَنِ لَا يَخْشَى - اللَّهُ - كَمَا إِذَا قَالَ : إِنَّمَا يَدْخُلُ الدَّارَ بَغْدَادِي
يَنْتَفِي دُخُولَ غَيْرِ الْبَغْدَادِي الدَّارَ . انْتَهَى

فَلَا حَاجَةَ حِينَئِذٍ لِأَهْلِ الذِّكْرِ أَنْ الْقَلْبَ إِذَا انْبَجَسَتْ بِهِ مَيَاهُ الذِّكْرِ
وَجَرَتْ عَلَى اللِّسَانِ ، وَصَحَّتْ حَالَةُ الذِّكْرِ الْحَشِيَّةُ مِنْ اللَّهِ ، وَثَبَتَ التَّعْظِيمُ
لِلْمَذْكُورِ « جَلَّ جَلَالُهُ » انْتَفَتِ الْأَغْيَارُ ، وَأَدْرَكَ مَرَّ الْأَكْبَرِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِ
تَعَالَى : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)^(١) وَقَدْ أَوْضَحَ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (مَا جَعَلَ
اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)^(٢) وَقَدْ قَالَ الْقَوْمُ : لِكُلِّ وَقْتُ أَدَبٍ
وَلِكُلِّ حَالٍ أَدَبٍ فَمِنْ ضَمِيعِ الْأَدَابِ فَهُوَ بَعِيدٌ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ الْقَرَبَ .
عَلَى أَنْ أَدَبُ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ ، وَقَدْ قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَجُلٍ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ »^(٣) فَالذَّاكِرُ
إِذَا خَشَعَ قَلْبُهُ مِنْ مَذْكُورِهِ تَغَلَّبَتْ هَيْبَةُ ذِكْرِهِ عَلَى وَارِدَاتِ الْأَغْيَارِ ،
وَسَمَتْ هَيْبَةُ قَلْبِهِ بِطَلَبِ مَذْكُورِهِ أَطْمَأْنَأَ لَهَا وَانْخَرَفَ عَنْ غَيْرِهَا وَاسْكَنْتْ
طَمَائِينَةُ الْقَرَبِ وَالْوَصْلُ قَلْبَهُ (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^(٤) وَحِينَئِذٍ
يَدْخُلُ سَاحَةُ الرِّجَالِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)^(٥) .

(١) العنكبوت / ٤٥ -

(٢) الاحزاب / ٤ -

(٣) رَوَاهُ الْحَكِيمُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِإِسْقَاطِ « لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ هَذَا »
خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ .

(٤) الرعد / ٢٨ -

(٥) النور / ٣٧ -

« مطلب » في قوله ﷺ : « وأن محمداً رسول الله »

وقوله ﷺ : « وأن محمداً رسول الله » كان الظاهر أن يقول :
وأنني رسوله فيعبر عن ذاته الشريفة بضمير المتكلم ، وعن الاسم الكريم
بالضمير البارز وهو : (الهاء) لكنه عدل ﷺ عن ذلك وأتى في المحلين
بالإظهار في مقام الإضمار تأسياً بقوله تعالى : (محمد رسول الله)^(١) ليوافق
نظم الحديث الشريف نظم القرآن العظيم الشأن ، وقرن الشهادة برسالاته
ﷺ بالشهادة بوحداًنية الله ، لأنه لا يتم الإيمان والإسلام إلا بالتصديق
والإقرار بها جميعاً ، ولذلك كانت الشهادتان الشريفتان في حكم شيء
واحد ولهذا الحكمة عدما ﷺ ركناً واحداً من الأركان الخمسة وذكر
بعدها الأربعة الأركان الباقية : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

« مطلب » في تشریف الله تعالى لرسوله ﷺ

بأن جعل اسمه الشريف مقروناً باسمه

وقد أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بأشياء كثيرة لا تحصر بالعدد ولا
يحيط بها الحد ، ومن أعظمها وأعلاها وأجلها وأبهاها : أن جعل اسمه
الشريف مقروناً باسمه الكريم كما قالوه في تفسير قوله تعالى : (ورفعنا
لك ذكرك)^(٢) .

(١) الفتح / ٢٩ / .

(٢) الانشراح / ٤ / .

قال العلامة الرازي في تفسيره عند قوله تعالى : (ورفعنا لك
 ذكرك) : «إعلم أنه عام في كل ما ذكره من النبوة وشهرته في الأرض
 والسموات واسمه مكتوب على العرش وأنه يذكر معه في الشهادة
 والشهد وأنه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة ، وانتشار ذكره في
 الآفاق وأنه ختمت به النبوة وأنه يذكر في الخطب والأذان ومفاتيح
 الرسائل وعند الحتم . وجعل ذكره في القرآن مقروناً بذكره فقال :
 (والله ورسوله أحق أن يرضوه)^{١١} وقال (ومن يطع الله ورسوله)^{١٢}
 وقال (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)^{١٣} فأداء بلفظ الرسول والثني
 حين ينادى غيره بالاسم : ياموسى . ياعيسى . يايحيى - وجعل طاعته
 طاعة الله ، وبيعته بيعته الله ، فقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله)^{١٤}
 (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)^{١٥} .

« مطلب » في « أسماء » ﷺ

وقوله ﷺ « محمد » هو اسمه الشريف وأسماءه ﷺ كثيرة
 شهيرة حتى نقل عن بعضهم أن للنبي ﷺ « ألف » اسم وقد ألف

(١) فتوبة / ٦٢ .

(٢) النساء / ١٢ .

(٣) المائدة / ٩٢ .

(٤) النساء / ٨٠ .

(٥) الفتح / ١٠ .

بعض من أسمائه في أحاديثه الشريفة عليه السلام وكلها باعتبار اشتقاقها
أوصاف مدح دالة على علو قدره وسمو مكانته ومزيد شرفه وعظم
مقامه . وأشهر أسمائه عليه السلام ما جاء في الحديث الشريف وهو (محمد)
وبه ساء جند عبد المطلب ولما ساء به قيل له لم سميت بهذا الاسم وليس
من أساء آبائه ؟ فقال إني لأرجو أن يحمد أهل الأرض فحقق الله رجاءه .
وذكر أبو طالب العابد أنه انما ساء محمداً لرؤيا رآها فقال : أنه رأى :
كان سلسلة فضة خرجت من ظهره لها أربعة أطراف . طرف في
السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم
عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا أهل المشرق والمغرب
كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبثت له : بمولود يكون من صلبه يتعلق به
أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء وأهل الأرض وقد سمعت
أمه آمنة رضي الله تعالى عنها أن قائلاً يقول : إنك حملت بسيد هذه
الامة ، فاذا وضعتيه فسميه محمداً وقد ساء الله تعالى بهذا الاسم الذي هو
(محمد) قبل أن يخلق الخلق ^(١) ، وعن سعيد بن عبد الرحمن الخزومي
عن سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير عن مطعم عن أبيه قال :
« قال رسول الله عليه السلام : ان لي أسماً أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا

(١) روى ابن عساكر عن كعب الأسيار أن آدم قال لابنه « شيت » عليها السلام :
أي بني ، أنت خليفتي من بعدي ، فخذها بعارة تتعوى ، والعروة الوثقى وكما ذكرت
الله فاذكر الله جنب اسم محمد - صلى الله عليه وسلم - قال رأيته مكتوباً على ساق
العرش .. الحديث - . ول الحديث « كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث » رواه
ابن سعد عن قتادة مرسلاً . ٥١ .

المأحي الذي يحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب ، والعاقب : الذي ليس بعده نبي ،^(١) قال العلامة الباجوري في حاشيته على الثمائل الحمدي^(٢) عند الكلام على هذا الحديث الشريف : إن لي أسماء كثيرة : وإنما اقتصر هذه الخمسة لأنها أشهر ، ولكونها المذكورة في الكتب القديمة فقد ذكر في كتاب (شوق العروس وأنس النفوس) عن كعب الأحبار^(٣) : أنه قال : اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة : عبد الكريم ، وعند أهل النار : عبد الجبار ، وعند أهل العرش : عبد الحميد ، وعند الملائكة : عبد الحميد ، وعند الأنبياء : عبد الوهاب ، وعند الشياطين : عبد القهار ، وعند الجن : عبد الرحيم ، وفي الجبال : عبد الخالق ، وفي البراري : عبد القادر ، وفي البحار : عبد المهيمن ، وعند الحيتان : عبد القدوس ، وعند الحوام : عبد الغياث ، وعند الوحوش : عبد الرزاق ، وعند السباع : عبد السلام ، وعند البهائم : عبد المؤمن ، وعند الطير : عبد الغفار ، وفي التوراة :

(١) رواة البخاري ومسلم .

(٢) الثمائل الحمدي للامام القرمذي صاحب «السنن» . ومعني «أي الثمائل» : ١٠٠٠ حديث في صفات النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم الجسمية والخلقية . وانظر ترجمة الامام القرمذي ص (١٣) .

(٣) كعب الأحبار : كعب بن مالك الجبيري ، أبو إسحاق ، كان من كبار علماء اليهود في اليمن زمن الجاهلية ، وأسلم في زمن أبي بكر ، وقدم المدينة في دولة عمر ، فأخذ عن الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام فسكن حصن ونوفي فيها سنة ٥٠٢ : فذكره الحفاظ ، ٤٩١٩ - ٥١ .

« مُؤذٌ ، مُؤذٌ ، وفي الانجيل : « طاب ، طاب » . وفي الصحف :
عاقبة ، وفي الزبور : فاروق ، وعند الله : طه ، ويس . وعند المؤمنين
(محمد) ﷺ .

وقوله : أنا محمد - هو الأصل : اسم مفعول من باب التفعيل ،
بمجرده : صحيح سالم من التضعيف ، وهو (حَمْدٌ) ساءه جده بذلك
(أي محمد) إلهاماً من الله تعالى ورجاء لكثرة الحمد به ، وقد حقق الله
رجاءه . فإن الله حمده حمداً كثيراً بالغاً غاية الكمال ، وكذلك الأنبياء
والأولياء على كل حال ، وأيضاً بحمده الأولون والآخرون وهم تحت
لوائه يوم القيامة عند الشفاعة العظمى ، وورد عن كعب الأحبار : أن
اسم (محمد) مكتوب على ساق العرش ، وفي السموات السبع ، وفي
قصور الجنة وغرفها ، وعلى غور الحور العين ، وعلى ورق شجرة
طوبى ، ومدرسة المنتهى ، وعلى أطراف الحجب ، وبين أعين الملائكة ،

(١) كما ورد في الانجيل أن اسمه - عليه الصلاة والسلام - الذي بشر به المسيح عيسى
عليه السلام هو : « فارقيط » وهو لفظ معرب عن اللفظ اليوناني الموجود في الانجيل
بالترجمة اليونانية . واللفظ اليوناني : « بركاوطوس » ومعناه في اليونانية قريب من معنى
« محمد وأحمد » . جاء في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا : (١٥) « أن كنتم تحبونني
فاحفظوا وصاياي (٢٠) والفارقليط : روح القدس . الخ . (٣٠) « وأكن قد قلت
لكم قبل أن يكون حتى إذا كنتم تؤمنون . وفي انجيل « برنابا » بشارات كثيرة وصرحاً
واضحاً باسم « محمد وأحمد » عليه الصلاة والسلام ولكن هذا الانجيل لا يعترف به معظم
النصارى ، وقد عثر على أول نسخة منه سنة ١٩٠٧ م . مكتوبة باللغة الإيطالية ، عثر
عليها « كزيمير » أحد مستشاري ملكة بروسيا من كتاب العقيدة الإسلامية للأستاذ عبد
الرحمن حسين المبدائي . وإن أردت التوسع فارجع إلى كتاب « محاضرات في النصرانية »
لشبح « محمد أبو زهرة » اه محقق

قال في (مطالع المعرات) ما محصله : وقد اشتهر اسمه (محمد) ﷺ
 اشتهاراً عظيماً ولذلك قال بعضهم : ان هذا الاسم المبارك هو اشتهر
 أسمائه ﷺ بين العالمين ، وألذها لآسماع السامعين وأشوقها إلى الصلاة
 والسلام على سيد المرسلين ﷺ . وهو : علم على ذاته الكريمة ﷺ
 وهو منقول من اسم مفعول (حمد) بالتشديد لإفادة المبالغة إشارة إلى أنه
 ﷺ يتكرر حمده في سائر الأوقات والأعصار على السنة سائر أمته
 الأبرار الأخيار ، لأنه ﷺ محمود على السنة كافة الأمم خلقاً وخلقاً ،
 وأعمالاً وأحوالاً ، وأقوالاً ، وأفعالاً ، وعلوماً وأحكاماً ، وهو محمود
 في الأرض وفي السماء ، ومحمود في الدنيا وفي الآخرة ، وهو خير
 محمود وأكرم موجود وهو الواسطة العظمى لايجاد هذا الوجود وهو
 صاحب المقام المحمود والخوض المورد واللواء المعقود ، وهو صاحب
 الشفاعة العظمى التي يغبطه بها الأولون والآخرون .

وإذا كان هادي الأنام إلى دين الاسلام وشفيع الخلق يوم الزحام
 وموضح الاحكام ومبين الحلال والحرام ، وحبیب الله الملك العلام
 أوصافه الحسنى لا تحيط بها الافلام ونعوته الحسنى لا تصل لضبطها
 الأنياب والأنعام ، فصيف لا يتكرر حمده على مر الليالي والأيام عليه
 من الله أفضل الصلاة وأتم السلام ، ما كرت العصور والدهور والأعوام .

« مطلب » في التسمية باسمه (واللهي من التكني بكنيته) ﷺ

وقد أمر ﷺ بالتسمية باسمه الشريف في أحاديث كثيرة : روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «سما باسمي ولا تُكُنُوا بكنيتي» . وفي الحديث «ينادي مناد يوم القيامة ألا من اسمه محمد فليدخل الجنة» . وفي الحديث القدسي «إني آليت على نفسي لا أدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد» وعنه عليه الصلاة والسلام «ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة»^١ . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها «إن رجلاً نظر في التوراة فوجد اسم محمد ﷺ في أربعة مواضع فكشطها ثم نظر في اليوم الثاني فوجدها في ثمانية مواضع فكشطها، ثم نظر في اليوم الثالث فوجدها في اثني عشر موضعاً فسار من الشام إلى المدينة فإذا قد توفي رسول الله ﷺ فقال لأمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» كرم الله وجهه: أرني ثوب رسول الله ﷺ فأخرجه له فشتمه وقام عند القبر الشريف وأسلم ، وقال : اللهم ان كنت قبلت إسلامي فأقبض روحي سريعاً فوقع ميتاً ، ففلسه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ودفنه في البقيع .

وقد كان في بني اسرائيل رجل عصى الله تعالى مائتي عام فلها مات أوحى الله تعالى إلى موسى : أن غسله وكفنه وصل عليه ، لأنه نظر

(١) رواه ابن سعد عن عثمان العمري مرسلًا ، اهـ .

في التوراة فوجد اسم « محمد » فقبله ووضع على عينيه وصلى عليه
فغفرت له ذنوبه .

« مطلب » في نسبة الله عز وجل نبيه ﷺ بكثير من أسماء

ومن جملة تعظيم الله تعالى لرسوله ﷺ : أن سمّاه بكثير من أسمائه
الحسنى فمن أسمائه تعالى « الرؤوف ، الرحيم » وقد سمي بهانيه ﷺ ،
فقال تعالى (بالؤمنين رؤوف رحيم)^(١) . وقد جعله الله تعالى نعمة كاملة
ورحمة شاملة ، فرحمته ﷺ شملت الانس والجن والملائكة لقوله
تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^(٢) . والعالمون جمع عالم والعالم
ما سوى الله فهو كما أن إرساله رحمة لأمته ، كذلك هو رحمة لجميع الأمم
لأن ظهوره ﷺ أمان من الحسف والمسخ .

وحكي : أن النبي ﷺ قال لجبريل : هل أصابك من هذه الرحمة
شيء قال : نعم ، كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله
عز وجل (ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين)^(٣) . ومن
أسمائه تعالى : نور . وقد سمي نبيه ﷺ : نوراً ، فقال تعالى : (قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين)^(٤) وسماه سراجاً منيراً فقال تعالى :

(١) التوبة / ١٢٨ .

(٢) الأنبياء / ١٠٧ .

(٣) التكاوير / ٢٠ - ٢١ .

(٤) المائدة / ١٥ .

(إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)^(١) . ومن أسماء الله تعالى : الحق المبين ، وقد سمي الله محمداً نبيه ﷺ بذلك فقال تعالى : (حتى جاءهم الحق ورسول مبين)^(٢) . وقال تعالى : (وقل إني أنا النذير المبين)^(٣) وقال تعالى : (قد جاءكم الحق من ربكم)^(٤) وقال تعالى : (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم)^(٥) قيل : هو « محمد » ﷺ وقيل : القرآن . ومن أسمائه تعالى : شهيد ، وقد سمي رسوله محمداً ﷺ بذلك فقال تعالى (ويصكون الرسول عليكم شهيداً)^(٦) . ومن أسمائه تعالى : الكريم ، وقد سماه بذلك فقال : (إنه لقلوب رسول كريم)^(٧) قيل : هو « محمد » ﷺ وقيل هو « جبريل » ، عليه السلام ، ومن أسمائه تعالى : عظيم . وقد قال في حق النبي الكريم (وإنك لعلى خلق عظيم)^(٨) وأعظم من ذلك شرفاً أن الله تعالى أقسم بحياة رسول الله ﷺ فقال تعالى : (لعمرك إنهم لفني سكرتهم يعمهون)^(٩) اتفق أهل التفسير على أن هذا قسم من « الله » جل جلاله

(١) الأحزاب / ٤٥ - ٤٦ .

(٢) الزخرف / ٢٩ .

(٣) الحجر / ٨٩ .

(٤) يونس / ١٠٨ .

(٥) الأنعام / ٥ .

(٦) البقرة / ١١٣ .

(٧) التكاوير / ١٩ .

(٨) قلم / ٤ .

(٩) الحجر / ٧٢ .

بجياة رسوله محمد ﷺ . لأن العمر بمعنى : الحياة ، غير أن العرب فتحت عينه في القسم لكثرة الاستعمال لأن الفتحة أخف من الضمة ، ولذلك روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : ما حلف الله بجياة أحد إلا بجياة محمد ﷺ ، قال : لعمرك .

وقد رفع الله تعالى قدره ﷺ على جميع النبيين وفضله على كافة المرسلين ، وأخذ الله له الميثاق على الانبياء أجمعين فلم يبعث نبياً ولم يرسل رسولاً إلا ذكر له محمداً ﷺ وبين له نعته ﷺ وأخذ عليه الميثاق أن أدركه ليؤمنن بشريعته وليكونن من جملة أمته قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين)^(١) الآية . . . قال أمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » سكرم الله وجهه ورضي الله عنه : لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في « محمد » لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه .

« محمد » ﷺ أمر الانبياء بعته وأولهم ذكراً

وهو ﷺ آخر الانبياء بعته وأولهم ذكراً وأعلام فخراً ، ولذلك قدمه الله تعالى في الذكر فقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح)^(٢) الآية .

روي عن « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به

(١) آل عمران / ٨١ -

(٢) النساء / ١٦٣ -

النبي ﷺ فقال : يا بني أنت وأمي يارسول الله : لقد بلغ من فضيلتك عند الله أنت بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم ، يا بني أنت وأمي يارسول الله : لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ، يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : جلس أناس من أصحاب النبي ﷺ يتذكرون ، فقال بعضهم : أعجبني أن عيسى كلمة الله وروحه ، فخرج النبي ﷺ فسمع كلامهم فقال « آدم صفي الله وهو كذلك ، وإبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وهو كذلك ، أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك خلق الجنة ولا فخر ، فيفتحها الله لي قيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين »^(١)

« مطلب » في شمائل الشريف ﷺ

وقد كان ﷺ جامعاً لجميع أوصاف الكمال محيطاً بكافة الفضائل والأفضال فلم يكن لأحد من النبيين والمرسلين فضيلة إلا وقد كان نظيرها لرسول الله ﷺ ، أما من جهة حسنه وجماله ، وتناسب

(١) رواه الترمذي وغيره .

أعضائه وبياض وجهه ، وسعة صدره ، وطيب آثاره ، وكثرة
أنواره ، ومحاسن الغراء ، وطلعت الزهراء ، فهذه أوصاف يكل^(١)
عن دركها الجنان وعن وصفها اللسان . فلم ير أحدا ذا لثة سوداء في
حلة حمراء أحسن من سيد الأنبياء ﷺ قال أبو هريرة رضي الله عنه :
« ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ . كانت الشمس تجري في
وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدُر نورها^(٢) . وسأل رجل جابر
ابن سمرة رضي الله عنه عن وجه رسول الله ﷺ فقال : « كان مثل
الشمس والقمر^(٣) » وفي حديث ابن أبي هالة « يتلألأ وجهه تلألأ
القمر ليلة البدر يقول : « لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ »^(٤) .
وأما نظافة جسمه ، وطيب ريحه وعرقه وتزهره ﷺ عن
الأدناس فأمر معلوم مشهور لجميع الناس ، وعن أنس رضي الله عنه أنه
قال : « ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيء أطيب من ريح
رسول الله ﷺ »^(٥) وعن جابر رضي الله عنه أنه قال : أردفني النبي
ﷺ ، فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكاً .

(١) في القاموس المحيط : كَلَّ « كثر » : ثعب . والجنان : القلب . اهـ .

(٢) رواه الترمذي وغيره .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذي وغيره .

(٥) رواه الامام أحمد .

« مطلب » في وفور عفته ، وفصاحة لسانه ﷺ

وأما وفور عقله ﷺ ، وذكاء لبه وقوة حواسه ، وفصاحة لسانه وبديع بيانه ، وبليغ تبينه وكثرة فضائله وحسن شمائله ، فذاك البحر الذي ليس له ساحل ولا تحيط بكنهه الأواخر والأوائل فقد كان ﷺ أعقل الناس وأذكاهم ، ومن تأمل حسن تدبيره وسياسته للعامة والخاصة ، مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع من دون ممارسة سلفه ، ولا مطالعة سبقت ، لم يتر في رجحان عقله وقوة فهمه وغزارة علمه . قال « وهب بن منبه » : قرأت واحداً وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها : ان النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً .

وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا .

ومع ذلك أوفي ﷺ فصاحة اللسان وبلاغة الكلام وخص بجوامع الكلم ، فقد كان من جهة الفصاحة والبلاغة وإيجاز الأنفاظ ورشاقة المباني ولطافة المعاني في المحل الأفضل والمكان الذي حاشاه أن يجهل ، فكان يخاطب كل أمة بلسانها ويحاور كل جماعة بلغتها ويباريها

أي يعارضها في مَنَزَع^(١) بلاغتها . ومن تأمل رسائله ﷺ وكتبه
التي أرسلها إلى هَمْدَان^(٢) وغيرها علم حقاً وصدقاً أنه ﷺ :
أحاط باللغات العربية خيراً وقد كان يخاطب قوماً من العرب وآخرون
من قبيلة أخرى يسمعون كلامه ولا يفهمون مرامه حتى كان كثير من
أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ونظامه .

« نسبه الشريف » ﷺ من جهة « أبيه وام » ،

وأما « نَسَبُهُ » ﷺ فنأهيك به من نسب غلا إلى أعلى الرتب ،
وسما شرفاً وفخراً بين أكابر العرب ، ونسبه الشريف من جهة أمه
وأبيه أعظم نسب عظمت رجاله في البدو والحضر ، وشرف به في
البطون الذكية العربية عدنان ومضر .

فأما نسبه من جهة أبيه ﷺ : فهو ﷺ سيدنا : محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وإلى
هنا ينتهي نسبه الشريف من جهة آيائه الكرام وأجداده العظام وما فوق
ذلك ففيه خلاف كثير وقد نص بعض الأئمة : على كراهة رفع نسبه

(١) في القاموس المحيط : المَنَزَع : الميل إلى العاقبة . وجهه تمازج . اهـ .

(٢) همدان : بفتح الهاء وسكون الهمزة : قبيلة باليمن : القاموس المحيط ج ١ ، اهـ .

الشريف عليه الصلاة والسلام إلى أبي البشر صفى الله آدم عليه
الصلاة والسلام .

« نسب الشريف » من جهة أمه رضي الله عنها

وأما نسب الشريف من جهة أمه رضي الله عنها فهو عليه السلام
سيداً : محمد بن آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم . وفي
حكيم يلتقي نسب أمه المكرمة مع أبيه المعظم رضي الله تعالى عنها ^{عليه السلام}
« فائدة » في بيان معنى بعض أسماء أجداده عليه السلام .

(١) جاء في كتاب (مراحل السالكين) لأقطب الفوت السيد محمد مهدي بهاء الدين
الشيرازي أن أقطب الفوت السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه - قوله : -
(أجمع أوليائه الله العارفون به والتفوا على أن أبوي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - في
الجنة ، ولما عند الله التزكية الرفيعة والزينة الشريفة وهما من أعلل الإيمان ..) إلى آخر كلام
شريف ومجيد لطيف . أورده الأستاذ الجليل : عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط . حفظه
الله . في حاشيته على كتاب طي السجل من (٢٤٥) فارجع إليه إن شئت .
قلت : وهو ما أثبت وأقره السيد الزواجر رضي الله تعالى عنه أيضاً في كتابه « طي
السجل » من (٢٤٤) . وما أشار إليه المؤلف السيد أبو القاسم رضي الله تعالى عنه بقوله :
[رضي الله تعالى عنها] عند ذكر أم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعند ذكر أبيه .
راجعاً أن أردت التوسيع لأبيه في كتاب « كشف الحقا ومزيل الالباس للمحدث المعجلوني
« رحمه الله » . من (٥٩ - ٦٢) فإنه حكى فيه خلافاً بين العلماء وحكى عن الإمام
« البيهقي » عدم التعارض بين التعويض الواردة في ذلك وأنه « رحمه الله » ألف
المؤلفات العديدة في « اسلام والدي المصطفى » صلى الله عليه وسلم . وإليه مال
العلامة « الشهاب الخفاجي » في كتابه « الجالس » وارجع إليه إن شئت في كتاب « تمييز
الطيب من الخبيث » للعلامة « عبد الرحمن ابن الدبيع الشيباني وفي قبرهما من مكتب
الحديث . اهـ . علقه

واسم عبد المطلب: شبيه الحمد سمي بذلك لأنه ولد وفي رأسه شبيهة
مع رجاء حمد الله تعالى له وإثما قيل له : عبد المطلب : لأن عمه المطلب
لما جاء به من عند أخواله بني النجار بالمدينة صغيراً أردفه خلفه وكانت
ثيابه رثة فسألوه عنه فأخبرهم : بأنه « عبد » حياء من أن يقول : ابن
أخي ، ف قيل له : عبد المطلب .

واسم هاشم عمر ، والعلاء . سمي به لعلو مرتبته وعظم شأنه ، ولقب
بهاشم لحشمه الثريد للناس في مجاعة أصابتهم ، واسم قصي : زيد ، ولقب
بقصي لأنه قد صَيَّ : أي : بعدد عن عشيرته . وفهر : هو مجمع قريش
عند الأكثرين ، فمن كان من ذريته فقرشي ومن لا ، فلا .

واسم النضر : قيس ، ولقب بالنضر ، لنضارة وجهه ، وحسن لونه .
واسم مدركة « عمرو » ولقب بمدركة لأنه أدرك كل عز وفخر ، وسمي
الياس : ياساً . لأنه ولد بعد كبر سن أبيه . وبالجملة فهذا النسب لياسويه
نسب في المشارق والمغرب وفيه يقول البوصيري ^(١) رحمه الله تعالى :

نسب تحسب العلا بحلاه قللتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار أنت فيه اليتيمة العصماء

وقال بعضهم

نسب كان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عوداً

(١) البوصيري : محمد بن سعيد بن خالد بن عبد الله الصنعاجي البوصيري المصري :
شاعر ، حسن الديباجة ، « مفتح المعالي » . كان يعالي صناعة الكتابة وافر الشرفية ببليوس
(مصر) . أشهر شعره : البردة ، و « الحمزية » . توفي رحمه الله سنة - ٩٩٦ هـ - ١٠١٠ هـ .

فهو عليه السلام الدرُّ النضيد، والجوهر الثمين القريد، المستخرج من
أصداف البطون الطاهرة والأصلاب العلية الفاخرة، ويكفيه شرفاً
عند عظماء أهل الدين قوله تعالى: (وتقلبك في الساجدين) ^(١) وقد علم
العرب الأعيان بطناً بعد بطن وجيلاً بعد جيل أن رجال نسبته عليه
الصلاة والسلام أعظم العرب جرثومة ^(٢) وأزكاها أرومة ^(٣) وأحسنها
ذكراً، وأجلها قدراً، وعلى ذلك جاهلية العرب قبل الإسلام، وصدور
هذه الملة من أمته عليه الصلاة والسلام، والله در من قال:

وأرى السيادة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بان نجيب
نسب تورث كبراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب

«محمد» عليه السلام: خيرة الخيرة من الخلق.

ولما كان عليه الصلاة والسلام هو منتقى هذا النسب الشريف الطاهر
ومجتبى عموده الفاخر، قال مقتضراً بما من الله به عليه، وبما قاده من الجهد
بلاكه إليه، ومعلماً لنا ونخبراً جزاه الله عن أمته خيراً: «إن الله
خلق الخلق فجعلني من خيرهم، من خير قرنتهم، ثم تخير القبائل فجعلني
من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً
وغيرهم بيتاً» ^(٤) وقال عليه السلام: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل،

(١) الشعراء / ٢١٩ / .

(٢ - ٣) في القاموس المحيط: جرثومة الشيء: وأرومة: أصله.

(٤) رواه الترمذي. عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً ،
 واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ،^(١) قال
 الترمذي . حديث صحيح .

« فائدة » في حب العرب

روى الطبراني أنه قال عليه السلام « إن الله تعالى اختار خلقه فاختار
 منهم بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشاً ثم
 اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم
 أزل خياراً من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض
 العرب فببغضي أبغضهم » .

« مطلب » في فضائل الهجرة وأهلها

أما الخصال الحميدة ، والآداب الشرعية الفريدة التي اتفق جميع
 العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما
 فوقها ، وأثنى الشرع الشريف على جميعها وأمر بها ، ووعد بالسعادة
 الأبدية والسيادة السرمدية لمتخلق بها ، ووصف بعضها بأنه من أجزاء
 النبوة وهي المماسة بحسن الخلق والواسطة العظمى لتوجه قلوب
 الخلق، وسره الطبيعي ظاهر في كل شخص حسن الخلق، لين العريكة ،
 هين الجانب ، فإن طبع كل واحد من الناس يميل إليه ، ويحنو عليه ،

(٢) رواه الترمذي عن والده . وقال الترمذي « حديث صحيح » : الفتح
 الكبير ١ / ٣٢٣ . هـ .

عكس السبيء الخلق الفظ الغليظ ، فإنه مهبا علا عنصره وعظم في الأمر الدينوي قدره ، فإنه وإن لامة جليسه في حضرته فلا شك في أنه يكرهه بنفسه ويذمه بغيبته وذلك نقص عظيم بأصحاب العناصر العالية وعيب لا يدفعه حال من الأحوال ، فما أعظم منة الله على هذا السيد العظيم والمصطفى المختار الكريم الذي تخيره الله من خليقته حسبا ونسبا وذاتا وخلقاً ، وما ذلك الا التأييد الإلهي الذي يقر له الجاحد ولا يقتدر على إنكاره المكابر والمعاند .

حسن الخلق : هو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها ، والتوسط فيها دون الميل الى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الإنتهاء في كمالها ، وبلوغ الغاية في اعتدالها ، حتى أنفي الله تعالى بذلك عليه فقال « تعالى » تعظيماً لشأنه واظهاراً لما خصه به من جزيل إحسانه (وإنك لعلى خلق عظيم)^(١) قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها : « كان خلق الرسول ﷺ : القرآن ، يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه »^(٢) ، وقال ﷺ « بعثت لأتم مكارم الأخلاق »^(٣) ، وقال أنس رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أحسن

(١) الم / ٤ / .

(٢) رواه الامام أحمد ، ومسلم وأبو داود .

(٣) أورده مالك « ل » المتوسط « ، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن عبد البر : هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره مرفوعة . ورواه البيهقي ، والحاكم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه باللفظ « بعثت لأتم صالح الأخلاق » . اهـ

الناس خلقاً^(١) وروي عن أمير المؤمنين سيدنا علي عليه السلام وكرم الله وجهه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا على هذه الأخلاق العالية ، والأوصاف السامية في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له بتعلم من كتاب ولا برياضة واكتساب ، وإنما هي بجود الهي وفيض رباني كما أن سائر الانبياء العظام كانت اخلاقيهم العالية موهبة من الملك العلام ذي الجلال والاكرام ، وما خير عليه السلام بين أمرين إلا اختار أيسرها ما لم يكن إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها .

« مطلب » في امراض عليه السلام عن الجاهلين ومبره ومحمد

وكان من خلقه عليه الصلاة والسلام : الإعراض عن الجاهلين الذين يخوضون في الآثام ويقولون فيما لايعنيهم من الكلام ، ويتجاسرون على إيدانه عليه الصلاة والسلام ، وما أعز هذا الخلق فإن فيه راحة قلب ، وعزة نفس وسلامة صدر ، وقد تخلق بخلق العالين وتادب بأدبه المبارك صدور الأمة المحمدية وأكبرها وعقلاؤها .

وهذا الأدب من لوازم الشهامة وعُلُو الطبع ويستظرف في هذه المناسبة قول أبي اسحق القرطبي^(٢) :

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه .

(٢) القرطبي : عبد الله بن الحسن بن أحمد الأنصاري القرطبي المالقي : من حفاظ الحديث ، ومن الكتاب القويين الشعراء . وله « بحال » وله تصانيف في « الفرائد » والعروض . توفي رحمه الله سنة ٦١١ هـ : الإصاية ١٠١١ - بنية الوعاة (٢٨٠) ام .

إذا سب عرضي ناقص القدر جاهل فليس له إلا السكوت جواب
ألم تر أن الليث ليس يضره إذا نبحت يوماً عليه كلاب

وقلت :

هو النور الذي يهده ربي جلا ظلم الضلال المدبغة
وقام الجاهلون ليطفؤوه ويأبى الله إلا أن يُثمه

وكان ﷺ : كثير الصبر والتحمل للأذى وكان يقابل المسيء
بالإحسان وإذا صدر من قوم في شأنه عليه الصلاة والسلام حال لا يناسب عظيم
قدره الكريم يقول عافياً ﷺ : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .
قال القاضي أبو الفضل « رحمه الله تعالى » : انظر ما في هذا القول
من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية
الصبر والحلم إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى سامح وعفا ولم
يقابلهم بالجفاف ثم لم يكتف بذلك حتى منحهم بحض الجود والعناية فدعا
لهم بالمغفرة أو الهداية فقال : « اللهم اغفر » وفي رواية « اللهم اهد » ،
وبين انتسابهم إليه وخصوصيتهم لديه فقال : قومي ، ولم يكتف بجمع
ذلك حتى أتى عنهم بالاعتذار ، رجاء عدم المؤاخذه على ما صنعوه من
الأوزار فقال : فإنهم لا يعلمون ولم يؤاخذ ﷺ « لبس بن الأعصم »
حين سحره ولا عاقبه ولا عائبه وعفا ﷺ عن اليهودية التي سميت
الشاة وقدمتها للحضرة النبوية ، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها
« ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن

حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى وما ضرب خادماً ولا امرأة^(١) . وجيء إليه برجل فقيل له : هذا أراد أن يقتلك فقال ﷺ للرجل « لن ترع لن ترع ولو أردت ذلك لم تسلط عليّ » وما ذلك إلا من علمه ووثوقه بعصمة الله تعالى له مع صحة اليقين والتوكل على ربه « جل علاه » وعلى ذلك أصحابه الكرام وأهل بيته الأعلام فإنهم رضي الله تعالى عنهم لهم به ﷺ أسوة حسنة من الصبر على المصائب والاتجاه إلى الله تعالى عند النوائب والاعراض عن غيره « سبحانه وتعالى » طلباً لجمل العواقب وما أحسن قول الحسن بن محمد النيسابوري « رحمه الله تعالى » :

بمن يستغيث العبد إلا بربه ومن للفتى عند الشدائد والكره
ومن ممالك الدنيا ومالك أهلها ومن كاشف البلوى على البعد والقرب
ومن يدفع الغماء وقت نزولها وهل ذاك إلا من فعالك يا رب

والأحاديث الواردة في حلمه ﷺ عز* أن تحصى ويكفيه شهادة الحكيم العليم (وإنك لملى خلق عظيم) .

(لطيفة) في الحث على التخلق بأخلاقه الشريفة ﷺ

ألا وإن العمل بأخلاقه عليه أفضل الصلوات وأشرف التسليمات غاية الطريق إلى الله باطناً وظاهراً ، وهو السبيل المأمون والمنهج الميمون ، وفيه تشرف العارفون وبه وصل الواصلون ، وانتظم به أمر

(١) رواه مسلم .

الدنيا والدُّين وصح به صلاح الأحوال في العالمين ، وقد اقتدى بأخلاقه النبوية وسيرته الحميدة رجال من أصحابه وأهل بيته وأعيان أمته ، فوصل كلهم إلى الله تعالى وأظهر الله سبحانه وتعالى على أيديهم الحقائق ومكشهم من الإطلاع على الحقائق .

وما وصل من وصل إلا ببركة التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ ، والافتداء به عليه الصلاة والسلام ، في الأحوال والأفعال .

وليعلم أيضاً أن كل من لزم بابَه العَالِي ﷺ وتخلق بأخلاقه ، واقتدى به حق الاقتداء وصل إلى سعادة الدارين وعُدَّ في عِباد الله الصالحين ، وصار من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، لأنه ﷺ الرحمة العظمى والبركة الشاملة والطريقة الواضحة والسبيل إلى الله عز وجل وهذه نِزَّة يسيره من أخلاقه الكريمة عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليّات .

« مطلب » في مودته وسفائه وكرمه ﷺ

وأما ماله ﷺ من الجود والسخاء والكرم والسماحة والفضل وعلو المهمم فحاشا ثم حاشا أن يوازي في مثل هذه الأخلاق ، ومن يوازي أو يوازن هذا النبي الكريم ، والسيد البر الرحيم ، الذي أتت مدحته بنص القرآن العظيم ففي البخاري « ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال لا ، وفي ذلك أقول :

ما قال لا لفقير قام يسأله ولا بغير رضا الرحمن فاه : بلا
عنت مكارمه الاكوان فهو متى نودي لكشف البلاء فلا يقول : بلى

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال : « كان عليه السلام أجود
الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان ، وكان أجود من الريح
المرسلة » ^(١) وعن أنس رضي الله عنه « أن رجلاً سأل فاعطاه غنماً بين
جبلين فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى
الفاقة » ^(٢) وأعطى غير واحد مائة من الإبل « وأعطى صفوان » ^(٣) :
مائة ثم مائة ثم مائة » ^(٤) وهذه كانت حاله عليه السلام ، وقد رد على هوازن
سبأياها وكانوا ستة آلاف ، وأعطى العباس ^(٥) من الذهب ما لم يطق

(١) رواه الترمذي : عن ابن عباس رضي الله عنها . .

(٢) رواه مسلم . .

(٣) صفوان : أبو وهب . صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجهمي : صحابي
فصيح ، جواد ، كان من أشرف قريش في الجاهلية والإسلام . أسلم بعد الفتح وكان من
المؤلفة عليهم ، وشيد البرموك ، ومات بكة سنة ٤١ هـ . له في الصحيحين (١٣) حديثاً ؛
تذييل التذييل ٤/٤٢٤ . والاصابة ٢/١٨٧ . هـ .

(٤) رواه مسلم . وفي مغازي الواقدي : « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى
صفوان يومئذ وأبداً ملوفاً إبلاً ونعماً فقال صفوان : أشهد ما طابت بهذا الاثنتي لبي .
وأسلم » .

قلت : وإنا أعطاء ذلك لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم أن داءه لا يزول إلا بهذا
الدواء وهو : الاحسان ، فعالج به غيرة من داء الكفر الذي كان قد استحكم في نفسه .
وأسلم رضي الله تعالى عنه . هـ .

(٥) العباس : ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف : من أكابر قريش في الجاهلية
والاسلام ، وهو عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان واسع العقل ، سيد الرأي . وكانت

حملة ، « وحل اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها
 يقسمها فأرد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال : ما عندي
 شيء . ولكن ابتع علي ، فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك
 الله ما لم تقدر عليه فكره النبي ﷺ ذلك ، فقال رجل من الأنصار :
 يا رسول الله ، أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا ، فتبسم النبي ﷺ
 وعرف البشر في وجهه وقال : بهذا أمرت ^(١) . قال أنس رضي الله
 عنه « كان النبي ﷺ لا يدخر شيئا لغد ^(٢) » والأخبار الواردة فيها له ﷺ
 من الجود والكرم مشهورة عند العرب والعجم معروفة عند سائر الأمم .

« مطلب » في قوة وشجاعة ﷺ

وأما ما لصاحب الشفاعة من القوة والشجاعة فذلك معلوم لكل إنسان
 فلا يحتاج إلى دليل ولا برهان ، وكتب الأحاديث والسير النبوية طائفة بذكر
 شجاعته وعظيم ثباته وقوته فقد وقف المواقف المروءة وهجم فئزم الأحزاب غير
 مرة وهو ﷺ ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وقد ورد ^(٣) :
 عن أبي إسحق أنه منع البراء ورجل يسأله : أفررتم يوم حنين عن رسول

الله حفاة الحاج وحمارة المسجد الحرام . أسلم قبل الهجرة وكنتم إسلامه وأقام بمكة بركة ثم
 هاجر إلى المدينة . وشهد وقعة حنين ، وفتح مكة . وكف يده في آخر عمره . له في
 الصحيحين (٥٠) حديثا . وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ٦٣ هـ . اهـ . بحقه .

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه الترمذي : عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) من رواية البخاري « رحمه الله ورضي عنه » .

الله ﷺ؟ قال : نعم ، لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ ، ثم قال : لقد رأيتني على بغلته البيضاء وأبو سفيان أخذ يلجامها والنبي ﷺ يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وكان رسول الله ﷺ إذا غضب لا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء ، قال ابن عمر رضي الله تعالى عنها : « ما رأيت أشجع ولا أنجده ولا أجود ولا أَرْضَى من رسول الله ﷺ »^(١) . وعن أنس رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس »^(٢) . قال عمران بن حصين^(٣) : ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب .

« لطيف » في كونه ﷺ لمزيد شجاعته سماه الله تعالى بأسماء نزل على هذه الصفات

ولفرط قوته ومزيد شجاعته . عليه الصلاة والسلام سماه الله تعالى بأسماء دالة على هذه الصفات الشريفة فمنها « رسول الملاحم » والملاحم : جمع ملحمة ، وهي : الحرب والقتال أو مكانها أو الحرب الشديدة والوقعة

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري وغيره .

(٣) عمران بن حصين : أبو نجيد ، عمران بن حصين الخزاعي : صحابي ، كانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة ، وبث عمر إلى أهل البصرة ليعقبهم ، وولاه زياد قضاءها . كان من ألبشاه الصحابة . وله في الصحيحين « ١٨٠ » حديثاً نولفرضي الله عنه سنة ٢٤ هـ : ١٥ العمود اللؤلؤية ٢/ ٢ - ٣ / - تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٨ - تهذيب التهذيب ٨ / ١٢٥ - ١٢٦ هـ .

العظيمة ، مأخوذ من اشتباك المحاربين والمقاتلين ببعضهم كاشتباك لحمه الثوب بسداه أو هي من كثرة اللحم ، لكثرة لحوم القتلى فيها . ومنها « سيف الله » سمي به لأنه مبيد المشركين وقامع المعتدين ومشت الطاغين وناصر الموحدين ، ومؤيد هذا الدين .

ومنها « حزب الله » سمي به مع أن الحزب لا يطلق إلا على الجماعة : إشارة إلى أنه لثبات قلبه وفرط قوته وعظم شجاعته قائم مقام جماعة ، بل هو على الحقيقة قائم بجمته مقام جموع فانه بعثه الله تعالى وليس يومئذ على ملتنا الحنيفة على وجه الأرض أحد فقام بأمر الله تعالى ودعا إلى الله تعالى حتى حصل له الفتح القريب ، والنصر العجيب ، وقد نصر ﷺ بالرعب مسيرة شهر وقال : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »^(١) .

« لطيف » في مبادئ وأغضائه ﷺ

وأما حياؤه وأغضائه ﷺ فقد كان أشد الناس حياءً وأكثرهم إغضاءً لم يقابل ﷺ أحداً من الموحدين بما يكره قط ومما يدل على كثرة حيائه عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : (أن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم)^(٢) وعن أبي سعيد الخدري أنه قال : « كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه وكان ﷺ لطيف البشرية ، رقيق الظاهر ، لا يشافه أحداً

(١) هو : صدر حديث رواه أحمد في مسنده والترمذي ، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب / ٥٣ - /

بما يكرهه حياء وكرم نفس^(١) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعونه أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله^(٢) وفي الحديث « الحياء من الإيمان » رواه مسلم وعنه ﷺ : « الحياء والإيمان قرناؤه جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر^(٣) » وعنه ﷺ : أنه قال : الحياء هو الدين كله^(٤) وفي حديث آخر « الحياء خير كله^(٥) » وفي حديث « الحياء من الإيمان وأحب أمتي عثمان » وأحاديثه الواردة في حق ما جبل عليه ﷺ من الحياء أكثر من أن تحصى .

« لُبُّهُ » في كونه ﷺ مسمى العشرة

وكان ﷺ حسن العشرة ، كثير الأدب ، يتفقّد أصحابه ويعطي كلاً من جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ،

(١) رواه البخاري في صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وفي « الأدب » .
وسمى في « فضائل النبي صلى الله عليه وسلم » . وابن ماجه في الزهد . برقم (٤١٨٠) . اهـ .

(٢) رواه أبو حنود عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . اهـ .

(٤) رواه الطبراني ، وأبو الشيخ : في الثواب عن « قرة بن إياس » . وأبو الشيخ هو : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري الأصمعي ولد سنة ٢٦٤ هـ . وتوفي سنة ٣٦٩ هـ . اهـ .

(٥) رواه مسلم .

كل من جالسه أو قاربه لحاجة صابره^(١) حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً ، وصاروا له أبناء ولا زالوا عنده في الحق سواء ، وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ، قال تعالى في حقه (فبأرحمة من الله كنت لهم)^(٢) قال أنس رضي الله عنه : « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ! فما قال : أف قط ولا قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ »^(٣) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها « ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ! ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : لييك وكان ﷺ يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر^(٤) » وكان ﷺ يبدؤ من يلاقيه بالسلام ويبدؤ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيّق بها على أحد ، يكرّم من دخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها إن أتى ويكنّي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرّماً لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً^(٥) ، قال عبد

(١) في القاموس المبسط : صابرة : فلا : غالب في الصبر .

(٢) آل عمران / ١٥٩ .

(٣) رواه القزويني .

(٤) رواه الإمام أحمد وغيره .

(٥) رواه أحمد وغيره .

الله بن الحارث « ما رأيت أحداً أكثر تبساً من رسول الله ﷺ »^(١) ،
والغالب أن ضحك رسول الله ﷺ هو : التبسم كما ورد ذلك في
أحاديث كثيرة وأخبار شهيرة وفي بعض الأحيان كان يضحك ﷺ
حتى تسدوا نواجذه ، والنواجذ : أقصى الأضراس ، وذكر بعضهم
تفصيلاً حسناً وهو أنه كان يضحك في أمور الآخرة ويتبسم في أمور
الدنيا ، ويؤيده جملة أحاديث مذكورة في الشرائع^(٢) .

« لطيف » في وفاء

وأما وفاؤه ﷺ بالوعود ، وقيامه بالمواثيق والعهود فمشهور في
سائر أقطار الوجود ، ومعلوم لكل موجود ، لا يعتريه انكار ولا جحود
والأحاديث في حقه متواترة والأخبار في وصفه متكاثرة وفي الحديث
« عن عبد الكريم بن عبد الله شقيق عن أبيه عن عبد الله ابن أبي الحساء
أنه قال : بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية

(١) أخرجه الترمذي في الناقب برقم (٥٦٤٥) وهو مما انفرد به .

(٢) منها ما يورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إني لأعلم أول رجل يدخل الجنة ، وآخر رجل يخرج من النار » يؤتى أول رجل يوم
القيامة فيقال : اهزأ علي صفار ذنوبه وينبأ عنه كبارها ، فيقال له : عملت يوم كذا ،
كذا وكذا ، وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها ، فيقال : أعطوه مكان كل سيئة
عملها حسنة ، فيقول : إن لي ذنوباً لا أراها هينة . قال أبو ذر : فلقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضحك حتى يبت نواجذه . . أخرجه الترمذي في صفة جهنم ،
وسلم في الإيمان ، والبخاري في التوحيد وصفة الجنة ، وابن ماجه في الزهد . وانظر في
التهذيب للمصنف الترمذي برقم « ٢٩٩ » . اهـ .

فوعده أن آتية بها مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: يا فتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك»^(١)

«لطيف» في تواضع ﷺ

وأما تواضعه ﷺ مع علو منصبه ورفعة قدره وسمو منزلته وعظم جاهه فقد كان أشد الناس تواضعاً، وأبراهم من الكبر، وقد أمر ﷺ بالتواضع في أحاديث كثيرة، قال ﷺ: «تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله تعالى وتخرجوا من الكبر» رواه أبو نعيم في الحلية. قال العلامة المناوي في قوله: تكونوا من كبراء الله تعالى: أي الكبراء عنده وفي الحديث «تواضعوا لمن تعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم»^(٢) وفي الحديث «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا - كثرة - فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل» رواه ابن أبي الدنيا وفي الحديث «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»^(٣).

(١) رواه أبو حازم.

(٢) رواه الطبراني في الجامع عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

« مطلب » في الوقوف عند مر العبودية

إن مقام العبودية هذا أعلى المقامات ، ورتبته أعظم الرتب وهو المنصب الرفيع والحسب الأعلى لأن فيه سر الوقوف عند حد المخلوقة والتبوت تحت نفوذ الأوامر الإلهية ، والانقياد الكامل لمراسم الشريعة الربانية ، وهذا طريق الأنبياء والمرسلين وعليه كُـمِّل أفراد الأولياء والصالحين ، وقد عد العارفون من أهل الله مقام الانبساط والادلال الذي يحصل من القوم ويرتاح له بعضهم حالة كونهم غائبين عن شهود أنفسهم مطموسين في بحر الفناء عن الأغيار : مقام نقص عند أهل الكمال منهم وقالوا : إن هذا الانتساب إنما ينشأ من الانسلاخ عن رؤيا حد العبودية ، فيتطرق لسان الفناء بلسان البقاء وينطق لسان العجز بلسان القدرة ، وعند الخروج من ساحة الانبساط المذكور يقع العبد من مرتبة انبساطه إلى مرتبة عبوديته الصحيحة ويتوب من هفوته ويعدّها زلة توجب الذلة ، حتى إن أهل الكمال الذين وصلوا إلى مرتبة المتابعة الجامعة إذا دخلوا ساحة الانبساط ازدادوا - طيب قلب وارتياح لب ، وتمكنوا في مقام انبساطهم أجموا الألسن عن التكلم بما ينافي رتبة العبودية في تلك الحضرة العلية ولينظر إلى ما قاله شيخنا السيد « أحمد الكبير الرفاعي » ^(١) رحمته الله إلى سبطه القطب الأنجب

(١) انظر ترجمته من (٩٤) .

السيد ابراهيم الأعزب^{١١} قدس سره : كل القوم شربوها فتحككت فيهم
فمربدوا إلا - جذك - شربها وتحكم عليها. وقال رضي الله عنه: دخلت
على الله من كل باب فرأيت على الكل ازدحاماً عظيماً فدخلت من باب
الذل والانتكار فوصلت ونلت مقصودي والطلاب على الأبواب .
وذكر الشيخ الحجة مولانا عبد الوهاب الشعراني^{١٢} الشافعي قدس
سره في كتابه : الجواهر والدرر . الذي ألفه في استفادته من شيخه
المحقق العارف بالله سيدي علي الخواص^{١٣} رحمه الله

(١) السيد ابراهيم الأعزب : أبو إسحاق ، ابراهيم بن علي الملقب بالأعزب : من
أهلبان مشايخ - الطائفة - في العراق ، وأعلام العارفين ، وحضور المحققين . صاحب كتاب
الشيخ « أبو العباس أحمد بن الحسين الرافعي » رضي الله عنه . وأخذ عنه علم الطريق .
وتخرج به . ولقي جماعة من مشايخ العراق . كان علماً عاملاً كريماً حاشعاً ذا حياء وافر .
وحقل وصبر . وفقياً على مذهب الشافعي . رحمه الله . وله كلام عال على لسان أهل
المعارف . منه : العبودية في أربع غصائل : الوفاء بالعبود ، والحفظ للحدود ، والرضا
بالموجود ، والصبر على المفقود . وكان شيخ الرواة في « أم عبيدة » انتمى اليه جماعة من
الأكابر . وتلمذ له كثير من . توفي رضي الله عنه سنة « ٦١٩ » هـ : التاريخ الأوحى :
للمؤلف (بحث أسباط السيد الرافعي) ص « ٥٩ - ٦٩ » . وانظر ترجمته في مكتبته
« البحجة » للشطوطي . وفي « إرغام أولياء الشيطان » للناوي . وفي « شفاء الأسقام »
لنكازولي وفي « مناقب الصالحين » لأحمد الوترى . وغيرها . هـ .

(٢) عبد الوهاب الشعراني : أبو محمد ، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي . نسبة
إلى : محمد بن الحنفية « الشعراني » من علماء التصوفين وله في « فلقشدة - بهر » وتوفي
في « القاهرة » . له تصانيف جليل منها « أطراف المسان » و « اليواقيت والجواهر »
و « الميزان » وغير ذلك . توفي رحمه الله عام « ٩٧٣ » هـ : تحطيط مبارك : ١٠٩/١٤
والنتاج : مادة « شعر » . هـ .

(٣) علي الخواص البرلسي : شيخ السيد عبد الوهاب الشعراني وأستاذه ، كان آمياً
لا يقرأ ولا يكتب وكان يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً فخر فيه
العلماء . وكان من أعلام الكشف وله الكرامات التي لا تحصى : الطبقات الكبرى : ١٣٥/٢ هـ

فقلت له : (أي لشيخه) فإذا ؟ ١٩ مقام الإدلال في هذه الدار نقص ؟
 فقال عليه السلام : نعم ، لأنها دار تكليف ، ومتى يتفرغ العبد للإدلال !
 وجميع الحقوق الإلهية تطلبه في كل نفس ولحظة ، وقل عبد يخلع الحق
 تعالى عليه خلعة السيادة إلا ويدخله شهود الزهو والمعجب ومن هنا
 قال بعضهم : أقعد على البساط وإياك الانبساط . أي : أقعد على بساط
 العبودية وإياك ومقام الإدلال مادام التكليف ولكن إذا حفظ الله العبد
 لا يضره لبس خلعة السيادة فيبرز فيها عبداً في نفسه سيداً عند الناظرين
 ولما خلعت هذه الخلعة على « أبي يزيد »^(١) صار الناس يتبركون بمرقعته
 فلامه بعض الناس فقال : إنما يتبركون بخلعة الحق تعالى لأبي يزيد !
 ورأى بعض الفقهاء الشيخ « عبد الله »^(٢) بن أبي جرة « المدفون بقرافة
 مصر عليه السلام وهو جالس على كرسي وعليه حلة خضراء والأنبياء كلهم
 واقفون بين يديه فاشكل ذلك عليه فعرضه على بعض العارفين فقال له : وقوف
 الأنبياء إنما هو أدب مع من ألبس الخلعة لأمع من لبس الخلعة فقلت له : قد بلغنا
 أن الإمام « علياً »عليه السلام كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد : أنا
 نقطرة بسم الله ، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه ، أنا اللوح ، وأنا القلم ،

(١) هو أبو يزيد قيسطامي انظر ترجمته ص (٧١)

(٢) عبد الله بن أبي جرة الأندلسي المروسي : الإمام القدوة الزمان ، قدم « مصر »
 وله زارعة بخط جامع للشمس ، وكان ذا عصب بآثار النبي صلى الله عليه وسلم وحالة روحية على
 العبادة وشيرة كبيرة للإخلاص والاستعداد للموت . انقطع آخر حياته في بيت عن الناس
 إلى أن مات رحمه الله سنة ٦٧٥ هـ . قلت : وهو خير « ابن أبي جرة » أغدث صاحب
 « المختصر » . والله تعالى أعلم : الطبقات الكبرى : ١ / ٧٦ - ٨١ .

(٣) في نسخة هذا الذي نسب إلى الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه نظر
 لعدم وروده لهما أثر عنه من صحاح أئمناره لوما تشتهر عنه من صحيح ترجمه
 والمؤلف رحمه الله تعالى إنما أورد هذا الكلام لنقله وليس مستشهداً أو مثلاً

وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السموات السبع والأرضون. فإذا صحا وارتفع عن تجلي الوحدة في أثناء الخطبة يعتذر ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية فقال عليه السلام : نعم ، وقد حكى : أن سيدي «أبا الحسين النوري» ^(١) عليه السلام ، قال لبعض الفقهاء : من أنت ؟ قال : من أصحاب الشبلي ^(٢) فنظر إليه نظر الغضب وقال : قل خادمه فإن مقام الصعبة عزيز .

وقال سيدي أحمد بن الرفاعي ^(٣) عليه السلام يوماً لأصحابه : من وجد في غيباً فليطعنني عليه . فقام إليه «يعقوب» ^(٤) وكان من أجل أصحابه ، فقال : يا سيدي فيك عيب واحد قال : ما هو ؟ فقال : كون مثلنا من أصحابك فغشي على الشيخ رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ، وقال : يا يعقوب ، إن سلم المركب حمل من فيه في التعدي . وذكر سيدنا العارف الجليل والعالم العلامة النبيل الشيخ عبد الوهاب الشعراني (قدس سره) في كتابه «اليواقيت والجواهر» في بيان عقائد الأكابر ، في البحث السادس والأربعين من الباب المذكور ما نصه : فإن قلت : إن

(١) أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ، بغدادى المنشأ والمولد ، كان من جملة المشايخ وعلماء القوم «أي : الصوفية» لم يكن في وقت أحسن طريقة منه ولا أبلغ سمواً منه ، صاحب «سرى السقطي» و«عهد بن القصاب» وكان من أقران الجنيد ، توفي رحمه الله سنة ٢٩٥ هـ : الطبقات الكبرى : ١/ ٧٤ - ٥١ .

(٢) انظر ترجمته من (٨٣) .

(٣) انظر ترجمته من (٩٤) .

(٤) هو الشيخ يعقوب بن كزاز «قدس الله روحه» .

بعضهم يقول إذا اعترضوا عليه في فعله أمراً من الأمور : ما فعلت ذلك إلا بأمر من الله تعالى . كما نقل عن سيدي : عبد القادر الجيلي رحمته الله أنه ما قال : قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى إلا بعد أمر الحق له بذلك ! فهل ذلك صحيح ؟! فالجواب الأمر بذلك غير صحيح ، ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه : الإذن بالأمر ، إذ الإذن يطلق على : المباح شرعاً بخلاف الأمر ، فإنه : تشريع جديد فإنه يقتضي عصيان من خالفه ، وقد قال الشيخ « محيي الدين » ^(١) في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات : من قال من الأولياء : إن الله تعالى أمره بشيء فهو تلبيس ! لأن الأمر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الأولياء من جهة التشريع وإيضاح ذلك : أنه ليس في الحضرة الإلهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للأولياء إلا سماع أمرها إذا أمرهم الأنبياء بشيء كما أن لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ، ومعلوم أن المناجاة لا أمر فيها ولا نهي إنما هي حديث وسمر ، وكل من قال من أهل الكشف : إنه مأمور بأمر الهي مخالف لأمر شرعي محدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر وإن كان صادقاً فيما قال إنه سمعه . قال : ويمكن أن

(١) انظر ترجمته ص (٤٣) .

(٢) الشيخ محي الدين : هو محمد بن علي بن محمد الطائي الطائفي الأندلسي ، أبو بكر ، القب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم . ولد له في مرسية - بالأندلس - وزار « الشام » وبلاد الروم والعراق والحجاز ، واستقر في « دمشق » فتوفي فيها . له نحو « ٤٠٠ » كتاب . أجلبها « الفتوحات المكية » في عشر مجلدات : في التصوف والفقه وعلم النفس تولى « رضي الله عنه » سنة ٦٣٨ هـ : فوات الوفيات : ٦٤٦/٢ - وغيره . اهـ .

بعض الأولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهراً محمدياً فيسمع فيه أمر الحق ونبيه محمد ﷺ فيظن أن الحق تعالى كلمه هو ! وإنما كلم روح سيدنا محمد ﷺ فيكون ذلك من باب التعريف للأحكام الشرعية لا شرعاً جديداً فإن ذلك الباب قد أغلق بموت رسول الله ﷺ انتهى بحروفه .

والذي فهمته^(١) من ارتياع الحضرة القادرية : ان الأمر كان منه ﷺ في البداية والافقد كانت نهايته ﷺ على أعظم قدم وأتم حال وأكمل خلق وكال تواضع وانكسار ، وقد كان يجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويخدمهم ويقوم بقضاء حوائجهم ويتعالى على الملوك وأبناء الدنيا ويعظم المساكين وينقاد إليهم وقد انطبع ﷺ في كل أوصافه على النذل والتواضع ، وأما مظهرته الوجيبة ، فلا تنافي حالته القلبية ، كيف لا - وهو الغوث الأعظم والشيخ الأكرم والمرشد المحترم الذي سارت بذكره الركبان واعتقده الإنس والجان وأقرت بفضل الأكران ، وكرامته ثبتت بالتواتر وهمه العلية ونجداته مشهورة لدى المسلمين في جميع الأقطار والبلاد والأمصار ومع كل هذا عد القوم العارفون حالة الإدلال والانبساط الذي كان يقع منه في البداية نقصاً بالنسبة إلى ما من الله به عليه في النهاية من مقام العبودية فافهم . والزم يا أخي باب النذل والانكسار ولا تتعال عن حد عبوديتك تغنى ، وتفكر أيها المحجوب في أن الانبساط والادلال ودعوى القول والفعل والفتق والرتق لما كانت

(١) الكلام لمؤلف رحمه الله .

لا تصلح لأحد في هذه الدار الفانية عند أهل التقدم الكامل ، وقوعها من
 اخوانهم أهل الله في البدايات من جملة النقص بالنسبة اليهم والحال أنها
 وقعت منهم رضي الله تعالى عنهم بعد انطياس رعونات النفوس ومحو
 الآثار بالكلية ، ونطقوا حقاً وقالوا صدقاً لأن مقامهم حصل بالانحاف
 والوهب والإلهام الصادق القلبي والإذن المعنوي وبعد كل ذلك عد من
 أحوال البداية وفوقه وفوق حده رتبة ومقاماً وشأناً وحالاً حالة الذل
 والخضوع والانكسار وكنتم الأسرار والانتقار تحت الأحكام الإلهية ،
 على أن صاحب مقام الانبساط والادلالات إذا وقع منه كلام فوق مرتبة
 عبوديته وحد مخلوقيته حالة انبساطه وسرى عنه ذلك الحال وسئل
 حالة صحوه عما صدر منه في الحالة الأولى من المقال ؟ أنكر واعتذر
 وندم واستغفر فكيف بنا وقد لعبت رعونات النفس وانبسطت همتنا
 للشهوة وصارت الأغيار مطمح نظراً وغاية أملنا فهل بلية الدعوى التي
 تصدر منا حاصلة إلا من عدم العلم بالكتاب المبين وحكم الشرع المتين
 وناشتة عن الجهل الصرف بسنة سيد المخلوقين وطريق أولاده الطاهرين
 وخلفائه الراشدين وعلماء هذا الدين وأوليائه العارفين رضي الله تعالى
 عنهم أجمعين ، وهل هي إلا الغفلة الكلية عن درك حاله البشرية ؟ !
 وأنى للمسكين المخلوق العاجز من قوة بفعل بها ويقول ، ويكرها
 ويصول ؟! كيف تجتمع الحياة والمات ؟! أو العجز والقدرة ؟! أو الفقر
 والغنى ، كلا الضدين لا يجتمعان ، ولكن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ،
 لأن الدنيا حجاب . ورويا النفس حجاب ، وكن تحت هذا الحجاب من

حجاب ولا تتكشف تلك الحجب عن القلب إلا بتوفيق الله ، وإن من علامات التوفيق : الانسلاخ من حجب الدنيا ورؤيا النفس .

على أن العاقل لو صرف فكره إلى ذاته وكيالاته وجزئياته لانسلك بطوعه عن رؤيا نفسه والدنيا أيضاً . وما أحسن ما قلت بفضل الله من قصيدة تخلصت فيها بمدح النبي ﷺ تُذكرُ الصواب في هذا الباب وهذا مطلعها :

الله أكبر هذه الآثار	منها بسابق خلقها أسرار
فلكل شيء حكمة وحقيقة	حارت بهم ضميرها الأفكار
والكون لو حققته وفهمته	كتر وفيه شؤوننا الأضمار
بتان رمز مغلق بطرازه	أرواحنا برياضه الأطيّار
هو مستعار كالوديعه عندنا	وكانتا الملاك والأمار
فاعجب بحقك من عبيد عجز	يتصرفون كأنهم أحرار
فالمرء منا لو تفكر ثوبه	حال اغتسال ذاق كيف يعار
وإذا اتحنى بيت الخلا متبصراً	خضعت به في ذاتها الأطوار
وإذا مشى في البر أدرك أنه	فرد وظل الدار والدينار
ووجوده ان نام ارشده إلى	ترك الوجود ونومه الاجبار
وبنفس هيكله بكل دقيقة	يتبارز الأخطار ^(١) والأخطار ^(٢)

(١ - ٢) الخطر : الإضرار على الملاك والخطر : الشرف والخط : الجمع نيا : أخطار : القاموس المحيط ، وشرحه .

وعلى هذا : فالإتقان بين أسباب الملاك ، وأسباب الشرف والخط .

والسمع والصمم الثقيل وعلة
والأمن والخوف المريع وغيره
نشر وطفي فيها المفكر
ليل تدور عليه أحكام الدجى
والكل للرجل الرشيد حقائق
فاذا عرفت بقاء نفسك قانياً
وعلمت أن الفعل ظاهر فعله
فاخلع لعمرِكَ ثوب وهك بالسوى
واصرف وجود الروح للباب الذي
والحق بأرواح الأعزاء الأولى
رأوا الوجود بنور عين بصيرة
وتفكروا الصنع القديم وحادث الطرز
وتجردوا عنهم فهم بين الورى
علقوا بذيل محمد شمس الهدى
وشفاؤها والبسط والأكدار
يقيه كيف تمزق الأغيار
حال به تنسلل الأدوار
ويليه في دور الشؤون نهار
تجري بها في سفنها الأقدار
أدركت كيف إلى الإله يسار
وهو التقدير الفاعل المختار
فالجهل عند ذوي البصائر عار
من فضله تنزل الأسرار
فهم الكرام السادة الأخيار
فأروه ظلاماً لديه قرار
وتفكروا الصنع القديم وحادث الطرز
وتجردوا عنهم فهم بين الورى
علقوا بذيل محمد شمس الهدى
وعلى طريقته الكريمة ساروا

ولا يخفى على كل حاذق متشرع أن نبينا ﷺ كان يركب الحمار
ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويردف خلفه ويضع

= وإذا قرئت بكسر الحزنة . فعمل المعنى : أن الإنسان بين الإلهام الرباني ، والوسواس
الشيطاني . ففي الغفلة الخاطئة ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر . والحاجس . ويقال :
أخطره الله بياه : أذكره بعد نسيان . وخطر الشيطان بين الإنسان وقلبه : أوصل
ورسائه إلى قلبه . والله تعالى أعلم .
- محقق -

طعامه على الأرض ويحجب دعوة الملوك ويكنس بيته ويحيط ثوبه ويخرج إلى العيد ماشياً ويرجع ماشياً ويسلم على الصبيان ويمسح رؤوس البنات ويجلس على الأرض ويعتقل الشاة ويحجب دعوة العبد على خبز الشعير ويبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء ويأتي ضعفاء المسلمين ويروهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ولا يمنع شيئاً يسأله، وإذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً وإذا دخل عليه جلس حيث انتهى به المجلس ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمساكين والعبد حتى يقضي له حاجته وكان يقول عليه الصلاة والسلام «لست من الدنيا وليست مني إني بعثت والساعة تسبق»^(١) وكان يقول ﷺ «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شرباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولم يرم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم»^(٢) وكان يقول أيضاً عليه الصلاة والسلام «ما من صباح يصبحه العباد إلا وصارخ يصرخ يا أيها الناس إدوا للتراب واجمعوا للفناء وابشوا للخراب»^(٣) فتفكر أيها العاقل كيف وقف السيد الكامل عند حد عبيته وأوضح لنا هذا الحد بحكته وتقلب ﷺ على بساط القرية في حضرة العبودية ولم يلتفت إلى الأغيار بالكافية منذ برز إلى الوجود ﷺ إلى أن انتقل

(١) رواه الشيخان في الفتاوى: عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن عساکر عن أبي الفراء رضي الله عنه .

(٣) رواه البيهقي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

من هذه الدار عليه السلام ولنظر إلى أنه عليه الصلاة والسلام حالة كونه
 الشارع العظيم والحبيب الكريم هو الرحمة الشاملة العامة والنعمة الكبرى
 التامة والعلّة الغائية لخلق الخلق ومعرفة الحق ، كان يقوم الليل عليه السلام
 ويدعو ويكي ويذكر الله أكثر ليله عليه الصلاة والسلام وقد لازم
 القيام حتى تورمت قدماء وانزل الله عليه لطفاً به وكرماً (طه) ما أنزلنا
 عليك القرآن لتشقى) تثبتاً لقلبه الكريم وإجلالاً لشرف مقامه العظيم ،
 وهو أيد الله مناره العالي ما دامت الأيام والليالي لا زال منعكفاً على باب
 ربه بسطاً أكف* الخشيه والخضوع متواصل الأحزان ، كثير الدموع ،
 فأعظم بهذا المقام السامي من مقام هو غاية كل مقام ، ومنتهى كل مرام .

فاذا أردت أيها البصير أن تصل إلى مقام المجد الكبير فعليك بمعرفة
 نفسك وقف عند حدها وأنه نفسك عن هواها ولا ترفعها عن سواها
 فانك من مضغة ابتدائك وجيفة انتهائك أنت وغيرك من تراب فحذر
 نفسك من الكبر والأعجاب وانظر ما قاله في هذا الباب سلطان العارفين
 محي الدين بن عربي (قدس سره) في فتوحاته وقد أحسن وأوضح
 وأعرب وأفصح فانه يقول : لا يتكبر على الأمثال إلا من جهل أنهم
 أمثال فكما لا يتكبر الشيء على نفسه لا يتكبر على مثله ومن لم يتكبر
 على خلق الله فقد أعطاهم حقهم الذي وجب لهم عليه كأعطاه الله خلقه
 الذي لم يكن هو إلا به والا فاهو هو ، فانت الانسان إذا لم يكن هو
 الحيوان الناطق وإلا فليس بإنسان . فعلم حينئذ من كلام الشيخ * قدس

سره ، أن التواضع للأشغال أي : للآدميين وعدم التكبر عليهم وصف الإنسانية ، وعكسها وصف البهيمية ، ولما كانت معرفة النفس باب معرفة الرب ألزم القوم رضي الله تعالى عنهم كلاً من إخوانهم العمل بهذا الأدب ، وعرفوا المريد أن الوصول إلى الله لا يصح إلا بمعرفة النفس والتخلص من عوائقها وعلاقتها ، وذلك إنما هو لترفع حجب الغفلة والغرور والذهاب الكاذب وحب الرياسة والتقدم والتهاكك على الدنيا عن قلب المريد وليحصل له التخلق الكامل بأخلاقه ﷺ ولكيلا ينحرف المريد عن قدم الاستقامة والوفاء بالعهد لاغير .

هذا وإن الله تعالى رفع مقام نبيه ﷺ على كل مقام وجعله امام كل امام واثني عليه بإتصافه بالعبودية المحضة في عدة آيات منها قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى)^(١) وقوله تعالى (سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)^(٢) . قال العلامة الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه : سمعت الشيخ الامام الوالد « عمر ابن الحسين » رحمه الله تعالى . قال : سمعت الشيخ الإمام أبا القاسم سليمان الأنصاري قال : لما وصل سيدنا محمد صلوات الله عليه إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله تعالى إليه : يا محمد ، بم أشرفك؟ قال : يارب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية فأنزل الله فيه (سبحانه الذي أسرى بعبده) الآية .

(١) النجم / ١٠ / .

(٢) الإسراء / ١ / .

ولما كان عليه الصلاة والسلام سيد من تحقق بمقام العبودية وأعظم من عرف بهذه الرتبة العلية كان يعود المساكين كما تقدم ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ، ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين وعساكر الموحدين طأطا رأسه الشريف على رحله حتى كاد يس قادمته^(١) تواضعاً لله تعالى ، وكانت عليه السلام يجلب شاته ويخفف نعله ويخدم نفسه ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ، وإن الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتقل به حيث شامت حتى يقضيها حاجتها ، ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة فقال « هون عليك فاني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد »^(٢) وما ذلك إلا رحمة منه ﷺ بالخلق كيف لا وهو أرحم خلق الله بخلق الله وهو القائل عليه الصلاة والسلام (الراحون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى : ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(٣) والله در الحافظ ابن حجر القائل :

ان من يرحم أهل الأرض قد جاءنا يرحمه من في السما
فأرحم الخلق جميعاً إنما يرحم الرحمن منا الرُّحَمَاء

(١) في القاموس المحيط : المقدمة من الرحل « يكسر الهاء وفتحها : مشددة » ،
خلاف آخره .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والحاكم : من عبده الله بن عمرو « رضي
الله عنه » .

وما أَلطف قول الزين العراقي :

ان كنت لاترحم المسكين ان عدما ولا الفقير إذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمة وإنما يرحم الرحمن من رحما

فالحمد لله الذي هدانا لهذا بنبيه الى صراط المستقيم وطهرنا به من الزين
واخلق النعم وأكرمنا باتباعه وجعلنا من اتباعه .

هذا : « وقد خير ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً
فاختار أن يكون نبياً عبداً فقال له اسرافيل عليه الصلاة والسلام
عند ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم
القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع »^(١) .

« مطلب » في عرله وأمانته وعرفه ﷺ

وأما عدله وأمانته وصدقه فقد كان ﷺ أعذل الناس وأكثرهم
أمانة وصدقاً وعن الربيع بن حيثم كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في
الجاهلية قبل الاسلام . وقال عليه الصلاة والسلام « والله اني لأمين في
السماء وأمين في الأرض » وكيف لا يتصف النبي ﷺ بصفة أمر الله
بها في عدة آيات وهو ﷺ أمر بها في جملة أحاديث أما الآيات فمنها قوله
تعالى (إعدلوا هو أقرب للتقوى)^(٢) وقوله تعالى (فاعدلوا ولو كان

(١) رواه الترمذي .

(٢) المائدة / ٨ / .

ذا قربي^(١) وقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان)^(٢) وقوله
 تعالى (وإذا حكمت بين الناس ان تحكموا بالعدل)^(٣) وأما الأحاديث فمنها
 حديث « العدل حسن ولكن في الأمراء أحسن »^(٤) ومنها حديث « اعدلوا
 بين أولادكم في النجيل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف »^(٥)
 والنحل بكسر النون وفتح الحاء المهملة جمع نحلة وهي : العطية .
 ومنها حديث « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، أمام عادل
 عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى . . الحديث »^(٦) ومنها حديث
 (ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة
 المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك
 وتعالى : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)^(٧) والآيات والأحاديث في
 ذلك كثير .

وأعظم عادل من لدن آدم الى آخر الزمان : رسول الله ﷺ
 وشواهد ذلك في الشرع أكثر من أن تذكر ومنها أنه قد كانت أعداؤه
 ﷺ تسميه بالأمين واشتهر صدقه في العالمين ، وعن علي عليه السلام أن

(١) الأنعام / ١٥٢ .

(٢) النحل / ٩٠ .

(٣) النساء / ٥٨ .

(٤) هو : صدر حديث رواه الطبراني لمستند الفردوس عن عبي بن أبي طالب رضي
 الله عنه : الفتح الكبير ١ / ٢٤٩ ، ٥١ .

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . ٥١ .

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٧) رواه أحمد في مسنده ، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أبا جهل قال^(١) للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به .
فأنزل الله تعالى (فانهم لا يكذبونك)^(٢) الآية . . . وروى غيره :
لأنكذبك وما أنت فينا بمكذب . وقيل : ان الأخنس بن شريق لقى
أبا جهل يوم بدر فقال له : يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
فخبرني عن محمد صادق أم كاذب ؟ فقال أبو جهل والله إن محمداً لصديق
وما كذب محمد قط .

ورود : « ما لمست يده ﷺ يد امرأة قط إلا يملك رقبتها » أي :
إلا يملكها بنكاح أو استرقاق ، وفي حديث علي ﷺ في وصفه عليه
الصلاة والسلام « أنه أصدق الناس طهجة » ، ولما اختلفت قریش وعجاذبت
عند بناء الكعبة المشرفة فيمن يضع الحجر ؟ حَكَّمُوا أول داخل
عليهم فاذا بالنبي ﷺ فقالوا : هذا محمد ، هذا الأمين قد رضينا به وكان
ﷺ أوفر الناس في مجلسه وكان ﷺ كثير السكوت لا يتكلم في
غير حاجة ، يعرض عن تكلم بغير جليل ، وكان كلامه ﷺ فصلاً ،
لا فضولاً وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيراً له ، مجلسه
بجلس حكم وحياة ، وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات وكان ﷺ
إذا تكلم أطرق جلساؤه كان على رؤوسهم الطير ، وكان ﷺ يمشي
هوناً كأنه ينحط من صيب ، قال عبد الله بن مسعود ﷺ : « إن

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين : تفسير ابن كثير : ١٢٩/٢ . اهـ

(٢) الأنعام / ٢٢ .

أحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ . قالت عائشة رضي الله عنها :
« كان رسول الله ﷺ ، يحدث حديثاً لو عدّه العادّ أحصاه » .

« مطلب » في زهده وإعراضه عن الدنيا ﷺ

وأما زهده ﷺ فقد تقدم لك أنه خير ﷺ بين أن يكون
نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار العبودية ولم يختار الملك وتقدمت أخبار
وأثر كثيرة دالة على عظم زهده وإعراضه عن هذه الدار . وقد عرضت
عليه أن تكون بطحاء مكة ذهباً تنشي معه حيث أحب فأبى .

روي « أن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه فقال له : إن الله
يقربك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال : يا جبريل ، إن الدنيا دار
من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل :
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت » . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها :
« توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في
رفلي وقال لي : إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت :
لا يارب أجوع يوماً ، وأشبع يوماً ، فاما اليوم الذي أجوع فيه فأنزع
إليك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » . وعن عائشة
أيضاً رضي الله تعالى عنها وأرضاها قالت : « لم يمتلئ جوف النبي ﷺ
شبعاً قط ولم يبت شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى

وانه كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
 ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت
 أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع
 وأقول : نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول :
 « يا عائشة مالي وللدنيا أخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو
 أشد من هذا فوضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مأهم وأجزل
 ثوابهم فأجذبني أستحي أن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم
 وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بأخواني وأخلائي قالت : فما اقام
 بعد إلا شهراً حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه ، وروي عنها أنها
 قالت : « مات رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً » .
 وفي حديث عمرو بن الحارث : « ماتك إلا سلاحه وبقلته وأرضاً جعلها
 صدقة » . وعن أنس عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنها قال : « شكونا
 إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر ، حجر
 فرفع ﷺ عن بطنه عن حجرين . قال في الشائل وهو : حديث
 غريب لكن قال الباجوري : إن رجاله ثقات فلا تضره الغرابة لأنها
 تجامع الحسن والصحة . وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ
 لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف ، قال عبد
 الله بن عبد الرحمن « شيخ الترمذي » قال بعضهم : هو : أي الضفف :
 كثرة الأيدي . أي : أيدي الضيوف ، قال مالك : سألت رجلاً من
 أهل البادية ، ما الضفف ؟ قال : أن يتناول مع الناس .

« لطيف » في قوله ﷺ من ربه عز وجل

وأما ما جاء في خوف رسول الله ﷺ من ربه تبارك وتعالى وطاعته له وشدة عبادته فكثير، ومن ذلك ما ورد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظنت السماء (أي صوتي) وحق لها أن تثط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملاك واضع جبهته ساجد الله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلبذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون - أي : ترفعون أصواتكم . وتبكون وتستغيثون »^(١) وفي حديث المغيرة «صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه»^(٢) الحديث...

« مطلب » في معنى قوله تعالى (طه)

وقد قال تعالى في حقه ﷺ (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . قال بعض المفسرين : كان ﷺ يقوم في تهجد على إحدى رجليه فأمر عليه الصلاة والسلام : أن يطأ الأرض بقدميه رحمة به وشفقة عليه ، فأصل طه : طأها . والمعنى « والله أعلم » : طأ الأرض

(١) رواه البخاري باختصار ، والترمذي . والصناعات ، بضم الصاد والعين ، هي : الطرفات .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

بقدميك ليكون أسهل . وقوله تعالى : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى في حكم التعليل لما قبله والمعنى : أشفق على نفسك فأننا ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب أو لتشقى على نفسك فتكلفها فوق طاقتها ، فإنك ما بعثت إلا بالملة الخفيفة السهلة السمحاء .

وقيل : طه : منادي بأداة نداء محذوفة ، والتقدير : يا طه ، وطه : اسم من أسمائه ﷺ يشتمل على الطاء والهاء وهما من حروف الهجاء ، والطاء بتسعة والهاء بخمسة والمعنى الإشاري : أيها القمر ليلة أربعة عشر . وقيل : الطاء : طهارة أهل البيت ، والهاء هدايتهم . وقيل : غير ذلك . وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان عل رسول الله ﷺ ديمة وأيك يطيق ما كان يطيق)'' وقولها : ديمة ، أي دائماً قال بعضهم : وذلك باعتبار الغلبة فلا ينافي تركه على الندور ، وعن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال : « المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفعي والطاعة حسي والجهاد خلتي وقرعة عيني في الصلاة » . وفي حديث آخر « وثمرة فؤادي في ذكره وغني لأجل أمتي وشوقي إلى ربي » وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : اقرأ على فقلت : يا رسول الله : اقرأ

(١) رواه الترمذي في التهذيب .

عليك وعليك أنزل؟ قال : إني أحب أن أسمع من غيري فقرأت
سورة النساء حتى بلغت (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ^(١) قال: فرأيت
عيني رسول الله ﷺ تهملان ^(٢) قال العلامة الباجوري : وقوله :
تهملان : بفتح التاء وسكون الهاء وضم الميم وكسر ها : أي : تسيل
دموعها لفرط رأفته ومزيد شفقتة لأنه ﷺ استحضر أهوال القيامة
وشدة الحال التي يحق لها البكاء . والأحاديث الواردة في خشوعه
وخضوعه وبكائه وشدة خوفه من ربه تبارك وتعالى وكثرة عبادته
وتذلل بين يديه وإظهار الاحتياج والاضطرار إليه أكثر من أن تحصى
وأعظم من أن تستقصى .

ومع ذلك جميعه فقد كان ﷺ يشاهد من نفسه عجز البشرية عن
القيام بواجب العبودية وإيفاء حقوق الربوبية ولذلك يكثر من الاستغفار
والتوبة حتى ساء تعالى : نبي التوبة ، صلى الله تعالى عليه صلاة دائمة
الاتصال مدى الأيام والليالي . وما كان ذلك إلا حباً يربه واشتغالا به تعالى
عن غيره ، وتنبهاً للغافلين وحثاً للعارفين لأن هذه الحياة الدنيا مدة
قصيرة والأعمال الصالحة فيها ذخيرة وما أحسن قول سليمان ^(٣) بن خلف

(١) الآية / ٤١ / .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي وأبو داود والنسائي .

(٣) سليمان بن خلف : هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجي الأندلسي المالكي :
فقيه كبير ، من رجال الحديث . مولده في « باجة » في الأندلس . ورحل إلى الحجاز
والعراق والعام ثم عاد إلى الأندلس فولي القضاء في بعض أقاليمها . وتوفي رحمه الله « بهلمرية » .
من كتبه : « أحكام الأصول » و « الإشارة » في أصول الفقه و « شرح الدعوة » وغير
ذلك توفي رحمه الله سنة ٤٧٤ هـ .

ابن سعيد الأصولي :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضيقاً بها وأجعلها في صلاح وطاعة

ومن هذا التقييل قول مولانا السيد الشيخ سراج الدين ^(١) البغدادى
(قدس سره) :

أذان الناس حيث الطفل يأتي وتأخير الصلاة إلى الوفاة
يشير بأن عمر المرء فيها كما بين الأذان إلى الصلاة

ولاريب أن رسول الله ﷺ أزهّد الناس في الدنيا ، وأحب الخلق
للقاء الله تعالى ، وقد دخل عمر ^(٢) رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو على
حصير قد أثير في جنبه فقال : يا رسول الله ، لو اتخذت فراشاً ، أو
ترضى هذا ؟ قال : مالي وللدنيا ، وما للدنيا ومالي ، والذي نفسي بيده
ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سافر في يوم صائف واستظل تحت
شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها ^(٣) ومعلوم أن الله تعالى فضله على

(١) السيد سراج الدين البغدادى : أبو المعالي ، سراج الدين الرفاعي ثم الهزومي
نزىل بغداد ، ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق سبطه الحسين رضي
الله عنه . كان شيخ الإسلام في زمانه علماً وعملاً ، وحقيقاً وثقناً ، خدمه العلماء وخرج
بصحبته أكابر الشيوخ : من تأليفه : « صلاح المؤمن » في الحديث . و « البيان في تفسير
القرآن » وله كلام عال على لسان أهل الحقائق . وشعر جميل . وكراماته لا تحصى . قولي
« رضي الله عنه » ببغداد سنة ٨٨٥ هـ . « روضة الناظرين » للسيد أحمد الوترى .
« خزائن الإمداد » للمؤلف . اهـ

(٢) رواه أحمد في مسنده ، والطحاوي في مستدركه : عن ابن عباس رضي الله عنهما .

العالمين وجعله ختام عقد النبيين والمرسلين وأكرم الخلق على الله
أجمعين .

« مطلب » في أفضلين عليه السلام على عليه السلام الملقين أجمعين

ولا خلاف في أنه عليه السلام خير البشر وأفضل الناس عند الله منزلة
وأعلام درحة وأرفعهم شأنًا وأعظمهم بيانًا وأحلام تبيانًا وأقربهم
زلفى قال اللقاني في جوهرة التوحيد :

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا قيل عن الشقاق

والأحاديث في مزيد فضيلته وعلو شأنه ودرجته كثيرة جداً لا تحصى
ولا تحصر عدداً ولنذكر منها شيئاً قليلاً على سبيل التبرك بها : عن ابن
عباس رضي الله عنه أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم الخلائق
قسمين فجعلني من خيرهم قسماً فذلك قوله عز وجل : أصحاب اليمين وأصحاب
الشمال فإنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين
أثلاثاً فجعلني من خيرها ثلاثاً وذلك قوله تعالى : (وأصحاب الميمنة وأصحاب
الميمنة وأصحاب المشأمة وأصحاب المشأمة . والسابقون السابقون) فإنا من
السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها
قبيلة وذلك قوله : (وجعلناكم شعوباً وقبائل) الآية .. فإنا أتى ولد
آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني من خيرها
بيتاً فذلك قوله تعالى (إننا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) .

الآية. ^{١١} وعن أبي سلمة ^{١٢} عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجهت لك النبوة قال: وآدم بين الروح والجسد ^{١٣}. ومن حديث أنس (أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) ^{١٤} وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ^{١٥} عن رسول الله ﷺ أنه قال: أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاريها فلم أر رجلاً أفضل من محمد ﷺ ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم ^{١٦}. وعن أنس ^{١٧} أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال جبريل: أعجمك تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه فافرض عرقاً ^{١٨}. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنها ^{١٩} أن رسول الله ﷺ قال: أنا محمد النبي الأمي لأنني بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ^{٢٠} وروى أنه ﷺ قال: قال الله تعالى: سل يا محمد! فقلت يا رب ما أسأل؟ اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلمت موسى تكليمًا واصطفيت نوحًا فأعطيته سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى: ما أعطيتك خير من ذلك، أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادي به في جوف السماء وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر

١ - ٢ - رواهما القاضي عياض في الشفاء.

٣ - رواه الترمذي.

٤ - رواه أبو نعيم والطبراني. وقال الخافظ ابن حجر: لو اتبع الصمة طائفة على صفحات هذا المتن.

٥ - رواه القاضي عياض في «الشفاء» وغيره.

٦ - رواه الإمام أحمد بسند حسن.

فانت تثني في الناس مغفوراً لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت
 قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبئها لنبي غيرك^(١) .
 وعن ابن عباس رضي الله عنها قال : * إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ
 على أهل السماء ، وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم ، قالوا : فبم فضله على
 أهل السماء ؟ قال : إن الله قال لأهل السماء (ومن يقل منهم إني إله من
 دونه)^(٢) الآية .. وقال لحمد ﷺ (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)^(٣) الآية ..
 قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال (وما أرسلنا من
 رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)^(٤) الآية .. وقال لحمد ﷺ (وما
 أرسلناك إلا كافة للناس)^(٥) . وعن النبي ﷺ أنه قال : (لما أمرني
 به إلى السماء إذا على العرش مكتوب - لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده
 بعلي)^(٦) وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى (وكان تحته كثر
 لها)^(٧) قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : عجبا لمن أيقن بالقدر كيف
 ينصب ؟ ! عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك ؟ ! عجبا لمن يرى الدنيا
 وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ ! أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي

(١) هو بعض حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الاسراء : أخرجه البيهقي .

(٢) الانبياء / ٢٩ .

(٣) النحل / ١٠ .

(٤) ابراهيم / ٤ .

(٥) مائدة / ٢٤ - وحديث ابن عباس ، رواه البيهقي والدارمي وابن أبي حاتم .

(٦) رواه ابن قانع في معجم الصحابة ، والطبراني .

(٧) التكوير / ٨٢ .

ورسولي^(١) . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها أنه قال : « مكتوب على باب الجنة : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسول الله ، لا أعذب من قالها »^(٢) . وعن عبد الله بن مسعود : أنه قال : إن الله نظر إلى قلوب العباد فاختر منها قلب محمد ﷺ فاصطفاه لنفسه فبعثه برسائه^(٣) . وحكى النقاش أن النبي ﷺ لما نزلت (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً)^(٤) قام ﷺ فخطب بالناس فقال : يا معشر أهل الإيمان : إن الله فضلي عليكم تفضيلاً وفضل نسائي على نساكنكم تفضيلاً .. الحديث^(٥) . وعن الربيع بن أنس عن أنس قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر »^(٦) . وعن أبي سعيد قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا

(١) رواه الخطيب عن مالك . وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي زر . أخرجه البزار موقوفاً على « عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب » رضي الله عنهما . وإليه في شعب الإيمان .

(٢) رواه ابن سعد : عن محمد بن عثمان العمري عن أبيه مرفوعاً به .

(٣) رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني ورجالهم ثقة .

(٤) الأحزاب / ٥٣ .

(٥) القاضي عياض في الشفاء .

(٦) رواه الترمذي . وأبو نعيم في الدلائل .

أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر^(١) وعن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ: آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فاقول: محمد، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك^(٢)». وعن عبد الله بن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورد وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً^(٣)».

وأما ما أظهره الله تعالى له ﷺ من المعجزات وأيده به من الآيات البينات وخوارق العادات وشرفه به من الخصائص والمناقب والكرامات - فأمور كثيرة شيرة وإذا تأمل الإنسان ماله ﷺ من جميل أثره، وحيد سيره وبراعة علمه وغزارة فضله وفهمه وكثرة جوده وحلمه وعجيب أحواله وبديع كاله ورفيع خصاله وصواب أقواله وسداد أفعاله لم يرتب ولم يتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد اكتفى بمثل ذلك كثير من الناس ولم يحصل لهم فيه شك ولا التباس، وعن عبد الله ابن سلام رضي الله عنه أنه قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة جئت لأنظر إليه فلما استبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب^(٤)». وعن أبي رمثة التميمي أنه قال: «أتيت النبي ﷺ فلما رأيته قلت:

(١) رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الشيخان .

(٤) رواه الترمذي، وأحمد والحاكم وابن ماجه .

هذانبي الله ﷺ ،^(١) قال بعضهم^(٢) في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسه نار ، نور على نور)^(٣) لقد ضربه الله تعالى مثلاً لنبيه عليه
الصلاة والسلام يقول : يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنًا
كما قال ابن رواحة^(٤) .

لو لم يكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينيك بالخبر

ذكر الشيخ العارف بالله تعالى مولانا الشيخ عبد العزيز الديري
ويقال له الدميري ابن أحمد الشافعي الرفاعي خليفة شيخ الشيوخ بالغربية
الولي الكبير الشيخ أبي الفتح^(٥) الواسطي خليفة مولانا القطب الأكبر
والغوث الأشهر السيد أحمد الرفاعي الحسيني ﷺ في كتابه «طهارة
القلوب» عند معجزاته ﷺ مانصه :

(١) رواه ابن سعد .

(٢) هو لفظونه : إبراهيم بن محمد الأزدي ، إمام في اللغة والحديث والتاريخ . وله
مؤلفات عديدة . توفي رحمه الله سنة ٤٢٣ هـ .

(٣) النور / ٣٥ .

(٤) ابن رواحة : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن الخزرج : صحابي ، بعد في
الأمراء والشعراء ، شهد المعلى وبدرأ والحندي وطبرما ، واستشهد رضي الله تعالى عنه
في وقعة مؤتة سنة (٨) هـ .

(٥) أبو الفتح الواسطي : شيخ مشايخ بلاد الغربية بأرض مصر . ومن أصحاب
السيد أحمد بن الرفاعي . رضي الله عنه : أخذ عنه خلائق لا يحصون . منهم : الشيخ
عبد السلام القليلي . والشيخ جمال الدين البخاري والشيخ عبد العزيز الديري المذكور .
وقبره . وله كرامات لا تحصى . توفي رحمه الله سنة ٥٥٠ هـ بالإسكندرية وقبره
بها ظاهر يزور : الطبقات الكبرى : ١٧٦/١ - ١٧٦ .

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه وأين الثريا من يد المتناول

نعم ، ذكره عليه السلام يزيد في الإيمان ويضيء للقلوب الأسرار بأنوار
العرفان فإن الله تعالى جعل محبته مشروطة بمحبته وطاعته منوطة
بطاعته ، وذكره مقروناً بذكره وبيعته معقودة ببيعته ، قال الله عز
وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله)^(١) وقال تعالى (إنا الذين
يباعونك إنا يباعون الله)^(٢) وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله)^(٣) وقال تعالى (ورفعنا لك ذكرك)^(٤) وقال
رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل فقال : إن ربي وربك يقول : أتدري
كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : إذا ذكرت ذكرك
معي »^(٥) ويقال معناه : جعلتك ذكراً من ذكري فمن ذكرك ذكري ،
ومن أثبتك أثبتني ومن أنكرك فأنكرني وذكر الشيخ^(٦) « قدس سره »
بعض المعجزات النبوية وسنذكر البعض منها في محلها إن شاء الله تعالى .

(١) النساء / ٨٠ .

(٢) الفتح / ١٠٠ .

(٣) آل عمران / ٣١ .

(٤) الشرح / ٤ .

(٥) رواه الطبراني ، وأبو يعلى في مستدركه ، وابن حبان في صحيحه .

(٦) يعني : الشيخ عبد العزيز الديري في القدي مر ذكره . رحمه الله ورضي عنه .

« مطلب » في ذكر بعض معجزاته ﷺ

ولنذكر الآن بعضاً من معجزاته ﷺ تبركاً بها ولشكون مطالعتها باعثة على زيادة الإيمان والإيقان وموجبة لكمال الاطمئنان كما قال تعالى (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)^(١) (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)^(٢) وجميع ما تذكره في هذا المحل من معجزات هذا النبي المعظم والسيد الرسول المكرم ترزيسير من قدر كثير فنقول : من جملة معجزاته ﷺ - انشقاق القمر - وذلك ثابت بنص القرآن وبما صح من أحاديث سيد ولد عدنان عليه السلام وبما ثبت تواتره بين عرب الحجاز وغيرهم وأيد ذلك شواهد بديية^(٣) في الأقطار القصية أجمع عليها جماهير الأمة من وقت هذه المعجزة إلى الآن فأما النص القرآني في ذلك فهو قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)^(٤) أخبر سبحانه وتعالى بوقوع انشقاق القمر وإعراض أهل الجحود عن آيات سيد البشر ووقع الإجماع والإتفاق على وقوع الانشقاق وأما الأحاديث الشريفة : فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال

(١) الفتح / ٤ .

(٢) البقرة / ٢٦٠ .

(٣) بدعي وبدعي : كلاهما جائز : فإن قلت : بدعي ، ففي نسبة إلى بدية ، وإن قلت : بدعي ، ففي نسبة إلى بدية ، ولكن أكثر العلماء لا يثبتون (بدعي) في اللغة العربية .

(٤) القمر (١ - ٢) .

« انشق القمر في عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
 دونه فقال عليه الصلاة والسلام اشهدوا^(١) » ورواه أيضاً ابن مسعود
 الأسود وقال « حتى رأيت الجبل بين فرقتي القمر فقال رجس من
 الكفار إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر
 الأرض كلها فاستلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فاتوا فسألوه
 فأخبروه أنهم رأوا مثل ذلك^(٢) » وحكى السمرقندي عن الضحاك
 رحمه الله تعالى مثله . وعن أبي حذيفة الأرحبي أنه قال « انشق القمر
 ونحن مع النبي ﷺ^(٣) » وعن أنس « سأل أهل مكة النبي ﷺ أن
 يرسم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا جبل حراء بينهما^(٤) »
 وفي رواية : أراه انشقاق القمر مرتين فنزلت (اقتربت الساعة وانشق
 القمر) .

« مطلب » في حبس الشمس ﷺ

ومنها حبس الشمس : روي عن أسماء بنت عيسى من طريقين « أن
 النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب فلم يصل العصر
 حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ أصليت ؟ قال لا فقال عليه
 (١) أخرجه البخاري ومسلم . وقال العلامة ابن السكيت : وله طرق شتى بحيث
 لا يقرى في نواته .

(٢) رواه أحمد في مسنده ، والبيهقي في دلائل النبوة .

(٣) ذكره القاضي عياض في الشفاء .

(٤) رواه الشيخان .

الصلاة والسلام اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء : فرأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصباح^(١) بالمد ويقصر ، اسم موضع من خيبر ، وهذا الحديث ثابت ورواه ثقة . وعن ابن اسحق : لما أسري برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء ؟ قال : يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قریش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبت عليه الشمس . قال القاضي عياض : وهذا الحديث ثابت ورواه ثقة أيضاً .

« مغلب » في نبع الماء من بين أصابع الشربة ﷺ

ومنها : نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته عليه الصلاة والسلام وقد روى حديث نبع الماء من بين أصابعه جماعة من الصحابة الكرام منهم أنس وجابر وابن مسعود وعن أنس أنه قال « رأيت النبي ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم^(٢) » وفي رواية حميد « قلت كم كانوا قال :

(١) صححه الطحاوي ، والقاضي عياض وابن مندة وابن شاعين : من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن . (٢) رواه الشيخان .

ثانين^(١) ، ونحوه عن ثابت^(٢) . وفي الصحيح عن سالم ابن أبي الجعد عن جابر رضي الله تعالى عنها قال^(٣) : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة^(٤) فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يقور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه فقلت : كم كنتم قال : لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة . وقوله خمس عشرة الخ.. لا يعارض الرواية السابقة لاحتمال أنهم كانوا أولاً ثمانين ثم ازدادوا حتى بلغوا العدد المذكور . وروي^(٥) مثله عن أنس عن جابر رضي الله تعالى عنها .

والأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك كثيرة جداً ولا يخفى أن الماء الذي نبع من بين أصابع رسول الله ﷺ هو أفضل المياه بلا ريب ولا اشتباه ولذلك قال القائل :

وأفضل المياه ماء قد نبع
 بين أصابع النبي المتبع

« مطلب » ومنها تكثير الطعام القليل

وأما ما شوهد من معجزاته ﷺ في تكثير الطعام القليل ببركة

(١) البخاري .

(٢) رواية ثابت : الشيخان .

(٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . والجمع ركاه : شرباً لا ب

الأكبر : ٢٦١/٢ .

(٤) رواية أنس عن جابر رضي الله عنها : الدارمي .

دعائه فهذا وقائعه مشهورة وأخباره وأحاديثه في عامة الكتب مسطورة
 فمن ذلك حديث أبي طلحة المشهور^(١) وأطعماه عليه السلام سبعين أو ثمانين
 رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت إبطه فأمر بها ففتت وقال
 فيها ما شاء الله أن يقول . ومن ذلك حديث^(٢) جابر في أطعماه عليه السلام
 يوم الحندق ألف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر عليه السلام : فأقسم
 بالله لا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغطف كما هي وإن عجبتنا
 ليخبز . والبرمة بضم الباء الموحدة : القدر الذي يوضع فيه الطعام
 وقوله : لتغطف بفتح التاء المثناة وكسر الغين المعجمة وتشديد الطاء
 المهملة أي : لتغلي من حرارة النار . ومن ذلك حديث^(٣) الصحابي
 الجليل مولانا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك أنه رضي الله عنه صنع
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما أي : قدر
 ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ادع ثلاثين من أشرف الأنصار فدعاهم
 فأكلوا حتى تركوه ثم قال : ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال : ادع
 سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو
 أيوب : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا . ومن ذلك حديث^(٤) عبد
 الرحمن ابن أبي بكر رضي الله تعالى عنها قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٤) رواه الشيخان .

ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن قدر صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها ثم قال : وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد جز جزء من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين مقدار كثير . وعن " أبي هريرة : أمرني النبي ﷺ أن أدعو له أهل الصفة فنتبعهم حتى جمعهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ماشتنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع . وجع رسول الله ﷺ " بني عبد المطلب وكانوا أربعين فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ودعا بقسح فشرّبوا حتى رويوا وبقي كأنه لم يشرب منه . ولما تزوج ﷺ بخديجة " أمر أنساً ﷺ أن يدعو له كل من لقيه وأن يدعو له قوماً سماهم فذهب وصار يدعو حتى أملأ البيت والحجرة وقدم ﷺ لهم قدر مد من تمر فأكلوا حتى شبعوا وكانوا قيل مقدار أحد وسبعين وقيل أكثر من ذلك ثم قال ﷺ لأنس : ارفع ، قال أنس فلا أدري حين وضعت كان التمر أكثر أم حين رفعت . وإذا تقيعت كتب الأحاديث النبوية والسير الحمديّة وجدت في ذلك من الآثر والأخبار ما يملأ الكتب والأسفار .

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، والطبراني في الأوسط بسند جيد .

(٢) رواه أحمد . والبيهقي عن علي رضي الله عنه ، وسند جيد .

(٣) كذا في الأصل وهو سيو من الطباع . وصوابه : يزيب . كما رواه الشيخان واللفظ فيه لم . ولأن أنساً رضي الله تعالى عنه لم يشهد زواجه عليه الصلاة والسلام من خديجة رضي الله عنها . والله تعالى أعلم . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى . ص ١٠٠ . وفيه سلم . للفاهي ج ١ ص ١٠٠ - أو : طي السجل . للسيد الرواس ص ٢١٦ . وغيرهما .

« مطلب » في تكلم الجادات والمجرات

ومن معجزاته ﷺ تكلم الجادات وهذه أيضاً من خوارق العادات وبديع الآيات البينات وعجيب المعجزات الباهرات وفي ذلك أخبار صحيحة ونصوص قوية صريحة منها ما ورد : عن ابن عمر رضي الله تعالى عنها قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فذا منه أعرابي فقال : يا أعرابي إلى أين تريد قال : إلى أهلي قال هل لك من خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال : من يشهد لك على ماتقول ، قال : هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تحمداً الأرض حتى قامت بين يديه ﷺ فاستشهدا ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها ^(١) . وقوله : السمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وهي من الطلح شجر عظيم له شوك . وعن بريدة « سأل أعرابي النبي ﷺ آية فقال له : قل لتلك الشجرة : رسول الله ﷺ يدعوك فبالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلقها فتقطعت عروقها ثم جاءت تحمداً الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي النبي ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلّت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت ^(٢) . الحديث وعن جابر

(١) رواه البيهقي والبخاري بسند صحيح .

(٢) رواه البخاري .

ابن عبد الله رضي الله عنهما كان المسجد مستقوفاً على جذوع نخيل فكان عليه السلام إذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر ممعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ^(١) . والعشار: هي الناقة الحامل مطلقاً أو التي مضى على حملها عشرة أشهر وفي رواية أنس ^(٢) حتى ارتج المسجد لحواره أي: لرفع صوته . وفي رواية ^(٣) سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفي رواية ^(٤) المطلب: حتى تصدع وانشق فجاء النبي عليه السلام فوضع يده عليه فسكت . وفي رواية: فقال عليه السلام إن هذا بكى لما فقد من الذكر . زاد غيره: والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة . وعن ابن مسعود: كنا نأكل مع رسول الله عليه السلام الطعام ونحن نسمع تسبيحه ^(٥) وقال أنس: أخذ النبي عليه السلام كفاً من حصي فسبحن في يد رسول الله عليه السلام حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن ^(٦) وذكر في رواية ^(٧) لابي ذر: انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما . وعن أمير المؤمنين ^(٨) علي

(١) رواه البخاري .

(٢) رواية أنس رضي الله عنه للترمذي .

(٣) الشيخان .

(٤) رواية المطلب: البيهقي .

(٥) رواه البخاري ، وأخرجه الترمذي .

(٦) قال السيوطي: لم أجده ، وقال ابن حجر في شرح البخاري: أنه لم يرد إلا

من حديث أبي ذر من طريق واحدة .

(٧) البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي .

(٨) الدارمي والترمذي وحسنه .

ابن أبي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه أنه قال: كنا بمكة مع رسول الله عليه السلام فخرجنا إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله. وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله عليه السلام أنه قال: لما استقبلني جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة جعلت لا أمر^١ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وفي حديث^٢ العباس: إذا اشتمل عليه النبي عليه السلام وعلى بنه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره أيام ملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين. وأسكفة الباب عتبة. وروي^٣ عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله عليه السلام كان في محفل من أصحابه فجاءه أعرابي قد صاد ضبا فقال: من هذا. قالوا نبي الله عليه السلام. فقال الأعرابي: واللوات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب فطرحه بين يدي النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام: يا ضب فأجابته بلسان مبین يسمعه جميع الحاضرين: ليبيك وسعديك يازين من وافي القيامة فقال من تعبد؟ فقال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه، قال: فمن أنا؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الأعرابي. ومنها حديث^٤

(١) الجزار.

(٢) رواه الشيخان: من أن أسيد الساعدي. والملاءة: ثوب يلبس على الفخذين؛ القاموس المحيط في بابه. وفي النهاية لابن الأثير: الملاءة: هي الإزار والربطة: ٣/٤٢٠.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي.

(٤) رواه أبو داود.

الشاة المشوية المسمومة التي أهدتها اليهودية لرسول ﷺ فتكلمت الشاة وقالت: إني مسمومة . وقد عفى ﷺ عن اليهودية ولم يعاقبها والأحاديث الواردة في الشاة المسمومة كثيرة شيرة معلومة .

• مطلب ، في إبراء من الأمراض والأوسقام وتبريد الأعطاش الزميمة

وأما ما وقع له ﷺ من إبراء الأمراض والأوسقام ودفع العاهات والآلام فأشياء كثيرة لا تجمعها الأسفار ولا تحيط بها الأخبار فمنها قصة ^(١) قتادة بن نعيان وما وقع له في أحد الغزوات وذلك أنه أصيبت عينه رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً وإذا رمدت الأخرى لم ترمد هذه . وقد روى هذه الواقعة جملة ثقة الرواة وروى ^(٢) أنه أصاب أبا قتادة رضي الله تعالى عنها سهم في وجهه فبصق ﷺ على أثر السهم فلم يشك له ألماً . وروى ^(٣) أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري فقال له ﷺ فانطلق فتوصاً ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بذيبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في فذهب الرجل ففعل ذلك ثم عاد وقد كشف الله تعالى عن بصره . وروى ^(٤) أن رجلاً أصابه

(١) ابن اسحاق عن خاتم بن عمر عن قتادة مرسل . وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري عن قتادة رضي الله عنه .

(٢) البيهقي : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه النسائي والترمذي ، وإسحاق والبيهقي وصححه .

(٤) القاضى عياض في الشفا ، والرجل هو : ابن ملاعب الأسنة .

استسقاء فبعث إلى النبي ﷺ فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها
ثم أعطاها لرسوله فأخذها متعجبا يرى أنه قد هزىء به فأنابه ففثر بها
فشاة الله تعالى وذكر العقيلي عن^(١) حبيب ابن فديك أن أباه أبيضت
عيناه فكان لا يبصر بها شيئا فنقت رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر
قال الراوي : فرأيت أنه يدخل الحيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة .
ورمي^(٢) كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله ﷺ
فيه فبرئ .^(٣) وتفل في عيني أمير المؤمنين علي يوم خيبر وكان رمداً
فأصبح معافى^(٤) .^(٥) ونقت على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر
فبرئت^(٦) . وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها سيف إلى الكعب
حين قتل ابن الأشرف فبرئت^(٧) .^(٨) وعلى^(٩) ساق علي بن الحكم يوم الخندق
أذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه . واشتكى^(١٠) أمير المؤمنين
علي ﷺ فجعل يدعو فقال النبي ﷺ اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه

(١) كما أخرجه البيهقي والطبراني . وأخرجه بلفظ : ابن فديك : ابن أبي شيبة في
مسنده .

(٢) القاسمي صياغ لي الشفاء

(٣) رواه الشيخان عن سهل بن سعد .

(٤) البخاري .

(٥) ابن حيد في تفسيره عن عكرمة ، وأخرجه الواقدي بأسانيد لكن قال :

الحدث بن أرس يدل زيد بن معاذ . وأخرجه البيهقي من حديث جابر وقال بدلها : عباد
ابن بشر .

(٦) رواه أبو القاسم البغوي في معجمه .

(٧) البيهقي .

برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد . وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ
 بن عفرأ فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ وألصقها فلصقت
 رواه ابن وهب ومن روايته أيضاً : أن حبيب^(١) بن يساف أصيب يوم
 بدر مع رسول الله ﷺ بضربة على عاتقه حتى مال شقه فردده رسول الله
 ﷺ ونفت عليه حتى صح . وأتته^(٢) امرأة من خثعم معها صبي به بلاء
 لا يتكلم فأتى بناء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه
 ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس . « وسألته
 جارية طعاماً وهو يأكل فتناولها ﷺ من بين يديه وكانت قليلة الحياء
 فقالت : إنما أريد من الذي في فيك فتناولها ما في فيه ولم يكن ﷺ يسأل
 شيئاً فيمنعه فما استقرت لقمته في جوفها حتى ألقى عليها من الحياء
 ما لم تكن امرأة في المدينة أشد حياء منها »^(٣) .

« مطلب » ومنها تأخير رءاء ﷺ

وأما دعاؤه ﷺ فقد كان^(٤) عليه الصلاة والسلام إذا دعا لأحد
 أدركت ولد الولد . وعن أنس^(٥) أنه قال « قالت أمي : يا رسول الله
 خادمك أنس أدع الله له قال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما

(١) رواه ابن اسحاق والبيهقي عنه .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن أم جندب .

(٣) رواه الطبراني عن أبي أمامة .

(٤) رواه الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه .

آتيته. قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليعادون
اليوم على نحو المائة وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت^(١)
ومثله. «دعاؤه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حتى كان عبد الرحمن
ﷺ لو قلب حجراً لرجا أن يجد تحتها ذهباً ولما توفي ﷺ حفر
الذهب من تركته بالفؤوس^(٢)» ودعاؤه ﷺ^(٣) لسعد ابن أبي وقاص
ﷺ أن يحيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له. «ودعا
بعض الاسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب وعمر بن هشام فاستجيب
له في عمر بن الخطاب ﷺ فاعز الله به الاسلام حتى أظهر الدين وقهر
المعاندين^(٤)». «وأصاب الصحابة في بعض الغزوات عطش شديد
فاسأل عمر ﷺ الدعاء من رسول الله ﷺ فدعا فجاءتهم سحابة فسقتهم
حاجتهم ثم أقبلت^(٥)». «ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكى الناس اليه
المطر فدعا قصحوا^(٦)» ودعا لابن عباس ﷺ فقال «اللهم فقهه في
الدين وعلمه التأويل فسمي بعد ذلك : حبر الأمة. وسمي : ترجان

(١) رواه البخاري ، ومسلم .

(٢) رواه البيهقي .

(٣) رواه الترمذي موصولاً ، والبيهقي عن فليس بن حازم مرسل وقال : مرسل

حسن .

(٤) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

(٦) رواه الشيخان عن أنس .

القرآن . لكثرة فقهه وعلمه بالتأويل ^(١) ودعا للمقداد ^(٢) ولعروة ^(٣) بالبركة فكانا لو اشتريا التراب لربحا فيه .

« مطلب » في أخباره عليه السلام بشي من الغيبات

وأما ما أكرمه الله تعالى به من الاطلاع على الغيب فأمر مشهور ولا شك فيه ولا ريب ويكفيك الحديث الذي رواه جمع من ثقة المحدثين من طرق عديدة بأسانيد سديدة وهو ما روي عن حذيفة قال « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة إلا حدثه ^(٤) » وقد خرج أهل ^(٥) الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه عليهم السلام مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لاتخاف إلا الله تعالى . والأحاديث الواردة في هذا الباب لا يحيط بها كتاب .

« مطلب » في عصمته عليه الصلوة والسلام

وأما عصمته ﷺ وحفظه من الناس فهذا ثابت بالآيات القرآنية

(١) رواه الشيخان .

(٢ - ٣) هما المقداد بن الأسود وعروة ابن أبي الجعد ، صحابيان . والحديث رواه

البخاري في صحيحه .

(٤) الشيخان .

(٥) الشيخان وغيرهما

والنصوص القطعية قال تعالى (والله يعصمك من الناس)^(١) وقال عز من قائل (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)^(٢) وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده)^(٣) قيل : المعنى . أليس الله بكاف عبده محمداً أعداه المشركين . وقال جلّت عظمتة (إنا كفيناك المستهزئين)^(٤) وقال تعالى (وإذ يكره لك الذين كفروا)^(٥) . الآية . وقد جاء أنه كان ﷺ يحرسه أصحابه حتى نزل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فأخرج ﷺ رأسه من القبة فقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل^(٦) . ونزل ﷺ تحت شجرة فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك مني فقال ﷺ : الله . فارتعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه^(٧) . والقصة المشهورة « حينما أخافت قریش النبي ﷺ وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقسام على رؤوسهم وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم ثم خرجوا يتفقّدونه فحياه الله تعالى في الغار ونسج على

(١) المائدة / ٦٧ .

(٢) الطور / ٤٨ .

(٣) الزمر / ٢٦ .

(٤) الحجر / ٩٥ .

(٥) الأنفال / ٢٠ .

(٦) الترمذي ، والبيهقي .

(٧) رواه القاضي عياض في الشفاء ، وهو صحيح ، وصاحب القصة هو : طهوفت

ابن الحارث .

بابه المنكبوت ووقفت الأطيبار ورجعت أعداؤه لم يظفروا إلا بالغم
 وإحسار والذل والصغار ومن تبعه سراقه فانه جعلت له الجعائل على
 أن يجد الرسول ﷺ ويدلهم عليه ليصلوا على زعمهم بالنكال اليه فلما
 ركب فرسه وثار في أثر النبي ﷺ وقرب منه دعا ﷺ فساخت قوائم
 فرسه ،^(١) وأمثال ذلك لا يحصى ولا يستقصى ومنها ذكرنا من معجزاته
 ﷺ فهو في جنب بقيتها كقطرة من بحر أو شذرة من عقد نحر .

القرآن الكريم : معجزة كبرى الرسول ﷺ

ولو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة غير القرآن العظيم الشأن الذي
 جعله الله تعالى معجزاً بعشر سور ثم جعله معجزاً بسورة لكان كافياً
 وقد تحدى ﷺ بسورة منه فعجز جميع فصحاء العرب ولم يقدرُوا أن
 يأتوا بمثل سورة الكوثر التي هي أقصر السور وما ذلك إلا لكون
 فصاحة القرآن ووجوه بلاغته من خوارق العادات ومع ذلك فهو في
 حد ذاته قد انطوى على كثير من المعجزات كالإخبار بكثير من الغيبات
 وغير ذلك وهذه المعجزة باقية مدى الليالي والأيام وعلى مر الدهور
 والأعوام لا ينقضي اعجازها إلى يوم القيام وهي أعظم معجزاته عليه
 الصلاة والسلام لأن المعجزات التي وقعت وانقضت قد يحجبها الجاحد
 وينكرها المشرك المعاند وأما معجزة القرآن فهي بين أيدي العباد ،

(١) ذممه ابن سحاق وأخرجه عنه البيهقي .

حاضرة في كل ناد تقمع أهل العناد وتردع ذوي الزيف والفساد إلى
أبد الآباد .

« مغلب » في معبراته ^(١) بعد وفاته عليه السلام

على أن خوارق العادات التي كانت تظهر للنبي عليه السلام حال حياته لم
يزل يظهر كثير منها بعد وفاته ويكفيك ما ذكره الشيخ عبد الرحمن
الصفوي وغيره عن القطب الغوث الجليل أحمد الرفاعي الحسيني رحمته الله
وذلك أنه كان عليه السلام كل سنة يبعث إلى قبر عليه السلام سلاماً مع الحجاج فلما
قدّر الله له الحج إلى بيت الله الحرام وتشرف بزيارة قبر جده رسول
الله عليه الصلاة والسلام وقف عند القبر الشريف وقال :

في حالة البعد وحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي ثابتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد ^(٢) الرسول عليه السلام فقبلها وشاهد ذلك كل من كان

(١) المعجزة : هي الأمر الخارق لعادة القرون بالتحدي ، حيث معجزة لعجز
البشر عن الاتيان بمثلا يقصد المعارضة ، كانشقاق القمر ، وقلب العصا حية . وإخراج
نافع من صخرة ، إلى غير ذلك . وجميع الخوارق الصادرة من التحدي معجزة ، ولو
صدرت منه عند السكوت عن التحدي لخارفتها به حكماً ، ومن ثمة تطلق المعجزة على
جميع الخوارق الصادرة من الأنبياء عليهم السلام ، ولا يفرق في هذا نظير كرامة الولي لأنها
من معجزة النبي ؛ طي السجل للسيد محمد مهدي بهاء الدين الشيرازي . رحمه الله ورضي
عنه . ص ٢٠٥ - ٢٠١ بحمد

(٢) قصة يد اليد الشريفة من أشهر كرامات السيد الرفاعي رضي الله عنه وأعلامه =

هنالك ، فيالها من خصوصية ما أحلاها وتكرمة ما أعلاها قال الشيخ
عبد الرحمن الصفوري رحمه الله تعالى : ولا انكار في ذلك فإن انكار ذلك
يؤدي والعباد بالله تعالى إلى سوء الخاتمة وقد نقل هذه الخصوصية جملة
من أكابر الصوفية وذكرها في « أم البراهين » على أن ذلك مشهور عند
جميع المسلمين .

« لطيفة » في معبرة النبي ﷺ وكرامة الرفاعي رحمه الله

وقد وقع قريب من ذلك مرة أخرى لسيّدنا قطب الأقطاب وغوث
الأنجاء السيد الشيخ أحمد الرفاعي المشار إليه قدس الله أسراراً وشيّد
آثاره وذلك أنه في العام الذي توفي فيه رحمه الله حج وزار قبره رحمه الله الذي

== شأناً ، وقصدت لها الناس خلقاً من سلف حتى بلغت مبلغ الثبوت ، وإن التصانيف التي
ذكرتها ووصلت إلى علمنا هي :

- ١ - تزيات الصيغ للحافظ تقي الدين الواسطي ٢ - نزعة المجلس للصفوري ٣ - النسخة
المسكبة للغارولي ٤ - سواد الصيغ المرافعي للقرنبي ٥ - الوضائف الأجدية للسيد عز الدين
الصياد ٦ - التبعة الكبرى للحافظ محمد بن القاسم الواسطي ٧ - ربيع العاشقين للخطيب
الحمداني ٨ - أم البراهين للحافظ محمد بن قاسم الحاج الواسطي ٩ - التنوير للحافظ جلال
الدين السيوطي ١٠ - الشرف الممنع للحافظ السيوطي ١١ - طبقات الكواكب القبرية
للمصنف المأثور ١٢ - الأسرار الرحمانية للعارف الصاوي المغربي ١٣ - التذكرة للشيخ
القطار ١٤ - التبع السامي للعبد روس الحسيني ١٥ - اجابة الداعي للعلامة البرزنجي
١٦ - شرح الشفاء للخطابي ١٧ - مناقب الصالحين للإمام الشعراوي ١٨ - خزنة الأسير
للشيخ علي الواسطي ١٩ - روضة الأعيان للموصلي ٢٠ - قاموس العاشقين للشيخ عبد
المعتم العائلي ٢١ - صحاح الأخبار للسيد سراج الدين الرفاعي ٢٢ - أرشاد المسلمين
للإمام عز الدين الغارولي - وغيرهما ، فبرهان المؤلف : من ١٦ - باب العالي م ٤٣
وانظر : قلادة الجواهر والتاريخ الأرحم - للمؤلف رحمه الله ١٤٠١ هـ - ١٤٠٢ هـ .

هو أفضل من الجنة بل من العرش والكرسي ولما وقف تجاه القبر الشريف يريد الوداع أنشد قائلاً :

إن قيل زرتم بما رجعتُم يا أشرف الرسل ما نقول ؟

فخرج صوت من القبر الشريف جمعه كل من حضر في ذلك الروض المعطر وهو يقول :

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول

ولاشك أنت كرامات الأولياء حق وصدق ولذلك قال اللقاني في جوهرة التوحيد :

واثبتن للأوليا الكرامة ومن نقاها فانبذن كلامه

والنبي ﷺ حي في قبره سميع بصير مُعظَّم يأكل ويشرب ويتنعم وقد شاهد ذلك أهل الكشف من خواص هذه الأمة المحمدية أي عند المراقبة فانكشف لهم ذلك في العالم الروحاني لا الجسدي وإلى ذلك أشار القطب المعارف بالله تعالى سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس سره بقوله : لو حجب عني رسول الله ﷺ طريقة عين ما عدت نفسي من المسلمين. وذكر الشيخ القدوة الحجة مولانا عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره في منته وكثير من كتبه أن سيدنا الشيخ إبراهيم التتويجي^(١) قدس

(١) انظر ترجمته موسوعة في الطبقات الكبرى ١ / ٢٧ - ٢٨ - للامام الشعراني .

سره كان يرى النبي ﷺ ويتلقى أوامره الحمديدية وكذلك ذكر أيضاً
 أن الشيخ أبا العباس المرسى^(١) خليفة الشيخ أبي الحسن^(٢) الشاذلي قدس
 سرهما كان يرى النبي ﷺ يقظة ويرى أن الانحجاب عن رؤيته ﷺ
 نقص في مقام ولايته وقد ذكر الامام العارف بالله سيدنا الشيخ أحمد بن
 جلال المصري خليفة شيخ الشيوخ مولانا الشيخ أبي بكر زين الدين
 الحنواي الرفاعي خليفة سيدنا الغوث الأكرم نور الدين عبد الرحمن
 القرشي المصري الرفاعي قدس أسرارهم في كتابه «جلاء الصدا» أن
 السيد الجليل والعلم الطويل شيخ مشايخ العرب والعجم صاحب النوبة
 والعلم محي الدين أبا العباس السيد الشيخ أحمد الكبير الرفاعي الحسيني
 قدس سره ونفعنا الله بركة علومه يقول: من صلى على النبي ﷺ وأشار بأصبعه
 ولم يتحقق أنه يمس بها صدره الشريف كلما صلى عليه لا حصل عليه ﷺ
 ولا حصل له شيء من اليقين الذي أمره الله تعالى به ولا علم وكيف
 يصلى عليه .

(١) الشيخ أبو العباس المرسى : من أكابر العارفين ، وكان يقال : إنه لم يربط علم
 الشيخ أبي الحسن الشاذلي غيره ، وهو أجل من أخذ عنه الطريق ، وكان يقرأ عليه كتاب
 « غم الأولياء » للحكيم الترمذي . ويتردد عليه كل ليلة فيسمع مبعاده في الإسكندرية
 ثم يرجع إلى القاهرة ، وله تكرامات لا تحصى ، توفي رحمه الله سنة ٦٨٦ هـ : الطبقات
 الكبرى : ١٢ / ٢ - ١٨ - ١٩

(٢) أبو الحسن الشاذلي : علي بن عبد الله الشاذلي المغربي : مؤسس الطريقة الشاذلية ،
 وأصله من « شاذلة » قرية بالمغربية « نشأ بها واشتغل بالعلوم الشرعية حتى ألقبها مع كونه
 طبرياً ، ورحل مواراً وسكن الإسكندرية فأظهر الله على يده التكرامات الخارقة واعتقده
 الحواس والعوام توفي رحمه الله بصحراء عذاب في طريق الحج سنة ٦٥٦ هـ : ١٠

ولا يخفى أن كثيراً من الأولياء يرونه ﷺ ويسمعون خطابه الكريم الذي ورد فيه الحديث وعليه جماهير الأمة سلفاً وخلفاً أنه يرد على من يسلم عليه السلام والفرق بين الولي وغيره سماع خطابه المبارك وعدمه ومن هنا يستدل أيضاً على ما أيد الله تعالى به مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رحمه الله وميزه به عن أوليائه من القرب المحمدي فإن الأولياء الكرام يرونه ﷺ ولشأنهم أن يراه لأن الحجب الثقيلة كالتراب ونحوه لا تنع حديق أبصارهم التي طهرها الله تعالى من الأغيار إلا أنت السيد الكبير السيد أحمد قدس سره عند خروج اليد الحمديدية له رآها حينئذ كل من كان في الحرم الشريف النبوي من مقرب ومحجوب وتواترت بها الأخبار وسارت بها الركبان في الأمصار وتعطرت بذكرها محافل السادات والأكابر وامتلات بنقلها بطون الدفاتر فما أعظم هذه المزية والرتبة العلية وما أحسن ما قلت في هذا الباب من موشح مدحت به السيد أحمد الكبير قدس سره .

قطب أقطاب الوري زكي الأصول بضعة الأعيان من آل البتول

حائر لثم يد الهادي الرسول

علناً في عام حج أطيب بعد وقت العصر قبل المغرب

رتبة فاق بعليهاها السلف وعلا فيها على كل الخلف

شرف تم به مجد الشرف

ويد ييضا أنت بالآرب جمعت ما بين ابن وأب

ولأنشك في أن السيد يشرف عبده والوالد يؤيد ولده سياف هذا الرسول
الجليل الأعظم والبحر الحضم المطلسم ﷺ فهو مورد الأنبياء ومصدر
الأولياء وهاطل الفيض الالهي الذي جل قدر ساكبه عن التناهي وكل
ما تقرر من المعجزات وتحرر من آياته البينات وماله ﷺ من خوارق
العادات فهي كما سبقت الإشارة إليه قطرة من بحر مما وقع له ﷺ فإن
استيعاب ماله من المعجزات يحتاج إلى عدة مجلدات إن كان ممكناً وأنى
يمكن حصرها والقرآن العظيم يجمع ألوفاً كثيرة منها ولولا خوف الإطالة
لبسطنا المقالة وبيننا لك شيئاً من المعجزات المدرجات في كتاب الله تعالى

« مطلب » في كرامات أولياء الله التي هي معجزة له ﷺ

وليعلم لديك أن كل ما وقع من الكرامات^(١) على أيدي أولياء هذه
الامة المرحومة من عهد الأصحاب الكرام إلى آخر الزمان فهو في الحقيقة
مقتبس من نوره الكريم وماخوذ من بحر مدده العظيم ويجب اعتقاد
الكرامات وجوباً كما قاله العلماء كافة واتفق عليه المسلمون عامة وفي هذا
يقول محب الدين محمد^(٢) بن الشحنة في منظومته التي شرحها السيد الشريف

(١) انظر بحث الكرامات موسعاً في كتاب طي السجل « ٢٧٩ - ٣١٥ » للسيد
محمد مهدي بهاء الدين الشيرازي وهو شيخ المؤلف رضي الله عنها .
(٢) محمد بن الشحنة : محمد بن محمد ، أبو الوليد عبد الله بن ابن الشحنة الحلبي ، فقيه
حنفي من علماء حلب . له كتب منها « نهاية النهاية في شرح الهداية » ٤ مخ ، ٥ فقه ، فهرست
الكتبخانة - ١٤٩١٣ - ٨١ .

أحمد الحموي وسماها تعليق القلائد على شرح العقائد .
ونعتقد الكرامة من ولي^١ كقصه خالد يوم الذراب

قال الشارح : وخالد هو : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . أبو سليمان
المخزومي سيف الله وصاحب رسول الله ﷺ أسلم^٢ في الهدنة طوعاً
واستعمله أبو بكر ﷺ على قتال مسيلمة ومن ارتد من الأعراب بنجد
ثم وجهه إلى العراق ثم وجهه إلى الشام وأمره على أمراء الشام وهو
أحد الأمراء الذين ولوا فتح دمشق وقصته على ما في تاريخ الخلفاء ابن
عساكر عن أبي السفر قال : نزل خالد بن الوليد الحيرة فنزل على بني أم
المراذية فقالوا له : احذر السم لا تسقيك الأعاجم فقال : اتقوني به فأتني
به وفي حديث ابن المقري : اتقوني منه بشيء فأخذه بيده ثم اقتحم^٣
وقال : بسم الله ، فلم يضره شيئاً . انتهى .

والآن نصرف عنان الهمة إلى ما نحن بصدده فإن تعداد المعجزات
إنما يحتاج إليه من له شك وشبهة في رسالته ﷺ لأن المعجزة بمنزلة قوله
تعالى : صدق عبيدي فيما أخبر عني . وقد امتلأت القلوب والحمد لله إيماناً

(١) شهد خالد بن الوليد رضي الله عنه مع المفسركين حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية
وأسلم قبل فتح مكة هو وعمر بن العاص سنة (٦) هـ فربى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاه الجبل توفي رضي الله عنه سنة (٢١) هـ وروى له البخاري ومسلم (١٨) حديثاً .
(٢) اقتحم الإنسان الأمر العظيم ، وتفحصه ، إذا رمى نفسه فيه من جسر روية
ونلبث . النهاية لابن الأثير : ١/٨٨ - والقاموس المحيط في بابه .

وإيقاناً حتى إن الذين كانوا موجودين في زمن بعثته ومشاهدين لأمر رسالته وأعرضوا عن اتباع كلمته وكذبوا بصريح نبوته كانت قلوبهم لا تشك ولا ترتاب في نبوة هذا السيد الأواب الناطق بالحكمة والصواب الذي أنزل عليه الكتاب وإفغان كان تكذيبهم لأمور دنيوية وأغراض دنية أعظمها أنهم طمعوا في أن يكونوا متبوعين وأنفوا أن يكونوا تابعين وغلب عليهم الحسد لمظهره البديع وقسدره الرفيع حتى حلمهم على التكذيب بنبوته العلية وتبديل صفاته من الكتب المنزلة السماوية وقد سبق لك أن رجلاً سأل أبا جهل فقال له : يا أبا الحكم ليس بيننا أحد ما تقول فيما يدعيه محمد من النبوة والرسالة فأقسم أبو جهل بالله أنه لصادق وأنه لم يكذب قط ومع ذلك فمشهور أنه كان هو بنفسه أشد الناس إنكاراً وأكثرهم إصراراً وأعظمهم لرسول الله ﷺ إيذاً حتى سمى فرعون هذه الأمة بل هو أشد على نبينا ﷺ من فرعون على موسى فإن فرعون سبق له إحسان عظيم لموسى ﷺ كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عن فرعون (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً) الآية . . . وأما فرعون هذه الأمة أبو جهل لعنه الله فلم يزل مدة عمره وطول دهره يؤذي رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته .

« مطلب » في اعتبار لفظ الرسول على لفظ النبي في الشهادتين وبيان معانيهما ولا يخفى عليك أن قوله ﷺ « وأن محمداً رسول الله » أولى من

أن يقول : وأن محمداً نبي الله لأن الراجح أن بين النبي والرسول فرقاً عظيماً إذ الثاني أخص من الأول فإن النبي : إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه . والرسول : إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة ويفترق أحدهما في أخرى وقيل : بينهما عموم وخصوص وجهي ، لأن النبي ينفرد فيمن أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول ينفرد في الملك المرسل كجبريل لكونه يطلق عليه : رسول ، لقوله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلاً)^١ ولا يطلق عليه نبي ، ويجتمعان في نحو نبينا ﷺ . وقيل : هما بمعنى واحد ولا شك أن القول الأول هو الصحيح الذي عليه يعمل والنبي يصح أن يُقرأ بالهمز وبتركه فعلى الأول : يكون مشتقاً من النبأ وهو : الخبر وعلى الثاني : يكون مشتقاً من النبوة وهي : الرفعة وعلى كل فهو على وزن فعيل بمعنى مفعول فعلى الأول معناه الخبر لهذه الأمة بأمر دينها أو الرفع لقدرها عند ربها . وعلى الثاني معناه : الخبر من الله تعالى أو من جبريل عليه الصلاة والسلام بأمر الدين أو المرفوع الرتبة على سائر العالمين والرسول مشتق من الرسالة وهو فاعول بمعنى مفعول على الظاهر وإن كان ورود فعول بمعنى مفعول قليلاً في كلامهم ، ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالى خاطبه باسم الرسول واسم النبي في القرآن دون سائر أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وإذا أطلق

النبي أو الرسول في القرآن أو السنة فالمراد نبينا ورسولنا ﷺ وهو
 الرسول المطلق لكافة الخلق من الأولين والآخرين فرسالته عامة ودعوته
 تامة ومزاياه كاملة ورحمته شاملة ونعمه متواصلة وكل من تقدم من
 الأنبياء الكرام والرسل العظام عليهم الصلاة والسلام فهم نواب عنه
 ﷺ وهو أولهم خلقا وآخرهم بعثا فإنه ﷺ خلقت أنواره قبل
 خلق آدم فهو سابق عليه في الوجود لأن آدم كان في عالم الغيب وهو
 ﷺ في عالم الشهود ولذلك أشار بعضهم بقوله على لسان حال سيدنا
 محمد ﷺ

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

ولي من قصيدة فيه ﷺ

لك الفخار انجلي قدما وآدم في مهد التكون شكلاً كان فخارا
 وقبل نشأته الأولى وصيغته نورت في الملائة القدسي أبصارا

وكيف لا وهو ﷺ الواسطة العظمى لايجاد هذه الأمم بعد
 سبق العدم ولولاه لم يخلق الله آدم ولا غيره فهو الواسطة لايجادنا بل
 ولوصول كل نعمة إلينا ولزبد فضل الله علينا لأنه باب الله الأعظم
 وحيييه الأجد الأكرم
 وأنت باب الله أي أمرى أتاه من غيرك لا يدخل

وجميع العلماء والأولياء والصلحاء والأتقياء والأنطاب والأفراد
والأنجباء والأوتاد وأئمة أهل الرشاد الذين قاضت بركاتهم على العباد وملا
ذكرهم البلاد ملتسوت من رسول الله ومستمدون من أمداداته
ومستفيضون من فيوضاته ومشمولون بإحساناته ومنعمون بإنعاماته أيديه
لهم شاملة والطفه لنبهم متواصلة والله در البوصيري حيث قال :
وكسهم من رسول الله ملتس
غرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيم

فينبغي لكل من من الله تعالى عليه بالاسلام أن يكون في جميع
حالاته متابعاً له عليه الصلاة والسلام قولاً وفعلًا وتقريراً ويعض على
سننه وسنة الخلفاء الراشدين من بعده بالتواجد قال تعالى (قل إن كنتم
تحبون الله)^(١) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)^(٢)
أي: يتقادوا انتقياداً وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)^(٣)
والأسوة: القدوة وهل يحفل ذولب وبصيرة أن شريعته الطاهرة وكلمته
القاهرة شريعة العدل الأكمل وكلمة الحق الذي لا يتحول والفارقة بين الحق
والباطل والكانفة لحفظ حق الصفات من تسلط الأقوياء ونعم الكافل والدالة

(١) آل عمران ٥١/ .

(٢) النساء ٦٥/ .

(٣) الأحزاب ٢١/ .

على خيرى الدنيا والدين والمدودة الظلال لحماية العجزة والمساكين وما أحسن
ما قلت به بفضل الله تعالى :

كفى الضعيف عن الأحزاب ثم حيا حيا الفقير الذي أعناء ظالمه
وأيد العدل حتى قال قائل من في أرض هذا رسول العدل حاكمه
فكل مفتقر تلقاه كافله وكل باغ عنيد فهو قاصمه

فيجب على كل منصف وصاحب طبع سليم تجردت نفسه عن الأغراض
السقيمة واندرجت طبيعته في سلك الطباع السليمة أن يقتدي به عليه
الصلاة والسلام وان ينصب نفسه لتأييد أحكام شريعته التي هي مهد
الأمن للأنام وهذا الشأن من أهم المهمات لمن آمن به ﷺ واتبعه وأحبه
ولا شك أن من أحب الرسول ﷺ كان لقوله مميعة ولأمره مطيعا
فدعوى محبته مع كثرة مخالفته من دعاوى النفس المجردة عن البيان
والعارية عن الحجة والبرهان والله در القائل :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

« مطلب » في الرغبة بالنسك بسنة ﷺ

جاء في الحديث الشريف قوله عليه أفضل الصلاة والسلام « عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » عضوا عليها بالنواجذ وإياكم

ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة^(١) . زاد في رواية^(٢) : وكل ضلالة في النار . وفي حديث آخر^(٣) من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني^(٤) . وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها^(٥) » . وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « المتمسك بسنتي عند فساد أمي له أجر مائة شهيد^(٦) » . وعن أنس قال : قال عليه الصلاة والسلام « من أحيا سنتي فقد أحيا بي ومن أحيا بي كان معي^(٧) » . وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من رأي من

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح : عن العراء بن سارية رضي الله عنه ، والنواخذة : أقصى الأستان : النهاية لابن الأثير ١ / ٥١ - ٢٠ - له .

(٢) هي : مسلم عن جابر رضي الله عنه .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه من مرسل الحسن رضي الله عنه بلفظ : من استن بسنتي فهو مني . . الحديث . وورد عجز الحديث في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه القاضي عياض في الشفاء ، والامام مسلم بلفظ : « . . . فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي » . . . الحديث » : عن جابر رضي الله عنه ، والبخاري بلفظ « أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ، . الحديث » عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط باسناد لا بأس به إلا أنه قال : « له أجر شهيد » والبخاري من رواية الحسن بن قتيبة بلفظ : « من تمسك . . . الحديث : الترغيب والترهيب للحافظ الذهبي ١ / ٥٩ - ٥١ .

(٦) رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .

خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولآه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .

وقالوا : الاعتصام بالسنة نجاة . وعن عطاء^(١) في قوله تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)^(٢) . أي : إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . وقال سهل التستري : أصول مذهبنا^(٣) ثلاثة الافتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال . وفي الحديث : * من رغب عن سنتي فليس مني *^(٤) وانظر بإخيه ما قاله السيد أحمد الرفاعي رحمه الله : لو بلغنا أن رسول الله ﷺ أمرنا بقص الأعناق لقصصناها اتباعاً وامتنالاً لأمره ﷺ وقال لولد بنته القطب المقرّب أبي إسحاق السيد إبراهيم الأعزب الرفاعي (قدس سره) : ما أخذ جدك طريقاً لله إلا اتباع رسول الله ﷺ ، فإن من صحت صحبته مع سر رسول الله ﷺ اتبع آدابه وأخلاقه وشريعته وسنته ، ومن سقط من هذه الوجوه فقد سلك سبيل الهالكين .

(١) وروي أيضاً عن الإمام الشافعي رحمه الله : الأربعين للذهبي ص ٢٦٦ .

(٢) النساء / ٥٩ .

(٣) أي : طريقنا نحن الصوفية .

(٤) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

نبذة في الترهيب من مخالفة سنة ﷺ

ويكفيك في النهي عن مخالفة السنة النبوية والطريقة المحمدية ما جاء من الآيات الفرقانية والنصوص القرآنية قال تعالى وهو أصدق القائلين: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره)^(١) الآية .. وقال تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصيراً)^(٢) أن الله تعالى ما أرسل هذا الرسول إلا ليطاع ، وما بين ﷺ أحكام سنته السنية إلا لأجل الاتباع ، والخير كله لمن اهتدى واقتدى واتبع ، والشر كله لمن زلّ فضلً وابتدع ، ولذلك قال صاحب الجوهرة .

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

والنبي ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ولم يترك خيراً إلا وحضنا عليه كثيراً . ولا شرأ إلا وحذرنا منه تحذيراً ، فمن أراد عز الدنيا والآخرة فشرعه ﷺ أعظم دليل ومن فارقه قيدٌ شبر فقد ضل سواء السبيل .

(١) النور / ٦٣ .

(٢) النساء / ١١٠ .

« مطلب » في محبة علي الصلوة والسرم

ومعلوم أن من أدمن على الاقتداء به ﷺ ورغب في متابعتة فقد فاز بمحبته ومن أحبه كان معه في الجنة ولنعم المعية، روى أنس رضي الله عنه أنه « أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، متى الساعة ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله ، فقال : أنت مع من أحببت »^(١) . وعن صفوان بن قدامة قال : « هاجرت إلى النبي ﷺ فأثبته فقلت : يا رسول الله ، ثاولني يدك أبابعك فثاولني يده فقلت : يا رسول الله ، إني أحبك فقال : المرء من أحب »^(٢) . وعن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب : أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين رضي الله تعالى عنهما فقال : « من أحبني وأحب هذين وأبهما وأمهاتهما كان معي في درجتي يوم القيامة »^(٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال : من أشد امتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأي بأهله وماله »^(٤) وقد كان الصحابة ومن بعدهم من التابعين وأئمة المسلمين يحبون رسول الله ﷺ حباً لا يقاومه شيء .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) حديث : المرء مع من أحب ، رواه أحمد في مسنده . وانفق عليه البخاري ومسلم . كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي ورواية صفوان رضي الله عنه لها .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، والترمذي واللفظ له عن علي رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم .

فقد كان « خالد بن معدان »^(١) لا يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه الأخيار والمهاجرين والأنصار ويسمهم بأسمائهم ويقول : هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم . وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ قال : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ^(٢) . ويحكى أن علياً كرم الله وجهه وقف عند قبر رسول الله ﷺ وبكى جهده حتى كادت ترهق نفسه الكريمة وأنشد :

كنت السواد لناظري	فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليت	فعليك كنت أحاذر

وبكت السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها عند قبر أبيها صلوات الله وسلامه عليه وعليها بكاء شديداً وأنشدت :

ماذا على من شم تربة أحمد	أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها	صبت على الأيام صرن لياليا

وقد كانت رضي الله عنها دائمة البكاء بعد وفاته عليه الصلاة والسلام

(١) هو من التابعين والزواجة لا بنته : عبدة : الشفاء للعاصي عباس : الأوار الحمدة لفتها لى (١١٩) ٥١ .
(٢) ذكره القسطلاني في الواجب الدنية . والفاخي عباس في الشفاء .

متواصلة الأحزان حتى لحقت به ﷺ بعد وفاته ستة أشهر وعلى ذلك كان الأصحاب العظام عليهم رضوان الملك العلام فأنهم رضي الله عنهم لا يفكرون عن ذكره عليه الصلاة والسلام ولا عن القيام بواجب محبته والعمل بسنته حتى إن أحدهم يؤدّ فراق الدنيا للدخول به عليه السلام رجاء أن تلحقه محبته بجواره وأن يتملى بمشاهدة لامع أنواره ، على أن المرء من أحب معية تلحق المحب بالتشرف بنظر المحبوب ، فما أكثرهم رضي الله تعالى عنهم حياً لرسول الله ﷺ وما أحسن ما قلت في هذا المعنى بفضل الله عزّ وعلا :

عشقته أرواح المحبين الأولى فادّوه الإخلاص بالأرواح
وتحققوا أنت الممات بحبه وصل يصح بفرقة الأشباح

ومما ورد^(١) أن بلالا رضي الله عنه لما احتضر صاحت امرأته : واحزنانه ، فقال : واطرباه ، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه . ويروى^(٢) أن امرأة قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها : اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ فكشفتها لها فبكت حتى ماتت .

قال^(٣) أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

(١-٢) ذكرهما القاضي في الشفاء : ٢٠/٢ - والبيهقي في الأنوار الغمسية ص (١٩) : ١٠١ .
(٣) ذكره القاضي عياض في الشفاء : ٢١/٢ .

« مطلب » في مهمات محبة ﷺ

ومن أعظم علامات حبه ﷺ : أن يؤثره الإنسان على كل شيء وأن يتبع سيرته النبوية وطريقته الحمديدية وشريعته الأحمدية وأخلاقه المصطفوية ويوافقه في مأكله ومشربه وقعوده وقيامه ونومه وخوفه وخشيته وتواضعه وبكائه وعباداته وسائر أخلاقه وصفاته حسب الطائفة وقدر الاستطاعة .

ومن علامة محبته ﷺ كثرة ذكره بأسمائه الشريفة وأوصافه المنيفة فإن : من أحب شيئاً أكثر ذكره ^(١) .

ومن علامات محبته ﷺ طاعة أولياء الأمور : الذين هم خلفاء عن رسول الله ﷺ ونواب عنه في تنفيذ أوامر الله بين عباد الله وفي فصل القضايا والأحكام وحفظ ثغور الإسلام فإن طاعتهم هي في الحقيقة طاعة لله ورسوله لأن الله تعالى قد أمر بذلك فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ^(٢) . قال الحق البيضاوي : يريد بهم أمراء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وبعده ويندرج فيه الخلفاء والقضاة إلى آخره ..

وكتب العلامة مفتي الثقلين : أبو السعود ، على هذه الآية الكريمة عند قوله تعالى (وأولي الأمر منكم) ما نصه : وهم أمراء الحق وولاة

(١) هو حديث شريف رواه الديلمي وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) النساء / ٥٩ .

العدل كالحلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من الأئمة المهتدين . وفي تفسير أبي حيان^(١) المسمى : ببحر العلوم : عند هذه الآية الكريمة ما لفظه : قيل : نزلت في أمراء رسول الله ﷺ ثم قال : ومناسبتها لما قبلها : أنه لما أمر الولاة أن يحكموا بالعدل أمر الرعية بطاعتهم ، قال ابن عباس وأبو هريرة والسدي وابن زيد : أولوا الأمر : هم الأمراء . قال العلامة الزمخشري^(٢) صاحب الكشف والمراد بأولي الأمر منكم : أمراء الحق . قيل : وحمل هذه الآية على أن المراد بها غير أمراء المسلمين بعيد . إما أولاً : فلأن الأمراء والسلاطين خلّد الله شوكتهم إلى يوم الدين لم نزل أوامرهم مطاعة على قدر الاستطاعة فهم أولوا الأمر على الحقيقة . وإما ثانياً : فلأن رسول الله ﷺ بالغ في الترغيب في طاعة الأمراء ، فقد قال ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني : ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني »^(٣) .

(١) أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن حبان القرطبي الأندلسي الجبالي ، أبو حبان أمير الدين ، من أكابر العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . له تأليف جليلة منها التفسير المذكور في ثلث مجلدات . توفي رحمه الله بمصر سنة ٤٤٥ هـ .

(٢) الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، جاز الله أبو القاسم : من أئمة الصوفيين والتفسير واللغة والآداب . ولد له « زعشر » من قرى خوارزم وسافر إلى مكة فجاور فيها زمناً فلقب بجاز الله ، أشهر كتبه : « الكشف - ط » في تفسير القرآن ، وكان معتزلي للذهب بجامعاً ، شديد الإنكار على الصوفية في « الكشف » وغيره . توفي رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ .

(٣) رواه أحمد في مسنده واتفق عليه البخاري ومسلم ، وأخرجه النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وعنه عليه السلام أنه قال : « إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها ،
 إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض » ^(١) وقال عليه السلام : « سبعة يظلمهم
 الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله » ^(٢) .
 إلى آخر الحديث وقد ذكرنا هذا الحديث الشريف في بحث الذكر ،
 وقال عليه السلام : « العدل حسن ولكن في الأمراء أحسن » ^(٣) وقال عليه السلام :
 « السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه
 الله » ^(٤) وقال عليه السلام : « السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل
 مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، وإن جار
 أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر » ^(٥) . وقال عليه السلام :
 « السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم ،
 ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة » ^(٦) وقال عليه السلام :
 « السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضلّ ومن نصحه اهتدى » ^(٧) .
 وقال عليه السلام : « السلطان ظل الله في الأرض فإذا دخل أحدكم بلدًا ليس فيه
 سلطان فلا يقيم به » ^(٨) . وقال عليه السلام : « السلطان ظل الرحمن في

(١) رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) هو بعض حديث رواه الذهبي في مسنده الفردوس عن علي رضي الله عنه .

(٤) رواه الطبراني والبيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) رواه الحاكم الترمذي والبخاري والبيهقي : عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما .

(٦) رواه ابن النجار : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٧) رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه .

(٨) رواه أبو الشيخ : عن أنس رضي الله عنه .

الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وعلى
الرعية الشكر ، وإن جار أو حاف وظلم كان عليه الإصر وعلى الرعية
الصبر ، ^(١) وقال عليه السلام : « السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمه
في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقاً » ^(٢) . وقال سهل التستري رحمه
الله : أطيعوا السلطان في سبعة : ضرب الدنانير والدراهم والمكاييل
والأوزان والأحكام والحج والجمعة والعينين والجهاد .

وقد نص علماء الدين من الفقهاء والمتكلمين : على وجوب نصب
الإمام وافترض طاعته وامتنال أمره ولأهمية هذه المسألة تعرض أهل
الفقه وأصحاب العقائد إلى تحقيقها وإثبات نصوصها وأدلتها وبراهينها
ولم يحصل الاكتفاء بذكرها في أحد العلمين المذكورين .

« مطلب » في الإمامة

وقد نص العلامة اللقاني في شرح أرجوزته المسماة : بالجوهرية ، على
أن الإمام مأخوذ من الإمامة وهي في اللغة : التقدم ، وتنقسم إلى إمامة
وحي كالنبي ، وإلى إمامة وراثية كالعلم ، وإلى إمامة عبادة كالصلاة ،
وإلى إمامة مصلحة وهي : الإمامة الكبرى والخلافة العظمى الشاملة
لمصالح جميع الأمة ، وكلها تحققت لرسول الله ﷺ وحيث أطلقت

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما . والإصر : الإثم
والعقوبة ، وأصل معناه : الثقل .

(٢) رواه أبو الشيخ : عن أبي بكر رضي الله عنه .

الإمامة في لسان علماء الكلام انصرفت للإمامة العظمى وهي : رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ ولا شك في وجوب محبة الإمام ونصحه والدعاء له فإنه القائم بأمر الجهاد والمجاهد في إصلاح العباد ، وفي تجهيز العساكر والجيوش والجنود وسد الثغور^(١) وحماية البيضة^(٢) وردع الظالمين ونصر المظلومين وقد أمر ﷺ بالنصيحة لإمام المسلمين رفع الله قدره وأعلى أمره ، فعن أبي رقية تميم ابن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم . ومعلوم أن النصيحة لله بمعنى الإيمان به والطاعة له ، والنصيحة لكتاب الله : تعظيمه والإيمان به والعمل بما فيه . والنصيحة لرسوله ﷺ : تصديقه فيما جاء به وإعانتة على أمر ربه ، والنصيحة لأئمة المسلمين هي : امتثال ما أمروا به ، والانتفاء عما نهوا عنه وإعانتهم على ما فيه حصول الرشاد ونفع العباد وعمران البلاد وبلوغ المقصود والمراد وجمع قلوب المسلمين على الطاعة والانقياد .

ومن نصيحتهم حسن الاعتقاد بهم وكثرة الدعاء لهم وقد ذكر في

(١) الثغور : جمع ثغر ، والثغر : الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع القابلة من أطراف البلاد : النهاية لابن الأثير : ١/٢١٣ والقاموس المحيط في باب .

(٢) بيضة كل شيء : حوزته ، وبيضة الاسلام : جماعتهم . وموضع سلطانهم ، واستقر دعوتهم . وبيضة الدار : وسطها ومعظمها : القاموس المحيط في باب . والنهاية لابن الأثير : ١/١٢٢ - ١٢١ .

شرح الجوهرة ما يفيد الاجماع على وجوب بيعة الإمام معللاً بقوله : إنا
نعلم علماً يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات
والمناكحات والجهاد والحدود والتقصاصات واظهار شعار الشرع في
الاعياد والجمعات إنما هو المصالح العائدة إلى الخلق معاشاً ومعاداً وذلك
المقصود لا يتم إلا بإمام من قبل الشارع ليرجع الناس إليه فيما يحدث لهم ،
فإن الناس مع اختلاف أهوائهم وتفرق آرائهم وكثرة شحناتهم لا يتقاد
بعضهم إلى بعض فيقضي ذلك إلى وقوع التوائب وظهور القال والقال
بين الأقارب والأجانب وربما يؤدي ذلك إلى هلاك الكثير ووقوع الأمر
الخطير ، وقد شاهدنا ما يحدث عند وفاة أحد الولاة في إحدى الولايات ،
وتحققنا أنهم لو بقوا بلا والٍ لتعطل معاشهم وصار كل واحد يحتاج
إلى أن يكون حاملاً لأسلحته محافظاً لماله وعباله وشيعته وذلك يؤدي
إلى ضياع المستضعفين وهلاك غالب المسلمين .

فوجود الإمام من أهم المهام لحفظ الإسلام ، ودفع المردة والظلم
وجلب الأمن والراحة لجميع الأنام ، ولا شك أن وجوده أعظم نعمة
علينا وأجزل منة لدينا ومن تأمل الأحاديث النبوية الواردة في حق
الأئمة نفع الله بهم جميع الأمة عرف ما نقول .

ورد في صحيح مسلم « أن سلمة بن زيد الجعفي سأل رسول الله ﷺ
فقال : يا نبي الله ، أ رأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعونا
حقنا فما تأمرنا ؟ فاعرض عنه ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه

الاشعث بن قيس وقال : اسمعوا وأطيعوا فاننا عليكم ما حملوا^(١) وعليكم ما حملتم^(٢) . وفي رواية: فجذبته الاشعث بن قيس فقال رسول الله ﷺ « اسمعوا وأطيعوا فاننا عليكم ما حمل وعليكم ما حملتم » . وفي صحيح مسلم من حديث آخر قال : « تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فامع وأطع » . وقال ﷺ : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية »^(٣) وقال ﷺ : « من رأى من أميره شيناً بكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية »^(٤) إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة والآثار والأخبار الصريحة وإذا تأملت في أمرار هذه الأحاديث وفيما مر لك من كلام العلماء العاملين والأئمة المتقدمين عرفت النفع الذي يحصل للعامة من أمير المؤمنين وتبين لك أنه قائم في اظهار شعائر الدين وحفظ المسلمين خلافة ونيابة عن سيد المرسلين فكما يجب عليك أن تحبه ﷺ كذلك يجب عليك أنت تحب أقرانه وخلفاءه لا سيما الخليفة الذي ترى بساط عدله قد وسع جميع الرعية وآثر فضله شملت هذه الأمة المحمدية .

« لطيف » من علامات محبة ﷺ : كثرة الصلاة عليه وعلى آله وأصحابه

ومن العلامات الدالة على محبته أيضاً : كثرة الصلاة والسلام عليه

-
- (١-٢) حملوا : أي من العدل . وما حملتم : أي من الطاعة . الأربعين لنتياني رحمه الله تعالى من (٢-٧) دروي الحديث ١ وائل بن حجر رضي الله عنه .
 (٣) رواه أحمد في مسنده . والإمام مسلم والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
 (٤) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد في مسنده : عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وعلى آله الكرام وأصحابه العظام وقد ورد الأمر بالصلاة والسلام على النبي ﷺ في الكتاب العزيز فقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وفي هذه الآية الكريمة دليل قاطع وبرهان ساطع على أن هذا النبي المكرَّم والرسول المعظم ﷺ رفيع القدر في الملائكة الأعلى وفي الملائكة الأدنى لأن الله تعالى أخبر عن الملائكة الأعلى وهم الملائكة الكرام بأنهم يصلون على سيد الأنام ومصباح الظلام وأمر الملائكة الأدنى وهم المؤمنون بالصلاة والسلام عليه ﷺ وأعظم من ذلك أنه معظم عند الله سبحانه وتعالى ولذلك أخبرنا سبحانه وتعالى بأنه يصلي عليه .

« مطلب » في معنى الصلوة على النبي ﷺ

والصلوة أحسن ما قيل فيها إن معناها : العناية ، لكن في كل محل بحسبه فالصلوة من الله تعالى : اعتناؤه بنبيه ﷺ بأعلاء قدره وإظهار فخره وإعلان شرفه والتناء عليه وإيصال كل خير وبر إلىه ، ومضاعفة تعظيمه وزيادة تعزيره وتكريمه . والصلوة من الملائكة والادميين : تضرع إلى الله تعالى في أن يزيد عزه وإكرامه ويرفع قدره ومقامه ، وهو سبحانه وتعالى لا زالت أفضالاته لهذا النبي الكريم والرسول الرحيم متواصلة أمد الدوام لا يعتريها انقطاع ولا انقسام ومع ذلك فقد

أمر تعالى بالصلاة محضاً لإظهار قدر نبينا المعظم ورسولنا المكرم ﷺ ،
ولتمحيص ذنوبنا وستر عيوبنا وتثريقتنا يجعلنا محللاً لصلاته تعالى علينا
كما يستفاد من الأحاديث الشريفة الآتي ذكرها ، وما ذكرناه من تفسير
الصلاة بالعناية : هو ما ارتضاه كثير من المحققين كالإمام الغزالي والعلامة
الزركشي^(١) وغيرهما وعلى هذا فالصلاة من قبيل المشترك المعنوي وهو :
« ما اتحد لفظه ومعناه واشتركت فيه أفراد » . وقيل هي من قبيل
المشترك اللفظي وهو : « ما اتحد لفظه وتعدد معناه ووضع » . وعلى
هذا فتكون موضوعة لمعان متعددة فالصلاة من الله هي : الرحمة المقرونة
بالتعظيم ، ومن الملائكة هي : الاستغفار ومن الآدميين وغيرهم هي :
التضرع والدعاء ، ودخل في الغير جميع الحيوانات^(٢) والمجمادات ، فإنه
ورد أنها صلّت وسلمت على سيد الكائنات ﷺ كما صرح به الشنوائ^(٣)

(١) الزركشي : محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، أبو عبد الله ، بدر الدين :
فقيه شافعي تركي الأصل ، مصري المولد والوفاء . له تصانيف جليلة في عدة فنون منها :
« الديباج في توضيح المناهج - خ » فقه . و « المنثور - خ » يعرف بقواعد الزركشي ،
في الفقه : المستطرفة : ١١٢ - وغيره . توفي رحمه الله سنة (٧٩٤) هـ .

(٢) والجن من باب أول لأنهم مكلفون بأحكام الشريعة الإسلامية ، فقد حكى
السبوطي : الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الإنس والجن . وأما
بعثت إلى الملائكة فاختلف فيها ، ولدي رجحه السبكي أنه مبعوث إليهم : الأربعين للسيد
النباني من (١٣٦) : جومرة التوحيد للسيد اللقاني من (١٢٢) ، ٥١ .

(٣) الشنوائ : محمد بن علي الشنوائ الشافعي : فقيه ، من أهل مصر ، ولي مشيخة
الجامع الأزهر . من كتبه : حاشية على شرح اللقاني على الجومرة - خ ، في التوحيد
و « حاشية على شرح السمرقندي - خ » توفي رحمه الله سنة (١٢٣٣) هـ : خطط مبارك
١٢٢ : ١١٢ - ٥١ .

في شرحه على البسملة الشريفة وصرح بمثل ذلك العلامة الحلبي في سيرته خلافاً لمن منع ثبوت الصلاة والسلام عليه من الحيوانات والجمادات وقد نقل العلامة محمد المهدي في كتابه: «مطالع المسرات بجلاء» دلائل الحيرات، أنه قد انعقد الإجماع على أن في هذه الآية من تعظيم النبي المكرم ﷺ والتنويه بذكره ورفع قدره ما ليس في غيرها من الآيات قال أبو الليث^(١) السمرقندي: رحمه الله تعالى: إذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل العبادات فانظر إلى هذه الآية ترى أن الله بدأ في الصلاة عليه بنفسه وثق بملائكة قدسه ثم أمر المؤمنين من عالمي جنه وإنسه، والمعنى: أنه إذا كان ربكم تبارك وتعالى قد صلى عليه وملائكته أيضاً صلّت عليه فتخلّقوا أنتم بذلك وصلّوا عليه، وفيه إيذان بعزازه قدره وقهامة أمره واستغنائه بصلاة الله وصلاة ملائكته عن صلاتنا كاستغنائه بنصرة الله عن انتصارنا، إلا تنصروه فقد نصره الله^(٢). وأتى سبحانه وتعالى بالجملة الاسمية للتأكيد وزاد هذا التأكيد وقوّاه بالتعبير بأن عبّر عن الصلاة بلفظ المضارع المفيد للتجدد إشارة إلى أنه تعالى في كل آن وفي كل زمان يصلي عليه فكذلك أنتم أكثروا من صلاة الله في جميع الأوقات وعلى سائر الحالات وفي هذه الآية مزية شريفة

(١) أبو الليث السمرقندي: هو العالم العامل والمحدث المنقذ والعقب الشافعي.
نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: من كتب «تبيين القائلين» ط ١٤٠٠ في الوط والإرشاد،
ومن اتقى المؤلف رحمه الله قوله المذكور ص ١٦١ - و «بستان العارفين» وغيره.

(٢) فتوبة / ٤٠٠ /

ومنتقة منيفة وهي من خصوصياته والتي لم تسبق لغيره من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ولا شك أنها أكمل وأعظم وأجل وأنم من الخصوصية التي خص الله بها صفيه آدم عليه الصلاة والسلام التي هي سجود الملائكة له لأن قضية السجود وقعت وانقطعت والصلاة على هذا السيد عليه السلام لا تنقطع ولا تنبذ بل لم تزل تتضاعف وتزيد وأيضاً فالسجود لا يتصور وقوعه منه تعالى ، وأما الصلاة فهي حاصلة منه جل وعلا مع حصولها من الملائكة والأدمنين بل ومن غير الأدمنين كالحیوانات وسائر الجمادات على ما سبق ترجيعه ، ويؤخذ من هذه الآية : أن الصلاة والسلام على النبي عليه السلام واجب ، لأن الله تعالى كلفنا بها بصيغة الأمر وهي قوله تعالى (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا)^(١) والأمر : للوجوب ، ولذلك قال العلامة البيضاوي في تفسيره : والآية تدل على : وجوب الصلاة والسلام عليه . وهذا قول الطحاوي وجماعة من أئمتنا الحنفية ووافق على ذلك جماعة من السادات الشافعية ، قال شيخنا زاده : وهو المختار عند الجمهور ، وقيل تجب في العمر مرة وهو مذهب المالكية^(٢) رضي الله تعالى عنهم وقيل : يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد ، وهو قول القاضي أبي بكر رحمه الله تعالى من المالكية ، وقيل تجب في كل مجلس ، ونسب هذا القول للترمذي

(١) الأحزاب / ٥٦ .

(٢) وفيه ذهب أهل الظاهر : قيل الأوطار للشوكاني : ٢ / ٢٢٢ .

من المحدثين ، وقيل تجب^(١١) في القعود الأخير من الصلاة وهو قول الإمام الشافعي رحمته الله ، وقيل : تجب^(١٢) الصلاة عليه كلما ذكر لقوله عليه الصلاة والسلام : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي »^(١٣) وقوله رحمته الله : « من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله »^(١٤) .

« لطيفة » في إقرار الصلوة عن السرور

واختلف في إفراد الصلاة عن السلام هل يكره أم لا ؟ فقال جماعة بالكراهة لأن الله تعالى قرن الأمر بالصلاة بالأمر بالسلام فقال : (صلوا عليه وسلموا تسلياً) فأفراد الصلاة مكروه لكن شرطوا للكراهة ثلاثة شروط : متى انتفى واحد منها انتفت الكراهة .
الشرط الأول : أن يكون منا ، فلو كان منه رحمته الله فلا شك في عدم الكراهة لأنه حقه .

الشرط الثاني : أن يكون الأفراد في غير الوارد أما في الوارد فلا كراهة .

(١) وإلّا ذلك ذهب عمر وابنه عبد الله وابن مسعود وجابر بن زيد والشافعي والشافعي وأحمد بن حنبل واختاره القاضي أبو بكر ابن العربي من المالكية : نيل الأوطار : ٣٢١/٢ .

(٢) قال الطحاوي من الحنفية واختاره الحلبي من الشافعية : نيل الأوطار : ٣٢٢/٢ .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ : « عليك » بدل « علي » ، وأول الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال ... الحديث : رواه أبو هريرة رضي الله عنه : الترغيب والترهيب للمصنف المنطري : ٣٠٧/٣ - ٣٠٨ .

الشرط الثالث: أن يكون الأفراد من غير داخل الحجرة النبوية،
أمّا هو فيقتصر على السلام بأن يقول حال الدخول بأدب وخشوع
وسكينة وخضوع: السلام عليك يا رسول الله ، ولا يكره في حقه
الأفراد وقال آخرون: بعدم الكراهة مطلقاً لوجهين:

الأول: أن القرآن الذكري لا يقيد القرآن الفعلي، ألا ترى أن
الله تعالى قرن الصلاة بالزكاة فقال عز من قائل: (أقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة) ومن البسيهي أنه ليس المراد فعلها في وقت واحد.

الثاني: أنه يحتمل أن يكون معنى السلام هو: التسليم والانقياد
وعليه فالمعنى: صلوا عليه وانقادوا للأمر انقياداً، والدليل متى قبل
الاحتمال امتنع به الاستدلال. فان قلت: لم أكد تعالى الأمر بالسلام على
ما هو المتبادر من معناه فقال: وسلموا تسلياً، ولم يؤكد الأمر بالصلاة
فلم يقل: صلوا عليه صلاة؟ أجيب: بأن الصلاة قد حصل لها أنواع من
التأكيد منها: الاتيان (بأن) ومنها: التعبير «بالجملة الاسمية» المفيدة للدوام
والاستمرار، وبالمضارع المفيد للتجدد والتكرار، ومنها ذكر أن الله
تعالى هو بذاته يصلي عليه، وهكذا ملائكته تصلي عليه. ومنها:
تقديمها في الذكر المفيد لشدة الاعتناء بها، فحيث أكدت الصلاة بهذه
الأوجه العديدة ناسب تأكيد السلام بالاتيان به بصيغة المصدر بعد الاتيان
به بصيغة الأمر.

« مطلب » في استحباب الصلوة عليه ﷺ في مواطن أكثر منها في غيرها

واعلم أن الصلاة عليه ﷺ تزداد تأكيداً في مواطن^(١) معروفة فمنها يوم الجمعة وليلتها ، ويوم السبت والأحد والاحدس وفي كل صباح ومساء ، وعند دخول المسجد والخروج منه وعند زيارة القبر الشريف النبوي وعند الصفا والمروة في التشهد الأخير وفي خطبة الجمعة وفي غيرها من الخطب وأول الدعاء وآخره وعند الوضوء وعند الوعظ ونشر العلم وقراءة الحديث الشريف : ابتداء وانتهاء ، وعند ذكره ومجاء اسمه وكتابته وفي غير ذلك من المواطن المقررة في محلها . ولا يخفى أن هذه الآية الكريمة قد حوت تشريفاً عظيماً لهذه الأمة المحمدية والملة الأحمدية على نبيها أفضل الصلاة وأتمّ السلام وذلك : لأن الله تعالى خاطبها بقوله عزّ شأنه : (يا أيها الذين آمنوا) ونسب فعل الإيمان إليها مع أنه هو الذي تنفّل بنعمة الإيمان علينا وأوصل هذا الخير والبرّ إلينا فلولا هدايته ما اهتدينا ولولا عنايته ما اتبعنا ولا اقتدينا قال تعالى (قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم) .. الآية . وما الإيمان إلا تصديق القلب ، وفي الحديث « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض ؛ ٦٦/٢ - فإنه أمّياً بها مشفّعاً بالأحاديث التي وردت في حقها .

يشاء^(١) . قال محمد بن عطاء الله الاسكندراني رحمه الله تعالى : من تمام نعمته عليك أن خلق ونسب اليك . وما أحسن هذا الخطاب الذي تلتذ به العقول والألباب وأن هو من خطابه تعالى للأمم السابقه بقوله : يا أيها المساكين . وفي خطاب الأمم السابقة يوصف المسكنة المفيدة للذل والافتقار وخطاب هذه الأمة الحمدي يوصف الإيمان الذي لا يساميه عز ولا افتخار تأكيد وتأييد لما تضمنته الآية الأخرى وهي قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس)^(٢) من خيرية هذه الأمة وتفضيلها على سائر الأمم ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها : أعطى الله لهذه الأمة الحمديّة تشريعاً بقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته)^(٣) . ثم قال أيضاً ﷺ : عندي أشرف من هذا ، قال تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام : (لا تخف إنك أنت الأعلى)^(٤) وقال لهذه الأمة : (ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)^(٥) وقال تعالى (وكلم الله موسى تكليماً)^(٦) وقال لهذه الأمة (فاذكروني أذكركم)^(٧) وقال

(١) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها يلفظ : إنا إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء .. الحديث واقتصرنا بإخراج مسلم عن البخاري فرواه مع التلويح مع الحديث من حديث جبهة بن شريح المصري ب : تفسير ابن كثير : ٢٩٨/٢ - ٢٩٩/١ .

(٢) آل عمران / ١١٠ .

(٣) الأحزاب / ٤٣ .

(٤) طه / ٩٨ .

(٥) آل عمران / ١٢٩ .

(٦) القصص / ١٦٤ .

(٧) البقرة / ١٥٢ .

لابراهيم عليه الصلاة والسلام : (واتخذ الله ابراهيم خليلاً)^(١) وقال
لهذه الأمة (يحبهم ويحبونه)^(٢) وقال لعيسى : (وأيدته بروح
القدس)^(٣) . وقال لهذه الأمة (وأيدهم بروح منه)^(٤) وقال لسيدنا
ونبينا ﷺ (وسوف يعطيك ربك فترضى)^(٥) وأكرم هذه الأمة
لأجله بقوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه . ذلك لمن خشي ربه)^(٦)
وجاء : ان الجنة تقول خمس مرات في كل يوم : واشوقاء إلى أمة
محمد ﷺ .

« مطلب » فيما ورد في الصلوة عليه ﷺ

وما زاد هذه الأمة المحمدية تشريفاً وتعظيماً ووقاراً أن الله تعالى
صلى على النبي ﷺ وأمرهم بالمشاركة بالصلوة عليه ، والأحاديث
الواردة في فضل الصلاة والسلام عليه ﷺ أكثر من أن تحصى ولكن
نذكر منها طرفاً تبركاً بخدمته ﷺ بنقل أحاديثه لأمته لأجل تشويقهم
للاكتثار في الليل والنهار من الصلاة والسلام على السيد المختار صاحب

(١) النساء / ١٢٥ .

(٢) المائدة / ٥٥ .

(٣) البقرة / ٨٧ - ٢٥٣ .

(٤) المجادلة / ٢٢ .

(٥) القصص / ٥ .

(٦) البينة / ٨ .

الأنوار ومعدن الأسرار ﷺ فنقول جاء في الحديث الصحيح : أت رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال : انه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمته إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمته إلا سلمت عليه عشراً^(١) . وفي رواية^(٢) : « أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول : إنه لا يصلي عليك أحد من أمته إلا صليت عليه عشراً » . وعلى الرواية الأولى يكون المصلي جبريل عليه الصلاة والسلام بخلافها على الثانية فإن المصلي هو : الله عز وجل . وفي الحديث « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وفي حديث آخر « من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفعه له عشر درجات » . رواه الامام أحمد في مسنده والبخاري في كتاب الأدب وغيرهما وفي حديث آخر « من صلى على حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدر كته شفاعتي يوم القيامة » رواه الطبراني في الكبير - وفي حديث آخر « من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى علي ثانياً أبلغته » . رواه عبد الرزاق في الجامع عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وفي الحديث « من صلى على صلاة كتب الله له قيراطاً ، والقيراط مثل

(١) وروى ابن حبان في صحيحه والطبراني والنسائي وأحمد غير هذا أيضاً :

الترغيب والترهيب ٢/٢٩٨ .

(٢) في لابن حبان في صحيحه .

أحد^(١) . أي كتب الله له من الأجر مثل جبل أحد . وفي الحديث
 « الصلاة على نور على الصراط » رواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .
 وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « الدعاء معلق بين السماء
 والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي ﷺ »^(٢)
 وقال ﷺ : « من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة على فإنها
 تكشف الغموم والغموم والكروب وتكثر الأرزاق وتقضي الحوائج »^(٣)
 وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يردن على الحوض يوم القيامة
 أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة على »^(٤) وروي عنه ﷺ أنه قال :
 « من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات ومن صلى علي عشر
 مرات صلى الله عليه مائة مرة ومن صلى علي مائة مرة صلى الله عليه ألف مرة
 ومن صلى علي ألف مرة حرم الله جسده على النار وثبته بالقول »^(٥) الثابت

(١) أخرجه عبد الرزاق في الجامع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي عن سفيان بن السيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً .
 (٣) قال العلامة محمد المدي في مطالع السرايا : لم ألق عليه ، وقد وردت أحاديث
 بغضه المرائج ونفي القفر وكشف الكرب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم منسأة
 ما أخرجه المستغفري عن جابر رضي الله عنه « من صلى علي في كل يوم مائة مرة قضيت
 له مائة حاجة منها ثلاثون للديار وسائر ما للأخرة » .

(٤) هو : أثر ، ذكره القاضي عياض في الشفاء ، ويشير له الحافظ السيوطي في متاعل
 الصفا ولم يذكر أخرجه .

(٥) هو : لا إله إلا الله والافتراق بالنبوة ، فالنوحية ثابت لا يتصور العقل إقبحه
 ولا يمكن شكه ، والنبوة ثابتة أيضاً بإثبات الله عز وجل .

في الصلاة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة ^(١) وفي الحديث « أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة » ^(٢) وفي حديث آخر « من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة » ^(٣) وعن أبي هريرة « أن رسول الله ﷺ قال : للمصلي علي نور علي الصراط ، ومن كان علي الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار » ^(٤) . وقال ﷺ « من صلى علي

(١) اكتفى المؤلف رحمه الله بتقديم الحديث وتتمته ، وأدله الجنة وحامت صلواته هي "نور اليوم القيامة علي الصراط مسيرة خمسمائة عام وأعطاء الله لكل صلاة صلاة قصرأ في الجنة قل" ذلك أو أكثر ، ذكره ابن وداعة ، كل من جبر شعبة وأخرج أبو موسى المديني عن أبي هريرة رفته حديثاً قريباً منه وهو « من صلى علي عشرين صلاة علي عليه مائة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه ألفاً ومن زاد صلاته وشوقاً كنت له شفيعاً » وشبهه أبو القيلة « قال الحافظ مغلطاي : لا بأس به قلت : وله شواهد كثيرة أنظرها في مطالع المرات من ٤ - ٥ هذا ولا ينفي علي من عذتي بشيء من بيان السنة أن تلك الأحاديث الكريمة إنما هي في الصلوات حالاً لمطلعي علي قبل قوله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعت الكبائر » لأن الكبائر لا يكفرها إلا فضل الله مع اتخاذ السبب من توبة واستغفار والله تعال أهل . - عهده -

(٢) ذكره ابن وداعة بهذا اللفظ ولم يثبت ونقله البخاري من صاحب الدر المنظم . وله شواهد كثيرة : مطالع المرات من ٤ - ٥ .

(٣) أخرج ابن ماجه بسند حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : من نسي الصلاة علي "أخطأ طريق الجنة" . ورواه بهذا اللفظ الحافظ أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن أبي حاتم من حديث جابر رضي الله عنه والطبراني في الكبير من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما واللفظ : من ذكرته عنده فأخطأ الصلاة علي "أخطأ طريق الجنة" . ورواه البيهقي في شعب الإتيان عن أبي هريرة باللفظ : من نسي الصلاة علي "أخطأ" . الحديث . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم هي الطريق إلى الجنة . ذكره : جبر .

(٤) تقدم مثله من رواية النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه : الصلاة علي "نور علي الصراط" .

في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب^(١) ، وفي الحديث : لا صلاة لمن لم يصل علي^(٢) ، وفي الحديث : (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة)^(٣) . وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : الصلاة على رسول الله ﷺ أحق للذنوب من الماء البارد للنار الحامية والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب^(٤) ، لأن العتق يقابل بالعتق من النار والصلاة والسلام على النبي ﷺ يقابلان بالصلاة من الله عز وجل .

وذكر بعضهم أنه حصل لأحد العارفين داء فرأى ليلة من الليالي في منامة العلامة : شهاب الدين أحمد بن رسلان فشكى له ذلك فقدس له : أين أنت من الترياق الجرب ؟ قل : اللهم صل على روح سيدنا محمد في الأرواح ، وصل وسلم على قلب سيدنا محمد في القلوب وصل وسلم على جسد سيدنا محمد في الأجساد وصل وسلم على قبر سيدنا محمد في القبور . فلما استيقظ أكثر من ذكرها فعافاه الله . وعن النبي ﷺ : « أكثروا من الصلاة علي فأنها تحمل العقد وتفرج الكرب »^(٥) وفي حديث آخر

(١) قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط ، وأبو الشيخ في الثواب ، والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسند ضعيف .

(٢) رواه الحاكم والدارقطني والبيهقي : عن سهل بن سعد رضي الله عنه وهو ضعيف .

(٣) رواه الترمذي ، وابن حبان في صحيحه كلاهما من رواية موسى بن يعقوب الزمعي : الترغيب والترهيب للمستغفري ٣٠٩/٣ - ٣١٠ .

(٤) رواه الأصبهاني في ترغيب المفيد : الصلاة عليه أفضل من عتق الرقاب ، وجبه أفضل من مخرج الأتس أو قال : من الحرب السيد في سبيل الله .

(٥) أخرجه المستغفري عن جابر حديثاً قريباً من لفظه ، انظره من (٢٠٩) وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه : إذا فكى منك . ينطبق عليه : رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح : الترغيب والترهيب ٣٠٢/٣ .

« أكثرُوا الصلاة علي في الليلة الغرا واليوم الأزهر فان صلاتكم تعرض علي » رواه البيهقي في شعب الإيمان . وفي حديث آخر « أكثرُوا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود يشهده الملائكة وإن أحداً لم يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها » رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء . وفي حديث آخر « أكثرُوا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة » رواه ابن ماجه . وفي حديث آخر « أكثرُوا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه . وفي حديث آخر « أكثرُوا الصلاة علي فان صلاتكم علي مغفرة لذنوبكم واطلبوا لي الدرجة الوسيلة فان وسيلتي عند ربي شفاعة لكم » رواه ابن عساكر عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما . وفي حديث آخر « يؤمر بأقوام يوم القيامة الى الجنة فيخطئون الطريق ، فقبل : يا رسول الله ، ولم ذلك ؟ فقال : سمعوا باسمي ولم يصلوا علي »^(١) . وفي حديث آخر « من صلى علي صلاة وجهر بها شهده له كل حجر ومدر ورطب ويابس »^(٢) . وعن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم بأجمل الناس قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من ذكرت عنده فلم يصل علي فذلك أجمل الناس »^(٣) وعن النبي ﷺ أنه قال : « إن

(١ - ٢) ابن عساكر .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة من طريق علي بن يزيد عن القاسم .

البخيل كل البخيل : من ذكرت عنده فلم يصل علي^(١) وفي الرسالة
القشيرية : أوحى الله إلى موسى : أحب ما تكون إلي إذا أكثر
الصلاة على محمد ﷺ وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة
والسلام : أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن
روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك وأن لا ينالك عطش يوم
القيامة قال : نعم ، قال : فأكثر من الصلاة على محمد . وعن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : خلق الله في الجنة شجرة
ثمرها أكبر من التفاح وأصغر من الرمان وألين من الزبد وأحلى من
العسل وأطيب من المسك وأغصانها من اللؤلؤ الرطب وجذوعها من
الذهب وورقها من الزبرجد لا يأكل منها إلا من أكثر من الصلاة على محمد
ﷺ . وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من عبد
صلى على محمد مرة واحدة إلا بعث الله ملكا يبلغ تلك الصلاة أمرع
من طرفه عين ويقول : إن فلانا ابن فلان أقرأك الصلاة والسلام
فيقول : بلغه عني عشرة^(٢) » .

ألا وإن الصلاة عليه ﷺ وسائل العنايات ودلائل الخيرات

(١) رواه الترمذي وصححه والبيهقي في الشعب . بلفظ : « البخيل الذي ذكرت
عنده ... الحديث » .

(٢) روى الذهبي حديثا قريبا من لفظه وهو قوله صلى الله عليه وسلم من رواية
أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « أكثروا الصلاة علي فإن الله وكنت لي ملكا عند قبري
فاذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك : يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك .
ويشهد له كثير من الأحاديث غيره انظرها في الأربعين للسيد القتيبي ١ : ٦٤٦ ، وفي غيره .

والأسباب العظيمة لرضى رب الأرضين والسموات وما أحسن قول
القائل في هذا الباب :

إن أنت أكثر الصلاة على الذي صلى عليه الله في الآيات
وجعلها ورداً عليك مؤكداً لاحت عليك دلائل الخيرات

(لطيف) في كيفية الصلوة عليه ﷺ

وقد ورد في كيفية الصلاة على النبي ﷺ أحاديث كثيرة منها
ماورد عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول الله ، كيف نصلي
عليك ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على
إبراهيم إنك حميد مجيد »^(١) . وفي رواية مالك « عن أبي مسعود الأنصاري
قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك
على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » . وعن عقبه
ابن عمر وفي حديثه « اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد »^(٢)
وفي رواية أبي سعيد الخدري « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك »^(٣) .
وعن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي
ابن أبي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه قال : « عدّهن في يدي رسول
الله ﷺ وقال : عدّهن في يدي جبريل وقال : هكذا نزلت من عند

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، للبخاري .

رب العزة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على
محمد وعلى آل محمد كما ترحم على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد ،
اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
إنك حميد مجيد^(١) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ « من سرَّ أن يكتال بالمكيال
الأرقى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي
وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم
إنك حميد مجيد^(٢) » .

وكتب الفخر الرازي في تفسيره المسمى : بمفاتيح الغيب ، عند
آية الكريمة المتقدمة مائنه : سئل النبي عليه الصلاة والسلام : كيف
نصلي عليك يا رسول الله ؟ فقال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد^(٣) » .

وفي الصحيحين : أن الصحابة قالوا له ﷺ : كيف نصلي عليك
يا رسول الله إذا صلينا عليك في صلاتنا ؟ فقال لهم : قولوا : اللهم صل
على محمد وعلى آله » .

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه الدرر القطفي وقال : استاده حسن متصل وابن حبان في صحيحه والحاكم
في مستدركه وقال : إنه على شرط مسلم .

« مطلب » في أفضل المحامد

واعلم أن أفضل المحامد كما قاله العلامة الباجوزي : الحمد لله حمداً
يوافق نعمه ويكافئ مزيده ، وأحسن كفيات الصلاة على النبي ﷺ
هذه « الصيغة الإبراهيمية » كما ذكره في مطالع المسرات نقلاً عن
الثقات ، فإن قلت فلاي حكمة ذكر في هذه الصيغة سيدنا إبراهيم على
نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم ولم يذكر غيره من النبيين والمرسلين
مع أنه من المعلوم أن الله صلى عليهم أجمعين ؟! أجيب : بأن الحكمة في
ذلك أن إبراهيم أب لنبينا ﷺ والتشبه بالآباء في الفضائل محبوب
ومرغوب وخص دون آدم عليه الصلاة والسلام لأنه أقرب منه إليه
ولأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد رفع الله شأنه في النبيين وعظم
أمره في المرسلين بشهادة قوله ﷺ : « خير البرية إبراهيم »
والمراد بالبرية ماعدا نبينا ﷺ لانهقاد الإجماع على أن نبينا ﷺ
أفضل العالمين وأشرف جميع الأنبياء والمرسلين بدليل قوله عليه الصلاة
والسلام « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » الحديث ...^(١) . والمراد : سيد
آدم وأولاده جميعاً لأن في أولاد آدم من هو أفضل من آدم فإذا فضلهم
جميعاً فلا شك أنه يكون أفضل من آدم أيضاً ولا يشكل الحديث السابق
وهو « خير البرية إبراهيم » لأن القاعدة : أن المتكلم لا يدخل في عموم

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِلَفْظٍ : فَيَأْتِي رَجُلٌ
فَقَالَ : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ : ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ .

كلامه . فخبرته ﷺ مطلقة وخيرية سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقيدة ولا تصافه بهذه الخيرية كان اقرب شياً لنبينا ﷺ ولأنه موافق لنا في معالم الملة والدين ولذلك قال تعالى « ملة ابيكم ابراهيم »^(١) ولأن الله تعالى أراد أن يحقق لابراهيم مادعاه به من قوله (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)^(٢) ولأن الرحمة والبركة لم يجتمعا في القرآن لأحد من النبيين غيره ، قال تعالى : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حديد مجيد)^(٣) وقيدنا بالقرآن لأن جميع الأنبياء اجتمعت لهم الرحمة والبركة ، لكن لم يذكر اجتماعها في القرآن العظيم إلا له ، وقد ذكر « النسي » رحمه الله تعالى وجهاً آخر وهو : أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما بنى الكعبة المشرفة كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى عند قوله ﷺ « وحج البيت » اجتمع هو وامماعيل واسحاق وسارة وهاجر في الحرم المحترم حول البيت المعظم ودعوا لهذه الأمة المحمدية وطلبوا من الله الشفاعة فيهم فأمرنا بالصلاة عليهم في التشهد ، انتهى ملخصاً . وسنذكر كيفية دعائهم لهذه الأمة المحمدية في بحث الحج إن شاء الله تعالى تفصيلاً « فان قلت » : لاشك ولاريب أن نبينا ﷺ أفضل الأنبياء على الإطلاق كما انعقد عليه الإجماع والاتفاق ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، وحينئذ فكيف نشبه الصلاة التي

(١) الحج / ٧٨ / -

(٢) القصص / ٨٤ / -

(٣) مود / ٧٣ / -

نطلبها لنبينا ﷺ بالصلاة الحاصلة لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع أن القاعدة : أن المشبه به إذا لم يكن أعظم من المشبه فلا أقل من أن يكون مساويه ، أجيب بوجوه :

الأول : أن التشبيه إنما هو في حصول أصل الصلاة لا في كيفيةها وفضلتها وهذا على حد قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح)^(١) وقوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)^(٢) ولا شك أن ما أوحى إلى النبي ﷺ أفضل مما أوحى إلى نوح وغيره من النبيين كما أن صيام هذه الأمة المحمدية أفضل من صيام الأمم المتقدمين ، فالقصور : التشبيه في حصول أصل الصلاة لا في الكيفية والفضيلة .

الثاني : أنه لا شك أن النبي ﷺ قد صلى الله تعالى عليه فعظمه وأكرمه وبجله وشرفه وقربه وخاطبه وأدناه وأعطاه وأولاه وهذا حصل له فيما سبق ولنا نطلب شيئاً حاصلًا وإنما نطلب أن يزيد

الآن صلاة بقدر جميع الصلوات التي صلاها على إبراهيم .
الثالث : التشبيه ليس للصلاة على النبي وإنما هو للصلاة على آل فكأننا نطلب من الله أن يصلي على آل الرسول ﷺ صلاة كصلاته على ابراهيم وآله ، لا يقال : كيف نطلب لأنه ﷺ الذين هم ليسوا بأنبياء صلاة كصلاة ابراهيم وآله لانا نقول : إن هذا جرى على أصل القاعدة وهي : أن المشبه به أعظم من المشبه .

(١) هــ ١٦٣ /

(٢) البقرة / ١٨٣ .

الرابع : أنت ما ذكر من القاعدة وهي : أن المشبه به أعظم من المشبه أو مساو له ، إنما هو أمر أغلبي وإلا فقد يكون المشبه أعظم بكثير ، قال تعالى : (الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة)^(١) . وأن نور المشكاة من نور الله ، ولكن لما كان المراد أن يكون أمراً محسوساً مشاهداً ظاهراً واضحاً حسن التشبيه بالمشكاة . وهناك أوجه آخر ، لا نطيل بذكرها بل ننتقل إلى ما هو المهم لنا الآن من تحقيق معنى الآل والأصحاب في الذرية لكونها تكرر ذكرها في سائر الصلوات المروية عن خير البرية ﷺ . فننقل لك أقوال العلماء في ذلك فنقول :

مطلب في (آل) ﷺ

ذكر العلامة شيخ المتأخرين الفاضل الباجوري أن آل ﷺ : بنو هاشم وبنو عبد المطلب . وهو ما نسبته العلامة ابن قاسم للإمام الشافعي رحمه الله قال : واختار النووي أنهم : كل مسلم . قال في مطالع المسرات : قال الجوهري : واختلف في تعيين آل ﷺ على أقوال كثيرة منها في مذهبنا المالكي (سبعة) أقوال ، مشهورها : أنهم بنو هاشم ماتناسلوا ، وهو قول ابن القاسم ومالك ، وأكثر أصحابه ، وفي المدد الفياض ما نصه : هم من حرمت عليهم الزكاة عند الشافعي ،

قال الدجني : ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسين بن علي :
« انا آل محمد لا نحل لنا الصدقة »^(١) والأظهر أن المراد جميع أقاربه
وأهل بيته أو جميع الأمة ورجحه النووي في شرح المهذب . انتهى .

قلت : والأحسن أن لا يطلق القول فيه بل يفسر باعتبار المقامات
والقرائن ، ففي مقام الزكاة بنو هاشم لا المطلب عند (مالك) أو هما
معاً عند الشافعي ، أو هما وبنو جعفر وبنو العباس وبنو عقيل عند
أبي حنيفة وفي مقام المدح اتقياء أمته ، وفي مقام الدعاء كما هنا جميع
الأمة . وهذا الذي حققه العلامة « الأمير »^(٢) على « عبد السلام »^(٣)
ونقل الباجوري عن بعض المحققين ما يؤيده حيث قال : ينظر للقرينة
فإن دلت على أن المراد بهم الأقارب حمل عليهم كقولك : اللهم صل على
سيدنا محمد وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً ،

(١) رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه . عن الحسن بن علي رضي الله
عنها ، وأبو داود والنسائي وإسحاق بن أبي رافع رضي الله عنه بزيادة : « ... وإن مول
القوم من أنفسهم » .

(٢) الأمير : هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السبكي الأزهرى المعروف
بالأمير : عالم بالعربية ، من فقهاء المالكية ولد في « سبكيو - بصرى » وتعلم في الأزهر ،
واسم الأب والأمير : لأن جدته كانت له إمرأة في الصغرة : أممتر كتبه حواشي وشروح « منها
مأذكرة المؤلف رحمه الله وحاشية على « مفتي البيت لابن هشام - ط » وغيره . توفي
رحمه الله بصرى سنة ١٢٣٢ هـ . قلت : وكتاب الذي نقله المؤلف « رحمه الله » انظره إن
شئت في حاشية الأمير على شرح الجوهرة : بحث الآل « رضي الله عنهم » ص ١٨ - ١٩ .
(٣) عبد السلام : هو عبد السلام بن إبراهيم اللغاني المصري : شيخ المالكية في وقته
بالقاهرة : من كتبه « شرح المنظومة الجزئية » في العقائد ، وثلاثة « شروح على الجوهرة »
وهي عقيدة والده . و « السراج الوهاج في الكلام على الاسماء والمعراج - خ » ، توفي
رحمه الله سنة ١٠٢٨ هـ .

وإن دلت على أن المراد بهم الاتقياء^(١) حمل عليهم كقولك : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الذين اخترتهم لطاعتك وإن دلت على أن المراد بهم كل مسلم حمل عليهم كقولك : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله سكان جنتك ، والحاصل أنه لا يطلق القول في تفسير الآل بل يعول على القرينة ويفسر بحسبها . انتهى . وقد قرر مثل ذلك العلامة الصبان على شرح الأشموني .

واختلفوا في أصل (آل) فقيل : أهل ، قلبت هاؤه ألفاً ، وهو مذهب سيبويه ، وقيل أصله : أول قلبت واؤه ألفاً لتجر كها وانفتاح ما قبلها وهو مذهب الكسائي ، وقد صُغِرَ على (أهيل) وهو يشهد للأول وعلى (أول) وهو يشهد للثاني ، ولا يضاف إلا إلى ذي شرف حقيقي كآله ، عليه السلام أو « صوري » قاصر على الدنيا فقط كآل فرعون نحو قوله تعالى : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)^(٢) ويجوز إضافته إلى الاسم الظاهر « اتفاقاً » وإلى الضمير « على الأصح » ولا حجة لمن منعه ، فقد ورد في كلام العرب ، قال^(٣) عبد المطلب :

(١) أخرجه القمي في الأوسط ، عن أنس رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم آل محمد كل نقي وهو حديث ضعيف . وأما قولهم : ألا جد كل نقي . فليس بحديث . والله تعالى أعلم - ٥١ .

(٢) المؤمن - طاهر / ١٦ / .

(٣) ذكره السبكي في الروض الألف .

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

بل جاء في الحديث : اللهم صل على محمد وآله ^(١) ولا يضاف إلا إلى العقلاء ، وأما إضافته للصليب في البيت المتقدم فقليل : لأنه بمنزلة العاقل عند أهله ، وقيل : المشاكلة .

مطاب في (أصحاب) ﷺ

وأما الأصحاب رضي الله تعالى عنهم فهم جمع : صاحب ، والصاحب في اللغة : من طالت عشرتك به والمراد به هنا : الصحابي ، وهو : من اجتمع بالنبي ﷺ من المؤمنين بعد نبوته اجتماعاً متعارفاً . وقدر اجتمع ^(٢) سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بسيدنا محمد ﷺ في « بيت المقدس » بجسده وروحه فهو صحابي . وكذا الحضر ^(٣) عليه الصلاة والسلام اجتمع بنبينا ﷺ اجتماعاً

(١) هو بعض حديث رواه البخاري ومسلم .

(٢) ورد ذلك في أحاديث الاسراء والمعراج . راجعها إن شئت في مطابها .

(٣) الحضر : قال في مطالع الممرات : هو بوزن كنف وفلس وخرس . وكل ما كان على وزن كنف فانه يجوز فيه الأوجه الثلاثة ، وقيل اسمه : « ألبيا بفتح الباء الموحدة وسكون اللام بعدها تحية » ، وقيل بزيادة ألف بعد الموحدة : ابن مفلح ، وقيل اسمه : « إلياس » ، وقيل : « يسع » ، وقيل : « عامر » . وقيل : « الحضر » . وررر : بن مفلح ، يتصل نسبه بالنبي نوح عليه السلام ، وقيل اسمه : « أرميا » بن طيفاء ، وقيل قدير ذلك ، وكنيته أبو العباس ، وقيل : إنه كان قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقيل بعده . والأكثر أنه نبي . واختلف في رسالته ، وقيل : إنه ولي نسط ونسب للأكثر أيضاً وأجمع الصواب على بقاءه وتواتر من أولياءه .

متعارفاً فهو صحابي أيضاً ومن اجتمع به كذلك فهو تابعي واسم
 الخضر : « يَلْيَأُ بْنُ مَكَانٍ » بفتح الياء وسكون اللام بعدها مشددة
 تحتية ، وملكان بفتح الميم وسكون اللام وآخره نون ، وإنما لقب
 « بالخضر » لأنه ما جلس على أرض إلا اخضرت قيسل : من عرفه
 اسمه واسم أبيه دخل الجنة واختلف في نبوته ، فقيل : هو نبي ، وقيل
 هو ولي ، وهو المراد : بالعبد ، في قوله تعالى : (فوجدنا عبداً من
 عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علماً)^(١) والمراد بالعلم
 الذي علمه الله إياه المعبر عنه بالعلم اللدني هو : علم الحقيقة ، ومن ذلك
 ما وقع له مع موسى عليه الصلاة والسلام من قصة السفينة والغلام
 والجنار وما فيها من اللطائف والأمرار .

واعلم أن أصحابه عليهم السلام أفضل من غيرهم من جميع من جاء بعدهم
 للأحاديث الكثيرة الصحيحة والنصوص القطعية الدريجة الواردة في
 علو شأنهم ورفعة قدرهم وتفضيلهم على غيرهم كقوله عليه السلام :
 (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)^(٢) وقوله عليه السلام : « إن

« كل عصر لفاؤه » وفي الحديث الصحيح « إنما سمى الخضر خضرًا لأنه جلس على فروة
 يضاء فإذا هي تحت ثوبه خضراء » والفروة : لقطعات من جبهة ياسة . قال تعالى في علمه :
 (وعلماها من لدنا علماً) وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام : هم
 أطعمك الله على علم الغيب ؟ فقال : بترك العاصي لأجل الله تعالى - ٥١ -

(١) التكوير / ٦٥ .

(٢) رواه ابن ماجه .

الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين^(١) . وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه^(٢) . والأحاديث في ذلك كثيرة ولا يخفى أنت الصحابة يتفاوتون في الفضيلة فليسوا فيها سواء بل أفضل أصحابه ﷺ : الأربعة المعبر عنهم بالخلفاء الراشدين وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ويلهم في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم : طلحة والزبير وسعد وسعيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبيد الرحمن بن عوف ، ثم أهل^(٣) بدر ، ثم أهل أحد^(٤) ، ثم أهل بيعة الرضوان ، وأفضل الأربعة : أبو بكر فعمرو فعتان فعلي ولذلك قال صاحب الجوهرية :

(١) برواه البزار والبيهقي .

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي : عن عبد الله ابن مقفل رضي الله عنه .

(٣) جاء في السيرة الشامية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم : أمر بعدتهم فأخبر بأهم « ثلاثمائة وثلاثة عشر » ففرح بذلك وقال : عدة أصحاب طالوت . وأماهم بعضهم إلى « ثلاثمائة وسبعين » . وفي حاشية الأمير على شرح الجوهرية : وكانوا ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا . وبدر : اسم الوادي أو لبشر فيه . وفي السيرة الشامية : بدر : قرية مشهورة على نحو أربع مراحل من المدينة المنورة . قال الإمام البيهقي رحمه الله : وهذا قول الأكثر . والله تعالى أعلم .

(٤) وكان أهلها ألفا بثلاثمائة من المنافقين الذين رجع بهم « عبد الله بن أبي بن سؤل »

وأحد : جبل معروف بالمدينة المنورة .

وخيرهم من وآلي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافة

وقال سيدي السيد الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه : أي أولادي ، عظموا شأن أهل البيت وكرمواهم ويحلوهم ، وإذا سمعتم أحداً يقول في شأنهم أشياء قبيحة أنكروها أو فاجعلوا أصابعكم في آذانكم وذُيِّبوا عن أعراض الصحابة قاطبة وعليكم بحببتهم ومدحهم فإن هؤلاء القوم قد عفا الحق سبحانه عنهم ولا يؤاخذهم بما جرى بينهم وانهم يتواهبون ويدخلون الجنة ، واعلموا أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ولا يظن أحد أن كل الصحابة سواء فهذا كفر . قال الله تعالى : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة)^(١) فمن رد آية من القرآن أو حرفاً منه فقد رد القرآن ، ومن رد القرآن - كفر . انتهى .

هذا هو القول المشهور المنصور قال السعد : على هذا وجدنا السلف والخلق ، والظاهر : أنهم لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكوا به ولا يدرك دقائق التفضيل والترتيب إلا المشاهدون للوحي والتتزيل بقرائن الأحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف .

= وعدهم : ألف وأربعمائة . وقيل : وخمسة . وميث بيعة الرضوان : لقوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين) ... الآية ١٠٠ .
(١) الحديد / ١٠ / .

« لطيفة » في تفضيل فاطمة رضي الله عنها للنسب وغيرها لجزء أخرى

« فان قلت » يشكل الحكم بأفضلية هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بالنسبة فان ذريته عليه السلام كبضعة من جده الشريف فكيف يسوغ التفضيل على من هم في مقام البضعة من جده الشريف الذي لا يساويه في الفضل والشرف نبي مرسل ولأمك مقرب؟ أجيب: بأن التفضيل المذكور يقطع النظر عن البضعية المكرمة كالألوة في التفضيل بين عائشة وفاطمة رضي الله تعالى عنها فان من البديهي أن من حكم بأفضلية عائشة على فاطمة إنما حكم بذلك نظراً لكون عائشة كانت أكثر علماً من فاطمة وأكثر تلقياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما لو نظر إلى البضعية فحاشا أن يفضل على بضعته صلى الله عليه وسلم أحداً ، وقد أشار إلى ذلك العلامة اللقاني في شرحه على مقدمة الجوهرة ، ثم رأيت العلامة الشيخ حسن العدوي ^(١) . ذكر في « مشارق الأنوار » ما نصه :
اختلف الناس في أفضل أزواجه بل في أفضل النساء مطلقاً ، والأقرب عند كثير : أن أفضل النساء « مريم » ثم خديجة ثم فاطمة ثم عائشة ثم

(١) حسن العدوي : هو العلامة الشيخ : حسن العدوي الحزاعي المالكي الأزهرى صاحب الكتاب المذكور : « مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار » ويقع في مائة واحد وتسعين صفحة من القطع الكبير ، ويبحث بأمر تتعلق بالموتى حال احتضارهم وبعد الموت من سؤال وغيره ، وكيفية الزيارة الطلوبة لاسيما أهل البيت . جزاء الله عن المسلمين خيراً وأعانى عليه سبحانه الرحمة والرحمات .

آسية^(١) قال العلامة الصبان : قال شيخ الاسلام في « شرح البهجة »^(٢) :
الذي اختاره أن الأفضلية محولة على أحوال ، عائشة أفضل من حيث
العلم وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ في المهات وفاطمة
من حيث البضعية والقراية ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها
وذكرها في القرآن مع الأنبياء وآسية من حيث الاختلاف في نبوتها
وإن لم تذكر مع الأنبياء . ونقل الأشعري الوقف عن التفضيل .

وقد كان من اللازم ذكر شيء مما ورد في فضائل الخلفاء الراشدين
والصحابية المكرمين والأزواج الطاهرات أصحاب المناقب
والخصوصيات لكن قد طال الأمر ، والمقصود الاختصار فلنقتصر
على اليسير من ذلك . فنقول :

« مطلب » في فضل الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم

ورد في فضائل الأربعة الخلفاء أصحاب المصطفى ﷺ أحاديث

(١) آسية (بنت مزاحم) هي امرأة فرعون كفرت به وأمنت بالله عز وجل فأعياها الرضوان
والغور بالنعم المقيم وجعلها زوجة خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة ورابعة
أربعة « أفضل نساء أهل الجنة » روى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وصححه
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : أفضل نساء أهل الجنة :
خديجة ، وفاطمة ابنة محمد عليه الصلاة والسلام ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون .
(٢) شرح البهجة : للعلامة زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن الوردني : في نفسه
الشافعية وعليه : الفرغ البية ، وهو القرح الكبير على البهجة الوردية لشيخ الاسلام أبي
زكريا الأنصاري . وعليه حاشية للشيخ محمد القريشي الخطيب . رحمه الله ورضي عنهم .

كثيرة . منها قوله عليه السلام : « أنا مدينة السخاء وأبو بكر بابي وأنا مدينة الشجاعة وعمر بابي وأنا مدينة الحياء وعثمان بابي وأنا مدينة العلم وعلي بابي »^(١) . وفي حديث آخر « أبو بكر تاج الإسلام وعمر بن الخطاب حلة الإسلام وعثمان بن عفان اكليل الإسلام وعلي بن أبي طالب طبيب الإسلام »^(٢) وفي حديث آخر « أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابي »^(٣) وعنه عليه الصلاة والسلام « ما من بي إلا وله نظير في أمتي ، فأبو بكر نظير إبراهيم وعمر نظير موسى وعثمان نظير هارون وعلي نظيري »^(٤) وقال رجل : يا بني الله من أحب النساء إليك ؟ قال : عائشة قال : ومن الرجال ؟ قال : أبوها يرد يوم القيامة على فرس من مسك أذفر ، قال : فما تقول في عمر ؟ قال : يرد يوم القيامة على فرس من عنبر أشهب ، قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : يرد يوم القيامة على فرس من كافور أبيض ، قال : فما تقول في علي ؟ قال : أخوتي وابن عمي ، يرد يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة »^(٥) . وعنه عليه السلام : « من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر

(١) رواه المعيني في الضعفاء والطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل .

(٢) رواه المعيني في الضعفاء والحاكم في مستدركه .

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

(٤) أخرجه الحفصي والملاء في سيرته .

(٥) أخرجه الملاء في سيرته وهو غريب ورواه باختصار الامام أحمد ومسلم وأبو

حاتم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ^(١) .

قال أنس : صعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أين أبو بكر ؟ قال : ها أنا يا رسول الله ، فقال : أدن مني فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته : معاشر المسلمين أبو بكر الصديق شيخ المهاجرين والأنصار ، هذا صاحبي وصديقي ، صدقني حين كذبتني الناس وآواني حين طردني الناس ، وآتسي حين أوحشني الناس ، هذا الذي أمرني الله أن اتخذه والداً في الدنيا وخليلاً في الآخرة ، وواسياني بنفسه وماله واشترى لي بلالاً من ماله فعلى مبعضه لعنة الله والله منه بريء وأنا منه بريء ، فمن أحب أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من أبي بكر الصديق وليبلغ الشاهد الغائب ، ثم قال : أين عمر ابن الخطاب ؟ فوثب قائماً وقال : ها أنا يا رسول الله ، قال : أدن مني فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته : معاشر المسلمين ، هذا عمر بن الخطاب ، هذا شيخ المهاجرين والأنصار ، هذا الذي أنزل الله الحق على قلبه ولسانه ، هذا الذي يقول الحق وإن كان مرءاً ، فعلى مبعضه لعنة الله والله منه بريء وأنا منه بريء ، ثم قال : أين عثمان بن عفان ؟ فقال : ها أنا يا رسول الله ، فقال : أدن مني فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه ، وقال : معاشر المسلمين ، هذا

(١) أخرجه الملاء في سيرته .

عُثَانُ شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، هَذَا الَّذِي اسْتَحْيَتْ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ هَذَا الَّذِي أَمَرَ فِي اللَّهِ أَنْ أَخْذَهُ سِنْدًا وَخَتَنًا عَلَى ابْنَتِيَّ وَلَوْ كَانَ عِنْدِي ثَلَاثَةُ زُرُوجٍهَا إِيَّاهُ ، فَعَلَى مَبْغُضَةِ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَعْنَةِ الْإِلَاحَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَدْنِ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَبَلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ بِأَعْيُ صَوْتِهِ : مُعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، هَذَا أَخِي وَابْنُ عَمِي وَخَتَنِي ، هَذَا لَحْمِي وَدَمِي ، هَذَا مَفْرَجُ الْكُرُوبِ عَنِّي ، هَذَا أَسَدُ اللَّهِ وَسَيْفُهُ فِي أَرْضِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، فَعَلَى مَبْغُضَةِ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَعْنَةِ الْإِلَاحَيْنِ ، وَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ اللَّهِ وَمَعْنِي فَلْيَتَبَرَّأْ مِنْ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(١) .

(الطَّبَقَاتُ) فِي فَضْلِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ :

وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْعَشْرَةِ الْكَرَامِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مَارَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :
عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ : أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ،
وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ
بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ
فِي الْجَنَّةِ .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو سَهْلٍ فِي تَرْغِيبِ النَّبِيِّ .

وعن النبي ﷺ « أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدّهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، ولكل نبي حوارِيّ وحواريّ طلحة والزبير، وحيثما كان سعد بن أبي وقاص فالحق معه، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأمين الله أبو عبيدة بن الجراح »^(١).

وعنه ﷺ « عشرة من قریش في الجنة وذكر هؤلاء »^(٢).

« مطلب » في فضل أزواجه الطاهرات رضي الله تعالى عنهم .

ومما جاء في فضل أزواجه ﷺ قوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن)^(٣) الآية . وقوله تعالى (ومن يقنت متكنن)^(٤) الآية . وقال تعالى (وأزواجه أمهاتهم)^(٥) ولذلك يقال لأزواجه الطاهرات : أمهات المؤمنين لما هن عليهن من وجوب الاحترام وتأيد حرمة النكاح لافي نظر وخلوة فلا يسوغ ذلك كما يسوغ مع الأم وهل هن أمهات الرجال والنساء أم أمهات الرجال فقط ؟ قولان :

(١) أخرجه الملاء في سيرته . وأبو يعلى في مسنده .

(٢) أخرجه الدارقطني . والطبراني في معجمه عن ابن عمر وسعيد بن زيد رضي الله عنهم .

(٣) الأحزاب / ٣٢ / .

(٤) الأحزاب / ٣١ / .

(٥) الأحزاب / ٦ / .

قال الامام الزرقاني: ويقوي الثاني ما رواه النسفي عن مسروق « أن امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لها : لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم » قال : وهذا الخلاف جار على خلاف في الأصول هل يدخل النساء في خطاب الرجال أو لا ؟ والراجح عدم الدخول . وجملة أزواجه اللاقي دخل بين وبين تحت عصمة نكاحه عليه السلام اثنتا عشرة امرأة ، وأما غيرهن ممن وهبت نفسها أو خطبها ولم يعقد عليها أو عقد ولم يدخل بها لفراق موت أو طلاق فنحو ثلاثين امرأة ولم يتزوج عليه السلام إلا بوحى لما رواه عبد الملك بن محمد النيسابوري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « ما تزوجت شيئا من نائي ولا زوجت شيئا من بنائي إلا بوحى جاءني به جبريل عن ربي عز وجل » . وجملة من توفى عليه السلام عنهن من الأزواج الطاهرات : تسع : جمعهن الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى بقوله :

توفي رسول الله عن تسع نساء إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست ذكرهن مهذب

وأما أزواجه المدخول بين اللاقي توفين حال حياته عليه السلام فثلاثة وهم : خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وربحانة ، ولنتكلم على ترجمتهن رضي الله تعالى عنهن بوجه الاختصار : فأول واحدة من زوجاته عليه السلام

خديجة بنت خويلد . رضي الله تعالى عنها : كانت تدعى قبل الاسلام
 بالطاهرة وكانت أكثر قريش مالا وأعظمهم شرفاً خطيباً له أعمامه :
 الحزرة . وأبو طالب . ورؤساء الحرم المحترم : من أبيها خويلد بن أسد
 وابتدأ أبو طالب بخطبة يقول فيها : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية
 إبراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرمناً آمناً وجعلنا
 سواً^(١) حرمه والحكام على الناس ، ثم إن ابن أخي هذا محمداً
 لا يؤزن برجل إلا رجع به فان كان في المال قل فالمال ظل زائل وأمر
 حائل . وقد خطب خديجة ولها من الضناق ما عاجله وآجله كذا وهو
 والله بعد هذا له نبأ عظيم . فنزوجه أبوها : خويلد وأصدقها عشرين
 بكرة ونحر في وليمتها جزوراً أو جزورين وقد فسر في القاموس :
 البكرة . بضم الباء : بالقتية من الإبل . قيل لما تزوج ﷺ بخديجة
 كثر كلام الحساد فقالوا قد تزوج محمد ﷺ بأغنى النساء
 فكيف رضيت خديجة مع غناها أن تتزوج بمحمد ﷺ وليس له مال
 فلما بلغ خديجة رضي الله تعالى عنها ذلك أخذتها الغيرة عليه ﷺ ،
 وكرهت أن يقال إنها أغنى قريش وهو ﷺ لآمال له فأحضرت أكابر
 قريش وأشهدت بأن جميع ما تملكه لمحمد ﷺ وقالت فإن رضي بفقر
 فذلك من كرم أصله فتعجب الناس منها وانتقلب القول فقالوا : إن
 محمداً أمسى من أغنى أهل مكة وأمسّت خديجة من أفقر أهل مكة فاعجبها
 ذلك فقال ﷺ بم أكفى خديجة فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام

(١) سواً "يسوس : الأمر" ، قامه ، فهو سائس وجمعه ساسوس وسواس : القاموس

العبط لي باب .

وقال له : إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك مكافأتها علينا فانتظر
 ﷺ المكافأة فلما كانت ليلة المعراج دخل ﷺ الجنة فوجد فيها قصرًا
 من البصر فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 فقال : يا جبريل لمن هذا ؟ قال : خديجة . فقال : هنيئًا لها لقد حسن^(١)
 الله مكافأتها . ذكره في « عقائق الحقائق » قال المحب الطبري : قال
 الزهري : أول من آمن من النساء خديجة رضي الله تعالى عنها ، بعث
 النبي ﷺ يوم الاثنين من شهر رمضان فأمنت به خديجة في ذلك اليوم
 وورد أن النبي ﷺ قال : يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام فقالت :
 الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام^(٢) وفي رواية^(٣) : قال
 جبريل : يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام أو شراب فاذا
 هي أتتك فاقرأ عليها السلام من الله ربها ومني وبشرها بيت في الجنة
 من قصب لا صخب فيه ولا نصب . والحكمة في كونه من قصب والقصب :
 هو اللؤلؤ المخوف : أنها حازت قصب السبق إلى الإسلام . والصخب : رفع
 الأصوات بالصياح والنصب : التعب . وقالت سيدتنا فاطمة بنت
 رسول الله ﷺ بعد وفاة أمها السيدة خديجة رضي الله تعالى عنهما :
 والله يا نبي الله لا ينفعني طعام ولا شراب حتى تسأل جبريل عن أمي
 فقال جبريل ؟ فقال : هي بين سارة ومريم في الجنة قالت عائشة رضي الله

(١) حسن الله خلقه : جملة حسن . ورحمن القريب : قريبته الغاموس الغيطي بابه .

(٢) رواه النسائي .

(٣) وردت في الصحيحين واللفظ لم يرد .

عنها : كان عليه السلام إذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من الثناء عليها . وعنه عليه السلام : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ^(١) وكل أولاده عليه السلام من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية . ثم تزوج عليه السلام : سودة بنت زمعة ابن قيس رضي الله تعالى عنها وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت كثيرة الصلاح وكانت تحب الصدقات وهي التي وهبت ليلتها للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها توفيت رضي الله تعالى عنها في آخر خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعنها . ثم تزوج عليه السلام : عائشة بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد عقد عليها قبل سودة ودخل بها بعدها ولما عقد عليه السلام على عائشة كان عمرها سبعة وبنى بها وهي بنت تسع وقبض عليه السلام عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وكانت أحب نسائه إليه وكانت أفقه الناس ^(٢) وأعلمهم وأحسنهم قال النووي رحمه الله تعالى : إنها روت عن رسول الله ﷺ ألف حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث ولها المناقب العظيمة والمآثر . ولدت بعد النبوة بأربع سنين وماتت في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين وهي بنت ست وستين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها إماماً أبو هريرة

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود ، والنسائي والحاكم وصححه : عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) روى الطبراني والحاكم وغيرهما بسند حسن عن هريرة رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفق ولا بشعر ولا بطب ولا حديث ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة .

ﷺ ثم تزوج ﷺ : حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنها وذلك في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة على : الأشهر ، وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين وقد أصدقها ﷺ أربع مائة درهم وروت عن رسول الله ﷺ « ستين حديثاً » وتوفيت في الشهر الذي ولدت فيه سنة « خمس وأربعين » وقبل سنة « إحدى وأربعين » وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة المنورة حينئذ وحمل بسريرها الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ثم تزوج ﷺ : زينب بنت خزيمة . سنة ثلاث من الهجرة وكانت تلقب في الجاهلية أم المساكين لاطعامها لهم وشفقتها عليهم ورحمتها بهم ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ثم توفيت وصلى عليها النبي ﷺ ودفنها بالبقيع وقد بلغت من العمر نحو ثلاثين سنة ولم يمت من أزواجه ﷺ على حياته إلا هي وخديجة وريحانة كما سبقت الإشارة إليه . ثم تزوج ﷺ : هند بنت أبي أمية ابن المغيرة وهي الملقبة : بأم سلمة . وكان زواجه ﷺ بها في آخر شوال سنة أربع وقد خطبها سيدنا عمر رضي الله تعالى عنها فأبته ثم خطبها رسول الله ﷺ فقالت : مرحباً برسول الله وكررتها ثلاثاً . روي أن النبي ﷺ أخذ الحسن والحسين وأمه السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنهم وقال : رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فبكت أم سلمة فقال ما يبكيك؟ فقالت خصصتهم وتركتني فبشرها ﷺ بأنها من آل بيته قال بعضهم: وذلك لأنها بنت عمته

عائكة فهي من أقاربه عليه السلام والأقارب داخلون في لفظ الآل توفيت^(١)
 أم سلمة رضي الله تعالى عنها سنة ستين من الهجرة النبوية . ثم تزوج
عليه السلام : زينب^(٢) بنت عمته أميمة . قالت عائشة رضي الله تعالى
 عنها ما رأيت امرأة أكثر خيراً وصدقة من زينب كانت تعمل بيدها
 وتتصدق . وفي حقها أنزل الله آية الحجاب وهي أول نسائه لحوقاً به كما
 أشار إلى ذلك الصادق المصدوق عليه السلام ففي « صحيح مسلم » عن :
 عائشة أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله قلن له : أينا أسرع بك لحوقاً قال :
 أطولكن يداً ، فكان أسرعهن لحوقاً به زينب فعملوا أن طول يدها
 لسبب أنها تعمل وتتصدق كثيراً وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها
 تقول : هي التي تساويني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وما رأيت قط
 امرأة خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل
 للرحم وأعظم صدقة توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين وقد
 بلغت ثلاثاً وخمسين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب
 رضي الله تعالى عنه وعنهما . ثم تزوج عليه السلام : جويرية بنت الحارث رضي

(١) وكانت وقايا رضي الله تعالى عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعاً
 وعشرين سنة : السيرة الحلبية ص ٣٥٨ مشارق الأنوار ص ٧٣ - ٨١ .
 (٢) كان اسمها : برمة . فسماها صلى الله عليه وسلم : زينب . خشية أن يقال : خرج
 من عند برمة وكانت قبله عند مولاه : زيد بن حارثة « فطلقها فلما حلت له زوجته الله
 إياها سنة ٤ أربع » حل أحد الأقوال وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة بقوله : (فلما
 قضى زيد منها وطراً زوجناكمها) وكانت تفر على نساءه صلى الله عليه وسلم : إن آباكم
 أنكم حين وإن الله تعالى أنكم حين إياه من فوق سبع سمواته . وفيها نزل الحجاب مشارق
 الأنوار ص ٧٣ : إسناده الرازيين : ص ٧٠ - ٨١ .

الله تعالى عنها كانت من بني المصطلق فلما أغزاهم عليه السلام وأخذ
سبيهم ووقعت جويرية في سهم ابن قيس عليه السلام كاتبا على نفسها بتسع أواق من
الذهب وكانت بدیعة الجمال لا يراها أحد إلا أخذت بقلبه قالت عائشة
رضي الله تعالى عنها : لما دخلت جويرية عليه عليه السلام تستعينه في
كتابتها كرهت دخولها خوفاً أن يتزوجها فلما رآها عليه السلام قال : أنا
أؤدي عنك كتابتك وأتزوج بك قالت : نعم يا رسول الله . فتسامع
الناس في ذلك فاعتقوا ما بابيهم من السبي لأن بني المصطلق قد صاروا
أصهار الرسول عليه السلام فأرأينا امرأة أعظم بركة على قومها من
جويرية . وقيل : جاء أبوها الحارث إلى المدينة ومعه إبل يفدي بها بنته
فرغب في بيعين فأخفاها في شعب من شعاب وادي العقيق فلما قدم
قال لرسول الله عليه السلام : أخذتم بنتي وهذا فداؤها فقال له عليه السلام :
وأين البعيران اللذان غيبتهما في وادي العقيق في شعب كذا ؟ فقال أشهد
أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى
وأسلم معه ابنان وناس من قومه وأحضر البعيرين ودفعها مع الإبل إليه
عليه السلام وأخذ بنته فخطبها عليه السلام من أبيها وتزوجها وأصدقها

(١) أغزى الجيش : بعثه إلى العدو . وغزوه : الغاموس المحيط في باب - وانظر
الغزوة : أحسن : غزوة بني المصطلق . أو المربيع . في سيرة ابن هشام ص ٢٨٩ وغيره .
(٢) هو : ثابت بن قيس بن ثعلبة : الخزرجي الأنصاري . صحابي ، كان خطيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد . وفي الحديث : « نعم
الرجل : ثابت بن قيس بن ثعلبة » . قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه
سنة (١٢) . هـ .

« أربعائة درهم » وذلك سنة خمس . توفيت رضي الله تعالى عنها سنة
 حسين . ثم تزوج عليه السلام ربحانة بنت يزيد من بني النضير وذلك أنها
 وقعت في السبي فاصطفاه عليه السلام لنفسه وكانت جميلة وسيمة أسلمت
 فأعتقها عليه السلام وتزوجها . هذا ما رجعه الواقدي . وقيل هي من
 السرايري لامن الزوجات توفيت حين رجع عليه السلام من حجة الوداع
 ودفنت بالبقيع رضي الله تعالى عنها . ثم تزوج عليه السلام : أم حبيبة ممة
 بنت أبي سفيان . وكانت تزوجت قبله عليه السلام بعبيد^١ الله وأسلمها
 وهاجرا إلى الحبشة قالت أم حبيبة : فرأيت عبيد الله في منامي على
 أقبح صورة فلما أصبح ارتد عن دين الإسلام وأخبرته بالرقيا فأكب
 على الحجر واستمر على الردة حتى مات كافرا ثم رأيت قاتلا يقول : يا أم
 المؤمنين . فأولتها رسول الله عليه السلام : فلما انقضت العدة جاءه في رسول
 النجاشي وهي جارية يقال لها : أبرهة . فقالت : إن الملك يقول كتب له
 النبي عليه السلام أن يزوجه بك فقلت لها : بشرك الله بكل خير . وأعطيتها
 خلخالا وسوارا . وقد تزوجها عليه السلام على « أربعائة دينار » وتولى
 عقد نكاحها : خالد^٢ بن سعيد بن العاص توفيت رضي الله تعالى عنها

(١) قال في مشارق الأنوار : هو « عبيد الله بن جحش . قلت : وهو غير عبيد الله
 ابن جحش الأسدي . الصحاح الجليل ، كان قديم الإسلام . وكان من أمراء السراة . وقتل
 يوم أحد شهيدا فدفن مع الخزاة رضي الله عنها في قبر واحد : الإصابة ، ٢٨٦/٢ - اهـ .
 (٢) خالد بن سعيد بن العاص : بن أمية بن عبد شمس : صحابي . قديم الإسلام ،
 أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيث الدعوة سرا ثم هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة
 سنة وعاد سنة (٧) هـ ففزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الحبش ، ثم خرج مجاهدا شهيد فتح (أجنادين - قرب الزمالة في فلسطين) . وشهد وقعة
 (مرج الصفر - قرب دمشق) فقتل فيها رضي الله عنه سنة (١٢) هـ .

سنة أربع وأربعين . ثم تزوج عليه السلام صفية بنت حيبي بن أخطب من سبط هارون بن عمران عليه السلام كان أبوها سيد بني النضير فقتل مع بني قريظة اصطفاه عليه السلام لنفسه من سبي خيبر فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة قال أنس رضي الله عنه : لما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم صفية قال لها : هل لك في ؟ أي هل لك رغبة في ؟ قالت يا نبي الله كنت أتمنى ذلك في الشرك فكيف إذا مكنتني الله منك في الاسلام ؟ قال ابن عمر : رأى النبي صلى الله عليه وسلم خضرة في عين صفية فسالها عنها فقالت كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قرأ وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطم وجهي وقال : تتمنين ملك يثرب . توفيت رضي الله تعالى عنها سنة ٤٠ حسين أو اثنتين وخسين ١ ودفنت بالقيع . ثم تزوج عليه السلام : ميمونة بنت الحارث وهي آخر من تزوج بها ٢ وآخر من توفي بعده من أزواجه رضي الله تعالى عنها ولما أتى الخاطب يخطبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت على بعير فألقت نفسها عن البعير فرحاً به عليه السلام . وقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لها أخوات كثيرات فكان من أصهارها سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا العباس وسيدنا حمزة وسيدنا

(١) كان زواجه صلى الله عليه وسلم منها في شوال سنة سبع . وهو محرم في عمرة القضاء كما علم الجمهور . وكان ابنها : برقة . فسماها صلى الله عليه وسلم : ميمونة ، وخبة إن يقال : خرج من عند برقة . قال ابن شهاب : هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . مشارق الأنوار : ص ٧٤ : أسعاف الراغبين : ص ٧٢ - ٨١

جعفر وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين توفيت سنة ست وستين من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى سلام ونجدة وفضلين وشرفين وما أعدّه الله لمن الفضل العظيم والاكرام العميم في دار النعيم لا يحدى ولا يستقصى .

« مطلب » في أولاده ﷺ

وأما أولاده ﷺ فهم : ستة . وقيل : سبعة . وهو : الأصح ثلاثة ذكور على المعتمد : القاسم وإبراهيم عبد الله وأربعة إناث وهن : زينب . ورقية . وأم كلثوم . وفاطمة . رضي الله تعالى عنهم أجمعين والقاسم : أول ولد ولد له وأول واحد مات من أولاده ﷺ ولما توفي القاسم قال العاص بن وائل : لقد أصبح محمد آيت فآزل الله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك والخر . إن شانئك هو الأبتر) . أي : إنا أعطيناك الكوثر عوضاً عن مصيبتك بالقاسم . وأما إبراهيم : فإنه كان من مارية القبطية وهي من سراريه ﷺ لآمن أزواجه ولما ولد إبراهيم جاء أبو رافع فبشر النبي ﷺ به فذهب له عبدأوعق^(١)

(١) « علق » من المولود : ذبح عند يوم أسبوعه القاموس المحيط في بابه . وأصل العلق : الشق والقطع . وقيل الدبحة : حقيقة ، لأنها يشق - لهما . وتطلق المعققة لقتل على الشعر الذي على رأس المولود . وشراً : على ما يذبح في اليوم السابع يوم خلق رأسه لسمية لما يسم ما يفرأها ، وقيل غير ذلك . وقد ورد فيها أحاديث كثيرة . منها ما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الحاكم عن حرة وطيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « القلام مرثون بعقبته تذبح عنه في اليوم السابع » وعلق رأسه وبسمى : « وإن أردت التوسع فارجع إليه في مظانه من كتب الفقه والحديث . ١٠١ .

عنه يوم سابعه كبشين وحلق رأسه « أبو هند » وسماه النبي عليه السلام يومئذ وتصدق بوزن شعره فضة وكان النبي ﷺ يحبه كثيراً ولما جاد بنفسه بكى رسول الله ﷺ وقال: إنا بك يا إبراهيم لهزون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يخطئ الرب . وكانت وفاته في زمن رضاء ، وروي « إن له مرضعاً في الجنة »^(١) وأما عبد الله : فهو الملقب بالطيب والظاهر ولم يولد لرسول ﷺ بعده إلا إبراهيم فأبراهيم آخر أولاده ﷺ بالاجماع . وأما زينب فتزوجها ابن خالتها أبو العاص ابن الربيع فولدت له علياً وأمامة فأما علي : فأردفه النبي ﷺ وراءه يوم الفتح ومات مراهماً . وأما أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد وفاة خالتها فاطمة . وكان عليه الصلاة والسلام يحبها كثيراً وأما رقية وأم كلثوم فهما زوجتا ثالث أمراء المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله عنه وعنهم أجمعين فإنه رضي الله عنه تزوج أولاً برقية وتوفيت عنده في المدينة ثم تزوج بأختها أم كلثوم رضي الله تعالى عنهما وأما فاطمة فهي أفضل النساء على ما صححه كثير من الأئمة المتقدمين والعلماء العالمين . ومن رجح ذلك : الإمام السبكي رضي الله عنه حتى قال :

(١) رواه ابن ماجه ، ورواية الدلمي : ان له مرضعين في الجنة . قال في مشارق الأنوار ، وذلك خاص به ، فان رضاع سائر الأطفال إما يكون من صرع شجرة طوبى كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان في الجنة لشجرة لها غروع البعر يلقى بها ولدان أهل الجنة » أخرجه ابن أبي الدنيا . ولا شك أن الذي بالسيد إبراهيم أكمل ، والمرضعان إما على شقعة الأدييات أو من الحور العين . والله تعالى أعلم ، مشارق الأنوار : ص ٧٩ - ٨١ .

الذي اختاره وأدين الله به أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أفضل . ثم
 أمها خديجة . ثم عائشة . قال : والخلاف شهر لكن الحق أحق أن يتبع
 حتى نقل الحافظ ^(١) في الفتح : الإجماع على أفضليتها رضي الله تعالى
 عنها . والأحاديث الصحيحة هي كالصريح في ذلك وسنذكر بعضها مع
 نبذة من مناقبها رضي الله تعالى عنها .

« مطلب » في ما ورد في فضل زوجه المكرمين وبضعه فاطمة النبوة رضي الله تعالى عنها

وأما ذريته المكرمون المعظمون فلهم الفضل الكبير والفخر الشير
 والفيض الوفير ومهما ذكرنا في مدحتهم فقليل من كثير ، كيف لا وهم
 بضعة الهادي المعظم وسلالة السيد الرسول المكرم وهم شמוש الأكوان
 وأقمارها ورياض الفضائل وأزهارها وأغصان الكمال وثمارها وبحور
 المكارم وأنهارها بهم استنارت البصائر من ظلمة الحجاب وفتحت اطالي
 الهداية الأبواب ومنهم الأولياء والأوتاد والأقطاب والأفراد والأغوات

(١) قال في مشارق الأنوار هو الحافظ ابن حجر . والفتح : هو « فتح الباري »
 شرح صحيح البخاري - ط ٤ كتابه الذي شرح به صحيح البخاري - رحمه الله تعالى .
 قلت : والحافظ ابن حجر ، هو : أحمد بن حنبل بن محمد الكتاني الصقلي ، شاب الدين ،
 من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من « صقلان بفلسطين » ومولده ووفاته بالقاهرة . واسع
 بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرها لسماع الحديث
 من الشيوخ وعلقت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه . وأصبح حافظ الإسلام في عصره ،
 وكان فصيح اللسان ، راوية للشعر . صبيح الوجه ، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل . له
 تصانيف كثيرة جليلة وثقفة . توفي رحمه الله سنة ٨٠٢ هـ - ١٤١٠ هـ .

والأنجاب ، قوم شهد الوجود بفخرهم وأذعنت هامة الكائنات لأمرهم ،
 واعترفت العوالم كلها بفضلهم وأيد الله شرفهم بنص الكتاب وقد أوضح
 ذلك في أحاديثه سيد الأحياب ومعلوم أن أحكام الشريعة في قسمة الغنائم
 ونحوها وفي النكاح وفي عدم حل الصدقات لهم ولمواليهم وغير ذلك من
 الخصوصيات التي يطول شرحها تثبت ما لهم من الشرف والفخر
 الخصوص الذي طفحت به النقول والنصوص كيف لا وهم آل البضعة
 النقية فاطمة الزهراء النبوية التي قال فيها والدها روح الوجود وسيد
 كل موجود عليه السلام « فاطمة روحي التي بين جنبي »^(١) وفي الحديث
 « إن الله تعالى فطم ابنتي فاطمة وولديها ومن أحبه من النار »^(٢) وعن ابن
 عباس رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال « أنا شجرة
 وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثارها ومحبوا أهل البيت
 أوراقها وكلنا في الجنة حقاً حقاً » وفي الحديث أيضاً « من فقد الشمس
 فليتمسك بالقمر ومن فقد القمر فليتمسك بالزهرة ومن فقد الزهرة
 فليتمسك بالفرقدين فاستل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال أنا الشمس
 وعلي القمر ، والزهرة فاطمة ، والفرقدان الحسن والحسين . ذكره
 في العرائس . وعنه عليه السلام أنه قال « أتاني ملك فسلم علي نزل من السماء

(١) أخرجه الترمذي والحاكم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما حديثاً قريباً منه .
 وهو قوله عليه الصلاة والسلام « أحب أملي إلى فاطمة » .
 (٢) أخرجه الطبراني والبزار وأبو نعيم والطائفة أبو القاسم الدمشقي والنسائي
 واللفظ له .

لم يزل قبلها فبشرني أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة وأنت
فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ،^(١) وعن جابر بن عبد الله رضي الله
تعالى عنهما أنه قال : « دخلت أم أيمن على النبي ﷺ وهي تبكي
فسأها عن ذلك فقالت : دخل علي رجل من الأنصار وقد زوج بنته ونثر
عليها اللؤلؤ والسكر فتذكرت تزويجك فاطمة ولم تنثر عليها شيئاً فقال :
والذي بعثني بالكرامة وخصني بالرسالة إن الله تعالى لما زوج علياً فاطمة
أمر الملائكة المقربين ، أن يحرقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل
واسرافيل وأمر الجن أن تنزخرف والخور العين أن تتزين ثم أمرها
أن ترقص فرقصت ثم أمر الطيور أن تغني فغننت ثم أمر شجرة طوبى
أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع
الياقوت الأحمر »^(٢) قال في مشارق الأنوار : وقد خطب فاطمة رضي
الله تعالى عنها أبو بكر ثم عمر فأعرض ﷺ عنهما فلما خطبها علي
ﷺ أجابه وجعل صداقها درعه ولم يكن له غيرها فبيعت « بأربعائة
وثنانين درهماً » وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ قال : حضرنا
عرس علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فما رأينا عرساً
أحسن منه هياً لنا رسول الله ﷺ قرأ وزيباً وروى الطبراني من حديث
أسماء رضي الله تعالى عنها قالت « لما أهديت فاطمة لعلي ابن أبي طالب

(١) أخرجه الترمذي وابن عساکر عن حذيفة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن عساکر .

كرم الله وجهه أرسل ﷺ يقول له لا تقربن أهلك حتى آتيكما فجاء
 ﷺ فدعا بإناء ماء فسمى فيه وقال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر
 علي ووجهه ثم دعا فاطمة فقامت تعثر^(١) في مرطها^(٢) من الحياء
 فنضح^(٣) عليها من ذلك وفي حديث^(٤) آخر فدعا رسول الله ﷺ بماء
 فتوضأ منه فأفرغه على علي ثم قال اللهم بارك فيها وبارك لها في نسلها وفي
 رواية: فنضح الماء على رأسها وبين ثدييها وقال لها: أعينها بك وذريتها
 من الشيطان الرجيم ولم يتزوج^(٥) علي ﷺ حتى توفيت فاطمة
 رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

وروى الإمام البخاري بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال «فاطمة
 بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» وروى الإمام أحمد في مسنده والحاكم
 في مستدركه عن رسول الله ﷺ أنه قال «فاطمة بضعة مني يقبضني
 ما يقبضها وييسطني ما ييسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير

(١) عشر يعثر: من الباب الأول والثاني والرابع والخامس: زل وكبا: القاموس
 المحيط في باب.

(٢) المرط: كيتاء من صوف أو خز أو كتان يؤتر به وجهه: مرطوط:
 النهاية لابن الأثير: ٣١٩/١ - والقاموس المحيط في باب.

(٣) في النهاية لابن الأثير: ٦٩/١: وقد نضح عليه الماء، ونضح به: إذا أثره
 عليه. وكذا القاموس المحيط في باب.

(٤) أخرجه الطبراني من حديث: بريرة رضي الله عنها.

(٥) كان زواجه بها رضي الله عنها في أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح
 وكان سبها: خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة. وسنة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر:
 الصواعق المرفقة لابن حجر: ص ١٢٩: مشارق الأنوار: ص ٢٩ - ٣١.

نسي وصهري ، وروى الحاكم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران » . وروى الطبراني في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها » . قال النسفي رحمه الله تعالى : لما دخل رسول الله ﷺ الجنة ليلة المعراج ورأى قصر خديجة المقدم ذكره في مناقبها أخذ جبريل عليه الصلاة والسلام تفاحة من شجر القصر وقال : يا محمد كل هذه التفاحة فإن الله تعالى يخلق منها بنتا تحملها خديجة ففعل فلما حملت خديجة بفاطمة رضي الله عنهما وجدت رائحة الجنة تسعة أشهر فلما وضعتها انتقلت الرائحة إليها فكان النبي ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل فاطمة . وعن أنس رضي الله عنه : « بينا النبي ﷺ جالس إذ قال لعلي رضي الله عنه : هذا جبريل أخبرني بأن الله تعالى قد زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت والحلي والحلل فنثرت عليهم فابتدر الحور العين يلتقطن في الأطباق الدر والياقوت والحلي والحلل فهم يتنادونه إلى يوم القيامة » ^(١) وفي رواية قال : « أبشر يا أبا الحسن فإن الله تعالى قد زوجك في السماء قبل أن أزوجه في الأرض » ^(٢) وأخرج الطبراني عن فاطمة أن النبي ﷺ قال : « أما حسن فله هبتي وسوددي وأما حسين فله جرائقي وجودي » .

(١-٢) أخرجه ابن عساکر .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « انت الحسن والحسين هما ريحائتي في الدنيا » وأخرج الترمذي والطبراني عن أسامة ابن زيد أن النبي ﷺ قال « هذان ابنا بنتي اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما » وأخرج الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال « أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين » وأخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الحفالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ، وفاطمة سيدة أهل الجنة إلا ما كان من مريم » وأخرج البغوي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ « أنه استأذن ملك القطر أن يزور ^(١) النبي ﷺ فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقَالَ ﷺ يَأْمُ سَلْمَةُ احْفَظِي عَلَيْنَا الْبَابَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ فِينَاهُمَا عَلَى الْبَابِ إِذَا دَخَلَ الْحُسَيْنُ فَاقْتَحِمِ فَوْتِبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْتَمِسُهُ وَيَقْبِلُهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَتُحِبُّهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ إِنْ أَمْسَكَ سَتَقْتُلُهُ وَإِنْ شَتَّ أُرِيكَ الْمَكَانَ الَّذِي يَقْتُلُ فِيهِ فَأَنَّهُ بِسَهْلَةٍ ^(٢) أَوْ تَرَابِ أَحْمَرٍ فَأَخَذَتْهُ أُمُّ سَلْمَةَ فَجَعَلَتْهُ فِي ثَوْبِهَا قَالَ ثَابِتٌ: كُنَّا نَقُولُ إِنَّهَا كَرِبْلَاءُ ^(٣) وَالسَّهْلَةُ بِكَسْرِ السِّينِ: رَمْلٌ خَشَنٌ وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ اللَّهُمَّ أَحِبْ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا ، حُسَيْنٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ . وَرَوَى ابْنُ حَبَّانَ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) وفي رواية : استأذن ملكه القطر ربه أن يزوره فأذن له ... الحديث » .

(٢) السَّهْلَةُ : رَمْلٌ خَشَنٌ لَيْسَ بِالْمُفَاقِ النَّاعِمِ : الْبَابُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٤٢٨ : ٢ .

(٣) وأخرجه أيضا أبو حاتم في صحيحه وروى الإمام أحمد في مسنده نحوه .

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سرع أن ينظر الى رجل من أهل
 أهل الجنة في لفظ: الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن علي »
 وروى خيثمة بن سليمان عن أبي هريرة « أن النبي جلس في المسجد فجاء
 الحسين يمشي حتى سقط في حجرة فجعل أصابعه في حية رسول الله ﷺ
 ففتحه ﷺ فمه أي : الحسين فادخل فاه في فيه ثم قال : اللهم اني أحبه
 وأحب من يحبه » وروى أبو الحسن ابن الضحاك عن أبي هريرة قال
 « رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل النمرة »
 وكان ابن عمر جالسا في ظل الكعبة اذ رأى الحسين مقبلا فقال « هذا
 أحب أهل الأرض الى أهل السماء اليوم » وجاء رجل الى الحسن يستعين
 به في حاجة فوجده معتكفا في خلوة فاعتذر إليه فذهب إلى أخيه
 الحسين فاستعان به فقتضى حاجته وقال : لقضاء حاجة في الله عز وجل
 أحب إلي من اعتكافي شهرا . ومن كلامه ﷺ : اعلّموا أن حوائج
 الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا من تلك النعم فتعود عليكم
 تقمّا ، واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا فلو رأيتموا
 المعروف رجلا لرأيتموه رجلا حليما يسر الناظرين ولو رأيتموا
 اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه
 الأبصار . قال علي بن أبي طالب : أخذ النبي ﷺ بيد الحسن والحسين
 وقال « من أحبني وأحب هذين وأباهما كانت معي في درجتي يوم

القيامة^(١) وفي الحديث « يامعاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس
 جداً وجدة قالوا : نعم قال الحسن والحسين جدما رسول الله وجدتهما
 خديجة ، ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً قالوا نعم قال : الحسن والحسين
 أبوهما علي وأمهها فاطمة ، ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة قالوا :
 نعم . قال : الحسن والحسين عمها جعفر وعمتها أم هانئ ، ألا أدلكم على خير
 الناس خلاً وخالة قالوا . نعم قال : الحسن والحسين خالهما القاسم ابن
 رسول الله ﷺ وخالتها زينب بنت رسول الله ﷺ ، وورد « أن
 رسول الله ﷺ يفتخر يوم القيامة بولديه الحسن والحسين ، وقد
 جاءت الآيات القرآنية بتعظيم العترة النبوية والقرابة الحمودية قال
 تعالى : (قل لأسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى)^(٢) وقال عز من
 قائل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
 تطهيراً)^(٣) وعن زيد بن أرقم أنه قال قال رسول الله ﷺ « أنشدكم
 الله في أهل بيتي ثلاثاً قلنا نزيد : من أهل بيته ؟ قال آل علي ﷺ وآل
 جعفر وآل عقيب وآل العباس رضي الله عنهم^(٤) » وقال عليه الصلاة
 والسلام « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
 أهل بيتي فانظروا كيف تحلفوني فيها^(٥) » وقال عليه الصلاة والسلام

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي : عن علي رضي الله عنه وعمره الله وجهه .

(٢) الشورى : ٢٣ / .

(٣) الأحزاب : ٣٣ / .

(٤) رواه مسلم والبيهقي .

(٥) رواه الترمذي : عن زيد بن أرقم .

« معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط
والولاية لآل محمد أمان من العذاب »^(١) قال بعض العلماء معرفتهم هي
معرفة مكانتهم من رسول الله ﷺ وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب
حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه أنه قال : لما
نزلت : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيراً
وذلك في بيت أم سلمة دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٢) والمراد بالرجس : الذنوب والآثام ،
وما يشينهم في الدنيا ويوم القيامة . ولكونه عليه السلام جللهم بكساء سموا :
أهل الكساء ، وهم المعروفون بأصحاب العبا وفي حقهم يقول القائل :
في خمة أطفي بهم حر لبيب الحاطمة^(٣)
المصطفى والمرضى وابناها والفاطمة

آية المباهلة وهي قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من

(١) رواء الديلمي في مستند العرندوس وابن عدي باختصار : عن علي رضي الله عنه
وله شواهد كثيرة انظرها في الصواعق المرفقة : لابن حجر . ولي مشارق الأنوار . أو
في قبرها من اللطائف .

(٢) رواء الامام أحمد . وله طرق كثيرة صحيحة : مشارق الأنوار : ص : ٧٨ :
الصبرة الخفية ٣١/٣٦٥ - ٥١ .

(٣) الفطمة : اسم من أسماء النار ، سميت بذلك لأنها تعطى كل شيء . وزيدت
ألقا في البيت للضرورة الشعر .

العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم.. الآية^(١) . دعا ﷺ علياً وحسيناً وحسيناً وفاطمة رضي الله تعالى عنهم وقال : اللهم هؤلاء أهلي^(٢) وقال ﷺ في علي رضي الله عنه : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٣) وقال فيه : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(٤) وقال ﷺ لعنه العباس رضي الله تعالى عنه : والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن آذى عمي فقد

(١) آل عمران / ٦١ .

(٢) قصة المياعة وردت من طرق عديدة صحيحة . منها ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . انظرها في تفسير ابن كثير ١ / ٣٧٠ . ورواية سعد بن المسيب .

(٣) قاله النبي صلى الله عليه وسلم يوم « خيبر » موضع على ثلاثة أميال بالمحفة بين الحرمين . ولتمة الحديث « ... وأحب من أحب وأبغض من أبغضه وأنصر من نصره وأخذل من أخذله وأدر الحق معه حيث دار » رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابياً وكثير من طرقه : صحيح أبو حسن . قال في الأنوار الحميدة : وأما حديث الترمذي والنسائي « من كنت مولاه فعلي مولاه » الحديث « فقد قال الشافعي رضي الله عنه . يعني بذلك ولاء الإسلام » كقوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » . قلت : وقضائه أعلي علياً « كرم الله وجهه » كثيرة شهيرة حتى قال الامام أحمد « رحمه الله » : ما جاء لأحد من القضاة ما جاء لعلي . وقال إمام غيل القاضي والنسائي وأبو علي التيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة إلا ما يندب لسان أكثر مما جاء في حق علي . ولعل السبب في ذلك : أن الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلي به علي « كرم الله وجهه » وما وقع من الاختلاف إنما آله إليه أمر الخلافة فانقضى ذلك تصح الأمة بإشهار تلك القضاة ليتسك به من بلغته فينجو . والله تعالى أعلم - ٥١ -

(٤) أخرجه الامام مسلم عن علي رضي الله عنه أنه قال « والذي خلق الجنة وبرأ النعمة إنه لعبد النبي الأكرم إلي » أنه لا يبغضني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق » . وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً .

آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه^(١) وقال أبو بكر رضي الله عنه : أرقبوا محمداً في أهل بيته^(٢) وقال أيضاً رضي الله عنه : والتي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من أن أصل من قرأبتي^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام : أحب الله من أحب حسناً وحسيناً^(٤) وقال : من أحبني وأحب هذين وأشار إلى الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة^(٥) وقال عليه الصلاة والسلام : من أهان قریشاً أهانه الله^(٦) وقال عليه الصلاة والسلام : قدموا قریشاً ولا تقدموها^(٧) وعن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر رضي الله عنه جعل الحسن على عنقه وهو يقول : يا بني شبيه بالنبي وليس شبيهاً بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك^(٨) وروي عن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه أنه قال : أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب بها فإني استحي من الله أن يراك

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . قال ابن الأثير : أصل الصنو أن يطلع غلمان من عرق واحد . يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد .
(٢-٣) رواهما البخاري .

(٤) أخرجه الترمذي وابن حبان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما حديثاً قريباً منه وهو قوله : هذان إبنائي وإبنا ابنتي . اللهم إلي أحبيهما فأحبهما وأحب من يهمنهما .
(٥) أخرجه الإمام أحمد والترمذي . قال في المواهب اللدنية : وليس المراد بالمعية هنا : المعية من حيث الملام ، بل من جهة رفع الحجاب ، كما في قوله تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن سعد رضي الله عنه .

(٧) أخرجه الشافعي وأحمد رضي الله عنهما : عن عبد الله بن حنطب .

(٨) ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية .

على بابي^(١) وعن الشعبي قال «صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ^(٢) . وروي أن الامام مالكا^(٣) : «رحم الله تعالى» لما ضربته جعفر ابن سليمان^(٤) ونال منه مانال وحمل مغشياً عليه فدخل عليه الناس فافاق فقال : أشهدكم أنني جعلت ضاربي في حل^(٥) ، فستل بعد ذلك فقال : خفت أن أموت فألقى النبي ﷺ فاستحي منه أن يدخل بعض آل النار بسببي وقوله : ونال منه مانال أي : من تجريده من ثيابه وسببه ، وسبب ذلك : أن جعفرأ بلغه أن الامام مالكا يقول : ان الأيمان في بيعة الخلافة ليس لازماً لأن الناس يكرهونه فغضب لذلك وأحضره وفعل به مأمراً وقيل ان المنصور العباسي المشهور أمر ان يقتص مالكا من جعفر ، فقال مالكا : أعوذ بالله والله ما ارتفع سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل وأبرأت ذمته لقرايته من رسول الله ﷺ^(٦) وقال أبو بكر بن عياش : لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقراه من

(١) ذكره العلامة ابن حجر في الصواعق المحرقة .

(٢) قاله ابن عبد البر : الصواعق المحرقة ص : ١٧٧ - ١٨١ .

(٣) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس «ابن عم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي» . وكان واقفاً على المدينة المنورة . الصواعق المحرقة ص : ١٧٨ ، نور الأبصار ص : ٢٣٢ - ٢٤١ .

(٤) ذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة .

رسول الله ﷺ ، ^(١) وعنه ﷺ : من مات على حب آل محمد مات مؤمناً ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ومن مات على حب آل محمد فُتِحَ له في قبره بابان إلى الجنة ، ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً للملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيتها ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة ، حكاه القرطبي : في تفسير سورة شورى ثم رأيت المفسر الكبير العلامة الرازي الشهير تقل نحو هذا الحديث في السورة المذكورة عند قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ثم قال : رواه صاحب ^(٢) الكشف . وقال نفعنا الله به : وأنا أقول : آل محمد ﷺ : هم الذين يؤول أمرهم إليه ، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم آل ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسين كان المتعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم آل وأيضاً اختلف الناس في آل ؟ فقيل : هم الأقارب ، وقيل هم : أمته ، فإن حملناه على القرابة فهم آل وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء .

(٢) هو : محمود بن عمر بن محمد الحوارزمي العنبري من آلته العلم : الطبري ج ١ ص ١٩٠ .

دعوته فهم أيضاً آل ، فثبت على جميع التقديرات أنهم هم الآل وأما غيرهم فدخلوهم تحت لفظ الآل مختلف فيه . وروى صاحب الكشف : أنه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وإبنائهما فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم وبدل عليه وجوه : الأول - قوله تعالى (إلا المودة في القربى) ووجه الاستدلال به ماسبق .

الثاني : لا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام ، قال ﷺ « فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها »^(١) وثبت بالنقل المتواتر عن محمد ﷺ : أنه كان يحب علياً والحسن والحسين وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة حبهم كقوله تعالى (واتبعوه لعلمكم تهتدون)^(٢) ولقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره)^(٣) ولقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٤) ولقوله سبحانه وتعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)^(٥) .

الثالث : أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن الزبير رضي الله عنه .

(٢) الأعراف / ١٥٨ .

(٣) البقرة / ١٦٣ .

(٤) آل عمران / ٣١ .

(٥) الأحزاب / ٢١ .

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد : واجب . ومن كلام الشافعي :

ياراكبا قف بالحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج الى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رقضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي^(١)

وقوله تعالى (الا المودة في القربى) فيه منصب عظيم للصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأنه تعالى قال (والسابقون السابقون. أولئك المقربون)^(٢) فكل من أطاع الله تعالى كان مقرباً عند الله تعالى فدخل تحت قوله تعالى (إلا المودة في القربى) والحاصل : أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله ﷺ وحب أصحابه وهذا المنصب لا يسلّم إلا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة وسمعت بعض المذكورين قال : إنه ﷺ قال : « مثل أهل بيتي كشل سفينة نوح من ركب فيها نجا »^(٣) وقال ﷺ « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »^(٤) ونحن الآن في بحر التكليف وتضرّبنا أمواج الشبهات والشبهوات وراكب البحر يحتاج إلى أمرين : أحدهما :

(١) قال البيهقي : إنما قال الشافعي ذلك من نسبة الخوارج له إلى الزاغة حداً وبغياً ، استعار الراغبين للعلامة الصبان : ص ٨٨ - ٩١ .

(٢) الواقعة / ١٠ - ١١ / .

(٣) رواه الإمام أحمد ، وقال الحافظ ابن حجر : ورد من طرق عديدة يغوي بعضها بعضاً . وفي رواية مسلم ، ومن غلّف عنها غرق . وفي رواية : ملك .

(٤) رواه ابن ماجه .

السفينة الخالية عن العيوب والثقب . والثاني : الكواكب الظاهرة
الطالعة المنيرة فاذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب
الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً ، فكذلك ركب أصحابنا أهل السنة
سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة فرجوا من
الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة . انتهى .
وقد درج السلف الصالح على حب آل رسول الله ﷺ وإكرامهم
وتعظيمهم وتجيلهم والاعتناء بشأنهم وشرفهم والقيام بحقوق قرائتهم
من رسول الله ﷺ ، والله در الحسن ^(١) بن هانيء القائل :

قال لي قائل : رأيتك تهوى آل طه ودائماً تحببهم
صار فرضاً عليك تستغرق المدح جميعاً فيهم وفي من يليهم
قلت : ماذا أقول ؟ والكون طراً يستمد النوال من ناديم
أنا لا أستطيع أمدح قوماً كان جبريل خادماً لأبيهم

وأحسن منه قول سيدنا الإمام الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفامكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لاصلاة له

(١) الحسن بن هانيء : ابن عبد الأول بن صباح الحكيم : أبو نواس : شاعر العراق
في عصره ، ولد في « الأمواز » ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى « بغداد » فالتصق فيها بالخطباء
من بني العباس ومدح بعضهم ، قال الجاحظ : ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لجة من
أبي نواس . وقال أبو عبيدة : كان أبو نواس للمحدثين كأمير المؤمنين المتقدمين . وقال الإمام
الشافعي : لو لا جبريل أبو نواس لأخذت عنه العلم . توفي رحمه الله سنة ١٩٨ هـ - ٨١٠ .

وقال بعضهم^(١) :

حب آل النبي خالط قلبي فاعذروني في حبيهم فاعذروني
أنا والله مغرم بهوهم عللوني بذكرهم عللوني

ولي في هذا المعنى :

حبي لأولاد طه سيفي على من تأني
كذلك قال أبوه : « المرء مع من أحب »

وقد بشر النبي ﷺ بالنجاة لمن أحبه بقوله : « مثل أهل بيتي
كسفينة نوح من ركب فيها نجا »^(٢) شرح الله صدورنا بحبهم ورزقنا
النجاة ببركتهم وفي هذا المعنى قولي :

حب آل النبي حبل نجاة وطريقي إلى النبي الكريم
وسبيل إلى الوصول إلى الله وباب لكل خير عظيم

وقولي :

حب آل النبي باب الترقى وسبيل العلا وحرز الأمان
فضلهم والثنا عليهم أنا ضمن أمر يحكم القرات

(١) البيهقي للأستاذ « كرم الدين الخولي » وانظر قصائدي في مشارق الأنوار المضيئة
حسن العدوي : ص (٨٥ - ٨٦) فإن في طبعها خطأ وجيزة .
(٢) رواه الإمام أحمد .

وما أحسن ما أجاب به مولانا الشيخ حسن البيرقي قدس سره حين
سئل عن رجلين وليين أحدهما من الآل والآخر من غيرهم ؟ فقال :

آل النبي لهم في نفس نسبتهم سر عظيم له في المجد غايات
والأولياء وإن جلت مراتبهم في رتبة العبد والسادات سادات

وقد أجاب وأجاد ووضح وأفاد وشفى غليل الفؤاد وبين حقوق
الأولياء والأولاد والسادات والاسياد وأعطى البضعة النبوية حقها من
التعظيم وأتى بما يرضي الرسول الكريم والنبي الرحيم عليه من الله أفضل
الصلاة والتسليم ، ومن جوابه تعلم أن منصب الولاية يحصل لآل بيت
الرسول ﷺ ولغيرهم من خواص العباد أهل الفيض والرشاد المتبعين
لأشرف نبي وأكرم هاد غير أن بين الولي الشريف والولي غير الشريف
بونا عظيماً وفرقاً جسيماً فإن مدد الرسول ﷺ وإن كان واصلاً بحكم
الفضل والجود الى ساحة الوجود ليغترف من أنهارها كل موجود لكن
لآل الذين هم بضعة من الذات النبوية أرفع مزية ، وأعلى خصوصية ،
ولهذا خصهم الله بمقام الغوثية ، فلا يكون الغوث المتصرف بأمر الله
في ملك الله نياية عن رسول الله ﷺ إلا منهم كما أطبق عليه جماهير
السادات الصوفية وخواص هذه الأمة المحمدية وفي ذلك أقول مرجحاً
ومرتجلاً :

أنثة الأرواح آل طه ذي رتبة أبوهم ارتضاها

فالقوت منهم وهم الأقطاب	وقادة القادة والأحباب
والأوليا أتباعهم في السر	تحت انتظار نبيهم والأمر
لأنهم وراث فضل المصطفى	وعنه في العلم اللدني خلفا
والأتقيا في ديننا كالآل	معنى لما نالوا من المعالي
حسن اتباع المصطفى أدانهم	ولأعز رتبة رفاقهم
فكيف بالآل الذين تابعوا	وصدقوا الله على ما يبيعوا
وصبروا على البلاء والمحن	وأخلصوا بالاتباع للسنن
وعلموا بالفرض والمستنوت	وهم بنو المكرم المأموت
قد ارتضاهم ربهم من الأزل	ذرية للهاشمي المحتفل
واختارهم لأكرم الأصلاب	وأشرف البطون والآراب
علوا قلوباً وزكوا أجساماً	وجدهم كانت لهم إماماً
فهم رجال الله بالتحقيق	وقادة القوم إلى الطريق
وحبهم حب رسول الله	وحبه لاشك حب الله

هذا وقد نقل العلامة العدوي عن خاتمة المحققين ابن حجر أنه
أخرج عن الديلمي مرفوعاً : « من أراد التوسل وأن يكون له عندي يد
أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم » .
قال : وأخرج الإمام أحمد في مسنده عنه عليه السلام : « إني أوشك أن أدعى
فأجيب وإني تارك فيكم الشقلين » : كتاب الله عز وجل جبل ممدود

(١) الشقين : محرك كالقلماموس : هو كل شيء نفيس مصنوع .

من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف أخبرني أنها لن
يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بماذا تحلفوني فيها ، وفي رواية
« فإذا ذهب أهل بيتي جاء أهل الأرض من العذاب ما كانوا يوعدون ،
وأخرج الطبراني مرفوعاً « من اصطنع لأحد من ولد عبد المطلب يداً
فلم يكافئه بها في الدنيا فعلى مكافاته غداً يوم القيامة إذا لقيني »^(١) وفي
خبر عنه عليه السلام « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي
لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم
بقلبه ولسانه » . ومن مزيد فضلهم أن الله قد وكل بعض الملائكة
بمعونتهم كما ورد عنه عليه السلام « أنه أرسل أبا ذر بنادي علياً فرأى رحي
تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال : يا أبا
ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد
عليهم السلام ،^(٢) ومما ينبغي لك زيادة الأدب مع كل شريف وإجلاله
وإكرامه بقدر الطاقة تعظيماً لخدمه عليه الصلاة والسلام فقد أخرج
الخطيب « مرفوعاً » عنه عليه السلام « يقوم الرجل للرجل إلا بنو هاشم
فإنهم لا يقومون لأحد » وفي رواية عن أنس قال : « بيننا النبي صلى الله عليه وآله
في المسجد إذ أقبل علي صلى الله عليه وآله فسلم ثم وقف فنظر النبي صلى الله عليه وآله في
وجوه الصحابة أيهم يفسح له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمين رسول الله
فتزحزح له عن مجلسه وقال : ههنا يا أبا الحسن ، فجلس بين النبي صلى الله عليه وآله

(١) أخرجه العلامة ابن حجر له الصواعق وقال : خبر ضعيف .

(٢) أخرجه اللآلئ سيرته .

وبين أبي بكر رضي الله عنه فعرف البشر في وجه رسول الله ﷺ وقال:
يا أبا بكر إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل^(١)، ويكفيه فضلاً
وشرفاً وفخراً ومجداً وعزاً وسودداً أن الله تعالى جعل ذرية نبيه محمد
ﷺ من صلبه، أخرج الطبراني والخطيب عن ابن عباس عن النبي
ﷺ قال: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب
علي بن أبي طالب» رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه. وعن الحسين
ابن علي رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الزموا مودتنا
أهل البيت فإن من ألقى الله عز وجل وهو يسودنا دخل الجنة بشفاعتنا
والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا» أخرجه الطبراني
في الأوسط وأخرج^(٢) أبو سعيد عن علي رضي الله عنه أنه قال: «أخبرني
رسول الله ﷺ: أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين
فقلت يا رسول الله فحببونا قال: من ورائكم». وليعلم أنه ينبغي احترام
وتعظيم كل من ينتسب إلى رسول الله ﷺ بدون تكليفه إلى إثبات
نسبته إليه ﷺ، فإن الناس مأمونون على أنسابهم ومن المروءة حفظ
النسب. وعليه السادات قاطبة وكافة العرب فإنهم يحفظون أنسابهم
سما القبائل وأهل البادية، كما صرح بذلك حكماء القرون الأولى ومنهم
«ابن خلدون»^(٣) وغيره على أن القبائل في البادية حفظة لأنسابهم ولا

(١) أخرجه العسكري.

(٢) أخرجه في شرف النبوة.

(٣) ابن خلدون: ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر =

يظن في رجل عليّ الطبع كريم الشيم ، أنه ينتسب لغير أبويه ومع ذلك
 فالخطور الشرعي في هذا بدوي فان كون من ينتسب لغير أبويه ملعوناً
 ثابت بنص الحديث الشريف . وأهم من ذلك مايقع من إنكار بعض
 الأشراف والطعن في انسابهم رضي الله تعالى عنهم فان الطاعن فيهم
 لا يخلو من سوء أدب ومقت أو نقص في دينه وظلم للآل الكرام ، ألا
 لعنة الله على الظالمين .

« مطلب » في تعظيم أهل البيت

« هذا » وأنا نعتقد ما اعتقده أكثر السلف الصالح : أن تعظيم أهل
 البيت الذين هم آل فاطمة رضي الله عنها وعنهم تعظيم لرسول الله ﷺ
 لأنهم ذريته وبضعة منه عليه الصلاة والسلام وقد قال الشيخ محي الدين
 ابن عربي « في فتوحاته مانصه :

ولما كان رسول الله ﷺ عبداً محضاً قد طهره الله وأهل بيته
 تطهيراً وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فإن الرجس هو :

« ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي ، من ولد والي بن حنبل : الفيلسوف المؤرخ ، العالم
 الاجتماعي البحالة . أصله من اشبيلية ، ومولده ومنتشؤه « بنو نوح » رحل إلى فاس وخرطاطة
 وغيرها من البلاد الإسلامية ، واستقر أخيراً بحرص وولي فيها قضاء المالكية ، كان قصباً
 جميل الصورة ، عاقل ، صادق اللمعة ، وله تصانيف جليلة أشهرها « العبر ودوان الشدأ
 والخبر في تاريخ العرب والمسلمين والبربر - ط » في ثلثي مجلدات . توفي رحمه الله فجسأة في
 القاهرة سنة « ٨٠٨ هـ » وله من العمر ست وسبعون سنة : ليل الابهاج : ١٧ : حياة
 ابن خلدون للسيد محمد الحفص ، وتعريف الخلف : ١٧١/١ - ١٨١ .

الثغر عند العرب، هكذا حكى الفراء^(١)، قال الله تعالى: (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). فلا يضاف اليهم إلا مطهر ولا بد فإن المضاف اليهم هو الذي يشبههم فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس، فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والصحة، حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»^(٢) وشهد الله لهم بالتطهير وذهب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف اليهم إلا مطهر مقدس وحصلت له العناية الربانية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم قهيم المطهرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدل على أن الله تعالى قد شرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)^(٣). وأي وسخ وقذراً أقدر من الذنوب وأوسخ، فطهر الله سبحانه نبيه ﷺ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا ولو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب

(١) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي، أبو زكرياء المعروف بالفراء: إمام الكوفيين وأعلمهم بالتحقيق واللغة وقتون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لو لا الفراء ما كانت اللغة. وله الكوفيات وانتقل إلى بغداد فالتصّل بالمأمون فعهد إليه بتربية ابنه فأقام أكثر أيامها. كان مع تقدمه في اللغة فليها متكاملاً، عالماً بأيام العرب، عارفاً بالنجوم والطب، وكان يميل إلى الاعتزال، وله تصانيف جليلة. وكان رحمه الله يتفلسف في تصانيفه. توفي في طريق مكة سنة ١٨٢٠ هـ. إرشاد الأريب: ٢٧٦/٧. ٥١.

(٢) رواه الطبراني والمحاكم: عن عمرو بن عوف رضي الله عنه.

(٣) التفتح: ٢/.

لصحه ما يصحب الذنب من المذمة ولم يكن يصدق قوله « ليذهب عنكم
 الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » . فدخل الشرفاء أولاد فاطمة
 كلهم رضي الله تعالى عنهم ، ومن هو من أهل البيت مثل سلمان^(١) الفارسي
 عليه السلام إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران فهم المطهرون
 اختصاصاً من الله وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به ، ولا يظهر
 حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة ، فإنهم يحشرون مغفوراً
 لهم وأما الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره
 وقد زنى أو سرق أو شرب ، أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة (كما عز)
 وأمثاله ، ولا يجوز دمه ، ويفغى لكل مسلم يؤمن بالله وما أنزله أن
 يصدق الله تعالى في قوله : « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
 تطهيراً » فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله تعالى قد عفا عنهم
 منه فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم ولا ما يشتق أعراض من قد شهد

(١) سلمان الفارسي : صحابي ، من مقدميهم : أصله من بجوس أديان ، ورحل
 إلى الشام فالموصل فعمورية ، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود ، وقصد بلاد العرب
 فلقبه ركب من بني كلب فاستخدموه ثم استعبدوه وباعوه ، فاشتراه رجل من بني قريظة
 فبناه به إلى المدينة ، فبلغه خبر الإسلام فقصده النبي صلى الله عليه وسلم « بقاء » وسمع
 كلامه ولازمه أبداً ثم أسلم ، وأعادته المسلمون على شراء نفسه من صاحبه ، وكان قوي
 الجسم ، صحيح الرأي ، عالماً بالشرائع ، وهو الذي أشار على المسلمين بحرق الخندق في
 غزوة الأحزاب حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار ، كلاهما يقول : سلمان منا ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت . وجعل أميراً على المدائن فأقام فيها
 إلى أن توفي رضي الله عنه سنة ٦٠ هـ . وكان إذا خرج عطاء تصدق به ، وينسج
 الخوص ويأكل من كسبه به . روى له البخاري ومسلم « ٦٠ » حديثاً : طبقات ابن سعد
 ٥/١ - ٦٧ - / تذكرة الخطاط : ١٢٥/١ - ١٠١ .

الله يتطهيرهم وذهب الرجز عنهم ليعمل عملوه ولا بخير قدموه بل
 بسابق عناية من الله بهم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
 العظيم ،^(١) وإذا صح الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة
 فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمة بعامله
 لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجز فيكون لأهل البيت
 من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص فسلمان منهم بلا شك
 فارجو أن يكون عقب (عقيل^(٢) وسلمان) تلحقهم هذه العناية كما
 لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالي أهل البيت فإن رحمة الله
 سبحانه وتعالى واسعة : يا ولي .

وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة، وهي: أن يشرف المضاف
 إليهم بشرفهم ، وشرفهم ليس لأنفسهم وإنما الله تعالى هو الذي اجتباهم
 وكساهم حلة الشرف فكيف يا ولي الله ؟ ! بمن أضيف إلى من له العناية
 والمجد والشرف لنفسه وذاته فهو المجيد سبحانه وتعالى ، فالمضاف إليه
 من عباده الذين هم عباده ، وهم الذين لاسلطان لمخلوق عليهم في الآخرة

(١) الحديد / ٢١ .

(٢) عقيل : ابن أبي طالب بن عبد المطلب : صحابي ، نسيب ، فصيح اللسان ، شديد
 الجواب . كان أسن من أخويه علي وجعفر . بقي على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر فأخبرته
 فريش للقتال كرمها ، فشهد ما سمع وأسر المسلمون ، ففداه العباس بن عبد المطلب ، فرجع
 إلى مكة ثم أسلم بعد الخديبية وهاجر إلى المدينة سنة « هـ » . وشهد « غزوة مؤتة » وميت
 « يوم حنين » . توفي رضي الله عنه في أواخر أيام معاوية سنة « ٦٠ هـ » .

قال تعالى لا بليس: (إن عبادي فاضافهم إليه ليس لك عليهم سلطان) ^(١)
وما تجدد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة وجاء
اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم الثقاتين
بحدود سيدهم الواقفين عند مراحمه فشرّفهم أعلى وأتم، وهؤلاء هم أقطاب
هذا المقام ومن هؤلاء الاقطاب ورث سلمان، شرف مقام أهل البيت
فكان عليه السلام من أعلم الناس بالله على عباده من الحقوق وما لأنفسهم والخلق
عليهم من الحقوق وأقواهم على أدائها، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«لو كان الإيمان بالثريا لثاله رجال من فارس»، وأشار إلى سلمان
الفارسي ^(٢) وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وآله ذكر الثريا دون غيرها من
الكواكب؟ إشارة بديعة لمثبتي (الصفات السبع) ^(٣) لأنها سبعة
كواكب، فافهم. فسر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت ما أعطاه النبي
صلى الله عليه وآله من أداء كتابته، وفي هذا فقه عجيب، فهو: عتيقه صلى الله عليه وآله
ومولى القوم منهم، والكل موالى الحق، ورحمته وسعت كل شيء،
وكل شيء عبده ومولاه، وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله،

(١) الحجر / ٤٢ - الاسراء / ٦٥.

(٢) رواه الترمذي واتفق عليه البخاري ومسلم - عن أبي هريرة بلفظ: لو كان
الإيمان عند الثريا لثناؤه رجال من فارس. واتفق به مسلم - عن أبي هريرة بلفظ: لو كان
الإيمان عند الثريا لثناؤه رجل من أبناء فارس حتى يقتلوه.

(٣) يريد بها صفات المعالي السبع الواجبة له تعالى وهي: عند أهل السنن والجماعة: القدرة
والإرادة والعلم والحياة والكلام والسمع والبصر. فهو سبحانه وتعالى: حي، عليم، قادر،
مريد، جامع، بصير، متكلم، النظر بحث «صفات المعالي» في حاشية الأمير على شرح
الطهارة. وفي غيرها من المطبوعات. ١ هـ

وإنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً، فإن الله طهرهم، فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه ولو ظلموه، فذلك الظلم هو في زعمه : ظلم ، لا في نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه ، بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جري المقادير علينا وعلى من جرت عليه في ماله ونفسه بفراق أو بحرق ، أو غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحيائه أو يصاب في نفسه وهذا كله مما لا يوافق غرضه ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضى وإن نزل عن هذه المرتبة فيالصبر وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر فإن في طي ذلك نعماً من الله لهذا المصاب ، وليس وراء ما ذكرناه خير فإن ما وراءه ليس إلا الضرر والسخط وعدم الرضا وسوء الأدب مع الله فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه فيقابل ذلك كله بالرضا والتسليم بالصبر ولا يلحق المذمة بهم أصلاً وأن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعاً فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى المقادير ، وإنما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم .

وأما أداء الحقوق المشروعة ، فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود . وإذا طالبوه بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن ، وإذا تطاول اليهودي عليه بالقول ، يقول : «دعوه : إن لصاحب الحق مقالاً»^(١) . وقال ﷺ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده : عن عائشة رضي الله عنها .

في قصة (١) « لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقَت لقطعت يدها » ،
وقد أعادها الله من ذلك رضي الله تعالى عنها ، فوضع الأحكام لله ،
يضعها كيف يشاء وعلى أي حال يشاء فهذه حقوق الله تعالى ، ومع هذا
لم يذمهم الله ، وإنما كلامنا في حقوقنا ومآلنا أن نطالبهم به فنحن
مخبرون إن شئنا أخذناه ، وإن شئنا تركناه وترك أفضل عموماً ، فكيف
بأهل البيت ؟ ! وليس لنا ذم أحد فكيف بأهل البيت ؟ ! فإنا إذا نزلنا
عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي : فيما أصابوه منا كانت لنا
بذلك عند الله اليد العظيمة ، والمكانة الزلزية ، فإن النبي ﷺ :
ما طلب منا عن أمر الله إلا المودة في القربى . وفيه : سر صلة الأرحام
ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأل فيه مما هو قادر عليه فيأي وجه يلقاه
غداً ؟ ! أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه
من المودة في قرابته فكيف بأهل بيته وهم أخص القرابة ؟ ! ثم إنه جاء
بلفظ (المودة) وهي : الثبوت على المحبة فإنه من ثبت وده في أمر
استصحبه في كل حال ، وإذا استصحبه المودة في كل حال لم يؤاخذ
(أهل البيت) بما يطرأ منهم في حقه فإله أن يطالبهم به فيتركه ترك
محبة وإيثار على نفسه لا - لها . قال المحب الصادق :

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

(١) يريد قصة الخزومة التي سرقَت .

(٢) بعض حديث رَوَاهُ البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه
عن عائشة رضي الله عنها : الترضيب والترهيب للمحافظ النخعي : ٢٩٩/٤ - ٣٠١ .

وجاء باسم الحب فكيف حال (المودة) ومن البشرى ورود - م
 (الودود) لله تعالى ولا معنى لثبوته إلا حصول أثره بالفعل في النار
 الآخرة وفي النار لكل طائفة بما تقتضي حكمة الله فيهم . وقال الآخر
 في هذا المعنى :

أحب لحبها السودان حقى أحب لحبها سود الكلاب^{١١}

ولنا في هذا المعنى :

أحب لحبك الحبشان طراً وأعشق لاسمك البدر المتيراً

قيل : كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحجب إليها أعني :
 المجنون ، فهذا فعل الحب في حب من لاتسعه محبته عند الله ، ولاتورثه
 القرب من الله فهل هذا إلا من صدق المحبة وثبوت الود في النفس ،
 فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله
 ﷺ ، ورأيت كل ما يصدر عنهم في حقك مما لا يوافق
 طبيعتك ولا غرضك انه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن

(١) هو لبيون لبي ، فليس بن اللوح بن مزاحم العامري : شاعر غزل ، من
 المتبينين ، من أهل نجد ، لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لقيامه في حب لبي بنت سعد وقد
 نشأ معها إلى أن كبرت فحسبها أبوعا ، فقام على وجهه ينشد الأشعار ويأبى بالوحوش
 فيسرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز ، إلى أن وجد ملقى بين أحيار وهو
 ميت فحمل إلى أهله . وقد جمع بعض شعراء في ديوان - ط - وكانت وفاته رحمه الله
 سنة (٨٠) . ذكره صاحب : فرائد الوفيات : ٢ : ١٣٦ . ولي المنتخب من شذرات
 القلم : إنه توفي في حدود سنة (١٦٠) . والله تعالى أعلم - ١٠ -

لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من محبة وخطرت
 على باله وهم أهل بيت رسول الله ﷺ فتشكر الله تعالى على هذه
 النعمة فإنهم ذكركم باللغة طاهرة ، طهرها الله بتطهيره طهارة
 لا يبلغها علمك وإذا رأيتك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذين أنت
 محتاج اليهم مع رسول الله ﷺ حيث هداك الله به فكيف أثق
 أنا بوجدك الذي تزعم به أنك شديد الحب في وفي رعايتي لحقوقي أو لجانبني
 وأنت في حق أهل بيت نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم ، والله
 ما ذاك إلا من نقص إيمانك ، ومن مكر الله بك واستدراجة إياك من
 حيث لاتعلم .

وصورة المكر : أن تقول وتعتقد أنك في ذلك تذب عن
 دين الله وشرعه ، وتقول في طلب حقلك : أنك ما طلبت إلا ما أباح
 الله لك طلبه ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت
 وإيثارك نفسك على أهل البيت وأنت لاتشعر بذلك ، والدواء الشافي
 من هذا الداء العضال : أن لا ترى لنفسك معهم حقاً وتترل عن حقلك
 لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى
 يتعين عليك إقامة حد ، أو انصاف مظلوم ، أو رد حق إلى أهله ، وإن
 كنت حاكماً ولا بد فاسع في استئزال صاحب الحق من حقه إذا كان
 المحكوم عليه من أهل البيت فإن أبي فحينئذ يتعين عليك إمضاء حكم

الشرع فيه ، فلو كشف الله لك : يا ولي . عن منازلهم عند الله في الدار الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليتهم فإله يلهمنا رشد أنفسنا : الى آخر ما قال قدس سره .

والذي أراه : أن عدم حب الآل العظام ، والقصور في رعايتهم إنما ينشأ من حب الدنيا الفانية والطمع في حطامها ومناصبها ومراتبها وحظوظها العاجلة وأساس كل ذلك : نسيان الموت ، والغفلة .

والحال : أن الآل الكرام مرتبتهم مرتبة معنوية أخروية لا تدخل لها في مراتب هذه الدنيا الدنيوية لهذا يترتب على من يحب الآخرة ويخاف لقاء ربه أن يعرف حقهم ويعظم شأنهم ولو علم وفقنا الله وإياه حق العلم وعلم اليقين أن الدنيا التي وعدّها تأتي اليه لما أوقع لاقتناصها سخط الله بأذية الآل عليه . كيف لا - وقد جاء في الخبر « ما كان لك سوف يأتيك على ضعفك »^(١) . وقال تعالى : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)^(٢) وما هذه الدنيا إلا « لقمة » وراءها القبر فإن تعب أكلها وإن سلم أكلها والموت وراءه - قصر عمره أم طال - وما أعذب قول الإمام الشافعي رحمته الله في هذا الباب :

(١) روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه حديثاً قريباً منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ألا أيها الناس أجعلوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يحب عبداً من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحمة » . قال الحاكم : وهو حديث صحيح وشواهد الحديث كثيرة من الكتاب والسنة . انظرها في قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) . وارجع الى ماورد في السنة من شواهد الحديث الى « حياه علوم الدين » طبعة الاسلام الغزالي : ٢٠٦/٣ - أو الى « كشف الخفا » لمحدث العجلوني . أو الى قبرهما من المطان .

(٢) التوبة / ٥١ .

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب وفيضي آبار تكرر تبرأ
أنا إن عشت ألتقي لي قوتاً وإذا مت ألتقي لي قبراً

فإذا مات العبد انتبه ، وعرف ماعليه وله ، فعلى العاقل : أن
يتخذ حب الآل ذخيرة القدوم على الملك المتعال وأن يجعل القلب
سليماً من بغضهم منوراً بحبهم . قياماً بواجب حق جدهم سيد الأنام عليه
أفضل الصلاة والسلام .

ولا يمنعك عن تعظيم بعض من الأشراف ما يتفق لهم من وقوعهم
مدة في الخلفات وارتكابهم للسيئات فإن كون ظاهر ذلك (الشريف)
على غير جادة جده عليه السلام لا يقطع نسبه ولا يخرججه عن كونه
شريعاف محترماً وسيداً مكرماً ، وما ورد من الأحاديث التي تفيد بعده
فذلك محمول على الحث والزجر ، ولذلك حكى المحقق (ابن حجر)
في كتابه (الصواعق) ^(١) عن التقي الفاسي ^(٢) عن بعض

(١) هو كتاب : الصواعق المخرقة في الرد على أهل البدع والضلالة . لعلامة الحديث
« أحمد بن حنبل المنيمن المكي » ويبلغ الكتاب في « مائتين وأحدى وستين صفحة » .
ألفه « رحمه الله » لبيان حقبة خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم وذكر مناقبهم
معتمداً في ذلك على النقل الصحيح من الكتاب والسنة وعلى عقيدة سلف هذه الأئمة وآراء
المجتهدين وعلمه الأئمة ثم يذكر مناقب آل البيت النبوي . « رضي الله عنهم أجمعين »
وأما على ذلك أحسن الجزاء » .

(٢) التقي الفاسي : محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين أبو عبد الله المكي الحنفي :
مؤرخ ، عالم بالأصول ، حافظ للحديث . أصله من فاس ، ومولده ووفاته بمكة ، وولي
فضاء المالكية فيها مدة . كان أعشى بلي نصائفه على من يكتب له . قال السخاوي : كان

الأئمة^(١) أنه كان يببالغ في تعظيم الأشراف فسنل عن سبب تلك
المبالغة فقال :

إن شخصاً من الأشراف يقال له : مطير ، قدمات وكان كثير
اللعب واللهو فتوقف الأستاذ عن الصلاة عليه ، فرأى النبي ﷺ في
المنام ومعه فاطمة الزهراء فأعرضت عنه ، فاستعطفها حتى أقبلت
عليه وعاتبته وقالت له : ما يسع جاهنا مطيراً ؟ ...

وكذلك ذكر العارف بالله سيدي محمد الفارسي : أنه كان يرى من
بعض الأشراف أولاد سيدنا الحسين ﷺ ما يخالف ظاهره السنة فقال :
قال لي النبي مناماً : يا فلان باسمي مالي أراك تبغض أولادي ؟ فقلت
حاش لله ، ما أكرههم يا رسول الله ، وأنا كرهت ما رأيت من فعلهم ،
فقال لي : مسألة فقهية ؟ أليس الولد العاق يلحق بالنسب ؟ قلت : بلى
يا رسول الله ، قال : هذا ولد عاق^(٢) .

== بحر علم واسع لم يخلف بالحجاز بعده مثله . من كتب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام »
و « إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك » . واشتراط في وقد كتب : ألا تعار لمكي ،
فسرق أكرهما وساع . توفي رحمه الله سنة (٨٣٧) ١٠ انظر : « قبل طبقات الحفاظ »
للسيوطي : الأعلام للزركلي ٣ / ٨٥٥ - ٨٦١ .

(١) ما بين قوسين هو ما ذكره العلامة « ابن حجر » عند ذكره القصة في كتابه
« الصواعق المحرقة » . انظر القصة في الكتاب : ص ٢٤٠ - وفي « مشارق الأنوار »
للعلمة الصديقي - ص ٢٢ - ٢١ .

(٢) حكى العلامة « ابن حجر » القصة في كتابه « الصواعق » ص : ٢٤١ -
عن الشيخ القرطبي : عن يعقوب المغربي عن العابد محمد الفارسي . وذكر في آخرها قوله :
فلما انتهت صرت لا ألقى من بني الحسين أحداً إلا بالفت في أكرامه . ١٠١ .

وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) ^(١) . الآية : أن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته يوم القيامة وإن كانت دونه في العمل . وقد أكرم الله الغلامين اليتيمين بصلاح أبيهما ، وقد قيل : أنه كان سابع جد لها ، فقال تعالى . (وكان أبوهما صالحاً) ^(٢) فما بالك بسيد الأنام ومصباح الظلام ، ورسول الملك العلام ، وإمام الرسل العظام ، فحاشا أمته فضلاً عن ذريته أن تضام ، وقد علمت أن حسن الظن يكفيننا فليس علينا البحث عن صحة أنسابهم ، وما يدل له على وجه الاستئناس ما ذكره أبو الفرج ^(٣) ابن الجوزي في كتابه (الملتقط) . قال :

« كان رجل يبلغ من العلويين ^(٤) نازلاً بها . وكان له زوجة وبنات ، فتوفي الرجل ، قالت المرأة : فخرجت بالبنات إلى «حمرقند» خوفاً من شناعة الأعداء فوصلت في شدة البرد فأدخلت البنات مسجداً ومضيت لأحتال لهن في القوت فرأيت الناس مجتمعين على شيخ ، فسألت عنه ؟ فقالوا : هذا شيخ البلد ، فتقدمت إليه ، وشرحت حاجتي له ، فقال : أقيم عندي البينة أنك علوية ؟ ولم يلتفت إلي ، فعدت إلى المسجد فرأيت في طريقي

(١) الطور / ٢١ -

(٢) التكليف / ٨٢ -

(٣) أبو الفرج ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي : علامة عصره في الحديث والتاريخ . كثير النسخات . له نحو « ثلاثة » - مصنف « . لولي رحمه الله ببغداد سنة (٥٩٧) هـ . ١ - ١٠ -

(٤) يريد أنه من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسكن له وجهه . ١ - ١٠ -

شيخاً جالساً على دُكَّةٍ^(١) وحوله جماعة ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا :
 ضامن البلد وهو مجوسي ، فقلت : عسى أن يكون عنده الفرج
 فتقدمت إليه وحدثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد وأن بناتي في
 المسجد مالهن شيء يقتتن به ، فصاح بخادم له فخرج فقال : قل لسيدتك
 تلبس ثيابها فدخل وخرجت ومعها جوار ، فقال لها : اذهبي مع هذه
 إلى المسجد الفلاني واحلمي بناتها إلى الدار ، فجاءت معي وحملت بناتي
 إلى الدار وقد أفردتنا داراً في بيته وأدخلنا الحمام وكسنا ثياباً فاخرة
 وأرغد عيشنا بالوان الأطعمة ، فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد
 كأن القيامة قد قامت ، وأن اللواء على رأس نبينا محمد ﷺ ، وقد
 أعرض ﷺ عنه فقال : يا رسول الله ، تعرض عني وأنا رجل مسلم ؟ !
 فقال له : أقم لي البنية عندي أملك مسلم ؟ ! فتحير الرجل فقال له رسول
 الله ﷺ : نسيت ما قلت للعلوية ؟ ! وهذا القصر للشيخ الذي هي
 في داره الآن ، فانتبه الرجل وهو يبكي ويلطم ، وبعث غلماناً في البلد
 وخرج بنفسه يدور على العلوية ، فأخبر أنها في دار المجوسي فجاء إليه ،
 فقال : أين العلوية ؟ فقال : عندي : قال اني أريدها ، قال : ما إلى هذا سبيل
 قال : هذه ألف دينار وتسلمها لي ، فقال : لا والله ولا بمائة ألف دينار
 فلما ألح عليه قال له (يعني الرجل الذي كان مجوسياً) : المنام الذي أنت
 رأيته أنا أيضاً رأيته ، والقصر الذي رأيته لي حق ، وأنت تتعمر علي

(١) الدُكَّةُ : المكان المرتفع يجلس عليه . وهو اسم معرّب . وجهه دُكَّةٌ :

القماروس المحيط في بابه .

باسلامك والله ما دخلت بيتنا إلا وقد أسلمنا كلنا على يديها وعادت
بركاتها علينا ، ورأيت رسول الله ﷺ فقال لي : هذا القصر لك
ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنتم من أهل الجنة خلقكم الله مؤمنين^(١) .
وروى مسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله
ﷺ خطيباً فقال : أذكركم الله في أهل بيتي . قالها ثلاثاً فقبل لزيد بن
أرقم : ومن أهل بيته ؟ فقال : أهل بيته : من تحرم عليهم الصدقة ، قيل :
ومن هم ؟ قال : آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس .

« فان قلت » : تخصيص النبي ﷺ في حديث الكساء لعلي
وفاطمة والحسن والحسين يشعر بعدم دخول آل عقیل وآل جعفر
وآل عباس (رضي الله تعالى عنهم) في آل محمد ﷺ ، فانه ﷺ
أدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ووضع الحسن والحسين على فخذه ،
ثم لف عليهم كساء ثم تلا قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وفي رواية قال : (اللهم هؤلاء آل محمد ،
فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد
مجيد) . أجيب :

— : بأن التخصيص لهم بذلك لزيادة الاعتناء بهم ولما (لهم) من الرتبة
السامية والمكانة العالية ، والمحبة التامة الوافية عند رسول الله ﷺ ،
فالمراد على ما اختاره المحقق البيضاوي والعلامة العدوي إظهار

(١) انظر الفصحة كاملة في كتاب مشارق الأنوار للعلامة العدوي : ص ٨٢ ، ٨١ .

خصوصيتهم لانفي ماسواهم ، ويحتمل أن تخصيصهم لأمر إلهي ووحى سماوي ، قالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها : « فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ، فقال : إنك من أزواج النبي ﷺ على خير »^(١) .

وفي رواية : أنه أدرج معهم جبريل وميكائيل عليهما السلام . والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، شاهدة بأجمعها بفضل آل الرسول أهل الشرف والمجد والقبول ، بضعة خير الأنبياء العظام ، وسلالة سيد الرسل الكرام الذين هم بركة الأنام ، وأئمة الاسلام الداعون بشريعة جدهم الى دار السلام ، جعلنا الله من خدمة أعتابهم ومن جملة محبيهم وأحبابهم . آمين آمين ، بحمد سيد المرسلين وحبيب رب العالمين عليه وعليهم أفضل صلاة المصلين وأتم سلام المسلمين صلاة دائمين الى يوم الدين .

« مطلب » في محبة أهل البيت ومكرمهم .

قد عرفت مما مر نقله من الأحاديث والأخبار والحكايات والآثار أن حب آل الله ﷺ واجب على كل مسلم وجوباً مؤكداً ولذلك أمر النبي ﷺ بالصلاة عليهم تبعاً له ﷺ . وكيفك ما أخرجه الدارقطني والبيهقي كلاهما عن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، أنه قال

(١) بعض حديث رواه مسلم .

« قال رسول الله ﷺ : من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيته لم تقبل » ، وقد أخذ الامام الرئيس ، ذو العلم النفيس ، مولانا محمد بن إدريس الشافعي القرشي رحمه الله بهذا الحديث فذهبه : أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير « واجبة »^(١) ، والصلاة على آلِهِ في التشهد المذكور « سنة » - فلو لم يصل عليه فالصلاة باطلة ، ولو لم يصل على آلِهِ فهي ناقصة غير كاملة وهذا مراد السيد الشافعي رحمه الله من قوله في البيتين^(٢) السالف ذكرهما : من لم يصل عليكم لاصلاة له . فانظر بعين الانصاف وتأمل : ما خصَّ الله به آلَهُ الأشراف من المزية العلية ، والخصوصية السنية وتفكر في أن القوم الذين لانتم صلاتك الا بالصلاة عليهم فيها ، هم في أي درجة عالية ، وفي أي مرتبة سامية ، خصهم الله تعالى بها ثم تأمل قيدر رسول الله ﷺ عند الله ، حيث لم يرض الا بقرن اسمه باسمه جل علاه كما جاء في تفسير قوله تعالى « ورفعنا لك ذكرك »^(٣) . وتأمل قدر آل الكرام والسادات الأشراف العظام الذين لم يرض النبي ﷺ إلا بقرن اسمهم باسمه ، ومقارنة الصلاة عليهم

(١) قال المحدث ابن حجر المصني في كتابه « الصواعق المرفقة » : وهذا الذي ذهب اليه الشافعي هو الحق الموافق لأربع السنة ولقواعد الأصوليين ويدل له أحاديث كثيرة وصحيحة استوعبها في شرحي : الإرشاد ، والعيان ، الى أن قال : وقد قال بهذا جماعة من الصحابة : كابن مسعود وابن عمر وجابر وأبي مسعود البصري وغيرهم . والتابعين كالشعبي والباقر وغيرهم كاسحاق بن راهويته وأحمد ، بل لما ذكر قول موافق للشافعي رجعه جماعة من أصحابه : انظر البحث مبسوطاً في الكتاب المذكور : ص ١٤ - ١٥ .

(٢) انظرهما ص (٢٥٨) .

(٣) التشرح / ١ .

بالصلاة عليه ، تعلم : فرضية حبهم وتعظيمهم ، ووجوب احترامهم وتكريمهم ، على أن أثبتنا الخنفية رضي الله عنهم نصوا : على طلب الصلاة على الآل في التشهد أيضاً ، ومع ذلك لو تأملت : قوله تعالى : (قل لأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ، وعرفت : أن أقرب أقاربه ﷺ ذرية الذين هم بضعة من جسده الشريف حتى نص القطب الشعراي قدس الله سره على أنه سرى في لحومهم ودماهم لحم ودم رسول الله ﷺ ، ظهر لك ظهوراً لاخفاء معه : أن أحق الناس بالتعظيم ذرية الرسول الكريم ﷺ ، ولا ترتاب في أن جميع ذرية السيدة فاطمة الزهراء هم ذرية للحضرة المحمدية ، وقد جاءت بذلك الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة .

أما الكتاب فأصرح لك ، وأدل دليل في ذلك : قوله تعالى « ومن ذرية داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وذكراً ويحيى وعيسى »^(١) . وبهذه الآية استدلل الفقهاء رضي الله تعالى عنهم على دخول أولاد البنات في وقف الذرية ، ونقلوا في ذلك « حكاية » وهي :

« حكاية الشريف : يحيى^(٢) بن يعمر . « فانه أحضره » الحجاج

(١) الأنعام / ٨٤ - ٨٥ .

(٢) يحيى بن يعمر : أبو سليمان ، قاض : من علماء التائبين . وهو أول من نطق بالمصاحف . كان عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب ، فصيحاً بليغاً . من أهل البصرة . نفاة الحجاج إلى خراسان ، وولاه يزيد بن المهلب القضاء بها ، وأغساراً كثيرة . توفي رحمه الله سنة : ١٢٩ هـ : أرشاد الأريب : ٧ : ٢٩٦ - ٢٩١ .

بن يوسف الشقفي، ولما دخل عليه هم بقتله ، فقال له : لتقرأن على آية من ' كتاب الله تعالى ' نصاً : على أن العلوية من ذرية النبي ﷺ ، أو : لأقتلك ، ولا أريد قوله تعالى ' تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ' ^(١) الآية . فتلا ' يحيى ' قوله تعالى : (ومن ذريته داود وسليمان) .. حتى انتهى إلى قوله : (ويحيى وعيسى) . ثم قال : فعيسى من ذرية نوح من جهة الأب ، أو من جهة الأم ؟! فهبت الحجاج ورده بجصيل . والآية الأولى المذكورة في حكاية الشريف يحيى مع الحجاج ، وهي قوله تعالى : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) . مشهورة بآية : المباهلة . قال العلامة الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة : روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران . ثم إنهم أصروا على جهلهم فقال عليه الصلاة والسلام : ' إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أياهمكم . فقالوا :

يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك ، فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم : يا عبيد المسيح ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتكم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكن الاستئصال فإن أبيت إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم وكان رسول

(١) آل عمران / ٦١ .

الله ﷺ خرج وعليه مرط من شعر أسود وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه وعلي ﷺ خلفها وهو يقول : إذا دعوت فامتنوا ، فقال أسقف نجران : يامعشر النصاري ، إني لأرى وجوهاً لوسالوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتبهكلوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرائي إلى يوم القيامة ، ثم قالوا : يا أبا القاسم ، رأينا أن لا نباهلك ، وأن نترك على دينك ، فقال صلوات الله عليه : فإذا أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال : إني أنا جزكم^(١) القتال ، فقالوا : ماننا بحرب العرب طاقه ، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدي إليك ألفي حلة ، ألفاً في « صفر » وألفاً في « رجب » . وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك .

وروي أنه عليه الصلاة والسلام : لما خرج في المرط الأسود فجاء الحسن ﷺ فأدخله ، ثم جاء الحسين ﷺ فأدخله ، ثم فاطمة ، ثم علي رضي الله تعالى عنها ، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .

واعلم أن هذه الرواية كاللتفق على صحتابين أهل التفسير والحديث ، وهذه الآية دالة على : أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ لأنه وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن

(١) في العاموس الخط : ناجز فلانا : فانه وبارز . وتناجز القوم : تقاتلوا .

يكونا ابنيه قال : وما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام : ومن ذريته داود وسليمان . إلى قوله - وزكريا ويحيى وعيسى .

ومعلوم : أن عيسى عليه السلام ، انما انتسب الى ابراهيم عليه السلام بالأم لا بالأب فثبت أن ابن البنت يسمى : ابناً ، والله أعلم . انتهى .

وكتب العلامة الفخر^(١) عند قوله تعالى : (ومن ذريته داود وسليمان) .. الآية مانصه : - الآية تدل على : أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ ، لأن الله تعالى جعل (عيسى) عليه السلام من ذرية (ابراهيم) عليه السلام ، مع أنه لا ينتسب الى ابراهيم إلا بالأم فكذلك الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ ، ثم قال : ويقال : إن أبا جعفر الباقر . استدلل بهذه الآية عند الحجاج^(٢) بن يوسف .

« أولاد فاطمة » : أخرى الخلق بكونهم هم : الآل .

ومن الآيات القرآنية الدالة على رفيع قدر أهل السيادة آدم الله لهم العز والسعادة ، قوله تعالى في سورة الكهف : (وكان أبوهما صالحاً)^(٣)

(١) انظر ترجمته ص (٥٠) من هذا الكتاب .

(٢) الحجاج بن يوسف : أبو محمد ، الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي : قاله ، داعية ، سفاك ، غليظ ، ولد ونشأ في « الطائف » ، وانتقل الى الشام فالتحق بشرطة عبد الملك بن مروان . لما زال يظهر جنى ولاء أمر صكره . وأمره بقتال ابن الزبير في الحجاز . فقتله وفرق جموعه فنزاه عبد الملك . مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق ، وثبت له الإمارة عشرين سنة وهو الذي بنى مدينة « واسط » - بين الكوفة والبصرة . وكان سفاكاً سفاكاً يتغلق معظم المؤرخين ، وأخباره كثيرة . مات بواسط سنة (٩٥) هـ : معجم البلدان : ٨ : ٣٨٢ : وفيات الأعيان ، وتذيب التهذيب : ٢ : ٣١٠ .

(٣) الكهف / ٨٢ .

الآية ، لأن الله تعالى اعتنى بالأبناء بسبب صلاح الآباء مع أن المفسرين
 « رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين » . ذكروا : أن بين الغلامين وبين
 هذا الأب الموصوف بالصلاح « سبعة » آباء . وعن سيدنا الحسن ابن سيدنا
 الإمام علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى
 بينهما : بم حفظ الله مال الغلامين ؟ قال : بصلاح أبيهما ، قال : أي وجدي
 خير منه ولقد صدق عليه السلام فيما قال ، وأحسن في المقال ، ولم يبق لأهل
 العناد والفساد مقال (وأين ذلك الأب الصالح من أبي الحسن وجده ،
 فإن ما نقل من صلاح أبي الغلامين إنما هو عبارة عن حفظ الأمانات
 والودائع كما ذكره الفخر الرازي وغيره من المفسرين . وأين صلاحه
 من صلاح زوج البتول ، وابن عم الرسول ، بديع المناقب أبي الشؤون
 والعجائب ، ليث المشارق والمغارب « علي بن أبي طالب » كرم الله
 وجهه ورضي الله تعالى عنه ، وأين هو من سيد الرسل الكرام وخاتم
 الأنبياء العظيم وإمام الملائكة الكرام ورسول الملك العلام الذي خلق
 الوجود لأجله ، وشهدت الأكوان بفضله فإذا كان الحق جل جلاله قد
 اعتنى بالولد الثامن من أولاد ذلك الرجل الصالح الذي كان صلاحه يحفظ
 البضائع ورد الأمانات والودائع فلا ريب في أنه يعتني في ذرية علي
 وقاطمة الذين هم : ذرية أبي القاسم سيد الأنبياء الأكارم وخاتم الرسل
 الأعظم ماكرت الأيام والشهور ، وما مرت الأعوام والدهور .
 وما يدل على فضل وشرف السادات نفعتنا الله بحبيهم في الحياة وبعد

المهمات قوله عز من قائل في سورة الطور : (والذين آمنوا واتبعتهم ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)^(١).

فإن هذه الآية صريحة في : أن الله تعالى يرفع الأبناء الى مقام الآباء يوم القيامة ، وإن لم تكن أعمال الأبناء كأعمال الآباء ، فإنه تعالى لم يشترط للاحاق الأبناء بالآباء في الرتبة : أن تكون أعمالهم كأعمال آبائهم . ولو شرط ذلك لم يبق لهذا الاحاق مزية وإنما شرط الاتباع بالإيمان فقط ، والحكمة في ذلك : أن شفقة الآباء ورحمتهم بالذرياري والأبناء متوفرة في الدنيا والآخرة ، فلذلك طمئن الله تعالى قلوب عباده وبشرهم : بأن كلاً منهم تلحق به ذريته في معاده ، وحبك ما في هذه البشارة لكافة المسلمين ولجملة الموحدين ، وإذا كان كل ابن يرتقي في الجنة الى منازل آباءه ، فما بالك بأبناء فاطمة البتول الذين هم بشهادة القرآن ذرية الرسول فهل يلوح لأفكار من له أدنى الملم بفضل هؤلاء السادات الكرام أن يساويهم أحد من الأنام ، في دار السلام ، بعد الأنبياء العظام والأصحاب الكرام حاشا أن يظن ذلك إلا من ساءت سريرتهم ، وانطمست بصيرتهم وسترُوا أنوار العقل بظلمات الجهل ، وانقطعوا عن مراتب الفيض والفضل ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، وما أحسن ما قاله الشيخ الأكبر سيدي يحيى الدين بن عربي . قدس سره ، في فتوحاته بعد أن قال : عند ذكر قوله تعالى : (لا تخونوا الله والرسول)^(٢) : إن من خيانة

(١) الطور / ٢١

(٢) الأنعام / ٢٧

رسول الله ﷺ : عدم مودة قرابته وآله الذين مثلنا مودتهم بقوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وذكر أيضاً بعد ذلك أن ثقة من أصحابه أخبره :

أنه كان مدة إقامته بمكة يكره ما يفعلونه الشرفاء بالناس ، فرأى ليلة « فاطمة » رضي الله عنها فأعرضت عنه فسالها عن ذلك فقالت : إنك تقع في الشرفاء فقال يا ابنة رسول الله ألا ترين ما يفعلونه بالناس فقالت : أوليس هم بني فقال الرجل : من الآن ثبت فأقبلت عليه . وذكر هذين البيتين :

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً فأهل البيت هم أهل السيادة
وبعضهم لأهل العقل خسر حقيقي وحيهم عبادة

ومن الآيات القرآنية الدالة على فضل عترته وشرف ذريته قوله جل شأنه (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) " فانك إذا فقهت ما في هذه الآية من أسرار ، عرفت فضل ذرية النبي المختار ، وعرفت ما لهم علينا من التوقير والاحترام ، والتعظيم والاكرام ، وذلك لأن النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا لأنهم هو الذي دلنا على هذا الدين القويم وهدانا إلى الصراط المستقيم وأخرجنا من ظلمات الكفر والطغيان ، ونورنا بنور الاسلام

والإيمان ، ووضح لنا سبيل الهداية والرشاد ، وبين لنا ما فيه سلامة البدن والمعاد ، ولم تبق فضيلة إلا ودلنا عليها ولاخلة جميلة إلا وأرشدنا إليها وقد كان ظهوره أعظم رحمة شاملة ، وبروزه أتم نعمة كاملة وها نحن نتقلب على بساط كرمه ، ونتحول بما وصل إلينا من فيوضات نعمه ، ومع ذلك لم يزل ﷺ قبلة الآمال ، واليه تشد الرجال ، وغدا نرى حرصه على هذه الأمة المحمدية ، ورحمته بلجميع الملة الأحمدية وذلك عندما يشاهد الناس القيامة وأحوالها ، ويرون النار وأهوالها ، فيقوم ﷺ للشفاعة ويقول : أنا لها ، أنا لها ، فيسجد ﷺ ويحمد الله تعالى بحماد لم يلهمها قبله الأملاك المكرمون ولا الرسل المعظمون ويسبح ويقدس ويكبر ويخضع فينادي : يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع فيرفع رأسه ﷺ ويكون أول شافع ، وأعظم مشفع ، وهو في كل ذلك يبذل الهمة لكشف الغمة عن هذه الأمة ، فإذا كان همه في الدارين إصلاح أحوالنا ونجاح آمالنا أفلا يكون أولى منا بأنفسنا ؟ ...!

وهل يمنح^(١) لذي عقل أنه لا يفترض تعظيم أولاده وذريته الظاهرة علينا وإذا كان يقال له : سل تعط ، فهل يرضى لأولاده وذريته ولاشباله وعترته إلا بالمنازل السامية ، والحرمة الوافية من كل موحد يشهد لله بالوحدانية وله ﷺ بالرسالة أولاً في هذه الدار الفانية ، لما وجب له ﷺ علينا من الحقوق والنعمة التي طوقنا بها ، وتفضل الله بسببه بها

(١) في القاموس المبطل : يمنح " يمنح إليه : مال إليه - وأجنتح إليه : مال " .

علينا وهي باقية دائمة إلى يوم الدين، وبعد قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^(١) . فهل لا تكون عنايته الخاصة شاملة لأولاده الأقربين إليه موصلة بهم لجواره في الدار الآخرة الباقية في جنة عالية قطوفها دانية ، وهل يتصور أن يكون غير ذريته أولى بكرامته وأحق بشفاعته وسل أصحاب القلوب المرضى الذين يقرؤون (ولسوف يعطيك ربك فترضى)^(٢) . وقل لهم : هل يرضى محمد ﷺ بأن تكون الأجانب ، أعلى من الذرية والأقارب ! وسلمهم عن قول الرسول ﷺ : « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول »^(٣) .

فقل لهم : إذا كان هو ﷺ أمرنا بعد أنفسنا بالبداءة بالعيال أفتراه يشفع في ترفيع درجات أحد قبل درجات الآل !
ثم سلمهم : هل يوجد أعظم من رسول الله عدلاً ، وأتم منه جوداً وفضلاً وهل يتصور مع ذلك أن يمنع من فضله أحداً من أهله ؟ ! ومن أولى منهم برسول الله يوم الحساب والعرض مع قوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)^(٤) .

ومن الآيات الكريمة الدالة على وجوب حب الذرية الطاهرة ،

(١) الأنبياء / ١٠٧ .

(٢) القصص / ٥٠ .

(٣) رواه مسلم والنسائي بلفظ « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء لملك الحديث » والطبراني عن حكيم بن حزام - بلفظ « ابدأ بمن تعول » . والشيخان عن أبي هريرة بلفظ « وأبدأ بمن تعول » .

(٤) الأنفال / ٧٥ - الأحزاب / ٦ .

والسلالة النبوية الفاخرة ، قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(١) لأنه شرط سبحانه وتعالى محبته بمتابعة الرسول ﷺ ووعد سبحانه لمن أحسن متابعة الرسول ﷺ بأن يحبه تعالى .

فتابعته ﷺ فرض على كل رجل عاقل فضلاً عما يدعون أنهم من زمرة الأفاضل ، وذلك لقوله تعالى (فاتبعوني) فإنه أمر والأمر : يفيد الوجوب ، لاسيما وقد وعد تعالى على متابعته ﷺ أعظم الأجر والثواب وهو محبة الملك الوهاب ، وأكد تعالى هذه الآية بالآية التي بعدها فقال عز من قائل : (قل أطيعوا الله والرسول)^(٢) . وإذا تقرر أن متابعة الرسول فرض على أصحاب العقول كان من الواجب عليهم موافقته ﷺ في كل شيء لاسيما في حب من أحبهم ، ومودة من وادهم وتوقير من وقروهم وتقريب من قريبهم ، وإكرام من أكرمهم وتعظيم من عظمهم ، واحترام من احترامهم ، ولا شك أن كل أحد يحب بضعته ، ويألف ذريته ، ويرى حرمهم كحرمته ، ويعد محبتهم كمحبته ، وإذا كان صفى الله آدم عليه السلام رحمته وشفقته تشمل أولاده إلى يوم القيامة حتى ورد أنه : لما أسري برسول الله ﷺ إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى رأى نبياً تعرض عليه الأرواح ، كل مساء وصباح فسأل عنه الأمين جبريل فأخبره بأنه آدم صفى الملك الجليل ، فلم عليه وأحسن إليه ، وإذا

(١) آل عمران / ٣١ .

(٢) آل عمران / ٣٢ .

عن يمينه باب إذا نظر إليه ضحك ، وعن يساره باب إذا نظر إليه بكى ، قال عليه السلام : فقلت : يا جبريل ، ما هذان البابان ؟ قال : الذي عن يمينه باب الجنة إذا نظر إليه ضحك مسروراً بمن يدخله من ذريته ، والذي عن يساره باب جهنم إذا نظر إليه بكى شفقة على من يدخله من ذريته ^(١) . فإذا علمت أن (آدم) عليه السلام يبكي كل وقت شفقة على ذريته المعذبين من الكفرة والفجرة والأشقياء ويضحك سروراً بمنزلة الكرام والبررة والأتقياء ، فما بالك بسيد الأنبياء وإمام القادة الخلفاء ، وجد السادة الكرام الشرفاء أفلا يعمهم برحمته ويشملهم بنعمته ، ويكرمهم بشفاعته ، بلى والله يشفع بهم ويمن أكرمهم واحبهم واحترمهم وعظمهم وفخمهم ويمن كان قلبه بحبيهم مشغوقاً وبالتوله بهم معروفاً ، ويكفينا قول سيد العجم والعرب ، « المرء مع من أحب » . ولم تفرح الصحابة الكرام رضوان الله عنهم بشيء أكثر من هذا الحديث الشريف ولا يخفى أن الله تعالى قبض لجد الأشراف فخر بني عبد المطلب بن عبد مناف عليه السلام أعداء وحساداً جمعدوا نبوته ، وأنكروا شريعته كفراً وعناداً ، كفرعون هذه الأمة أبي جهل وأمثاله فانهم مع معرفتهم بصدق

(١) قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحي في كتابه (التنوير في موك السراج المنير) وقد ذكر حديث الأسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الأسراء ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي ذر ومالك بن عسمة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهم أجمعين . منهم من ساق بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم حل شرط الصحة فحديث الأسراء أجمع عليه المسلمون . إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

أقواله ، وحسن أفعاله وأحواله ، سلوا سيوف عنادهم وحاربوه بعسكر
فسادهم وقصدوا أن يخذلوا آثاره ، ويحقدوا أسرارهم ، وينكروا
أخباره ويطفشوا أنواره ولم يزل ﷺ يعظم قدره ، ويعلو ذكره ،
وينمو أمره ، ويزداد فخره ، وهم قد خسروا دنياهم وأضاعوا
آخرهم ، ورجعوا مذمومين مذخورين ، وصاروا أيتاماً تقفوا ملعونين
ومن رحمته تعالى مطرودين (أولئك جزاؤهم أت عليهم لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين)^(١) . وكذلك سلط الله بعضاً من شياطين
الانس على ذريته ﷺ ، الذين هم بضعة من جسده الطاهر ولم
مالا يحصى من المناقب والمفاخر ، وذلك لتكنة خفية وحكمة إلهية ،
ولعلها التماسي يخدم ﷺ وبساتر النبيين الذين قال تعالى في حقهم
(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين)^(٢) . وما ذلك إلا عن
حسد قام في نفوس أولئك الأشرار ، وكن في سويداء هؤلاء الفجار
لأنهم شاهدوا منار شرفهم أعلى منار ومع ذلك فإن شرف الآل
أعز قدرهم الواهب المتعال ، لا ينقص بحسد حاسد ولا يمحود جاحد ،
ما هو إلا - فضل هطل من الحضرة الصمدانية عليهم ، وسبق من الأزل
إليهم ، فأنى تمنع سحب العناية الإلهية الهاطلة عليهم كلاب نابجة ؟ وأنى
تخذل أنوارهم رمقات عيون عيت عن شمس الحق وصارت إلى غيره
طامحة ١٢ . وهنا أقول بفضلته تعالى في هذا الباب :

(١) آل عمران / ٨٧ .

(٢) الفرقان / ٣١ .

أراد الحاسدون بغير علم ولا هدي رأوه ولا كتاب
 سقوط مقام أبناء التهامي لعمر كذا من العجب العجائب
 بنوا المختار سادات البرايا وكيف وجدهم عالي الجناب
 علوا بالمصطفى قدراً وفيه رقوا حتى إلى كشف الحجاب
 وسادوا الخلق أرباباً وعجماً وقد سبقوا الوري في كل باب
 وبغضهم الحسارة يوم حشر وحبيهم الذخيرة للعصاب
 وتنقيص احترامهم ضلال وهل بعد الضلالة من ثواب ؟
 وهل لميقن بلقاء طه على حد القرابة من جواب
 ومن عجب تستره لمحق باظهار المحبة للصحاب
 فلو صدق الحبيث بما ادعاه درى ما للقراءة في الكتاب
 وشيد حبيهم بل وارتضاهم دروعاً للأمان من العقاب
 وعظم رتبة الأصحاب فضلاً كما أمر الرسول بلا ارتياب
 كان محب أهل البيت حاشا عدو الصحب قبح من ذهاب
 ذهاب قام عن حسد وجهل وظلم واعتساف وارتكاب
 ألا إن الصحاب بدور هدي ومنتهم علينا للآب
 بهم للدين قام منار عز به التجا السهي "تحت الركاب
 ففني المهراب قادات صدور وأسد الله في يوم الحراب

(١) الشبا والسبي : كوكب خلفي من بنات نعلن الصفري يتبعن الشمس به
 أبصارهم : القاموس المحيط في باب : مختار الصحاح : مادة س - ا - ا .

بناء الدين قام بصحب طه وحب بنيه طوق في الرقاب
سحاب الفضل قد سمعت عليهم
وحبك فضل ربك من سحاب
فقل للكلب نبحك عن فضول

أتخشى السحب من نبك الكلاب؟! 

وقولي : درى ما للقرابة في الكتاب لا يخفى أنني أشرت في ذلك الى
قوله تعالى (قل لاسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ، وإذا كان الحق تعالى
سألنا على لسان رسوله ﷺ مودة أهل البيت فما ظنك بمن حض الناس
على ترك محبتهم ، وندبهم لقطع مودتهم معانداً للنصوص القاطعة
وجاحداً للبراهين الساطعة ، وكأنه غفل عن كون إيدائه لآل بيت رسول
الله إيداء لرسول الله ، ونسي قوله تعالى : (أن الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)^(١) . ونسي
الآية التي نزلت في حق أمثاله من المنافقين الذين كانوا يؤذون جد السادة
سيدنا علياً رضي الله تعالى عنه وهي قوله تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا - أي بغير جناة استحقوا الإيذاء بها -
فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)^(٢) وعذره في ذلك ما غاب عليه من
الحسد ، الذي ملأ الروح منه والجسد ، ويكفي الحاسد آخر الفلق في

(١) الأحزاب / ٥٧ .

(٢) الأحزاب / ٥٨ .

اضطرامه بالقلق ، وقد قالوا : الحسد حاك من تعلق به هلك - وقد صدق القائل : « لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله » .
 وجاء عن سيد العجم والعرب : « ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »^(١) . وفي حديث آخر « دب اليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء هي الحائلة ، لا أقول حائلة الشعر ولكن حائلة الدين »^(٢) .
 وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن لنعم الله أعداء قيل : وما أولئك ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله »^(٣) .

والعجب كل العجب من بعض من يدعي العلم من الحسدة المعقوتين كيف يرى الواحد منهم حرصاً على إعلائه نفسه الدنية على أهل البيت أهل المراتب العلية ، وإذا ذكر شرف الشرفاء وانتسابهم إلى حضرة الرسول المصطفى ، نبي الصدق والوفا ، اشتد كربه وضاق صدره مخافة أن يصغر عند الناس قدره ، ولم يجد سبيلاً إلى ادعاء هذه الفضيلة ، ولا إلى اقتناء هذه الموهبة الجزيلة ، وعمي قلبه عن إدراك نعمة الاسلام التي وصلت إليه بواسطة جددهم الأعظم ﷺ وأنقذ من ذلة الحال وخيبة المال ببركة سورة أبيهم عليه الصلاة والسلام . وقام حسداً لما من الله

(١) رواه أبو داود والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه : وأوله : إياكم والحسد فان الحسد .. الحديث . وابن ماجه والبيهقي وغيرهما يلفظ « الحسد يأكل الحسنات ... الحديث » .

(٢) رواه البزار باسناد جيد والبيهقي ، والترمذي وغيرهم .

(٣) ذكره القزالي في الاحياء : وقال الحافظ زين الدين العراقي في غريبه : رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس يلفظ : إن لأهل التهم حسداً فاحذروهم .

عليهم به من شرف النسب وعلو الحسب يسعى لهم منارهم وإذلال
فخارهم ويحتريء لوضع علمهم مع أنه يتقلب في نعمهم والله در القاتل :
وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وقد شطرته فقلت :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً أخا منصب عال له فيه منصب
يواليه إحساناً وتلقاه كارهاً لمن بات في نعمائه يتقلب

بلى والله ، إن ذلك أقبح الظلم ، وأشد الحث واللوم ، على أن الآل
أهل الشرف والكمال أولياء نعمنا على كل حال ، وأقول :

بهم أيّد الله المحبين في الورى وأنعمهم تجري بحكم التسلسل
وبعد كلام الله بالنص حزيهم بقية طه في البرية فاعقل
مقام عظيم عز عن نيل طامع ونور الهدى للمخلص المتأمل

وفي البيت الثاني الإشارة إلى قوله ﷺ : « إني ترك فيكم الثققلين .
الحديث ، وسيأتي ذكر ^(١) هذا الحديث بتمامه .

ومعلوم أن الشرف لا يحصل بجد واجتهاد ، ولا يمكن اكتسابه لأحد
من العباد ، وإنما هو عناية الهية ، ومينة ربانية ، ومنحة صمدانية وموهبة
رحمانية ، فإن الله تعالى اختار لنبيه ﷺ ذرية أحاط بهم علماً ،

(١) كما مر ذكره ٢٠٠ ص : ٢٦١ - فارجع إليه إن شئت .

وتفضل عليهم جوداً وحلماً ، فهي نسبة نبوية وسلسلة مصطفىوية
 اختصهم الله بها لأبعمل عملوه ، ولا بشيء قدموه ، فإذا عرف الحاسد
 أنه لا سبيل له إلى ادعاء ما للشرفاء من العز الذي لا يباهى ، والمجد الذي
 لا يضاهى ، جد واجتهد ليهدم منار الشرف بكلمات لا يقبلها السلف
 ولا يرتضيها الخلف حتى إن بعض الجهلة ممن يدعي العلم حول ماورد
 في الآل الكرام عظم الله شرفهم من الآيات القرآنية والأحاديث
 الصحيحة النبوية . على أن المراد بأهل البيت : أهل بيت الله ، وهم الأولياء .

مع أننا لم نر التعبير بال بيت الله لأحد من المتقدمين ولا من
 المتأخرين ، وسكت عما شاع وذاع ، حتى ملأ الأذان والأسماع في سائر
 البقاع ، من أن أكابر الأولياء والأقطاب والأوتاد والأنجباء والأفراد
 والأحباب من آل هذا النبي الأواب الناطق بالحكمة والصواب .

على أن السادات الصوفية ، وراث الشريعة والطريقة الحمديدية ،
 قد اتفقت كلمتهم قديماً وحديثاً على أن رئيس الأقطاب الملقب بـ (الغوث)
 لا يكون إلا من آل بلا ريب ولا إشكال ، ولا كلام في أن الغوث هو :
 النبي يتلقى خلعة الولاية من رسول الله ﷺ ويوصلها إلى من
 اختاره الله من عباده واجتباها إلى طرق رشاده ، وقد علم المسلمون في
 المشرق والمغرب : أن رؤساء الأولياء وأئمة الأصفياء من بعده عليه
 الصلاة والسلام من ذريته وأولاده الطاهرين يتناسلون بطناً بعد بطن
 وجيلاً بعد جيل إلى زمننا هذا . وهم أولياء الأولياء بلا ريب ، وقادتهم

إلى الحضرة القدسية المحفوظة من الدنس والعيب ، ومن في أولياء الصدر
 الأول بعد الطبقة المشرفة بصحبة النبي الكريم ، كالحسن ، والحسين ،
 والباقر ، والكاظم ، والصادق ، والجواد ، والمهدي ، والتقي ، والنقي ،
 والمسكري ، والرفاعي ، والجيلاني ، والبديوي ، والدسوقي ، والشاذلي ،^(١)
 رضي الله تعالى عنهم أجمعين ألم يكونوا كلهم من أهل البيت ؟ وأولادهم
 وأحفادهم وذريتهم شيوخ الرجال وأعيانهم إلى الآن تسلسلا وتديلاً
 وتنتي الهم سلاسل القوم في المشرق والمغرب ، ومن في طبقة النساء
 الصالحات بعد من ورد فيهم النص « كفاطمة وزينب وأم كلثوم
 وزينب الفاطمية ونفيسة وسكينة »^(٢) ومن يليهن من هذه الجرثومة
 الطاهرة ، أما هن شحوس النساء وساداتهن عبادة وعلماً وإرشاداً ؟ وقد
 اتفق القوم والعلماء والعامّة أيضاً على الاعتقاد بهم رضي الله تعالى
 عنهم واتخذوهم ضراعاً إلى الله تعالى ووسائل عند الدعاء في الملهمات والمبهات
 ولهم الأيدي على كل الواصلين ، وبهم وصلوا وبآدابهم تأدبوا وبتربيتهم
 تربوا وعليهم الحسبوا واليهم اتسبوا ويليق للأشراف أن يقول قائلهم لحاسدهم :
 أولئك آباي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع

(١ - ٢) انظر ترجمة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم موسعة في كتاب
 « مشارق الأنوار » للعلامة العدوي : وفي « أسعاف الراحبين في سيرة المصطفى ونفحات
 أهل بيت الطاهرين » للعلامة محمد الصبان : وفي « نور الأعيان في مناقب آل بيت النبي
 المختار » للشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشلتنجي . أو فيما علقه المحدث ابن حجر الهيتمي
 من الأواب في مناقب آل النبي الأواب في كتابه : الصواعق المرفقة : ١٩٨ - ٢٠٩
 ٢٢٤ - ٢٤٨ . أو في غير ما ذكر من كتب التراجم أو المناقب .

وقد نص العارف القطب الشعرائي في 'عهوده' على أنه لا ينبغي
 لشايخ الطريق أن يأخذوا العهد على السادة أهل الشرف والسيادة .
 ولا يليق أن يجعلهم تلامذة لهم لأن الشيخ مها ترقى في المقامات
 وانكشفت له حجب المغيبات ، وشاهد بأنوار بصيرته أسرار الكائنات
 لا يصل إلى المقام الذي وهبه الله للشریف بلا تعب ، وخص به صاحب
 السيادة بلا تنصب^(١) ولا وص^(٢) ، فانظر الى كلام هذا العارف الرباني
 والقطب الشعرائي يظهر لك سر قول رسول الله ﷺ لا يعرف الفضل
 من الناس الا ذو الفضل^(٣) وجيع ما أبداه المتعصب المتعرض لقتل الله
 ورسوله من الشبه التي ساقها للاستدلال على ما ادعاه وترويع ما زعمه
 وافتراه ، لا يجدي له فائدة ، فان أعظم دليل له قوله تعالى : (إن أكرمكم
 عند الله أتقاكم)^(٤) .

وهذا لا يدل له على عدم شرف ذرية رسول الله ﷺ ، غاية الأمر :
 أنه يدل على شرف التقوى وذلك مما لا يجمله أحد ، فان النصوص القاطعة
 من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية جميعها شاهدة بفضل التقوى :
 قال تعالى : (ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)^(٥) وقال

(١-٢) المتعصب : التعصب . والوصب : المرغى والألم . القاموس المحيط في باب :
 غنار الصحاح : مادة : و ص ب - (٥) .

(٣) ذكر المؤلف رحمه الله الحديث بتمامه ص : ٢٦٢ - ٢٦٣ وهو مما أخرجه
 العسكري عن أنس رضي الله عنه بلفظ : إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل .

(٤) الحجرات / ١٣ .

(٥) البقرة / ١ - ٢ .

تعالى في سورة النساء (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)^(١) وقال تعالى : في سورة الحج : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم)^(٢) وقال تعالى في سورة العنكبوت : (اعبدوا الله واتقوه)^(٣) وقال تعالى : (اتقوا الله حق تقاته)^(٤) وقال تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)^(٥) وقال تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)^(٦) وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب)^(٧) وقال تعالى : (فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين) . وقال تعالى : (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً)^(٨) وقال ﷺ : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تحبها وخالق الناس بخلق حسن »^(٩) وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أوصني فقال : « عليك بتقوى الله فانها

(١) الآية / ١ - .

(٢) الآية / ١ - .

(٣) الآية / ١٦ - .

(٤) آل عمران / ١٠٢ - .

(٥) التحل / ١٢٨ - .

(٦) البقرة / ١٩٧ - .

(٧) الطلاق / ٢ - ٣ - .

(٨) البقرة / ٤٨ - ١٢٣ - .

(٩) رواه الامام أحمد في مسنده ، والترمذي والحاكم ، والبيهقي في شعب الايمان .

جاء كل خير^(١) وقال عليه السلام : « اتق الله فيما تعلم »^(٢) وقال عليه السلام : « اتق الله في عسرك ويسرك »^(٣) . وقال عليه السلام : « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا »^(٤) . وقال عليه السلام : « اتق المحارم تكن أعبد الناس »^(٥) وقال عليه السلام : « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم »^(٦) وقال عليه السلام : « اتقوا الله وصلوا أرحامكم »^(٧) وعن أمير المؤمنين سيدنا علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اتقى الله عاش قويا ، وسار في بلاد الله آمنا »^(٨) . الى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

وكذلك كلام السادات الصوفية نفعا الله تعالى ببركاتهم في بحث التقوى كثير وشهير ، ومن كلام أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه :

يريد العبد أن يعطى مناه ويأبى الله الا ما أراد

-
- (١) بعض حديث أخرجه : ابن العربي في فضائل القرآن وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
- (٢) أخرجه البخاري في تاريخه . والترمذي عن زيد بن سلمة الجمعي .
- (٣) أخرجه أبو فرقة الزبيدي في مسنده عن طليب بن عرفة .
- (٤) صدر حديث رواه الطبراني ، وابن حبان في صحيحه : عن جابر بن سليم الهجيمي .
- (٥) صدر حديث رواه الإمام أحمد في مسنده . والترمذي ، والبيهقي في شعب الأيمان : عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٦) صدر حديث رواه أبو يعلى في مسنده ، والخازن في مستدركه عن أنس رضي الله عنه .
- (٧) أخرجه ابن صاكر : عن ابن مسعود رضي الله عنه .
- (٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن علي كرم الله وجهه . يلفظ : « في بلاد آمنا » بدل قوله « في بلاد الله آمنا » .

يقول المرء فائدتني ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادنا

وقال الأستاذ أبو المعالي مولانا محمد سراج الدين البغدادي الرفاعي
ثم المخزومي :

ليس الشجاع الذي يحمي قريسته
يوم القتال ونار الحرب تشتعل
لكن من كف طرفاً أو ثني قدماً
عن الحرام فيذاك الفارس البطل

وقال العلامة ابن الوردي في نصيحته
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلباً امرئ ولا وصل
ليس من يقطع طرفاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل

وأنا أقول متطفلاً على مائدة الكرم :
باب تقوى الله خير الباب يوصل العبد إلى الوهاب
فيه أصحاب العقول انقطعوا عن سوى المولى بلا ارتياب
يكفي برهاناً لأصحاب التقى « واتقون يا أولي الألباب »

قال وهب : « الإيمان عريان ولباسه التقوى » .
وقد فسر الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، التقوى بأنها :

ترك الاصرار على المعصية ، وترك الاعتزاز بالطاعة . وقال الحسن ^(١) : أن لا تختار على الله سوى الله ، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله . وقال ابراهيم بن آدم ^(٢) : « قدس الله سره » : التقوى : أن لا يجد الخلق في لسانك عيباً ولا الملائكة في أفعالك عيباً ولا ملك العرش في شرك عيباً . وقال الواقدي : التقوى : أن ترين شرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ، وقال بعضهم : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك . ويقال : التقى : من سلك سبيل المصطفى . وبهذا الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الاخلاص والوفا . وعن الحسن البصري رحمه الله ، المتقي : هو الذي يقول لكل من رآه : هذا خير مني ، وقال السيد عز الدين أحمد الصياد « قدس سره » : سبط الحضرة الرفاعية : المتقي : من طمس وجود نفسه خوفاً من ربه وانصرف بكلية عن الأغيار ، ثم تلا : (وأما من خاف مقام ربه) ^(٣) . الآية . وقال الأستاذ أبو المعالي السيد سراج الدين الصيادي الرفاعي : التقوى : حضور

(١) يزيد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٢) ابراهيم بن آدم ، بن منصور التميمي ، زاهد مشهور . كان أبوه من أهل القف في بلخ انتقل ورحل إلى بغداد وجمال في العراق والشام والحجاز وأخذ عنه كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، وكان يعيش من العمل بالحصار وحفظ البساتين والحل والطنين ويشترك مع القزاة في قتال الروم . وكان يلبس في الشتاء فرواً لا يمس ثغره ولا يتعمم في الصيف ولا يمتطي ، يصوم في السفر والاقامة ، ينطق بالعربية الفصحى لا يلهن . وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يخطب أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل . وأخباره كثيرة . قال ابن هاشم في تاريخه : توفي رحمه الله في (حصن من بلاد الروم) وكان ذلك سنة ١٦١ هـ .

(٣) النازحات / ٤٠ .

القلب مع الرب فإن من خشع قلبه خشعت جوارحه. وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: إن التقوى ترك ما حرم الله، وأدام ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير. وقال: أبو يزيد^(١): المتقي من إذا قال قال الله، وإذا سكنت سكنت الله، وإذا ذكر ذكر الله. وقال الغريب المستوحش من الناس المستأنس بالله المعيد المبدي، شيخنا السيد محمد مهدي^(٢) الرفاعي

(١) يزيد أبو يزيد البسطامي: المطر ترجمته من ٧١١.

(٢) السيد محمد مهدي الرفاعي الرديني: قال المؤلف رحمه الله في ترجمته: هو الامام الميام طوئ الآدم القطب الفوت الجامع الفرد الخاتم صدر أعلن الشهود وعلامة الوجوه ناصر السنة وخازن البعثة عود الشريعة والطريقة: أبو الجراحين سيده وشيخنا ومقرعنا: السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزّام الصيادي الرفاعي الحسيني الشيرازي واس رضي الله عنه وعنا به، ولد في سوق الشيوخ - بلدة من أعمال البصرة - سكنها أبوه بعد الطاعون الذي وقع في البصرة، وتوفي والده وبقي يتيماً، ثم توفيت أمه وقد بلغ من العمر ٥ خمس عشرة سنة، وكان قد قرأ القرآن على رجل هناك يقال له: «ملا أحمد» وكان من الصالحين. وفي سنة ١٢٣٥ هـ - جذبه القدر إلى السباحة فخرج طالياً بيت الله الحرام وجاور «بككة» سنة ثم شرف بزيارة جده عليه الصلاة والسلام وجاور «لمدينة» سنتين وفيها اشتغل بطلب العلم على رجال الحرم النبوي ثم ذهب إلى مصر وتولّى في الجامع الأزهر وبقي فيه ثلاث عشرة سنة يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الأزهر ومفاتيح حق يرمع في كرفن وعلم وهو على قدم التجرد والفقر والانتكاس ثم عاد سائحاً إلى العراق فاجتمع بالشيخ العارف بالله السيد «عبد الله الرازي» فأخذ عنه الطريق وسلك على يديه فأجازه وأقامه خليفة عنه ثم طاف البلاد الإسلامية وغيرها وأكرمه الله بالولاية العظيمة والمناقب الكريمة والعظيمة الكبرى والأربعة الزهراء، وكان يتجرّد لدفع الضرورة يبيع رؤوس القم المطبوعة؛ قلت: وينبغي نسب السيد المترجم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو شيخ المؤلف رضي الله عنهما وله كرامات لا تحصى وكتب الجلية لاستغنى والتي منها: بوارق الحقائق ولعلل الخطاب - ورفرف العناية. وطى السجى، وغيرها من آثاره الشريفة: توفي قدس الله روحه ببغداد ودفن في الجانب الشرقي منها بمسجد ذكابين محبوب وذلك سنة ١٢٠٠

الرديني : التقوى ، أخذك من نفسك إلى قلبك ، ومن قلبك إليه ، قال تعالى في النفس : (فآلهما فجورها وتقواها)^(١١) . وقال تعالى في القلب : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)^(١٢) .

وبالجملة فالتقوى : منصب جليل لا يصل لغايته الا القليل ولكن شرفه لا يفيد نقصاً في شرف آل بيت رسول الله ﷺ ولا يعارض ما نذكره من شرف آل البيت فانا لا نقول بأنه : لا فضل ولا مزية ولا خصوصية إلا للذرية الطاهرة ، بل نعتقد أن لكل من النسب والحسب والعلم والصلاح والتقوى والزهد والورع وأمثال ذلك قدراً جسيماً وشرفاً عظيماً ، لكننا نعتقد أن التقى الشريف أفضل من التقى غير الشريف ، ونتيقن أن من له شرف فقط أفضل ممن ليس له تقوى ولا شرف ، وانما جاءت الآيات والأحاديث وكلمات القوم بالحث على التقوى وعلى سائر الصفات المطلوبة ولم تات بالحث على الشرف لما هو بنسبي من أن الشرف لا يمكن لأحد تحصيله فانه نعمة ربانية ومنة رحمانية لا دخل للإنسان في تحصيلها ، ولا يمكن لغير الشريف منها سعي واجتهاد أن يصير شريفاً بوجه من الوجوه ، وحينئذ فلا معنى للحض عليها والحث على اكتسابها وهذا قريب مما أجاب به أحد السادات الشافعية حين سئل :

« ١٢٨٧٥ : سورة كثير من : خزائن الامداد المؤلف : رحمه الله : ص : ١٦٧٥ - ١٦٧٨ »
وان أردت التوسع فارجع الى : كتاب « القبط الهادي » ط ٢ ، تصنيف الأستاذ الجليل « عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط » الذي أراثة يد العناية الاغباشرف طبع كتب السادة الزاغية أمثال المترجم والمؤلف رضي الله عنهم أجمعين .

(١) الشمس / ٨ .

(٢) سورة ق / ٣٧ .

كيف تقولون : إن الشهيد لا يصلى عليه ، مع أن الأنبياء الذين هم أشرف العالم ، وأفضل نوع بني آدم يصلى عليهم ؟! فأجابه بقوله : هذا من باب المزية والخصوصية ، وهي لا تقتضي الأفضلية فقليل له : فما الحكمة في اختصاصهم بهذه المزية التي لم تكن للأنبياء الكرام ؟! فأجابه : بأن النبوة لا مطمع لأحد في تحصيلها كما قال في الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلَى عقبة
لكن فضل الله يؤتيه لمن يشاء جل الله وأهب المن

وأما الشهادة فيمكن طلبها والتعرض لاغتنامها بأدمان القتال في سبيل الله لأجل إعلاء كلمة الله ، فلذلك رغب الشرع للشهادة بإظهار هذه المزية العلية . انتهى .

ثم رأيت نظير هذا السؤال والجواب منصوصاً عليه في حاشية العلامة « الباجوري » عند قول « أبي شجاع » : « واثنان لا يُغسلان ولا يصلى عليهما : الشهيد في معركة المشركين ، والسقط . فراجعه ان شئت .

ومع ذلك فقد عرفت مما سبق : أن كثيراً من الآيات صريح في شرف آلِهِ وذريته عليهم السلام وكثيراً منها كالصريح في ذلك ، وقد مر أيضاً جملة من الأحاديث النبوية الصريحة أيضاً فيما خصهم الله به من المناقب ، وجاد عليهم به من المواهب وهي كثيرة أيضاً فجميع ما ذكرناه بالنسبة لما لم نذكره كقطرة من بحر ، ويكفيهم قول جدم عليه السلام :

« من أراد التوسل وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم »^(١) . وأخرج الامام أحمد في مسنده عنه عليه السلام : «إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني أترك فيكم الشَّقَلَيْنِ . كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف أخبرني أنها لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا بماذا تحلفوني فيها » . وفي رواية صحيحها الحاكم على شرط الشيخين : «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس » قال العلامة العدوي في كتابه مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار عند ذكر هذا الحديث الشريف ما نصه :

« ولعل المراد من الغرق : ما يلحقهم من العذاب لولا وجودهم ، كما يدل عليه ما في بعض الروايات : «فإذا ذهب أهل بيتي جاء أهل الأرض ما كانوا يوعدون » ويحتمل أن المعنى : أن من أحبهم وعمل بمقتضى سنة جدهم نجا من ظلمة الأغيار والطغيان ومن تخلف عنها غرق في بحر كفر النعمة والبهتان . انتهى .

وقد دعا عليه السلام لعلي وفاطمة رضي الله تعالى عنها دعاء يشمل هذه الذرية الحمدية والعترّة النبوية إلى يوم القيامة ، ولا شك في أن دعاء هذا النبي الأواب مقبول ومستجاب ، فمن دعائه عليه السلام قوله عليه السلام :

(١) ذكره الحنف ابن حجر في كتابه «المصايف» وقال : أخرجه الديلمي مرفوعاً

« جمع الله شملهما وأطاب مشولهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعدن الحكمة وأمن الأمة »^(١) ومن دعائه ﷺ لما قوله عليه السلام : « بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب »^(٢) . إلى غير ذلك من الأدعية الماثورة ، وقد تقدم لك بعضها ، فهل ترى في زمانك لمن دعا لهم رسول الله ﷺ بأن يكونوا مفاتيح الرحمة ومعدن الحكمة وأماناً لهذه الأمة إلى غير ذلك ، من يساويهم ويأزيهم ؟ فضلاً عن يفوق عليهم في الشرف والمناقب أو يزيد عنهم في الألفاظ والمواهب .

والحاصل : أن فضل هذه النزية الطاهرة والسلسلة الفاخرة شهدت به الآيات والأحاديث والأخبار ، وقررتة العلماء الأفاضل الأخيار في سائر الأمصار والأقطار ، على أنه من الأمور البديية التي لا تحتاج إلى دليل ، ولا توقف على تعليل ، ولو نظرت إلى وصف التقوى المذكور في قوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وعددت الانتقياء وبحثت عن حقائق تقواهم لو جدت آل البيت أتقاهم فأنهم ورث رسول الله ﷺ وبضعة من جسده الطاهر ، ولهم ما لا يعد ولا يحصى من المناقب والمآثر ، ولا يخفى أن من رقى في أمثال هذه الأوقات في الخيرات والمبشرات إلى أعلى العقبات ، وبلغ أرفع المقامات ، لا يمكن أن يبلغ

(١) ذكره العلامة العديمي في « مشارق الأنوار » وقال : هو من رواية الإمام الزرقاني .

(٢) هو بقية الدعاء السابق من رواية الإمام الزرقاني رحمه الله .

فضيلة أحدهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين شهد رسول الله ﷺ بفضيلتهم علينا وخيرية زمنهم على زمننا فإنه ﷺ قال : « فأنكم لو أنفقتم ملء الأرض ذهباً ما أدر كنتم مدّ أحدهم ولا نصيفه »^(١) . فانتقطع الطمع عن اللّحوق بمرتبتهم ، وتحصيل نظير فضيلتهم ، ومثيل مرتبتهم ، حتى إننا نعلم ونتيقن بدلالة هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الصادق المصنوق ﷺ : أن من قام الليل كله بالفكر والذكر والخشوع والخضوع والتعبد والتجهد وتلاوة القرآن وتسييح الرحمن وغير ذلك وأفنى نهاره أيضاً بالصيام والصلاة وأنواع الطاعات وصنوف العبادات لا يساوي من فاز بصحبة سيد النبيين واقتصر على فرائض الدين وذلك لما (له) من الخصوصية التي لاتضاهي ، والفضيلة التي لاتباهي ، وهو اجتماعه برسول الله ﷺ بعد الإيمان والتصديق بما جاء به اجتماعاً متعارفاً ، على أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ونفعنا الله بحبهم لم يكن التفضيل بينهم بدوام الصيام ، ولا بإدمان القيام ، كما يشهد لذلك قول سيد الأنام عليه الصلاة والسلام (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام وصلاة ولكن بشيء وقر في صدره .. الحديث ..)^(٢) فإذا نظرت بعين الانصاف تعرف قدر الأشراف ، لأنهم بضعة من هذا الرسول الذي فازت

(١) هو بعض حديث رواه الامام أحمد وافلق عليه الشيخان ، ورواه الترمذي وأبو داود ، عن أبي سعيد الخدري . وابن ماجه والامام مسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين . وأول الحديث : « لاتسبوا أصحابي ... الحديث » .

(٢) ذكره في الاحياء ، وقال خرجه العراقي لم أجده مرفوعاً ، وهو عند الحكمي الترمذي وأبو يعلى عن عائشة ، وأحمد بن منيع عن أبي بكر كلاهما مرفوعاً .

الأصحاب بصحبته، وبدلوا نفوسهم في محبته، وتعلم أن فضيلة الشرف أمر آخر غير التقوى، ويظهر لك أن الإشراف وإن تساووا في الشرف فافضلهم أتقاهم الله، وأعظمهم أسوة برسول الله بدليل أن أكرمكم عنده الله أتقاكم ولا يخفى أن التصدي للطعن في ذريته عليه السلام وإدعاء رتبة فوق رتبته، ومزية فوق شرف مزيته ناشئ عن رعونات النفس وعن كثرة الجهل، وعن نقص في العقل، وعن عدم الصدق في حب الرسول عليه السلام، ولو كان ذلك الرجل صادق الحب لرسول الله عليه السلام لكان أسرع الناس لخدمتهم، وأكثرهم اعترافاً بعلو قدرهم ومرتبته، فقد نص العارف الرباني مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراني على : ما يجب علينا من تعظيم أولاد وذرية مشايخنا وإكرامهم واحترامهم وتعظيمهم قياماً بحقوق والسيب، فما بالك بأولاد صاحب الرسالة الذي استنقذنا من الكفر والضلالة والزيف والجهالة !؟

واعلم أن العلماء ألفت المؤلفات، وصنفت المصنفات في فضل نعلي رسول الله عليه السلام، فهل تراهم يحجدون فضل أولاده وشرف ذريته !؟ أم يتبركون بهم بطناً بعد بطن، وجيلاً بعد جيل، وتأمل قول من صدق في حب محبوبته، وتوله قلبه في معشوقته :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

«من ادعى أنه أفضل من السلالة الطاهرة فقد سلك مسلك الشيطان»
 أنت تعلم يقيناً أن من ادعى أو ظن لعمله من أهل الوقت أنه
 أفضل منهم فقد سلك مسلك عدو الله ابليس بل زاد عليه ، فإن عدو
 الله لما أمر بالسجود لئبي الله وصفه أبينا آدم عليه السلام قامت له
 شبهة منعتة من السجود وهي كونه مخلوقاً من نار ، وصفي الله مخلوق
 من تراب ظناً منه أنه أفضل من آدم لما يراه من أن جوهر النار أفضل
 من جوهر التراب فلم يدع الأفضلية إلا بعد قيام شبهة ، غير أنه لم يعلم
 أن التراب لو لم يكن له إلا أنه يصلح والنار تفسد فإن التراب اذا
 أسلمته حبة عوضك عنها أضعافاً مضاعفة ، والنار لو أسلمتها الدنيا بما فيها
 لأحرقتها وأفسدتها جميعاً لكان كافياً في فضل جوهر التراب على جوهر النار
 ولو تأمل : أن النار تنتج الرماد ، وينتج عن التراب ما نشاهده من
 الاشجار والازهار والثمار لكفاء دليل على فساد رأيه ، على أنه كان الواجب
 عليه أن يمثل أمر الله وينقاد اليه ويعلم : أن الملك العليم الحكيم أعلم بمخلوقاته
 ولا يخفى عليه جل شأنه شيء من أمر مصنوعاته ، ولا يفعل الا ما تقتضيه
 حكمته لأن الحكيم يضع الأمور في محلها ، ولكنه غلبه الحسد فردء عن
 الطريق القويم وصدء عن الطريق المستقيم ، فتمرد وتكبر وتعزز
 وتجبر ، فعاد بعد قربه مطروداً ، وبعد قبوله مردوداً ، ولما علم أنه
 ما أخذ إلا من وجهين - الحسد والكبر - صار (لعنه الله) يجتهد في
 إغواء ذرية صفي الله « آدم » لاسياً بهذين الخلقين الذميين ، والوصفين

القييحين حتى سول لبعض من لاخلق لهم أنه أرفع الناس مقاماً ،
واعظمهم احتراماً ولازال يكرر هذه الوسوسة ويأتي اليه بالوسائل
والأسباب ، ويدخل عليه من كل باب ، حتى استقر ذلك في نفسه ،
وادمى العلو على أبناء جنسه ثم عاود اليه ، وعكف عليه ، وقال له : ان
الناس في البوادي والتقفار والمدن والأمصار ، وسائر البلاد والاقطار
يعتقدون أن اشرف الناس نسباً ، وأعلام حسباً ، وارفعهم قدراً ، وأسماءهم
فخراً ، واسماهم ذكراً هم العلويون أباً ، والمحمديون نسباً ، فلا طريق
لرفعة شأنك ، وعلو مكانك إلا بالاجتهاد التام في انكار قدر السادة الكرام
حتى جره والعياذ بالله الى النذل والخسران ، ورماه في أودية الصغار
والخوان وحقيق بمن كان ابليس أميره والشیطان الرجيم دليله وسميره أن
يصل لثل ذلك ، ويقع في أودية المهالك ، اللهم احفظنا من شر النفس
والشیطان ، واعصمنا من غفلات القلب وسقطات اللسان . ومن علينا
بالجود والعفو والغفران ، يا حنان يا منان ، يا قديم الاحسان ، آمين آمين
بجاه سيد المرسلين وخاتم النبيين .

ولا يخفى أنه قد مر تفصيلاً ما به الكفاية من علامات محبته ﷺ
من التخلق بأخلاقه ، إلى أن وصل البحث الى حب آل الكرام ، وفيه
يسر الله مايسر من ذكر واجب حقهم ، واللازم على كل مسلم في شأنهم
من التعظيم والوقار والتكريم .

« فائرة »

ليعلم لدى كل عاقل أن من أعظم علامات محبته ﷺ : الانتهاء عما ينهى عنه
 ﷺ وفي هذا كمال الاتباع ، والوقوف الخالص عند أوامره ، ولا
 يثبت الانتظار إلا بالانتهاء عما نهى رسول الله ﷺ من الأخلاق
 المذمومة وهي كثيرة جداً .

« مطلب » - في الوضوء المزمع .

« قال المؤلف رحمه الله » فمنها : الكذب ، وهو حرام قطعي لا شك
 ولا شبهة في تحريمه قال الله تعالى : (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)^(١)
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 (إن الكذب يسود الوجه)^(٢) ، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن
 رسول الله ﷺ قال : « إذا كذب العبد يتباعد عنه الملك ميلاً من
 تنن ما جاء به »^(٣) .

والميل عند العرب : مد البصر من الأرض ، وعند القدماء أهل
 الحياة : ثلاثة آلاف ذراع ، وعند المحدثين : أربعة آلاف ذراع ، والنتن :
 الرائحة الكريهة .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : إن النبي ﷺ قال « الكذب

(١) البقرة / ١٠ .

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي : عن أبي هريرة
 رضي الله عنه بلفظ : « ألا إن الكذب يسود الوجه ، والنميمة من هذا الباب القبر » .

(٣) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب العصم ، وقال الترمذي : حديث حسن .

بجانب للإيمان - أي: مناف لمؤاخذة الشيطان - أي: القذف بالباطل^(١) .
وعنه عليه السلام : ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج
وأعتقر وقال : إني مسلم - من إذا حدث كذب ، وإذا وعد خلف ،
وإذا اتّمن خان^(٢) .

ومنها : الغيبة - قال الله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحِب
أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)^(٣) وعن أبي أمامة رضي الله عنه
أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً
فيقول : ذلك الرجل ، يارب فأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست في
صحيفتي فيقول له : بحيث باغتيابك الناس »^(٤) وعن عثمان بن عفان
رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « الغيبة والنميمة
يختان الإيمان كما يعضد الراعي الشجرة »^(٥) ومعنى يختان : يزيلان
ومعنى يعضد : يقطع . « ولما أمرني برسول الله صلى الله عليه وآله ونظر في
في النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء
الذين يأكلون لحوم الناس »^(٦) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله
قال : « هل تدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك

(١) رواه البيهقي ، وقال : الصحيح : أنه موقوف .

(٢) رواه أبو يعلى من رواية يزيد الرقاشي : عن أنس رضي الله عنه .

(٣) الحجرات ١٢ / .

(٤ - ٥) رواهما الأصبهاني .

(٦) رواه الإمام أحمد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الخطب أو قال عليه الصلاة والسلام : العشب ^(١) وقال عليه السلام : دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الخالقة أما إني لأقول تخلق الشعر ولكن تخلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على ما تحابون به؟ أفسوا السلام بينكم ^(٢) وقال عليه السلام : لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا ^(٣) . وقال عليه السلام : ليس مني ذو حسد ولا غيمة ولا كهانة ولا أنا منه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ^(٤) .

ومنها : الحقد . وهو أن يلزم نفسه استئصال أحد والتباعد منه وبغضه وإرادة السوء له والغالب حصول ذلك عن ضرر من المحقود عليه فينبغي لمن ابتلي بالحقد أن يعالج صرفه من قلبه بما ورد من الآيات والأحاديث الدالة على الأمر بكظم الغيظ والعفو والصفح كقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ^(٥) . وقوله تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) ^(٦) وقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف

(١) رواه أبو داود ، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري بإسناد جيد ، والبيهقي باختصار . والترمذي واللفظ : عن

الزبير بن العوام رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني : عن « خيرة بن عتبة » رضي الله عنه ورواه ثقات الترغيب

والترهيب : ١٧٦/٥ .

(٤) رواه الطبراني : عن : عبد الله بن بسر « رضي الله عنه » .

(٥) آل عمران / ١٣٤ .

(٦) البقرة / ٢٣٧ .

وأعرض عن الجاهلين^(١) وقوله تعالى «وليعفوا وليصغحوا ألا تحبون
 أن يغفر الله لكم^(٢)» وعنه عليه السلام أنه قال : «ما نقصت صدقة من مال
 وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع عبداً إلا رفعة الله^(٣)» . ولا
 يخفى أن الحقد إذا تمكّن في القلب أثبت الحقد وقد علمت ما في الحسد
 من الوعيد الشديد ولا ينشأ الحقد إلا من الغضب وقد نبى عليه السلام عن
 الغضب قال عليه السلام : «الغضب يفسد الإيمان^(٤)» ومدح عليه السلام الحلم فقال
 : «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا : نعم
 يا رسول الله ، قال : تحلم على من جهل عليك وتعفوا عن ظلمك ، وتعطي
 من حرمك وتصل من قطعك^(٥)» وعنه عليه السلام أنه قال : «إت الرفق
 لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع عن شيء إلا شانه^(٦)» وقال عليه السلام
 : «أما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرر الخير يعطه ومن يتوق الشر
 يوقه^(٧)» .

(١) الأعراف / ١٩٩ .

(٢) هود / ٩٩ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، وصححه والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) ذكر المؤلف أول الحديث ، وأسنده ، كما يفسد الصبر العسل . رواه الطبراني
 في الكبير والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من رواية يوز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية
 بن حيدة مرفوعاً . والحديث شواهد كثيرة انظرها في كشف الخفاء : ص : ٢٩ - ٣١ .

(٥) رواه الطبراني والبخاري : عن عباد بن الصامت رضي الله عنه .

(٦) رواه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٧) رواه الدار قطني في الأفراد ، والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله

عنه . وانظره به «الخطيب» عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

ومنها : الكبر . وهو من أعظم الذنوب ويكفيها في ذمه قوله عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »^(١) وقوله ﷺ « من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين »^(٢) وقد نصوا على أن الكبر عظيم الآفات وعنه تنشعب أكثر البليات ويستوجب صاحبه سرعة العقوبة الشديدة من الله تعالى لأن الكبر لا يليق إلا لله عز وجل فلا يصلح لمن دونه ، إذ كل شيء سواه عبد مملوك وهو الإله القادر المالك وما وصل عدو الله إبليس إلى ما وصل إليه إلا بالكبر وما ادعى النمرود وكذا فرعون الربوبية وثارعا الله تعالى في الألوهية إلا بسبب الكبر وعنه ﷺ أنه قال : « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في أحد منها قذفته في النار ولا أبالي »^(٣) وعن عبد الله بن سلام أنه مر بالسوق وعليه حزمة حطب فقيل له : ما حملك على هذا وقد أغناك الله تعالى فقال : أردت أن أدفع الكبر . سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر »^(٤) وعنه ﷺ أنه قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة

(١) بعض حديث رواه الامام مسلم : عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) بعض حديث رواه ابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه كلاما من طريق دراج عن أبي الخيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه الطبراني بإسناد حسن والأصبهاني إلا أنه قال : مثقال ذرة من كبر .

أمثال النذر في صور الرجال يغشاهم النمل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له يولس يعلمون نار الأنبار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال^(١) وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « بينا رجل من كان قبلكم يحرق إزاره من الخيلاء خفف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة »^(٢).

ومنها : الرياء . قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)^(٣) ، سمى الله تعالى الرياء : شركاً ، وعنه ﷺ أنه قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر ؟ يا رسول الله قال : الرياء . يقول الله عز وجل إذا جرى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »^(٤) وعنه ﷺ أنه قال : « إن المرأى ينادي يوم القيامة يا فاجر يا كافر يا خاسر ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك من كنت تعمل له »^(٥) وعنه ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى يقول أنا خير شريك . أي : أنا أكثر خيراً من شريك - أشركه العبد معي

-
- (١) رواه أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عمر وابن شبيب عن أبيه عن جده .
 (٢) رواه البخاري ، والسنائي وغيرهما ، والخيلاء : بضم الخاء المعجمة وكسر الواو . وفتح الياء محذوفاً : هو الكبر والعجب . ويتجلجل : أي يغموس ويتزلزل في الماء ، الترغيب والترهيب : ١٥٥/٥ - ١٥٦/١ .
 (٣) الكهف / ١١٠ .
 (٤) رواه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن أبيد رضي الله عنه .
 (٥) رواه ابن أبي الدنيا : من رواه جيلة البيهقي عن صحابي لم يسم . واستاده ضعيف : إحياء علوم الدين ٣/ ٢٥٤ - ٢٥١ .

فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى يأبىا الناس: اخلصوا أعمالكم فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا: هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منها شيء^(١) . الحديث .

ومنها : العجب . وهو : استعظام العمل الصالح . وعنه عليه السلام أنه قال : ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه^(٢) . وعنه عليه السلام أنه قال : لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب كررها عليه السلام مرتين^(٣) . وجميع أهل الأهواء والبسdc والضلالات إنما وصلوا لهذه الخصال الذميمة بالعجب كما قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً)^(٤) وقال عز من قائل (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)^(٥) . وفي الحديث : فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك^(٦) .

ومنها : الجبن . وهو يشعر بعدم الغيرة وقلة الحمية على الزوجات والأقارب والأرحام ويوجب أيضاً خسة النفس واحتال الذم والضم والسكوت عند مشاهدة المنكرات . قال تعالى (ولا تأخذكم بهما رأفة

-
- (١) رواه البزار بإسناد لأبأس بن البقي : عن الضحاك بن قيس . وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب : ٣٥/١ - لكن الضحاك بن قيس يختلف في صحته .
(٢) رواه البزار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أسد بسند ضعيف .
(٣) رواه البزار بإسناد جيد عن أسد رضي الله عنه .
(٤) فاطر / ٨ .
(٥) الكهف / ١٠٤ .
(٦) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه : عن أبي ثعلبة رضي الله عنه .

في دين الله) ^(١) وقال تعالى (فاصدع بما تؤمر) ^(٢) وقال ﷺ « خيار أمتي أحداؤها » ^(٣) جمع حاد وهو الموصوف بالحدة .

ومنها : هجر الاخوان ومقاطعتهم . وقد روي عنه ﷺ أنه قال « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث فإذا مرت ثلاث فليقلعه وليسلم عليه فإن رد عليه فقد اشتركا وإن لم يرد عليه فقد باء بالآثم » ^(٤) وفي رواية : « فمن هجر فوق ثلاث دخل النار » . وهذا محمول على ما إذا هجره لأجل الدنيا فإن هجره لأجل أمر ديني ، أو تأديباً له ، أو نحو ذلك فجائز بل هو مستحب .

ومنها : الغدر والخيانة . وعنه ﷺ أنه قال « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » ^(٥) وعنه ﷺ : « المستشار مؤتمن » ^(٦) . و « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفناه » . و « من أشار على أخيه

(١) النور / ٢٠ / .

(٢) الحجر / ٩٠ / .

(٣) رواه الطبراني في الأثر - عن علي رضي الله عنه . وفي لفظ : أحداؤهم إذا غضبوا رجعوا . كما أخرجه البيهقي في معجم الصحابة والبيهقي في شعبه بلفظ : « الحدة تعترى خيار أمتي » . والطبراني عن ابن عباس بلفظ : « تعترى الحدة خيار أمتي » . ولم يشك عليه . قال الحديث المجولي في كتابه « كشف الحقا » : والشهور سابقه - والله تعالى أعلم - ٥١ .

(٤) رواه أبو داود عن أنس مغيرة رضي الله عنه .

(٥) رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه .

(٦) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه : عن أنس مغيرة رضي الله عنه . والترمذي : عن أم سلمة . وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته^(١).

ومنها : سوء الظن . قال تعالى (إن بعض الظن إثم)^(٢) وعنه
عليه السلام : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا
تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا
عباد الله إخواناً كما أمركم ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره
التقوى هاهنا ، كررها ثلاثاً وأشار إلى صدره عليه السلام »^(٣).

ومنها : البخل وعنه عليه السلام : « السخاء شجرة في الجنة فمن كان
سخياً أخذ بغصن منها حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن
كان شحيحاً أخذ بغصن منها حتى يدخله النار »^(٤) وعنه عليه السلام أنه قال
« السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد
من النار والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل »^(٥) ويكفي
في هذا البحث قوله تعالى : (ولا يحسن الذين ييخلون بما آتاهم الله من
فضله هو خيراً لهم بل هوشر لهم سيطوقون ما يخلوا به يوم القيامة)^(٦).

(١) رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) المطهرات / ١٢٠ .

(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، والبيهقي وابن عدي : عن علي وأبي هريرة
رضي الله عنهما نحوه .

(٥) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي : حديث غريب .

(٦) آل عمران / ١٨٠ .

ومنها: حب الدنيا . قال تعالى : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو)^(١) .
 الآية . وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه
 وعالمًا ومتعلمًا »^(٢) وعنه ﷺ أنه قال : « لو كانت الدنيا تعدل عند
 الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء »^(٣) وعنه ﷺ أنه قال :
 « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنيته . فأتى
 ما يبقى على ما يغنى »^(٤) وعنه ﷺ أنه قال : « هل من أحد يشي على
 الماء إلا ابتلت قدماه قائلوا : بلى يا رسول الله قال : كذلك صاحب الدنيا
 لا يسلم من الذنوب »^(٥) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قال
 رسول الله ﷺ : « الدنيا دار من لادار له ومال من لاملأ له يجمعها
 من لا عقل له »^(٦) وعن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام
 وكرم وجهه أنه قال : « الدنيا حلالها حساب وحرامها النار »^(٧) وقال

(١) محمد / ٢٦ / .

(٢) رواه الترمذي : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الغيبة في المختارة وابن ماجه والحاكم : عن سهل بن سعد : رفعه . وكذا
 رواه الترمذي وقال : حديث صحيح طريب .

(٤) رواه الامام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن أبي موسى رضي الله عنه .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال : بلغني أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال . الحديث . ووصله البيهقي في الزعم من رواية الحسن عن أنس
 رضي الله عنه ورجاله ثقات .

(٦) قال العراقي في تخرجه : رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها . مختصراً
 ورواه بلهظ : ولها يسع من لا عقل له . أحمد في مسنده والبيهقي في الشعب عن عائشة .
 والفرد به البيهقي عن ابن مسعود موقوفاً . قال المناوي : قال المنذري والعراقي :
 إسناده جيد .

(٧) قال العراقي في تخرجه : رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب موقوفاً على
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإسناد منقطع ولم أجده مرفوعاً .

ﷺ : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأنته الدنيا وهي راحة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له »^(١).

ومنها : كفران النعم قال تعالى : (فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)^(٢) وقال تعالى : (لنشكرنم لازيدنكم ولننكفرنم إن عذابي لشديد)^(٣) وعنه ﷺ أنه قال : « الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »^(٤) وعنه ﷺ : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعم الله شكر وكتابتها كفر »^(٥) أي : تغطية وستر . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أودع معروفًا فليشره فان نشره فقد شكره وإن كتبه فقد كفره » . وروى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(٦) وما ألفت ماقيل :

(١) رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٢) النحل / ١١٢ .

(٣) إبراهيم / ٧ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ، والترمذي وابن ماجه والطحاوي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا ، عن النعمان : باختصار . وأخرجه عبد الله بن أحمد بإسناده لأبى به زيادة : ومن لم يشكر الناس .. الحديث .

(٦) رواه الامام أحمد بسند رجاله ثقات عن الأشعث بن قيس رقه ، وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا وصححه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال الخطاط ابن حجر : فيه أربع روايات : رفع لفظ الجلالة والناس ، ونصبها ، ورفع الأول ونصب الثاني ، وبالعكس ، وتوجيهها ظاهر . ١٠٠ .

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال : اشكروا لي أيها الثقلان

وما أحسن ما ذكره الماوردي^(١) رحمه الله عن عبد الحميد أنه يقول :
من لم يشكر الإنعام فاعده من الأنعام . وأرى أن ترك المعروف مع
القدرة على فعله قبيح ككفرانه لأن النبي ﷺ قال : « كل معروف
صدقة » وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لا يزهذك في
المعروف كفر من كفره فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر .
وله در القائل :

يد المعروف غم حيث كانت تحملها كفور أم شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

ومنها : الإصرار على المعاصي كالزنا واللواط وتناول المسكرات
وظلم العباد وعقوق الوالدين وغيرها ويكفيك في ذم الإصرار : ماورد

(١) الماوردي : أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب ، ألقى قضاء عصره . من
العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . ولد في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ،
وولي القضاء في بلدان كثيرة ثم جعل ألقى القضاء في أيام القائم بأمر الله العباسي وكان
يقبل إلى منزله الاعتزال ، وله المكانة الرقيقة عند الخلفاء ، وربما توسط بينهم وبين الملوك
وكبار الأمراء لما يصلح به خلعة أو يزيل خلافاً ، نسبت إليه بيع ماء الورد وولعته رحمه
الله ببغداد سنة (٤٥٠) هـ . من كتبه : « أدب الدنيا والدين - ط » و « الأحكام السلطانية
- ط » و « الحاوي » في فقه الشافعية - ثمانية وعشرون جزءاً ، وغير ذلك . طبعت
الشافعية المبكي : ٣٠٣/٣ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ، والبخاري في صحيحه ، عن جابر رضي الله عنه .
والإمام مسلم وأبو داود وأحمد : عن حذيفة رضي الله عنه .

عن النبي المختار « لاصغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار »^(١)
والإصرار على الأوزار والإقامة عليها بلا توبة ولا استغفار يخشى منه
سوء الخاتمة نسأل الله العافية فإن المعاصي يريد الكفر قال تعالى (ويقتلون
النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)^(٢) فأخبرنا الله سبحانه
وتعالى بأن معاصيهم قد جرّتهم لأفح أنواع الكفر وهو : التجاسر
على قتل الأنبياء الذين هم صفوة الله من عباده ومعلوم أنه لو اجتمعت
الامة على قتل رجل واحد ظلماً لأكبههم الله جميعاً في النار لأن في القتل
هدم بناية الملك الجبار وإذا كان هذا الوعيد في حق قتل شخص ما فما
بالك في قتل الأنبياء التي تجاسروا عليه بإقدامهم شيئاً فشيئاً على المعاصي
وعدم خوف يوم الأخذ بالتواصي ؟ ..!

« مطلب » في الزنا واللواط

والزنا والعياذ بالله من أشد الذنوب ومن كبائر الأوزار وإن الله غيور
يغار إن يرى عبده يزني بأمته في ليل أو نهار وهو يورث الذل والفقر
والمقت في الدنيا وغضب الله واللعنة والعذاب في الآخرة وبه يكون
ضياع الانساب واختلاطها وحرمان الموارث لأربابها . واللواط : أشد
من الزنا وقد أهلك الله تعالى قوم لوط بسببه فقلب قراهم وجعل عاليها
سافلها ويظهر لك كونه أشد من الزنا من وجوه :

(١) رواه أبو الشيخ والبيهقي عن ابن عباس رفعه ، وكذا العسكري عنه بسند
ضعيف ، وابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس من قوله . والبيهقي عن ابن عباس موقوفاً ،
والثعلبي وابن شاهين في الترمذي : عن أبي هريرة : كشف الخفاء : ٣٦٥ - ٣٦١ .
(٢) البقرة / ٢١٧ .

أحدها : أن حرمة عقلية وشرعية ، حُبّه شرعاً وطبعاً ، والزنا حرمة شرعية فقط .

والزنا تزول حرمة بعقد النكاح فينقلب وطئاً حلالاً والوطء لا يمكن انقلابه حلالاً بوجه من الوجوه .

والزاني يطهر من زناه بالحد ، والوطئي لا يحد تغليظاً عليه ليمقى إثمه في عنقه حتى يلقي ربه وإنما يعزر على ما في « الدرر » بالاحراق بالنار وهدم الجدار والتشكيس من محل مرتفع مع اتباع الأحجار وفي « الفتح » : يعزر ويسجن حتى يموت أو يتوب . ولو اعتاد اللواط قتله الامام سياسة وإذا ركب الذكر الذكر فر الشيطان خوف أن تصيبه اللعنة .

« مطلب » في السكر

وأما تعاطي المسكرات فهو من أعظم الذنوب والأوزار والسيئات والخمر أم الخبائث وفي قوله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)^(١) : عشرة أدلة على تحريمها كما قرره علماء التفسير وفي شريها إثم كبير^(٢) وعاصرها وبائعها ومشتريها وشاريها ملعونون بنص الحديث^(٣) .

(١) المائدة/٩٠ .

(٢) قال الله تعالى : (يسأونك عن الخمر والبسر قل فيها إثم كبير) - البقرة/٢١٩ .

(٣) قال عليه الصلاة والسلام : لعن الله الخمر وشاريها وبائعها ، وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ، وآكل لبها ، . رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما .

« مطلب » في الظلم

وأما ظلم العباد فناهيك به من معصية ما أعظمها وسيئة ما أقبحها وفي الحديث القدسي « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا »^(١) وقال عليه السلام « الظلم ظلمات يوم القيامة »^(٢) وأعظم دليل على سلب الايمان كثرة ظلم أهل الايمان نعوذ بالله .
وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « قال ربكم عز وجل : وعزني وجلالي لأنتقم من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقم من رأى مظلوماً يقدر أن ينصره فلم ينصره » .

« مطلب » في حقوق الوالدين

وأما حقوق الوالدين فهو من علامات الشقاء في الدارين وهو من كبائر الذنوب قال الله تعالى (فلا تقل لها أف ولا تنهرها وقل لها قولا كريماً . واخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمها كما ربياني صغيراً)^(٣) وقال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على صغيراً)^(٤) وقال عليه السلام : « رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين »^(٥) والحاصل أن من أحب الرسول عليه السلام كان مستنأ

(١) صدر حديث رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) الاسراء / ٢٤-٢٥ .

(٤) لقمان / ١٤ .

(٥) رواه الترمذي ١ عن ابن عمر رضي الله عنهما .

بسنه متبعاً لهدية مقتفياً لسيرته مؤثراً بأمره متنبهاً عما نهاه عنه فتى
 رأى أمراً من أوامره بادر إليه حرصاً عليه ومتى رأى نهيًا من نواهيه
 قرع منه أعظم الفرار وانزعج أتم الانزعاج ومن كان كذلك فصدق بحبته
 لا يحتاج إلى بيان ولا يتوقف على دليل وبرهان ومن خالف وأعرض عن
 سنه ولم يكن متبعاً له في أحكام شريعته فدعوى محبته لنبيه ﷺ من
 جملة الدعاوى النفسية الفارغة الواهية فالحكك لهذه الدعوى موافقة السنة
 السنية وبها تعرف الدعاوى الصحيحة من غيرها .

« مطلب » في ما يجب الرسول وما يجوز وما يستحيل

« خاتمة » مر في بحث « لآله إلا الله » ما يجب لله سبحانه وتعالى
 وما يجوز وما يستحيل . ولنذكر لك هنا ما يجب للرسول ﷺ
 وما يجوز وما يستحيل تمييزاً للفائدة وعسى أن تكون بركانه ﷺ
 علينا عائدة فنقول :

ما يجب للرسول ﷺ ولسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام
 ثلاثة أشياء : الصدق والامانة وتبليغ ما صدر الأمر الإلهي بتبليغه للخلق .
 ويستحيل عليه وعليهم أضداد هذه الصفات وهي : الكذب والخيانة
 وكتان ما صدر الأمر الإلهي بتبليغه ويجوز في حقهم جميعاً عليهم أفضل
 الصلاة وأتم السلام ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في
 مراتبهم العلية كالأكل والشرب والأمراض والأعراض ونحوها كما فصل
 ذلك في محله ، قال في الجوهرة :

وواجب في حقهم : الأمانة وصدقهم وضاف لها النفاذة
ومثل ذا تبليغهم لما أتوا ويستحيل ضدها كما رويوا
وجائز في حقهم : كالأكل وكالجماع للنساء في الحل

وكأن 'إلا إله إلا الله' متضمنة لما يجب لله سبحانه وتعالى وما يجوز
وما يستحيل كذلك 'محمد رسول الله' متضمنة لما يجب له ﷺ وما يجوز
وما يستحيل فيؤخذ منه وجوب صدقه وأمانته ﷺ واستحالة
الكذب والخيانة عليه وإلا لم يكن رسولا آميناً على ما أطلعه الله عليه
وأوحاه على لسان جبريل إليه ويؤخذ منه جواز الأعراض البشرية
عليه لأن ذلك لا يقدح في رسالته وعلو منزلته عند الله تعالى بل ذلك مما
يزيد فيه ويؤخذ منه : وجوب الإيمان لسائر الأنبياء والملائكة وجميع
الكتب السماوية لأنه ﷺ جاء بتصديق ذلك كله ويؤخذ منه وجوب
الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة وبالقدر خيره وشره حلوه ومره
لأنه ﷺ جاء بتصديق ذلك أيضاً ففي حديث "جبريل أنه سئل
عن الإيمان فقال : 'أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر وبالقدر خيره وشره' وفي رواية : حلوه ومره .

ويؤخذ منه : وجوب الإيمان بالقرآن المنزل على سيد ولد عذات
المتعبد بتلاوة آياته ، الذي هو أعظم معجزاته . ويؤخذ منه : وجوب
(١) حديث جبريل عليه السلام : رواه مسلم وغيره . عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة
والله اعلم الله عليم .

الإيمان بالموت والسؤال وبعذاب القبر ونعيمه وبالجنة والنار والعرش والكرسي والوح والقلم لأنه
 ﷺ جاء بتصديق جميع ذلك وهو ﷺ : لا ينطق عن الهوى إن
 هو إلا وحي يوحى . وما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث
 النبوية والأدلة العقلية مبسطة في كتب الكلام ومعلومة لأهل الاسلام .

« مطلب » فيما يجب على كل مكلف معرفته من الرسل

ومما يجب على كل مكلف أن يعرف الرسل المذكورين في القرآن
 تفصيلاً وأما غيرهم فتجب معرفتهم إجمالاً وقد نظم بعض الأفاضل أسماء
 الأنبياء الكرام الذي تجب معرفتهم تفصيلاً فقال :

حتم على كل ذي التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد علموا
 في تلك^(١) حجتنا منها ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
 ادريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالختار قد ختموا

(١) قال الله تعالى : (وللك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من
 نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل
 ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين .
 وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين . وإسماعيل وإسحاق ويونس ولوطاً وكلنا
 فضلناهم على العالمين) . الأنعام / ٨٣-٨٦ / - قلت : وطاهر أن عدد الرسل المذكورين
 في الآية : ثمانية عشر رسولاً . « على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام » . وهو موافق
 للكلام المتأخر أعلاه .

« إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا »
« قرأت کریم »

« وإقام الصلاة »

الركن الثاني - من أركان الإسلام

الركن الثاني

« الصلاة » - وما يطلب لها -

« مطلب » في قوله ﷺ : « أقام الصلوة »

وقوله عليه الصلاة والسلام (أقام الصلاة) معطوف على شهادة أن لا إله إلا الله وهذا هو : الركن الثاني من أركان الدين التي أخبرنا بها سيد النبيين وإمام المرسلين صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين ، وإنما قال : وإقام الصلاة ولم يكتف بقوله والصلاة: تأسياً بالقرآن العظيم قال تعالى : (الذين يقيمون الصلاة)^(١) وقال تعالى : (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال تعالى : (أقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله)^(٢) وقال تعالى : (أقام الصلاة وإيتاء الزكاة)^(٣) . ولأن في لفظ: إقام فوائد جميلة ومعاني جزيلة لا تحصى بدونه وذلك لأن معنى إقام الصلاة : تقويمها . أي تعديلها برعاية أركانها وفروضها وواجباتها

(١) المائدة / ٥٥ .

(٢) هود / ١٨ .

(٣) النور / ٢٧ .

وسننها ومستحباتها وآدابها وحفظها من أن يقع فيها أدنى زيغ أو أقل خلل ، مأخوذ من : أقام العود إذا قومه . ويحتمل أن إقام الصلاة : عبارة عن المداومة عليها كما قال تعالى : (والذين هم على صلاتهم يحافظون)^(١) . وقال تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى)^(٢) . وقال تعالى : (الذين هم على صلاتهم دائمون)^(٣) . وعلى هذا فهو مأخوذ من قولهم : قامت السوق : إذا نفقت فإن الصلاة إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يرغب فيه وإذا ضيعت كانت كالشيء الكسد الذي يرغب عنه ولا يرغب فيه ويحتمل أن ذلك عبارة عن التجرد لأدائها وأن لا يكون فيمن أداها تكسل ولا فتور ولا تهاون ولا قصور وعليه فهو مأخوذ من قام بالأمر : إذا جدد واجتهد ، ومن قولهم قامت الحرب على ساقها : إذا تجرد المقاتلون للقتال ، وأقبلوا على المحاربة كل الاقبال ، ويحتمل أن إقامتها : عبارة عن أدائها ، وإنما عبر بالإقام لأن من أركان الصلاة القيام فيكون : تسمية للكل باسم الجزء كما سمي سبحانه وتعالى الصلاة بالتسبيح ، فقال تعالى : (فلو لا أنه كان من المسبحين)^(٤) والاولى : حمل الكلام على ما يحصل معه الثناء العظيم وذلك لا يحصل إلا إذا حللتا الإقامة على : إيمان فعلها من غير خلل في أركانها وشرائطها وسننها ومندوباتها ومستحباتها مع رعاية الخشوع والخضوع والحضور

(١) المعارج / ٣٤

(٢) البقرة / ١١٢

(٣) المعارج / ٢٣

(٤) الصافات / ١١٣

بالقلب مع الله والإعراض بالكلية عن سواه لأن الله تعالى مدح المقيمين للصلاة وذم المصلين الساهين عن صلاتهم فقال تعالى في المدح : (هدى للعتيقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)^(١) وقال في الذم : (قويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)^(٢) . فعلم أن المطلوب من المصلين أن تكون صلاتهم على ما أمر الله عز وجل وموافقة لما شرعه رسول الله ﷺ لتكون موصولة بالقبول مرضية لله وللرسول وقد ذكروا في اشتقاق الصلاة وجوهاً عديدة : فمنها الدعاء . وقد مر ذلك في أبحاث الصلاة على الرسول ﷺ ومنه قوله تعالى : (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)^(٣) . أي : ادع لهم . وعليه ففعل : سميت هذه الصلاة صلاة : لاشتغالها على الدعاء تسمية للكل باسم الجزء أو للمشتغل بكسر الميم باسم المشتغل عليه بفتحها ومنها : أنه مشتق من صليت العود إذا قومته وعلى هذا فيقال : سميت الصلاة صلاة لأن المصلي يسعى في تعديل باطنه وظاهره وهناك وجوه أخرى ليس هذا محل الكلام عليها وقد عرفها الفقهاء بتعاريف عديدة :

فقال بعضهم : هي عبارة عن الأفعال المخصوصة المعهودة . وعرفها بعضهم بأنها عبارة عن أفعال مخصوصة يتلو بعضها بعضاً مفتتحة بالتحريم مختتمة بالتحليل وعرفها بعض السادات الشافعية بأنها : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم .

(١) البقرة / ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) الماعون / ٤ - ٥ .

(٣) التوبة / ١٠٣ .

والصلاة من أفضل العبادات وأشرف الطاعات ولذلك نصوا على أن فرضها أفضل الفرائض ونفلها أفضل النوافل ، والمراد بالفرائض والنوافل : ما كان من العبادات البدئية الظاهرة ، أما العبادات البدئية الباطنة كالتفكير والصبر والرضا بالقضاء والقدر فهي أفضل من العبادات الظاهرة حتى من الصلاة كما نص عليه « الباجوري » قال : فقد ورد « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة »^(١) .

« مطلب » في أن الصورة أفضل العبادات وفي أفضل الصلوات

وأفضل جميع العبادات على الإطلاق : الإيمان . قال العلامة الباجوري وأفضل الصلوات صلاة الجمعة ثم عصرها ثم عصر غيرها ثم صبحها ثم صبح غيرها ثم العشاء ثم الظهر ثم المغرب وأفضل الجماعات جماعة الجمعة ثم جماعة صبحها ثم جماعة صبح غيرها ثم جماعة العشاء ثم جماعة العصر ثم جماعة الظهر ثم جماعة المغرب وجملة الصلوات المفروضة « خمس » كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة واجماع الأمة أما الكتاب : فقوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) لأنه تعالى أمر بالمحافظة على جمع من الصلوات وعطف عليها الصلاة الوسطى وأقل جمع يتصور معه وسطى هو « الأربعة » فمع الوسطى تكون الصلاة خمسة .

(١) ذكره الحاكمي بلفظ : فكر ساعة . وقال : إنه من كلام « سري السقطي » وفي لفظ : ستين سنة . وذكره في الجامع الصغير بلفظ : فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة . رواه أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . كما ورد عن ابن عباس وأبي هريرة بلفظه السابق : « كشف الخفاء » : ٣١١ - ٣١٠ .

وأما السنة : فقولہ ﷺ : « إن الله فرض على كل مسلم ومسلمة في كل يوم وليلة خمس صلوات »^(١) وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا على فرضيتها وفرضت الصلاة ليلة الإسراء كما نص عليه خاتمة المحدثين الإمام البخاري في صحيحه الذي هو أصح كتب الحديث :

وقد ذكر فيه : أنه أتى لرسول الله ﷺ بالبراق وهو دابة دون البغل وفوق الحمار . وروى عن أنس رضي الله عنه أن البراق الذي جاء به ليلة الإسراء لرسول الله ﷺ يضع خطوه عند أقصى طرفه قال ﷺ فحملت عليه فأنطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل مرحباً فنعم المهيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم ، فسلمت عليه فردده ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الناصح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل : وقد أرسل إليه قال نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المهيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال : وهذا يحيى وعيسى فلم عليهما . فسلمت فردا ثم قال : مرحباً بالآخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها بلفظ : « إن الله افترض على العباد خمس صلوات في كل يوم وليلة » .

جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال : هذا يوسف فسلم عليه فسلمت فرده ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قال ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل اليه ، قال نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فاذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه : قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل ، قال : نعم ، قال : مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى قيل له : ما يبكيك ؟ قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم . قال : مرحباً فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال : هذا أبوك

فسلم عليه . قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدره المنتهى فاذا نسيبها^(١) مثل قلال^(٢) هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال : هذه سدره المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور ويدخله كل يوم : سبعون ألف ملك ، ثم أتيت بهاء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال : مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال : مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال : مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال : مثله ، فرجعت فأمرت

(١) الذئبق^١ : يفتح النون وكسر الهمزة وقد تسكن : ثمر السدر ، الواحدة (تسيرة) مثل : كلمة وكلم ونباتات مثل : كلمات : وأشبه شيء به العناب قبل أن تشد حرته : الهامة لابن الأثير : ١٠٠/٥ - مختار الصحاح : مادة : ن ب ق اه

(٢) القلعة : الحب العظيم وجهه قلال وهي معروفة بالحجاز . وفي القاموس المحيط : الحب : الجيرة ، أو الشخصية منها . وحببت الله لك : لأنها لقل : أي ترفع وتحمل وتحجر قرية قريبة من المدينة المنورة ، وليست بمعبر البحرين ، وكانت تعمل بها القلال : النهاية لابن الأثير : ١٠٤/٤ - اه .

بخمسة صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال : يا أمّرت ؟ قلت :
 أمرت بخمسة صلوات كل يوم قال : إن أمّتك لا تستطيع خمس صلوات
 كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة
 فأرجع إلى ربك فسله التخفيف لأمّتك ، قال : سألت ربي حتى استحييت
 ولكن أرضى وأسلم ، قال : فلما جاوزت ناداني مناد : أمّضيت فريضتي
 وخففت عن عبادي .

وذكر الإمام البخاري في كتاب الصلاة حديث الإسراء بسند آخر
 ورواية أخرى وفي كل من الحديثين ما ليس في الآخر ، غير أنّ كلا
 منهما يدل على فرضية الصلاة ليلة الإسراء وأما قبل الإسراء فلم تكن
 الصلوات الخمس مفروضة وإنما كانت عبادته ﷺ قبل ذلك في غار
 حراء بالتفكير في مصنوعات الله وأكرام من يرّ عليه من الضيفان فكان
 يتعبد في الغار الليالي ذوات العدد واختار التعبد فيه دون غيره لأنه
 تجاه الكعبة وهو يحب رؤيتها ثم وجب عليه ﷺ وعلينا قيام الليل ،
 ثم نسخ في حقنا إجماعاً وفي حقه ﷺ : على المعتمد بفرض الصلوات
 الخمس ليلة الإسراء على ما تقدم .

واختلف في أي سنة كان الإسراء بعد اتفاقهم على أنه كان بعد البعثة
 فجزم جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة ونقل ابن حزم الإجماع عليه ،
 وقيل : بخمس سنين ثم اختلفوا في أي الشهور كان : فجزم ابن الأثير
 والنووي في فتاويه : بأنه كان في ربيع الأول ، قال النووي : ليلة سبع

وعشرين ، وقيل : في ربيع الآخر ، وقيل : في رجب ، وجزم به
 النووي في الروضة ، تبعاً للرافعي وقيل : في شوال ، وجزم الحافظ
 عبد الغني القدسي في سيرته بأنه ليلة السابع والعشرين من رجب ،
 ذكره في « رد المحتار على الدر المختار » ،

« مطلب » في أول صغرة ظهرت في الإسلام

وأول صلاة ظهرت في الإسلام : صلاة الظهر ، وفي ذلك إشارة
 إلى أن دينه ﷺ سيظهر على سائر الأديان كظهور هذه الصلاة على سائر
 الصلوات ولا شك أن هذه الصلوات الخمس ثوابها بخمسين صلاة كما يشهد
 له قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)^(١) وقوله ﷺ
 حكاية عن ربه عز وجل هي « خمس وخمسون لا يبدل القول لدي »^(٢)
 قال بعض شراح هذا الحديث هي : خمس بحسب الفعل وخمسون بحسب
 الثواب .

وأجمع علماء المسلمين من الأئمة والمجتهدين على أن الصلاة من الفروض
 البدنية الخاصة التي لا تصح فيها النيابة بنفس ولا بمال .

« مطلب » في مكرم تارك الصغرة

وأجمعوا أيضاً على أن من وجبت عليه من المكلفين ثم تركها

(١) الأنعام / ١٦٠ .

(٢) رواه أحمد إلا أنه دالود .

جاحداً لفرضيتها منكرأ لوجوبها فقد كفر . والمراد بالكلف : المسلم البالغ العاقل سواء كان ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً واختلفوا فيمن تركها بجماعة وتكاسلاً : فذهب إمامنا الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمته الله إلى أن من ترك الصلاة تكاسلاً مع كونه مقراً بفرضيتها فإنه يجب حتى يموت أو يتوب ، وذلك لأن الإنسان يجب لحق العبد فحق الحق أحق ، لا يقال : إن حقه تعالى مبني على المسامحة وحق العبد مبني على المشاحنة فمقتضاه أن لا يجب ترك الصلاة لأنا نقول : لاتسامح في شيء من أركان الإسلام كما نص عليه العلماء الأعلام رَوَّحَ اللهُ أرواحهم في دار السلام .

وروي عن الإمام المحبوبي من أئمتنا الحنفية أنه قال : يضرب ترك الصلاة حتى يسيل منه الدم . وظاهر « الحلية » أن هذا هو المذهب كما قاله في « رد المحتار » .

وذهب الإمامان الهامان : محمد بن إدريس الشافعي رحمته الله القرشي ومالك بن أنس رحمته الله إلى أن من ترك الصلاة كسلاً غير جاحد لوجوبها فإنه يقتل بالسيف حداً لا كفراً ، ثم تجري عليه بعد قتله أحكام المسلمين من الغسل والتكفين والدفن في مقابر المسلمين . والصحيح من مذهب الإمام الشافعي رحمته الله : أنه يقتل بترك صلاة واحدة بشرط أن يخرجها عن وقت الضرورة بلا عذر لكن يستتاب قبل القتل ، فإن تلب فيها وإلا قتل .

واختلفت الروايات في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله في ترك الصلاة بلا عذر ففي رواية : أنه يقتل بالسيف بترك صلاة واحدة لكن حداً لا كفراً ، واختار جمهور أصحابه أن يقتل كفراً^(١) كالمرتد وتجري عليه أحكام المرتدين فلا يصلى عليه ويكون ماله فيئا . وهذه الرواية أشد الروايات وهي ناشئة عن غلبة الغيرة على جناب الحق جل وعلا أن تنتهك^(٢) حرمانه وتهمل عباداته وطاعاته وقد راعى إمامنا أبو حنيفة رحمته الله ما هو معلوم من أن الحق سبحانه وتعالى يحب بقاء العالم دون إتلافه مع غناه المطلق عن جميع المطيعين وكافة العاصين والمذنبين فهو سبحانه وتعالى لا تضره المعصية كما لا تنفعه الطاعة فضرر المعاصي عائد على العاصين كما أن نفع الطاعات راجع للطائعين وفي الحديث القدسي « يا عبادي انكم لن تبخلوا ضري فتضروني ولن تبخلوا نفعي فتنتفعوني »^(٣) . وإمامنا كأكثر الأئمة رضوان الله تعالى عنه وعنه

(١) حكى : أن الإمام أحمد بن حنبل فاطر الإمام الشافعي « رضي الله عنهما » في ترك الصلاة ، فقال له الشافعي : يا أحمد ما تقول إنه يكفر ؟ قال : نعم ، قال : إذا كان كافراً لم يسل ؟ قال : يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قال الشافعي : فما راجل مستمع لهذا القول لم يتركه ، قال : يسل بأن يعطي ، قال : صلاة الكافر لا تصح ولا يحكم بإسلامه بها ، فالتقطع الإمام أحمد رحمه الله ولاه بالسكوت : من كتاب المعبد في أدب الملبد والمستفيد لشيخ : عبد الباسط العمودي المتوفى بدمشق سنة ١٩٨١ هـ . رحمه الله وأسكنه جنة جناته .

(٢) انتهاك الحرمات : تناوفاً بما لا يحل : مختار الصحاح : ٦٨٢ .

(٣) بعض حديث قدسي رواه مسلم وأبو عروبة وابن حبان والحاكم : من أي ذر رضي الله عنه . وأوله : « يقول الله تعالى يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي .. الحديث » .

لا يكفر أحداً بذنب غير الكفر المجمع عليه فمن فعل المساوي، صغيرها
وكبيرها عمداً إلا أنه غير مستحل لها فإنه لا يكفر كما صرح بذلك أكثر
المتكلمين قال في جوهرة التوحيد :

إذا جاز غفران غير الكفر فلا نكفر أحداً بالوزر

وقال الإمام شهاب الدين : أحمد بن رسلان في متن الزهد :
يغفر ما يشاء غير الشرك به خلود النار دون شك

• مطلب • في الأمم الخمس وفي الفرض العيني والنفاي

وحيث ان للصلاة أحكاماً كثيرة من فرضية ووجوب وغيرها فلا
بد من معرفة الفرض والواجب والسنة والمكروه .

فأما الفرض فله تقسيان : الأول : أنه ينقسم الى فرض عين وفرض
كفاية . والفرق بينهما أن فرض الكفاية إذا فعله البعض سقط الطلب
عن الباقيين فهو مقصود حصوله من غير نظر بالذات الى فاعله سواء كان
دينياً كصلاة الجنازة أو دنيوياً كالصنائع المحتاج إليها . وأما فرض العين :
فهو بعكسه فإذا فعله البعض لا تسقط المطالبة عن الباقيين لأنه منظور
بالذات الى فاعله . وفرض العين أفضل من فرض الكفاية لأنه أكثر مشقة
على النفس .

« مطلب » في الفرض القطعي والظني

الثاني : أنه ينقسم إلى قطعي وظني ، والظني في حكم القطعي في العمل ، بحيث يفوت الجواز بفواته .

« مطلب » في بيان الواجب

وأما الواجب فهو : ما تحتم فعله بدليل قطعي الثبوت ظني الدلالة أو بدليل ظني الثبوت قطعي الدلالة . ولا فرق عند الامام الشافعي رحمته الله بين الفرض والواجب في الصلاة ففروضها وواجباتها عنده بمعنى واحد ، وعن هذا توسع فقهاؤنا في التعبير بالواجب عن الفرض فكثيراً ما يقولون يجب كذا ويريدون بالواجب : المفروض . ولما كانت هذه العجالة مشتملة على بعض من الأحكام مع التعرض في كثير منها لمذهب الشافعي وغيره من الأئمة رضي الله تعالى عنهم فكثيراً ما يعبر بصيغة الوجوب عن الفرضية وإنما سوغ هذا الإطلاق كون كل من الفرض والواجب يشاب فاعله ويعاقب تاركه فكل منها يؤمر المكلف بفعله ويمنع من تركه فبينهما مشاركة ومشابهة تامة ، وما الفرق بينهما إلا من جهة الدليل . فان الفرض لا يثبت إلا بما هو قطعي الدلالة والثبوت وأما الواجب فيكتفى فيه بقطعية أحدهما مع ظنية الآخر كما عرفت ، وهذا في الفرض القطعي وأما الفرض العملي فهو بمنزلة الواجب فدليله قطعي الثبوت ظني الدلالة أو ظني الثبوت قطعي الدلالة غير أن الدليل الظني ثبوتاً أو

دلالة قد يقوى عند المجتهد حتى يصير لقوته قريباً من القطعي فإذا صار كذلك حكم بالفرضية العملية .

« مطلب » في بيان السنة

وأما السنة: فهي ما يؤمر بفعله ولا يمنع من تركه. وقد واظب رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده على فعله فإن لم يواظب هو ﷺ ولا خلفاؤه من بعده عليه : فهو : مندوب .

والسنة على قسمين : سنة الهدى ، وتركها يوجب إساءة وكرهية كالجماعة والأذان والاقامة ونحوها. وسنة زوائد وتركها لا يوجب إساءة ولا كراهية وذلك كسبر النبي ﷺ في لباسه وقيامه وقعوده وذهابه وإبابه ونحو ذلك .

« مطلب » في بيان المكروه والحرام

وأما المكروه والحرام : فهما ما يؤمر بتركه وينهى عن فعله ، غير أنه إن ثبت النهي بدليل قطعي الثبوت والدلالة فحرام وإن ثبت بدليل قطعي الثبوت ظني الدلالة أو بالعكس : فمكروه تحريماً . وإن ثبت بدليل ظني الثبوت والدلالة كأخبار الأحاد التي مفهومها ظني ، فمكروه تنزيهاً إلى الحلال أقرب ، والمعروف في كتب مذهبنا الحنفي أنه إذا أطلق المكروه فالمراد به : المكروه تحريماً غالباً ومن أرادوا كراهة التنزيه قيدوها به على الغالب ، وفي كتب المذهب الشافعي إذا أطلقت الكراهة انصرفت للتنزيه وإذا أرادوا التحريمية قيدوها بما يقيد ذلك .

(مطلب) في سر العورة

وأجمعوا على أنه يجب سر العورة في الصلاة وغيرها وأنه يشترط ذلك في صحة الصلاة وتكلموا في بيان العورة فقال الامامان أبو حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما : عورة الرجل ما بين سترته وركبته ، وروي عن مالك وأحمد رضي الله تعالى عنهما . أنها القُبُل والدُبُر خاصة . واختلفوا في الحرة فقال أبو حنيفة : إنها كلها عورة إلا وجهها وكفها لقوله ﷺ : « بدن الحرة كلها عورة إلا وجهها وكفها »^(١) وروى الحسن عن الإمام استثناء قدميا وهذه الرواية هي المختارة في الصلاة لا خارجها وقال مالك والشافعي وأحمد في إحدى روايتيه : بالموافقة لأبي حنيفة رحمهم الله إلا فيما رواه الحسن عنه فعندهم بدن الحرة كله عورة إلا الوجه والكفين وروى عن الإمام أحمد : أنها كلها عورة إلا وجهها فقط وأما الأئمة فمذهبنا معشر الحنفية : أن عورتها كعورة الرجل لا تزيد عنه إلا الظهر والبطن فعندنا ظهرها وبطنها وما بين سترتها وركبتها عورة وعند الأئمة الثلاثة الشافعي ومالك وأحمد في رواية : عورتها في الصلاة ما بين السرة والركبة وروى عن أحمد أنها القُبُل

(١) ذكره صاحب الهداية بلفظ « المرأة عورة مستورة » وصاحب الاستبصار بلفظ : « الحرة عورة مستورة » كلاهما من خبر لم يبلغ له . ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام : لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار » رواه الترمذي في المعجم . والحائض : من بلغت سن الحيض لامن هي ملابس للحيض فإياها تنوعه من الصلاة كما هو ظاهر : قيل الأوطار فتشركاني : ٢٠٠ - وشواهد كثيرة : انظرها في مظانها .

والدبر فقط ، وروي عن بعض السادات الشافعية رضي الله تعالى عنهم : أن بدن الأمة كله عورة إلا مواضع التقليل وهي الرأس والساق والساعدان .

وإذا لم يجد المصلي ثوباً يستر به العورة فهل يصلي قائماً أو قاعداً ؟ ذهب أبو حنيفة رحمته الله إلى أنه غير فان شاء صلى قائماً وإن شاء صلى قاعداً لكن صلاته قاعداً بالإيماء أفضل من صلاته بالركوع والسجود لأن الستر وجب لحق الصلاة ولحق الناس ، والركوع والسجود لم يجب إلا لحق الصلاة وقال الشافعي ومالك رضي الله تعالى عنهما : إذا لم يجد المصلي ثوباً لزمه أن يصلي قائماً ويركع ويسجد وصلاته صحيحة وقال أحمد : يصلي قائماً لكنه يؤمى بالركوع والسجود .

ولا يخفى ما في كشف العورة من الوعيد الشديد فعلى الإنسان أن يحفظ نفسه من كشف العورة ولو في الخلوة فانهم نصوا على : أنه يجب ستر العورة في الصلاة وخارجها إذا كان بحضرة الناس إجماعاً كما أنهم أجمعوا على : أن من صلى في الخلوة عرياناً ولو في بيت مظلم وله ثوب طاهر لا تجوز صلاته .

وأما ستر العورة في الخلوة في غير الصلاة فهو واجب على الصحيح حياء من الله تعالى لأنه تعالى أحق أن يستحيا منه وهو سبحانه وتعالى وإن كان يرى المستور كما يرى المكشوف لكنه يرى المكشوف ثركاً للادب ، والمستور متأدباً فالحاصل : أنه يجب الستر دائماً إلا لغرض

صحيح كقضاء حاجة واستنجاء ، وحكى في «القنية» روايات في تجرده للاغتسال منفرداً منها : أنه يكره . ومنها : أنه يعذر إن شاء الله ومنها : أنه لا بأس به . ومنها : أنه يجوز في المدة اليسيرة ، ومنها : أنه يجوز في بيت الحمام الصغير .

ويشترط لصحة الصلاة : طهارة البدن من الحدث والحبث والمراد بالبدن : الجسد ، فيشمل الأطراف وإنما اشترط ذلك لقوله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم »^(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير وهو حديث حسن ، والطهور بضم الطاء فيما قبله بعضهم ويجوز الفتح ، لأن الفعل إنما يتأتى بالآلة . قال ابن العربي : هذا مجاز ما يفتحها من غلقها وذلك : أن الحدث مانع من الصلاة فهو كالقفل يوضع على المحدث ، حتى إذا توضع النحل القفل وهذه استعارة بديعة لا يقدر عليها إلا صاحب الثبوة ﷺ .

ولا يخفى أن الطهارة من الحدث تشمل الطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء والطهارة من الحدث الأكبر بالغسل فلتتكلم على كل منها بطرف يسير فنقول :

(مطلب) في الوضوء

الوضوء فرض للصلاة ، وواجب للطواف ، قيل : وليس المصحف

(١) رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود والترمذي وابن ماجه : عن علي رضي الله عنه .

وسنة للنوم ومندوب في مواضع كثيرة ، فمنها : عند كل حدث ، لما روى عنه عليه السلام فيما يرويه عن ربه عز وجل من قوله : « من أحدث ولم يتوضأ فقد جفائي » ، ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفائي ، ومن أحدث وتوضأ وصلى ولم يدعني فقد جفائي ، ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعاني ولم أستجب له فقد جفوته ، ولست برب جاف ، وفي طبقات ابن السبكي رحمه الله تعالى أوحى الله الى موسى « يا موسى توضأ فان أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك » ومنها : بعد القهقهة لأنها لما كانت في الصلاة تنقض الوضوء أوجب تقصان الطهارة خارجها فكان الوضوء منها مستحباً كما ذكره سيدي « عبد الغني التابلسي »^(١) في « نهاية المراد على هدية ابن العباد » ومنها : بعد الكذب والغيبة لأنها من النجاسات المعنوية ولذا يخرج من الكاذب تن تباعد منه الملك الحافظ كما ورد في الحديث^(٢) وكذا أخبر عليه السلام « عن ريح منثنة تأتيها ريح الذين يفتابون الناس »^(٣) . ومنها : بعد

(١) عبد الغني التابلسي : عبد الغني بن احماد بن عبد الغني التابلسي : شاعر ، عالم بالدين والأدب ، مكث من التصنيف ، متصوف : ولد في دمشق سنة ٤٦٠ هـ ورحل الى بغداد وعاد الى سورية واستقر بدمشق الى ان توفي وكانت وفاته « رحمه الله » سنة ٥١٤ هـ وله نحو مائة مصنف : ملك الدرر : ٣٠ / ٣ - ٥١ .

(٢) قال عليه الصلاة والسلام « اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من شئ ما جاء به » . رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية : عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وآله فارتفعت ريح منثنة فقال : ألدرون ما هذه الريح ؟ ريح الذين يفتابون المؤمنين » . رواه الامام أحمد وابن أبي الدنيا ورواة أحمد ثقات .

خطيئة لما ورد في الأحاديث^(١) النبوية من أن الوضوء كفارة للذنوب ومنها: عند كل وقت من أوقات الصلاة ومنها: عند غسل الجنابة ومنها: عند دراسة العلم ورواية الحديث ومنها: عند قراءة القرآن وعند الأقامة والأذان وعند زيارة قبر رسول الله ﷺ وعند الوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة ومنها عند مس الكتب الشرعية تعظيماً لها إلى غير ذلك من المواضع المعروفة المقررة في محلها .

والدليل على مشروعية الوضوء ثلاثة : الكتاب والسنة والإجماع .
أما الكتاب : فقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)^(٢) وأما السنة : فما رواه البخاري : عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ » . وأما الإجماع : فقد أجمعت الأمة على مشروعيته .

« مطلب » في أركان الوضوء

وأركان الوضوء أربعة :

الأول : غسل الوجه مرة ، أي : إسالة الماء عليه من التقاطر قيل : ولو قطرة ، وهو أعني الوجه : من مبدء سطح جهة المتوضئ إلى

(١) منها ما رواه مسلم والنسائي وابن حبان : عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ يتوضأ فيحسن الوضوء إلا طهر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يعطيا » وإسناده على شرط الشيخين .

(٢) المائدة / ٦ .

أسفل ذقنه . والمراد بالذقن : العظم الذي تثبت عليه الأسنان السفلى ،
 هنا حده طولاً وأما حده عرضاً : فما بين شحمتي الأذنين ، فيجب غسل
 المياقي وهي جمع موق وهو طرف العين المتصل بالأنف . وكذلك يجب
 غسل ما يظهر من الشفتين عند انضمامهما ، أما غسل باطن العينين
 والأنف والفم وأصول شعر الحاجبين واللحية والشارب فلا يجب لما
 فيه من الحرج وهو مدفوع بالنص قال تعالى : (وما جعل عليكم في الدين
 من حرج) .

الثاني : غسل اليدين إلى المرفقين مرة بإدخال الغاية في المغيا فيجب
 غسل المرفقين عند الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم . وروي عن زفر
 من أئمتنا أنه لا يجب غسلهما وهو قول الإمام « داود » ورواية عن
 الإمام مالك رضي الله تعالى عنهم . والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء ،
 ويصح فيه العكس : اسم للثقب العظيم عظم العضد وعظم الذراع .

الثالث : مسح ربيع الرأس مرة وهذا أشهر الروايات في مذهبنا
 وقيل : مقدار الناصية واختاره العلامة القدوري وقيل : مقدار ثلاثة
 أصابع وهذه رواية هشام عن الإمام . والحاصل : أن المعتمد عند أئمتنا
 الحنفية : رواية الربيع ، وعليها متنى المتأخرون « كابن الهمام وابن الأمير
 حاج وصاحب البحر وصاحب النهر والمقدسي والشرنبلالي
 والتمرتاشي » وغيرهم . وقال الإمام الشافعي رحمته الله يكفي مسح ما يطلق
 عليه اسم المسح حتى لو مسح شعرة واحدة أو بعض شعرة كفى كما ذكره

العلامة الباجوري في حاشيته على ابن قاسم . ونص هناك على أنه لو مسح شعر رأسه ثم حلقه لم تجب إعادة المسح . وذهب الامام مالك وأحمد في أشهر روايتيه : إلى أنه لا بد من مسح جميع الرأس .

الرابع : غسل الرجلين الباديتين مرة إلى الكعبين بإدخال الغاية في المنغيا أيضاً . فـ « إلى » في الموضعين مؤدية لمعنى « مع » فكما يجب غسل اليدين مع المرفقين كذلك يجب غسل الرجلين مع الكعبين : والكعبان هما : العظمان التاشزان من جانبي القدم ، أي : المرتفعان كـ « كذا في المغرب » وصححه في « الهداية » وغيرها وما قلناه من دخول الكعبين هو المذهب وروى عن زفر : عدم دخولهما في الغسل . وقيدنا بالباديتين لأن المستورتين بالحفين لا يجب غسلهما في الوضوء وإنما يجب المسح على الحفين فقط .

« مطلب » في المسح على الخفين

والمسح المذكور ثبتت مشروعيته بالسنة قولاً وفعلًا وروى ابن المنذر عن « الحسن البصري » رحمه الله تعالى . أنه قال : « حدثني سبعون من الصحابة : أن النبي ﷺ مسح على الخفين »^(١) ومن ثم قال بعضهم : أخشى أن يكون إنكاره كفرًا . وهو من خصائص هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفاً ويدل على عدم مشروعيته لليلة الموسوية قوله ﷺ : « صلوا في خفافكم فإن اليهود لا يصلون في خفافهم »^(٢)

(١) أخرجه عنه ابن أبي شيبة .

(٢) رواه الطبراني .

وهو رخصة ويرفع الحدث رفعاً مقيناً بمدة وهي : يوم وليلة للمقيم ، وثلاثة أيام لبلالها للمسافر ، وابتداء المدة من وقت الحدث عند الجميع ، إلا ما حكى عن الإمام أحمد ومال إليه الثنوي وابن المنذر من أن ابتداء المدة من وقت المسح وتقدير المسح بمدة هو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهم . وذهب الإمام مالك : إلى أنه لا تقدير بمدة فله أن يسح ماشاء ما لم ينزع الحنف . والسنة عندنا : أن يخطه خطوطاً وذلك بأن يضع أصابع يده اليمنى على مقدم خفه الأيمن وأصابع يده اليسرى على مقدم خفه الأيسر من قبيل الأصابع فإذا تمكنت الأصابع بعدها حتى ينتهي إلى أصل الساق فوق الكعبين وإن وضع الكف مع الأصابع كان أحسن . هكذا روي عن « محمد » كذا في « البحر » وإنما قلنا : والسنة أن يخطه - لأن إظهار الخطوط ليس بشرط في ظاهر الرواية بل هو شرط السنة في المسح . وفرضه : مسح قدر ثلاث أصابع اليد أصغرها طولاً وعرضاً من كل رجل فلو مسح على أحد الحفين قدر أصبعين ومسح على الآخر ولو قدر خمس أصابع لم يكف ، واكتفى الإمام الشافعي رحمته الله بما يطلق عليه اسم المسح ، حتى لو وضع يده المبتلة على الحنف ولم يمرها أو قطر عليه أجزاءه .

« مطلب » في شروط المسح

ويشترط لصحة المسح أمور أربعة :
 الأول : أن يلبسها على طهارة . والثاني : أن يكونا ساترين للقدمين

مع الكعبيين . والثالث : أن يكونا مشغولين بالرجل فلو كانا واسعين
فمسح على الزائد الذي هو غير مشغول بالقدمين فإنه لا يدح . والرابع
كونه مما يمكن متابعة المشي فيه فرسخاً أو أكثر .

« مطلب » في بطلان المسح على الخفين

ويبطله : ما يبطل الوضوء لأنه بعض منه ، وما يبطل الكل يبطل
البعض ويبطله أيضاً : نزع الخفين أو أحدهما ، ومضي المدة إن لم يخف
ذهاب رجليه من البرد ، وإذا بطل المسح وكان الوضوء باقياً فإن المتوضىء
يتزعمها ويفسل رجليه لا غير وأحكام المسح على الخفين كثيرة مبسوطة
في كتب الفقه في باب مخصوص على حدة . وحاصل ما ذكره هنا : أنه
إذا صحح المسح واستوفى شروطه الشرعية فإنه يكون قائماً مقام الفرض .
الرابع من فروض الوضوء : هو غسل الرجلين كما سلف . وزاد الإمام
الشافعي رحمته الله ركنين آخرين للوضوء - أحدهما : النية ، فإنه قال
لابد للوضوء كغيره من العبادات من النية حتى لو توضأ بلا نية لم يجزه ،
ودليله : قوله رحمته الله « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١)
ووافق على ذلك كثير من الأئمة المجتهدين ، وقال إمامنا أبو حنيفة رحمته الله
بعدم وجوبها ودليله : أن فروع الإسلام كلها قد اندرجت تحت نية
الإسلام ، فحتى اختار الإنسان دين الإسلام وثوى الدخول فيه فقد ثوى

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

جميع ما اندرج فيه من العبادات والطاعات ، وهذا قول ابن عباس وأبي سليمان الداراني رضي الله عنهما فإن قلت : فإذا عجز الرجل عن استعمال الماء لبعده ميلاً أو لمرض يخاف زيادته أو ببطء برئه أو لخوف عدو أو سب أو عطش أو غير ذلك من الأعذار المشروعة وأراد أن يتيمم أخذاً بقوله تعالى : (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) ^(١) فكان مقتضاه : أن لا يحتاج إلى نية التيمم إذ التيمم أيضاً فرع من فروع الاسلام ، فهو داخل في نيته فما الحكمة في وجوب نية التيمم دون الوضوء ؟ أجيب بأن الحكمة في ذلك كون التراب دون الماء في التطهير لأن الماء موصوف بالتطهير بنص الكتاب فهو مطهر سواء قصد به التطهير أم لا ، وأما التراب فيتوقف جعله طهوراً على إرادة قرينة مقصودة كما يؤخذ من شرح « شيخي زاده » على الملتقى وأيضاً فإن التراب ضعيف الروحانية فلا يكاد ينعش البدن من الضعف الذي حصل فيه من المعاصي أو الغفلات بخلاف الماء فلذلك احتاج التيمم للنية ولم يحتاج الوضوء إليها كما ذكره العالم الرباني الشيخ « عبد الوهاب الشعراني » قدس الله سره . الثاني من الركعتين اللذين قال بهما الامام الشافعي رحمته الله الترتيب . وهو قول الامام أحمد ومالك في إحدى روايتيه ووجه قولهم : أن الشارع ﷺ كان يتوضأ على الترتيب المذكور في الآية القرآنية ولم يرد عنه ما يشعر بجواز ترك الترتيب لاقولاً ولا فعلاً ولا تقريراً فيخشى على من ترك الترتيب وقدم ما أخره الشارع وآخر

ما قدمه أن يكون داخلاً تحت قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »^(١) وقال إمامنا الأعظم رحمته الله : بعدم وجوب الترتيب ، مستدلاً : بأن المقصود تطهير هذه الأعضاء وهو يحصل بغسل المغسول ومسح الممسوح تقدم أو تأخر ، وروى عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه أنه قال : « لأبالي بأي أعضاء الوضوء بدأت ، وهذا مؤيد لمذهبنا ولكل وجهة زاد الإمام مالك ركناً آخر للوضوء وهو : الموالاة . وهو قول الإمام أحمد رضي الله تعالى عنهما في أشهر الروايتين ، وفي رواية أخرى عنه لا تجب الموالاة وهو قول أبي حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما .

« مطلب » في سنن الوضوء

وسننه : الهداء بالنية^(٢) . ومحليها : القلب ، فلا يكفي التلطف بها من غير استحضارها في القلب إلا أن لا يقدر أن يحضر قلبه . وهل يستحب التلطف بها أو يسن ؟ اختار في « الهداية » : الأول ، والتسمية قولاً وتحصل بكل ذكر فلو كبر أو هلل أو حمد كان مقيماً للسنة لكن

(١) رواه البخاري ومسلم وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها بلفظ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وأبو حنيفة بلفظ : « من صنع أمراً على غير أمرنا فهو رد » . وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

(٢) النية : بالتشديد وقد انفرد . وهي لغة : عزم القلب على الشيء . واصطلاحاً كما في التلويح : قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إتمام الفعل : رد اختار على الصريح المختار : العلامة : ابن عابدين : ٢٨/١ - ٢٩ .

المروي عن رسول الله ﷺ « بسم الله والحمد لله »^(١) رواه الطبراني
 بإسناد حسن وفي رواية : « بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام »
 وقيل : الأفضل أن يتعوذ ثم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . والبداة
 بغسل اليدين إلى الرسغين . وهما : مفصل الكف بين الكوع والكرسوع
 وأما البوع فهو : العظم الذي يلي إبهام الرجل . وقد جمع بعضهم معنى
 الكوع والكرسوع والرسغ والبوع نظماً فقال :

وعظم يلي الإبهام كوع وما يلي

لختصره الكرسوع والرسغ في الوسط

وعظم يلي إبهام رجل ملقب

ببوع فخذ بالعلم واحذر من الغلط

ومحل كون غسل اليدين سنة : إذا كانتا طاهرتين أما غسل النجستين
 فواجب كما في « البحر » .

والسواك : وهو سنة مؤكدة للوضوء . وعند الامام الشافعي : له
 وللصلاة أيضاً ويستحب عندنا على ما في « الفتح » في خمسة مواضع :
 اصفرار الأسنان . وتغير الرائحة . والقيام من النوم والقيام إلى الصلاة
 وعند الوضوء . وأقله : ثلاث في الأعالي وثلاث في الأسافل وينبغي أن
 يستاك في مياه ثلاثة وأن يمسك السواك بيمينه . ومن منافعه : أنه شفاء
 لما دون الموت ونقل عن حاشية صحيح البخاري للفارسي أن من منافعه .

(١) رواه الطبراني في المعجم : عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن .

أنه ييطىء بالشيب ويحد البصر ويسرع في المشي على الصراط ، وفي شرح النية وغيره : أنه مطهرة للنفوس ومرضاة للرب ومفرحة للملائكة وبجلاء للبصر ومذهبة للبخر والحفر وجلاء للأسنان يشد اللثة ويبيض الطعام^(١) ويضاعف الصلاة ويطهر طريق القرآن ويسخط الشيطان ويسكن عروق الرأس ووجع الأسنان ، ويطيب النكهة ويقوي المعدة ويزيد في الفصاحة ويسهل خروج الروح ، قال بعضهم : ويذكر الشهادة عند الموت^(٢) .

وغسل القدم والأنف بمياه^(٣) وهما ستان مؤكدتان وينبغي المبالغة فيما لغير صائم ، أما الصائم فلا يبالغ كيلا يفسد صومه وسر تقديمهما إكمال اعتبار أوصاف الماء الثلاثة : وهي : اللون والطعم والرائحة . فاللون يعرف بالبصر والطعم بالقدم والرائحة بالأنف ولو أخذ ماء فتمضمض ببعضه واستنشق بباقيه أجزأه وعكسه لا يجزئ وهل يدخل أصبعه في فمه وأنفه ؟ الأولى : نعم ، كما في « الدر » عن القهستاني .

وتخليل اللحية لغير المحرم أما تخليلها للمحرم : فمكروه كما في « التبر » وقد جعله الامام « أبو يوسف » من السنن وعده الامامات أبو حنيفة ومحمد : فضيلة . قال في « الحلية » : والظاهر : أن هذا كله في

(١) زاد في رد المحتار : ويقطع البلغم ويزيد في الحسنات ويقطع المرة .

(٢) قال في التبر : ومنافعه وصلت إلى ثلث وثلاثين منفعة ، أدناها إطالة الأذى وأعلوها : تلاكير الشهادة عند الموت .

(٣) إذا قال : بمياه ، ولم يقل : ثلاثاً - ليدل على أن السنن الثلاث بياض جديدة

أعادها في « التبع » : رد المحتار : ٨٦/١ - ٨١ .

الكثرة ، أما الخفيفة فيجب إيصال الماء إلى ماتحتها وجزم بذلك
 « الثربلالي » في منته ، ودليل مشروعيته : ما رواه أبو داود : عن
 أنس « كان ﷺ إذا توضأ أخذ كفاً من ماء تحت حنكته فخلل به
 لحيته وقال : بهذا أمرني ربي » ذكره في البحر وغيره .

وتخليل أصابع اليدين والرجلين ، وهو سنة مؤكدة اتفاقاً كما في
 « السراج الوهاب » روي عن الدارقطني والبيهقي بإسناد جيد صحيح
 عن : عثمان رضي الله عنه « أنه توضأ فخلل بين أصابع قدميه ثلاثاً وقال
 رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت » وتثليث الغسل المستوعب
 ولا عبرة بالفرقات ^(١) ولو اكتفى بمرّة إن اعتاده أئمّة على ما في « الخلاصة »
 روي أنه توضأ ﷺ مرّة مرة وقال : هذا الوضوء الذي لا يقبل الله
 الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال هذا وضوء من يضاعف له
 الأجر مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من
 قبلي فمن زاد على هذا أو نقص فقد تعدى وظلم ^(٢) ومن سنه أيضاً :
 مسح كل رأسه مرة وأذنيه بمائه ، والترتيب ^(٣) ، والولاء ، والمراد
 بالولاء : غسل المتأخر أو مسحه قبل جفاف الأول .

(١) قوله : ولا عبرة بالفرقات ، أي غير المستوعبة ، قال في البحر : والسنة
 تكرار الفسلات المستوعبات لا الفرقات - ١٠٠ -

(٢) أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم ، مع اختلاف
 يسير في لفظه : من جمع من الصحابة . انظر باب الوضوء مرة ومرتين في تيسر
 الأوطار للشوكاني : ١/٢١٣ - أو في عبره من المطايع .

(٣) وهو عند الشافعي رحمه الله : فرض .

« مطلب » في آداب^(١) الوضوء

وينبغي للمتوضي أن يطيل غرته وفي البخاري^(٢) عن أبي هريرة أنه قال « سمعت النبي ﷺ يقول إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » . وقد نص في « الدر المختار » على أن من آداب الوضوء : إطالة الغرة والتحجيل وفي « البحر » إطالة الغرة يكون بالزيادة على الحد المحدود وفي « الحلية » والتحجيل يكون في اليدين والرجلين وهل له حد ؟ لم أقف فيه على شيء لأصحابنا . ونقل النووي : اختلاف الشافعية فيه على ثلاثة أقوال : الأول : أنه يستحب الزيادة فوق المرفقين والكعبين بلا توقيت ، الثاني : إلى نصف العضد والساق ، الثالث : إلى الكتف والركبتين . قال : والأحاديث تقتضي ذلك كله . انتهى ، ونقل الطحاوي : القول الثاني عن شرح الشريعة مقتصرأ عليه . وينبغي للمتوضي أن يبالغ في إيصال الماء لأعضاء الوضوء ويحترز من التقصير في غسل الأعضاء ففي البخاري « سمعت أبا هريرة رضي الله عنه وكان يمر بنا والناس يتوضؤون ، فقال « اسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم رضي الله عنه قال : ويل للأعقاب من النار » . ويستحب : التيامن . لما في الكتب الستة من أنه :

(١) أرواحها في الدر المنثور إلى : زيد وسبعين . « انظرهما إن شئت في رد المحتار ٩٢/١ - مثلاً ومثلاً وحاشية » ١٠ . والتب : ما زاد على العدد إلى أن يبلغ العقد الثالث الداموس المحيط في باب .

(٢) كما رواه مسلم أيضاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ﷺ « كان يحب التيامن في كل شيء حتى في طهوره وتعلمه وترجله وشأنه كله » ، ويستحب أيضاً : مسح الرقبة . وقيل : انه سنة كما في البحر وغيره . ومن الآداب : استقبال القبلة ، وذلك الأعضاء وادخال الخنصر صماخ الأذنين ، وتقديمه على الوقت لغير المعذور ، وتحريك الخاتم الواسع أما الذي يمنع وصول الماء إلى ما تحته فيجب ترعسه أو تحريكه . ومن الآداب أيضاً : التسمية . عند كل عضو والدعاء بالوارد عنه عليه السلام . وترك الاسراف والتقتير . وأن يكون المتوضي في مكان طاهر . والشهد عند كل عضو . والصلاة والسلام على النبي ﷺ بعده وأن يقول : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

« مطلب » في مكروهات^(١) الوضوء

ومكروهه : لطم الوجه بالماء والاسراف فيه .

(١) المكروه في اللغة : ضد المحبوب . وهو في لسان علماء الشريعة يطلق على ما كان تركه أول من فعله . ويقال له حيثئذ : المكروه تنزيهاً ، كما يقال له : خلاف الأول ، ويطلق أيضاً على ما كان أقرب إلى الحرام ، كأن ثبت حرمة دليله ظني ، ويقال له حيثئذ : المكروه لغرياً ، والامام محمد بن الحسن رضي الله عنه يسمي هذا النوع : الحرام الظني ، ويريد المؤلف « رحمه الله » بالمكروه هنا : ما يشمل النوعين تبعاً لورود الدليل فيه فان كان غيباً ظنياً يحكم بكراهة التحريم إلا لصارف وإن لم يكن الدليل غيباً بل كان مفيداً للترك غير الجازم فهي لغزبية ، رد المحتار ١/٩٦ - الباب شرح الكتاب (ط) : ١/٩٦ قلت : وأوصلها صاحب رد المحتار إلى « سبعة » اكتفى المؤلف « رحمه الله » منها بأثنين =

« مطلب » في نوافض الوضوء

وينتقضه أشياء منها : خروج نجس من المتوضيء إلى ما يلحقه حكم التطهير سواء كان من السيلين أو غيرها . وقد وافق الإمام الشافعي رحمته الله في مسألة النقض فيما خرج من السيلين إلا في المنى الخارج باحتلام من متوضيء ممكن مقعده من الأرض فعنده لا ينتقض الوضوء بخروجه لأنه ما أوجب أعظم الأمرين بخصوصه لم يوجب أداهما بعمومه ولم يقل بالنقض مما خرج من سواهما كالدَّم ونحوه .

ومنها : نومه الذي يزيل مسكته ^١ وذلك كنوم المتكئ أو المضطجع فإنه ينتقض الوضوء أما لو لم يزل مسكته من الأرض بأن كان النائم متمكناً عليها فلا يبطل وضوءه .

ومنها : زوال العقل بسكر أو مرض أو جنون أو إغماء فإنه ينتقض الوضوء عند « أبي حنيفة » و « الشافعي » رضي الله تعالى عنهما ومنها :

« وتندبنا للتعبير في الله بحيث لا يبشر لعاطف الله على الأعضاء ، ولثلبت مسح الرأس بما جديد . أما ثلث ، جاء واحد فتدوب ، وأن يتوضأ الرجل بما فضل من طهور امرأة ، وأن يتوضأ في المسجد إلا أن يكون في إله أو في مكان من المسجد أحد للوضوء ، وأن يلقى غمامت أو غاطف في الماء الذي يتوضأ منه .

(١) ورد في ذلك أحاديث ، اختارها منها : ما رواه البيهقي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يجب الوضوء على مسن ثم جالساً أو قائماً أو ساجداً حتى يضع جنبه » فإنه إذا اضطجع استرخت مفاصله . وما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه « كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يعنثون ولا يتوضؤون » .

قهية^(١) بالغ يقظان يصلي بطهارة صغرى صلاة كاملة فانها تنقض
الوضوء عند الامام أبي حنيفة عليه السلام وأما عند الشافعي عليه السلام
فانها لا تنقض الوضوء لكن يستحب عنده الوضوء مراعاة لقول امامنا
الاعظم .

ومنها : مباشرة فاحشة . وذلك بقاس الفرجين فانها توجب
الوضوء على الجانبين سواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكراً وأنثى ، أما
لمس الذكر بباطن الكف فانه لا ينقض الوضوء لما ورد . أنه سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن الرجل يمس ذكره بعدما يتوضأ فقال صلى الله عليه وسلم للسائل : « هل
هو إلا بضعة منك » أخرجه الطحاوي وأصحاب السنن إلا ابن ماجة
وصححه ابن حبان وقال الترمذي : إنه أحسن شيء يروى في هذا
الباب وأصح . وقال الامام الشافعي عليه السلام بالنقض ووافقه الامام أحمد ،
وفصل الامام مالك فقال : ان مس بشهوة نقض وإلا فلا . وقد استدل
الامام الشافعي على النقص بخبر « من مس فرجه فليتوضأ »^(٢) وفي
رواية « من مس ذكره فليتوضأ »^(٣) وحمل امامنا هذين الحديثين على
أن المراد من الوضوء المذكور فيها : غسل اليد . ويشهد له . ما أخرجه

(١) الدليل على انتفاص الوضوء بالقبلة في الصلاة : ما رواه أبو سعيد الخدري
قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة إذ أقبل أعمى يريه الصلاة ، فوقع في
زنبه (أي : حفرة) فاستضحك القوم فقهقوا ، فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال :
« من كان متحكماً فليعد الوضوء والصلاة » . الباب ١ / ٢٠ - ١٩ .

(٢) رواه ابن ماجة : عن أم حبيبة وآل أيوب .

(٣) وفي رواية : من مس ذكره فليتوضأ . صححه الامام أحمد والترمذي وغيرهما
وقال الحاكم : هو على شرط الشيخين . وقال البخاري : إنه أصح شيء في الباب .

الطحاوي عن مصعب بن مسعد قال : « كنت أخذاً على أبي المصنف
 فاحتككت فاصبت فرجتي فقال : أصبت فرجك ؟ فقلت : نعم ،
 فقال : ثم فاغسل يدك ، ومفاده : استحباب غسل اليد مطلقاً كما هو
 مفاد إطلاق « المبسوط » خلافاً لما استفاده في « البحر » من عبارة
 « البدائع » من تقييده بما إذا كان مستنجياً في الحجر كما أوضحه في
 « النهر » : وكذلك لا ينتقض الوضوء بمس امرأة وأمرء لكن يندب
 الوضوء مراعاة لمن قال : بالنقض : فإن مذهب الامام الشافعي ، أن لمس
 المرأة التي تجلب الشهوة وإن لم تكن بالغة من غير حائل ينتقض الوضوء
 إلا أن تكون المرأة من محارمه ، وقال الامامان مالك وأحمد : إن كان
 ذلك بشهوة نقض ، وإلا لا . ولنا : ما روي عن عائشة رضي الله تعالى
 عنها : أن رسول الله ﷺ كان يقبل بعض نسائه ثم يقوم إلى الصلاة
 ولا يحدث وضوءاً^(١) وأما لمس الأمرء : فقد قال الامام مالك ، بأنه
 يوجب الوضوء . وحكي ذلك عن الامام أحمد أيضاً ولنا : أنه لو كان
 ذلك ناقضاً لورد لنا حكمه ولو في حديث واحد .

(١) أخرجه أحمد وشمسه البخاري . وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي
 وابن ماجه ، وقال النسائي : ليس في هذا الباب أحسن منه ولكنه مرسل . وقال الحافظ
 ابن حجر : روي عن عشرة أوجه عن عائشة رضي الله عنها ، أوردتها البيهقي في الخلافات
 وضعفها .

« فائدة » من القواعد المقررة التي ينبني عليها كثير من الأحكام الشرعية استصحاب الأصل ، وطرح الشك ، وإبقاء ما كان على ما كانت ، فلو تيقن الطهارة وشك أنه هل أحدث بعدها أم لا ؟ فهو متطهر ، ولو تيقن الحدث وشك هل تطهر بعده أم لا ؟ فهو محدث ، وهذا مذهب الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم إلا في رواية لمالك قال فيها : إنه يبنى على الحدث ويتطهر . وهذا آخر كلامنا في الحدث الأصغر الذي يوجب الوضوء .

« مطلب » في الغسل

وأما الغسل : ففرضه غسل كل فيه وأنفه وباقى بدنه فلا بد من إسالة الماء على جميع ما يمكنه إسالته عليه من البدن من غير حرج سواء كانت الغسل فرضاً أو واجباً أو مستحجاً أو مسنوناً أو مستحباً . وأما الدلك : فهو من مستحبات الغسل لا من شروطه خلافاً للإمام « مالك » فإنه قال : يوجب امرار اليد على البدن في غسل الجنابة . وهو رواية عن أبي يوسف « رحمه الله تعالى » كذا في « الفتح » ولا بد من غسل كل ما يمكن غسله بلا حرج كالأذن والسرة والشارب والحاجب واللحية وشعر الرأس ولو كان متلبداً لما في قوله تعالى ، (فاطهروا) من المبالغة . أما ما في غسله حرج كالعين وأن كحلت بكحل نجس ، وكثقب انضم

وكذا داخل قلفة^(١) فلا يجب ، نعم إن أمكن فتح القلفة بلا مشقة فإنه يجب كما في « الدر » عن السعودي وذهب الشافعي الى وجوب غسل ماتحتها لأنه ظاهر حكماً وإن لم يكن ظاهراً حاشاً لأنها مستحقة الإزالة فلو لم يمكن غسل ماتحتها إلا بإزالتها وجبت إزالتها فإن تعذرت صلى كفاقد الطهورين . وهذا مذهبه رحمته الله في الحي ،

وأما الميت : فإذا لم يمكن غسل ماتحتها لا تزال ويدفن بلا صلاة على المعتمد عند « الرمي » وقال « ابن حجر » : يعم عما تحتها ويصلى عليه للضرورة ولا بأس بذلك سترأ على الميت . ذكره الباجوري .

وليس على المرأة أن تنقص ضفاتها في الغسل إذا بلغ الماء أصول الشعر ، وليس عليها بل ذوائبها كما في « الهداية » ولو كان شعر المرأة منقوصاً يجب : إيصال الماء إلى أثنائه كما يجب على الرجل إيصال الماء إلى أثناء لحيته وأصولها وإلى أثناء شعره وإن كان صغيراً . وعن أبي هريرة كان رسول الله ﷺ يقول : « إن تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأنقوا البشّر »^(٢) وإذا أدهن فامرء الماء فلم يصل ؟

(١) القلفة والشفة : بالفاء والسين : الجدة التي يقطعا الخاقن من ذكر الصبي . ويبرز فيها فتحة الغلاف وضباب زاد الأصمعي : فتحة الغلاف واللام : النهاية لابن الأثير ١/١٠٣ وانظر : رد المحتار ١/١١٢ - ١١١ .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وضعفاء . وقال الشافعي : هذا الحديث ليس ثابتاً وقال البيهقي : أنكره أهل العلم بالحديث : البخاري وأبو داود وغيرهما . ولكن في الباب من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً : « من ترك موضع شعرة من جنابة لم يغسلها فعل به كذا وكذا من النار » قال علي : فن ثم عادت رأسي فن ثم عادت رأسي ثلاثاً وكان يبرء . قال الحافظ ابن حجر : واستاده صحيح : سبل السلام ١١٠ - ٩٢ وغيره . ١٠١ .

قال في « شرح الوقاية » يجرؤه ذلك والدرن اليابس في الأنف يمنع تمام الغسل كذا في « الزاهدي » والمعجّن في الظفر يمنع تمام الإغتسال والوسخ والدرن لا يمنع . والمذني والقروي سواء ، والتراب والطين في الظفر لا يمنع .

« مطلب » في سنن الغسل

ويسن لمريد الغسل: أن يغسل يديه إلى الرسغ ثلاثاً ثم يغسل فرجه ثم يتوضأ وضوء للصلاة إلا رجليه إن كان في مستنقع الماء ، ويرسل النجاسة إن كانت على بدنه واختلف في إزالة النجاسة عند السادات الشافعية ، فقيل : هي فرض من فروض الغسل مطلقاً وهذا مارجحه « الرافعي » ونص عليه « أبو شجاع » في منته - وعليه : فلا يكفي غسلة واحدة عن الجنابة والنجاسة ، وقيل : يفصل فإن كانت النجاسة حكمية كفى غسلة واحدة وإن كانت عينية لا تكفي .

ويسن أن يبدأ بالنية بقلبه ويقول بلسانه : نويت الغسل لرفع الجنابة ، وذهب الإمام الشافعي رحمته الله إلى أن النية فرض من فروض الغسل كما هي فرض من فروض الوضوء عنده ، فلو توضأ أو اغتسل بلا نية لا يجزئ عنده وتقدم في أبحاث الوضوء وجه الاستدلال لكل من إمامنا الأعظم والإمام الشافعي رضي الله تعالى عنها وبعد نية الغسل يسمى الله تعالى عند غسل اليدين ، ثم يستنجي هكذا في « الجوهرة

المنيرة ، ولا يسرف في الماء ولا يقتصر ولا يستقبل القبلة وقت الغسل
ويغتسل في موضع لا يراه أحد .

« مطلب » في سبب الجنابة

ويستحب أن لا يتكلم بشيء أصلاً وأن يمسح بمنديل بعد الغسل كما
في « منية المصلي » .

وينقسم الغسل إلى أربعة أقسام : فرض . وواجب . وسنة .
ومستحب . فالفرض : ثلاثة ، غسل الجنابة . وغسل الحيض . وغسل
النفاس . والواجب : واحد وهو غسل الموتى .

والسنة أربعة : غسل الجمعة ، وغسل العيدين ، وغسل عرفة ،
وغسل الإحرام .

والمستحب : غسل الكافر ، إذا دخل لدين الإسلام . فجملة أنواع
الإغتسال « تسعة » كما في الهندية .

« مطلب » في سبب الجنابة

فأما الجنابة فأنها تثبت بسببين : أحدهما : خروج المني على وجه
الدفق والشهوة من غير إيلاج ، لافرق بين أن يكون خروجه بالمس
أو النظر أو الاحتلام أو الاستمناء . ولا فرق بين أن يكون خروجه
حال النوم أو اليقظة من ذكر أو أنثى وتعتبر الشهوة عند انفصاله عن
مكانه لا عند خروجه كما في « التبيين » فلو احتمل أو نظر إلى امرأة

فانفصل الماء عن مكانه بشهوة فأمسك الرجل لإحليله حتى سكنت الشهوة ، ثم أخرج الماء فعليه الغسل خلافاً «لأبي يوسف» ولو خرج بعد ما بال أو نام أو مشى لا يجب عليه الغسل اتفاقاً كذا في «التبيين» هذا مذهبنا وقال الشافعي : يوجب الغسل في خروج المني مطلقاً لا فرق بين أن يكون بللّة أو لا لكن بعد أن يتحقق أن الخارج مني وذلك بوجود إحدى علاماته ، وجملة ما ذكره العلامة «الباجوري» في حاشيته على «ابن قاسم» : أربع علامات فانه ذكر أنه يعرف بالبللّة أو يكون ريحه كريح العجين أو كريح الطلّع^(١) حال كونه رطباً أو كريح بياض البيض ان كان جافاً ، ثم قال : ومن شك هل هو مني أو ودي ؟ فله أن يختار كونه منياً ويفتسل أو ودياً ويفسله ويتوضأ . وله أن يرجع عن اختياره الأول ويختار غيره ولا يعيد ما فعله بالأول لأن كلاً منهما ظن ولا ينقض ظن بظن .

الثاني : من السببين الموجبين للجنابة : الإيلاج في أحد السبيلين إذا غابت الحشفة فانه يوجب الغسل عليهما سواء خرج الماء أو لا ، لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل» . وأما قوله عليه الصلاة والسلام «إنما الماء من الماء»^(٢) فممنوخ بالاجماع وقامه في «شرح المنية» .

(١) أي : طلع التخل - وطلع التخل : نور ، وزهر .
(٢) رواه مسلم وأبو داود عن أبي سعيد ، ورواه أحمد وشمس الدين وابن ماجه عن أبي أبوب .

« فائز » لولف خرقة وأولج ؟ قيل : يجب الغسل وقيل : لا يجب .
والأصح : أنه إن كانت الخرقة رقيقة بحيث يجد اللذة وجب ، وإلا لا .
أما عند الشافعي : فيجب الغسل بلا تفصيل .

« مطلب » في الحيض

وأما الحيض فهو : عبارة عن دم يخرج من الرحم لالولادة ويتوقف
كونه حيضاً على أمور منها : الوقت ، وهو من « تسع » سنين إلى سن
« اليأس » ، وقدر « بخمس وخسين » ، فما تراه صبية عمرها دون تسع
وما تراه مسنة جاوزت « خساً وخسين » ، فليس بحيض ولا موجب
للمغسل في ظاهر المذهب .

ومنها : أن يكون ماخرج على لون من هذه الألوان الستة وهي :
« السواد والحمرة والصفرة والكدرية والخضرة والترابية » . والمعتبر لونه
حال كونه رطباً . فلا اعتداد باللون بعد الجفاف .

ومنها : النصاب ، وأقل الحيض : ثلاثة أيام بلياليها في ظاهر الرواية
وأكثره عشرة أيام ، وقال الشافعي رحمته الله : أقله يوم وليلة ، وأكثره
خمس عشرة يوماً . وذهب مالك إلى أن لا حد لأقله وأن أكثره كما قال
الشافعي خمس عشرة يوماً . وأقل الطهر : خمس عشرة يوماً . وعلى ذلك
اتفق الإمامان أبو حنيفة والشافعي وقال أحمد : إنه ثلاثة عشر يوماً ،

وقال مالك : لا أعلم بين الحيضتين وقتاً يعتمد عليه . وعن بعض أصحابه : أن أقله : عشرة أيام .

ومنها : فراغ الرحم عند الحمل فإن الحمل لا تحيض عندئذ فما تراه فهو استحاضة . وهو قول الامام أحمد رحمه الله تعالى . وذهب مالك إلى أنها تحيض . واختلفت الرواية في مذهب الامام الشافعي رحمته الله . فقليل : تحيض . وقيل : لا .

وأقل الطهر : خمسة عشر يوماً ولا حد لأكثره . إلا في أحكام المستحاضة عند نصب العادة فيقدر الحيض بعشرة أيام من كل شهر ويجعل باقية طهر أكما في « النهاية » .

« مطلب » في النفاس

وأما النفاس : فهو : دم يعقب الولادة ، ولو ولدت ولم تزدماً لا يجب الغسل عند أبي يوسف ، وهو رواية عن « محمد » قال في « المفيد » وهو الصحيح ، وهذا أحد القولين من مذهب الشافعي رحمته الله والصحيح عنده : وجوب الغسل مطلقاً .

وأقل النفاس : ما وجد ولو ساعة . وعليه الفتوى ، وأكثره « أربعون » يوماً . والغالب « أربعون » ولا حد لأقله . ونفاس التوأمين من الأول لا من الثاني ، وشرط التوأمين : أن يكون بين الولدين أقل من ستة أشهر أما إذا كان بينهما ستة أشهر فأكثر فهي حملان ولها نفاسان .

والسقط : ان ظهر بعض خلقه من اصبع أو ظفر أو شعر ولد
فتصير أمه به نساء وان لم يظهر شيء من خلقه فلا نفاس لها ، وماتراه
إن أمكن اعتباره حيضاً فيها ، وإلا فهو استحاضة .

« فائده » لو رأت المرأة بعد أكثر الحيض والنفاس في أقل مدة الطهر فما
رأت بعد الأكثر ان كانت مبتدأة وبعد العادة ان كانت معتادة فهو
استحاضة ، وكذا ما نقص عن أقل الحيض وكذلك ما تراه الكبيرة جداً
والصغيرة جداً فكل ذلك استحاضة لا يمنع صوماً ولا صلاة وانما هو
كدم الرعاف ولا بد من الغسل من كل هذه الأحداث .

« مطلب » في ما يحرم على الجنب

وحكم المحدث حدثاً أكبر أنه يحرم عليه دخول المسجد ولوللعبور
إلا لضرورة وجوز « الشافعي » رحمته الله العبور أخذاً من قوله تعالى
(إلا عابري سبيل)^(١) وأجاب أئمتنا بأن المراد بهم المسافرين كما نقل
عن أهل التفسير . ومن خواصه رحمته الله أنه يجوز له دخول المسجد
جنباً ومكثه فيه إلا أن هذه الخاصية مشتركة بينه رحمته الله وبين سيدنا
علي ابن عم رسول الله رحمته الله . وقد ورد في ذلك حديث^(٢) صحيح
مروي من طرق ثقات كما ذكره الحافظ « ابن حجر » وأما القول بجواز

(١) النساء / ٤٣ .

(٢) وهو قوله عليه الصلاة والسلام لعلي كرم الله وجهه : « لا يخل لأحد أن يجنب
في هذا المسجد غيري وغيرك » . أخرجه البزار عن سعد رضي الله عنه .

ذلك لآل البيت عظم الله شرفهم فلا دليل له ، بل هو كالتقول بجواز لبس الحرير لهم كما في «رد المختار» من أبحاث الفحل . وكذلك يحرم على المحدث تلاوة القرآن ولو دون آية على المختار هذا إذا كانت بقصد التلاوة أما لو تلا الفاتحة على قصد الدعاء أو قرأ شيئاً من الآيات التي فيها معنى الدعاء ولم يرد القراءة فلا بأس به وفي (الغاية) أنه المختار واختاره (الجلواني) قاله في (رد المختار) والظاهر : أن المراد بالدعاء ما يشمل التثاء لأن الفاتحة نصفها ثناء ، ونصفها دعاء ، وذكر في (الدر) أن الثاني إذا قصد التعليم ولقن كلمة كلمة حل في الأصح . وكذلك يحرم عليه : مس القرآن وكذا سائر الكتب السماوية قال الشيخ اسماعيل : ولا يجوز له مس التوراة والزيور والانجيل وسائر الكتب الشرعية ، قال في (رد المختار) : وبه علم أنه لا يجوز مس ما نسخت تلاوته وإن لم يسم قرأنا متعبداً بتلاوته خلافاً لما بحثه (الرملي) فإن التوراة ونحوها من الكتب السماوية مما نسخ حكماً وتلاوة ، ومع ذلك لا يجوز مسها للجنب ، وكذلك يحرم على الجنب بل وعلى المحدث حدثاً أصغر : الصلاة والطواف لوجوب الطهارة فيهما وكذلك يحرم على المحدث حدثاً أصغر أو أكبر : مس «مصحف» وكذا ما فيه آية فلا يجوز مسه ، نعم يجوز للمحدث مس المصحف بغطاء متجاف غير مشرز : أي : غير مخيط .

(١) للمصحف : بثلاث التيم والضم فيه أشهر مما به لأنه أصح . أي : جمع فيه .

الصحائف : رد المختار ١/١٢٧ - ١٢٨ .

ويجوز منه في خرقة. ويحل تقليب أوراق المصحف بنحو عود ولا
باس من النظر إليه لجنب أو حائض لأن النظر ليس بمس .

« فائدة » ولا يكره مس صبي لمصحف ولوح ولا باس أن يدفع البالغ
المتطهر المصحف إلى الصبي للضرورة لأن في تكليف الصبيان إلى
الوضوء حرجاً بهم وفي تأخير التعليم إلى حين الكبر تقليل حفظ القرآن
كما في « الدرر » وفي الحديث : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر »^١
ومما أنشد « نطويه » لنفسه :

أرا في أنسى ما تعلمت في الكبر ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا وما الحلم إلا بالحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كل قلب المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا لأبصر فيه العلم كالنقش في الحجر

« فائدة » من المسائل المهمة : أن المصحف إذا صار بحال لا يقرأ فيه يجعل
في خرقة نظيفة طاهرة ويدفن كالمسلم ويكون دفنه في أرض لا يوطأ
عليها ويلحد ولا يشق له شقاً لأنه إذا شق له يحتاج إلى إهالة التراب فوقه

(٢) رواه البيهقي عن الحسن البصري من قوله : وأخرجه ابن عبد البر عنه بلفظ :
« طلب الحديث في الصغر .. الحديث » ورواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن أبي
الدرجاء مرفوعاً بلفظ : « مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم
في كبره كالذي يكتب على الماء » . وانظر شواهد أخرى للحديث في « كشف الخفاء » :
٢ / ٦٦ - ٦١ .

وذلك إخلال بتعظيمه وأما غيره من الكتب فإنها يحى منه اسم الله تعالى وأسماء ملائكته ورسله ويلقى الباقي في ماء جار كما هي أوتدفن أيضاً ودفنها أحسن .

« فائدة » يكره وضع الدواة فوق الكتاب إلا لأجل الكتابة ويوضع النحو ثم التعبير ثم الكلام ثم الفقه ثم الأخبار والأحاديث والمواظ ثم التفسير ويجعل المصحف فوق الجميع ويجب مزيد الاعتناء في احترامه وتعظيمه لأحاديث^(١) وردت في ذلك .

« مطلب » في مكرم الحائض

وحكم الحيض : المشع ، عن دخول المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام : « فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب »^(٢) . ومنع الطواف للحديث المار . ومنع قربان ماتحت الإزار بقوله تعالى : « فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن »^(٣) الآية .

ويكفر مستحل وطئها كما في « ملتقى الأبحر » وقيل لا يكفر وهو

(١) منها ما رواه ابن حبان والبيهقي عن جابر ، والطبراني والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جملة أمارة فاداه إلى الجنة ، ومن جملة خلفه ساقه إلى النار » . وقوله : وماحل مصدق : أي : خصم عادل أو ساع - يحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه : أي يسمى به إلى الله تعالى : كشف الحلق وغيره .

(٢) بعض حديث رواه أبو داود : عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) البقرة / ٢٢٢ .

الصحيح كما في « الخلاصة » وعليه المعول في « التنوير » نعم ، هو من الكبائر إن كان عامداً مختاراً علماً بالتحريم فتلزمه التوبة . وينوي أن يتصدق بدينار إن كان الوطء في أول الحيض ، أو بنصف دينار إن كان الوطء في آخره عند اصفرار الدم لما رواه أبو داود والحاكم وصححه عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا وقع الرجل أهله وهي حائض إن كان دماً أحمر فليصدق بدينار وإن كان أصفر فليصدق بنصف دينار » وهل على المرأة أن تتصدق ؟ قال في « الضياء » : الظاهر : لا . وثبتت الحرمة بإخبارها وإن كذبها كما في « الفتح » وحرر في « البحر » أن محل ذلك إذا كانت أمينة ، أو غلب على الظن صدقها ، أما لو كانت فاسقة غير أمينة ولم يغلب صدقها وكان إخبارها في غير أوان الحيض فلا تصدق اتفاقاً .

والمنع من الصوم والصلاة ، وتقضيه دونها لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : « كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا رسول الله ﷺ بقضاء الصوم ولا يأمرنا بقضاء الصلاة »^(١) . ونسج الحائض أيضاً من قراءة القرآن لقوله ﷺ : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن »^(٢) .

(١) رواه الشيخان وغيرهما بلفظ : « كان يصيبنا ذلك - أي الحيض - فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

(٢) رواه الترمذي .

« مطلب » في حكم القضاء

« والنفاس » كالحيض ، قال في « ملتقى الأبحر » : والنفاس : دم يعقب الولادة ، وحكمه حكم الحيض . وفي الدر المختلوع وحكمه كالحيض في كل شيء إلا في سبعة ذكرتها في « الحزائن » . قال العلامة الحلبي هي : (البلوغ ، والاستبراء ، والعدة ، وأنه لا حد لأقله ، وأن أكثره أربعون ، وأنه يقطع التتابع في صوم الكفارة ، وأنه لا يحصل به الفصل بين طلاق السنة والبدعة) .

« مطلب » في حكم الاستحاضة

وحكم الاستحاضة : أنها في حكم الرعاف الدائم ، وفي حكم الجرح الذي لا يرقأ ، فهي لا تمنع صلاة ولا صوماً ولا قوباناً ولا غيرها ، قال عكرمة رحمته الله : « كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعيشون أزواجهم وهن مستحاضات » . ولتنقص على ما ذكرناه مما يتعلق بالأعمال المفروضة الثلاثة وتتكلم الآن على « الفصل الواجب » وهو غسل الميت .

« مطلب » في غسل الميت

والميت : بتخفيف الياء وتشديدها : ضد الحي أو الخفيف الذي مات ، والمشد الذي لم يميت بعد ، أفاده في القاموس . وما ذكرناه من أن غسله واجب هو المذكور في « الهندية » وهو المنقول عن « محيط السرخسي » والمنصوص في « متن إلمتقى » وفي « متن

التنوير ، وقيل : هو سنة مؤكدة . كما نقله « شيخي زاده » في شرحه على « ملتقى الأبحر » وصرح « صاحب الوافي والسروجي وابن الهمام » : بأنه فرض ، ونقل الاجماع على ذلك ، وأفاد العلامة « الحصكفي » في الحزائن : أنه فرض عملي لا اعتقادي ، لأنه ليس ثابتاً بدليل قطعي ، قال : فلعلم عبثوا : بالواجب لا لخطا رتبة هذا عن ذلك فتأمل . انتهى .

وعلى القول بفرضيته فهو من فروض الكفاية ؛ فإذا قام به البعض سقط عن الكل والأثوا كلهم إن علموا به .

ويجوز الميت من ثيابه كما مات لثلا تحمى عليه ، فيسرع التغير إليه ولا ينسل بثيابه لأن المقصود من غسلة التطهير والتنظيف ، وهذا متوقف على نزع ثيابه ، وأما إبقاء الثوب على رسول الله ﷺ حين غسلة فذلك خصوصية له ، لما ورد أن الصحابة قالوا : نجده كما نجده موتاً أم تغسله في ثيابه ؟ فسمعوا من ناحية البيت : « اغسلوا رسول ﷺ وعليه ثيابه » قال ابن عبد البر : روي ذلك عن عائشة رضي الله تعالى عنها من وجه صحيح فدل على : أن عادتهم كانت تجريد موتاهم للغسل في زمنه ﷺ « شرح المنية » زاد في المعراج : وغسلة ﷺ ليس للتطهير لأنه ﷺ كان طاهراً حياً وميتاً ولملذ كرناء من أن المقصود بالغسل تطهير الميت يفيد : أن الانسان يتنجس بالموت . وهو قول امامنا « أبي حنيفة » رحمه الله محتملاً : بأن الروح هو الذي كان

مطهراً للجسد، فلما خرج منه صار نجساً . وذهب الإمام الشافعي وأحد
 في أرجح روايتها : أنه لا ينجس ، مستدلين : بأن الله تعالى قال في
 كتابه العزيز « ولقد كرّمنا بني آدم » ، وقضية التكريم : عدم التنجس
 بالموت ، ونسكاً أيضاً بما ورد من أن : المسلم لا ينجس حياً ولا ميتاً .
 وماسبق أن الميت يجرد عن ثيابه للغسل ، وأن غسل رسول الله ﷺ
 بثوبه خصوصية له ﷺ هو المنصوص في كتب أئمتنا الحنفية
 فذهبنا أنه يجرد من ثيابه ويوضع عليه ما يستر عورته ويغسل وقال
 الشافعي وأحد : الأفضل أن يغسل في قميصه اقتداء بما فعلته الصحابة
 في غسل رسول الله ﷺ .

وليس للزوج أن يغسل زوجته لأن الموت بمنزلة الطلاق البائن ،
 وذهب الشافعي ومالك وأحد : إلى جوازه ، وللمسلم أن يغسل قريبه
 الكافر عندنا ، ووافق على ذلك الشافعي وأحد رضي الله تعالى عنهما
 وذهب مالك إلى : عدم الجواز ، لكن كيفية غسله عندنا : أن يغسله
 غسل النجاسة ، ويلفه في خرقة ، ويلقيه في حفرة . كما في ملتقى الأبحر .
 ولا تجب نية الغاسل عند إمامنا والشافعي رضي الله تعالى عنهما
 وقال مالك : بوجوبها ، وبوضاً الميت بلا مضمضة ولا استنشاق ،
 وذهب الأئمة الثلاثة إلى : استحباب المضمضة والاستنشاق ، ويغسل بماء
 مغلي يسدر أو نحوه وإلا فالقراح .

وغسل الميت بالماء المسخن أولى عندنا لما فيه من كثرة التنظيف ،
 وذهب الشافعي ومالك وأحمد رضي الله تعالى عنهم إلى : أن الأولى أن
 يغسل الميت بماء بارد إلا لضرورة كبرد شديد ووسخ ، وحكته : أن
 الماء البارد يشد البدن كما ذكره الباجوري ولذلك ذكر : أن الأولى أن
 يكون الماء مالحاً لأنه إذا غسل بالماء العذب يسرع إليه البلاء ولا يسرح
 رأسه ولحيته ولا يقص ظفره .

والسنة : أن يغسل ثلاث مرات ، ويفسل رأسه ولحيته
 بالخطمي^١ إن وجد وإلا بالصابون ولا يعاد غسله بما خرج منه ،
 وينشف بثوب ويجعل الخنوط وهو : العطر المركب من الأشياء
 الطيبة غير الورد والزعفران على رأسه ولحيته « ندباً » . ويجعل
 الكافور على مساجده كرامة لها ، والمساجد : مواضع السجود وهي :
 الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان ، كما في « الفتح » ، ويستوي
 في ذلك المحرم وغيره كما في « الامداد » .

« فائدة » لو وجد رأس آدمي ، أو أحد شقيه ، فإنه لا يغسل ولا يصلى
 عليه ، بل يدفن ، نعم لو وجد النصف مع الرأس أو أكثر من نصفه
 ولو بلا رأس فإنه يغسل ، ولو وجد ميت ولم يدر أهو مسلم أم لا ؟
 فإن وجد فيه علامة المسلمين كالختان ، والخصاب ، ونحوها فلم ، والا
 فإن في دارنا غسل وصلى عليه ، وإن لم يكن في دارنا فلا .

(١) الخطمي ، بكسر الخاء وتفتح وتشديد الياء : قيت بالعراق طيب الرائحة
 يعمل من الصابون : الباب ١ / ١٢٩ - ١٠١ .

ويجوز : أن يكفن الرجل بالكتان والصوف ، لكن الأولى : القطن ،
ويستحب : البياض ، لما روي عنه عليه السلام أنه قال : (إلبسوا من
ثيابكم البياض ، فإنها أطيب وأطهر ، وكفنوا فيها موتاكم) . رواه
الترمذي .

وكفن الميت في ماله ، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته ، فإن
لم يكن ففي بيت المال ، فإن لم يكن فعلى المسلمين .

ويكره تحريماً : أن يكفن الرجل بحرير . أما المرأة : فيجوز
تكفينها به وقد ذكرت أحكام تكفينه والصلاة عليه ودفنه . في كتب
الفقه مفصلة موضحة ، والقصود هنا : ذكر غسله فقط تيمماً لأنواع
الفصل وبه صارت الأنواع المذكورة أربعة .

« مطلب » في الوُضوء المنوثة

وبقي أربعة مسنونة ، أولها : غسل الجمعة وقد اتفق الأئمة الأربعة
على طلبه بل قال بعض^(١) المجتهدين بوجوبه أخذاً من قوله عليه السلام :
« غسل الجمعة واجب على كل محتلم »^(٢) . وتناول الفقهاء هذا الحديث
بأن المراد بكونه واجباً كونه مؤكداً بدليل قوله عليه السلام « من توضأ
يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل »^(٣) ويكره تركه

(١) قال الترمذي : والوجوب أخذ أبو حنيفة وغيره .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه عن :

سيرة رضي الله عنه .

بلا عذر . وقيل : من سنن الزوائد ، فلا عتاب على تاركه وقيل : هو
متحبب أخذاً من قول « محمد » إن غسل الجمعة حسن وقد ورد « إن
الملائكة تقول : اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة » وفي الحديث « إن
الغسل يوم الجمعة ليسل الخطايا من أصول الشعر استللاً » رواه
الطبراني في الكبير ورواته ثقات وفي الكبير والأوسط « من اغتسل
يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه » قال الشافعي رحمته الله : ما تركت
غسل الجمعة سفراً ولا حضراً . واختلف في الغسل المذكور هل هو
للصلاة أم لليوم ؟ والصحيح : الأول . وعليه المعول . وقال « الحسن
ابن زياد » : إنه لليوم ونسب إلى الإمام محمد وأثر الخلاف يظهر فيمن
لاجمعة عليه لو اغتسل هل ينال فضيلة السنة أم لا ؟ وفيمن أحدث بعد
الغسل . وصلى بالوضوء هل ينالها أم لا ؟ وكذا فيمن اغتسل قبل الفجر
وصلى به وفيمن اغتسل بعد الصلاة قبل الغروب هل ينالان الفضيلة أم
لا ؟ فعلى الصحيح لا تحصل الفضيلة ، وعلى القول الآخر : إنها تحصل .
والغسل المذكور إنما هو للنظافة وقطع الرائحة للطهارة ولهذا الحكمة
قال في المعراج : لو اغتسل يوم الخميس أو ليلة الجمعة استن بالسنّة ،
لحصول المقصود وقطع الرائحة وهذا مغاير لمذهب السادات الشافعية
فإنهم جعلوا أول وقت الغسل طلوع الفجر الصادق ، حتى لو اغتسل
بين الفجرين الصادق والكاذب لا تحصل له فضيلة السنة وآخر وقته
عندهم : الدخول في الصلاة فمن اغتسل بعد الصلاة لم يكن مؤدياً للسنة .

« فائز » ، مما اختص به يوم الجمعة قراءة الكهف فيه والتطيب ولبس الأحسن من ثيابه وتقليم الأظفار وحلق الشعر لكن بعد الصلاة أفضل والبخور في المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة الى خروج الخطيب وهو خير أيام الأسبوع وفيه تجتمع الأرواح وتزار فيه القبور ويأمن الميت فيه من عذاب القبر ومن مات فيه أو في ليلته أمن فيه من عذاب القبر وقتلته وتسجد فيه جهنم وفيه يزور أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى ومن فضائله ما جاء في الصحيحين « ان فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه » واختلف في الساعة المذكورة على أقوال : قال في « رد المحتار » : أصحابها أو من أصحابها : أنها فيها بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضى الصلاة كما هو ثابت في صحيح مسلم عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً ، قال في المعراج فيسن الدعاء بقلبه لا بلسانه لأنه مأمور بالسكوت وفي حديث آخر « إنها آخر ساعة في يوم الجمعة » وصححه الحاكم وغيره وقال على شرط الشيخين ونقل العلامة الطحاوي عن الزرقاني : ان هذين القولين مصححان من اثنين وأربعين قولاً فيها وإنها دائرة بين هذين الوقتين فينبغي الدعاء فيها .

« مطلب » في غسل العيدين

ثانها : غسل العيدين : عيد الفطر وعيد الأضحى ، وسمي العيد عيداً لأن الله فيه عوائد الإحسان وفوائد الامتنان ولأنه يعود كل سنة

بفرح جديد وما سبق من الاختلاف في أن غسل الجمعة هل هو للصلاة
 أو لليوم وأن الراجح هو الأول جاء بعينه في غسل العيدين وذهب
 السادات الشافعية إلى أن غسل العيدين أول وقته نصف الليل وآخر
 وقته غروب الشمس والأفضل أن يكون بعد طلوع الفجر وذكروا :
 أنه يستوي فيه الحر والعبد والبالغ والصبي ومريد الصلاة وغيره
 ويندب التطيب يوم العيد بما له رائحة بلا لون وليسه أحسن ثيابه ولو
 غير أبيض فقد كان عليه السلام : يلبس يوم العيد برة حراء . ومن كلام
 الامام الهمام سيدنا مالك بن أنس عليه السلام .

حسن ثيابك ما استطعت فانها	زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التخشن في الثياب تواضعا	فالله يعلم ماتكن وتكتم
فرث ثوبك لا يزيدك رفعة	عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن	تطع الإله وتتقي ما يحرم

قال ابن عمر رضي الله تعالى عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث
 على التجميل بالثياب الحسنة في العيد » قال أنس عليه السلام : « وكان يقلس
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عيد الفطر » والتقليس : هو الضرب بالدف
 والغناء الجيد .

« مطلب » في غسل المومنين

ثالثها : غسل الإحرام سواء أحرم الإنسان بحج أو عمرة أو بهما

ويدخل وقت هذا الغسل بإرادة الإحرام وقد نص السادات الشافعية على أن غسل الإحرام سنة بلا فرق بين بالغ وغيره ولا بين عاقل ومجنون ولا بين طاهر ومحدث ولا بين ذكر وأنثى ولا بين حر ورقيق .

« مطلب » في غسل عرفة

رابعها : غسل عرفة فهو سنة أيضاً للوقوف بعرفة للدخول عرفات ولا لليوم وما في البدائع من أنه يجوز أن يكون على الاختلاف أيضاً أي : أن يكون للوقوف أو لليوم كما في الجمعة رده في « الحلية » بأن الظاهر : أنه للوقوف . قال وما أظن أن أحداً ذهب إلى استنائه ليوم عرفة بل بحضور عرفات وأقره في « البحر والنهر » لكن قال المقدسي في شرحه على « نظم الكثر » أقول : لا يستبعد أن يقول أحد بسنيته لليوم لفضيلته ، حتى لو حلف بطلاق امرأته في أفضل أيام العام تطلق يوم عرفة ، ذكره « ابن ملك » في شرح المشارق ، وقد وقع السؤال عن ذلك في هذه الأيام ودار بين الأقوام وكتب بعضهم بأفضليته عن يوم الجمعة والنقل بخلافه . انتهى . وقد تمت الأغسال الأربعة المسنونة .

« مطلب » في الوغسال المتروكة

وأما الغسل المتدوب فهو غسل الكافر إذا أسلم فيندب له الاغتسال عند الحنفية والشافعية رضي الله تعالى عنهم . وذهب الإمام مالك والإمام

أحمد إلى وجوب الغسل عليه ، ولم يذكر في العبارة السابقة المثقولة من الهندية لبيان ، عدد الأغسال غسلاً مندوباً إلا هذا مع أنهم ذكروا جملة أغسال مندوبة .

منها : أنه يندب الغسل لمجنون أفاق من جنونه وكذا المغمى عليه إذا أفاق كما في «غرر الأذكار» ويندب الاغتسال عند الفراغ من الحجامة لشبهة الخلاف ويندب الغسل في ليلة براءة وهي : ليلة النصف من شعبان وفي ليلة عرفة . وقد أطلقوا فيها فشمّل فيها الحاج وغيره وفي : ليلة القدر . إذا رآها يقيناً أو عمل ياتبع ماورد في وقتها لأحيائها وعند الوقوف بمزدلفة غداة يوم النحر ، أي صبيحته للوقوف وعند دخول منى يوم النحر لرمي الجمرات وعند دخول مكة لطواف الزيارة واستظهار بعضهم سنته ولصلاة كسوف وخسوف واستسقاء وفزع وظلمة وريح شديد وكذا لدخول المدينة المنورة ولحضور مجمع الناس ولمن لبس ثوباً جديداً أو غسل ميتاً ولتائب من ذنب ولقادم من سفر إلى غير ذلك مما هو مبسوط في « الدر المختار » وحواشيه .

« مطلب في المياه »

ويجوز الوضوء والغسل بأقسامهما المارة : بماء السماء ، والآبار ، والأودية ، والبحار . لقوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً)^(١) .

(١) الفرقان / ٤٨ .

وقوله تعالى : (وينزل من السماء ماء ليطهركم به)^(١) . وقوله تعالى :
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض)^(٢) .
ولقوله عليه الصلاة والسلام في حق البحر : « هو الطهور ماؤه الحل
ميتته »^(٣) .

والطهور : هو ما كان طاهراً في نفسه ، طهراً لغيره . ولو تغيرت بعض
أوصاف الماء بشيء طاهر كالتراب والزعفران ونحوهما ، فإن بقي الماء
رقيقاً جاز التطهير به ، أما إذا كان ثخيناً بأن غلب عليه الشيء المخالط
له فلا يجوز التطهير به . ومحل التفصيل المذكور فيما إذا كان المتغير بعض
الأوصاف ، أما إذا تغيرت أوصافه جميعها وهي : الطعم ، واللون ،
والرائحة . فلا يجوز التطهير به لكن نقل عن بعض أصحابنا : جوازه ،
قال شيخنا زاده : ويمكن التوجيه بأن الجواز محمول على الضرورة ،
فلا ينافي القول بعدم الجواز عند عدم الضرورة كما في « التحفة » .

وقال الشافعي رحمته الله : لا يجوز الوضوء بالماء الممزوج بالزعفران
وأشباهه مما ليس من جنس الأرض لأنه ماء مقيد ، ألا يرى أنه يقال له :
ماء الزعفران ، بخلاف أجزاء الأرض ، فإن الماء لا يخلو عنها عادة .

(١) الأنفال / ١١ .

(٢) الزمر / ٢١ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان
والحاكم : عن أبي هريرة . والامام أحمد في مسنده وابن ماجه وابن حبان والحاكم : عن جابر
واتفرد به ابن ماجه : عن ابن الفراسي .

ولنا : أن الاسم باق على الإطلاق ، ألا يرى أنه لم يتجدد له اسم على حدة ، وإضافته إلى الزعفران وأشباهه كإضافته إلى البئر والعين ، يعني : أنها للتعريف لا للتقييد . انتهى .

ويجوز الطهارة بالماء الذي تغيرت رائحته بطول المكث لإبهاء خرج عن طبعه من الرقة والسيلان بسبب وقوع الأوراق الكثيرة فيه أو بغلبة غيره عليه بأن تكون أجزاء المخالط أكثر من أجزاء الماء وهو قول الإمام أبي يوسف في الصحيح ، لأنها غلبة حقيقية لرجوعها إلى الذات ، بخلاف الغلبة باللون فإنها راجعة إلى الصفات ، وأما الإمام محمد ورحمه الله تعالى ، فإنه اعتبر الغلبة في اللون في الصحيح عنه لأن اللون مشاهد وفي هذه المسألة أقوال وأبحاث كثيرة ذكرت في شروح الكثر وغيرها .

ولا تجوز الطهارة بالأشربة كالشهد المزوج بالماء ونحوه ، ولا بالخل وماء الورد ، وماء الباقلاء ، والمرق ، ولا تجوز الطهارة بالماء القليل الذي وقعت فيه نجاسة ، لأن الماء القليل ينجس بوقوع النجاسة فيه عند أبي حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنها .

وذهب الإمام مالك إلى : أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير ، فإن تغير فنجس .

وللإمام أحمد في هذه المسألة روايتان : إحداهما كذهبنا والآخرى كذهب مالك .

واختلفوا في مقدار الماء الكثير الذي لا ينجس بوقوع النجاسة ما لم يتغير ؟ فقال الامام الأعظم : يعتبر أكبر رأي المبطل فيه ، فان غلب على ظنه عدم وصول النجاسة الى الجانب الآخر لا يحكم بنجاسته ، وان غلب على ظنه وصولها فهو نجس ، فان اشتب عليه الأمر ولم يغلب على ظنه الوصول ولا عدمه فالماء باق على طهارته . وهذا ظاهر الرواية عن الامام وإليه رجع محمد وهو الأصح . كما في « الغاية » وغيرها وحقق في « البحر » أنه المذهب المروي عن أئمتنا الثلاثة وأكثر من النقول الصحيحة وذكر أن التقدير « بعشر في عشر » لا يرجع إلى أصل يعتمد عليه وردما أجاب به « صدر الشريعة » لكن في « النهر » : وأنت خير بأن اعتبار « العشر » مضبط ولا سيما في حق من لا رأي له من العوام ، فلذا أفتى به المتأخرون الأعلام ، أي في المربع : بأربعين ، وفي المدور : بستة وثلاثين ، وفي المثلث : من كل جانب خمسة عشر وربعا وخمسا بذراع « الكرباس » وهو : ست قبضات وهي : أربع وعشرون اصبعاً . كما في « التبيين » ولو له طول لا عرض لكنه يبلغ : « عشراً في عشر » ، جاز تيسيراً ، ولو أعلاه عشراً وأسفله : أقل ، جاز حتى يبلغ الأقل ، وهذا أعني : اعتبار التقدير « بعشر في عشر » هو الذي حققه شيخ الاسلام العلامة : « سعد الدين الديري » في رسالته المسماة : « القول الراقي في حكم ماء الفساق » ورد فيها على من قال بخلافه ردّاً بليفاً ، وأورد نحو مائة نقل ناطقة بالصواب ، وأتى فيها بالعجب العجيب إلى أن قال :

وإذا كنت في المدارك غراً ثم أبصرت حاذقاً لا تقار
وإذا لم تر الهلال فلم لأناس رأوه بالأبصار

ولا يخفى : أن المتأخرين الذين أفتوا « بالعشر » كصاحب الهداية وقاضخان وغيرهما من أهل الترجيح هم أعلم بالمذاهب منا فعلمنا اتباعهم ويؤيده ما قدمه الشارح في « رسم المفتي » : « وأما نحن فعلمنا اتباع ما رجحوه وما صححوه » ، كما لو أفتونا بحياتهم ولم يذكر مقدار العمق ، لأنه لا تقدير فيه في ظاهر الرواية ، وهو الصحيح ، وصحح في « الهداية » : أن يكون بحال لا ينحسر بالحسر أي لا ينكشف « بالفرقة » وعليه الفتوى « معراج » .

وقيل : بتقدير العمق بأربع أصابع مفتوحة ، وقيل : بما بلغ الكعب ، وقيل : يقدر بشبر ، وقيل بذراع ، وقيل بذراعين كما في : القهستاني ، وذهب السادات الشافعية إلى : أن الماء الكثير هو : ما بلغ قلتين فأكثر ، والقاتان : خمائة رطل بغدادى تقريباً في الأصح ، وهما بالرطل المصري : أربعائة رطل وستة وأربعون رطلاً وثلاثة أسباع رطل ، وبالدمشقي : مائة وسبعة أرطال وسبع رطل .

والرطل : بكسر الراء ، وفتحها ، والكسر أفصح ، وهو مختلف في الوزن فرطل بغداد عند التنووي : مائة وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع الدرهم ، ورطل مصر : مائة وأربعة وأربعون درهماً ،

وهذا مقدار القلتين وزناً، وأما مقدارهما مساحة، فإن كان محلها مريعاً فضابطه : أن يكون ذراعاً وربعاً بذراع الأدمي طولاً وعرضاً وعمقاً وإذا كان محلها مدوراً كقم البئر ، فضابطه : أن يكون ذراعاً عرضاً وذراعين ونصفاً عمقاً، وإذا كان محلها مثلثاً فضابطه : أن يكون ذراعاً ونصفاً عرضاً ، وذراعاً ونصفاً طولاً ، وذراعين عمقاً ، وكيفية بسط هذه المساحات ، ومعرفة وزن ما تحويه من الماء مذكور تفصيلاً في « حاشية الباجوري » على : القول المختار في أحكام الطهارة . فراجعها إن شئت .

وما ذكرناه : من اعتبار « العشر بالعشر » عندنا على الصحيح إنما هو في الماء الراكد وهو ما لم يكن جارياً ، أما الجاري : فإنه لا يتنجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه ، أو لونه ، أو ريحه من النجاسة كما في « المضمرات » حتى لو ألقى في الماء الجاري شيء نجس كالخمر لا يتنجس ما لم يتغير وصف من أوصافه المارة كما في « منية المصلي » وعليه الفتوى كما في « المضمرات » .

ولو كانت على السطح نجاسة فوق وقع المطر فسال الميزاب : إن كانت النجاسة عند الميزاب ، وكان الماء كله يلاقي النجاسة أو أكثره أو نصفه فهو نجس والا فهو طاهر ، وإن كانت النجاسة على السطح في مواضع متفرقة ، ولم تكن على رأس الميزاب لا يكون نجساً وحكمه حكم الماء الجاري ، وفي بعض الفتاوى : المطر مادام يطرر فله حكم الجريان ، حتى

لو أصاب العذرات والنجاسات على السطح ، ثم أصاب ثوباً لا يتنجس
الا أن يتغير ، وإذا وقع المطر على السقف وفيه نجاسة فوكف وأصاب
الماء ثوباً فالصحيح : أنه إذا كان المطر لم ينقطع بعد فما سال من السقف
ظاهر ، مالم يكن متغيراً ، كما في « التارخانية » وأما إذا انقطع المطر
وسال من السقف شيء فهو نجس كما في « المحيط » .

وإذا كان حوض صغير يدخل فيه الماء من جانب ويخرج من جانب
آخر ، يجوز الوضوء فيه من جميع جوانبه من غير تفصيل - وعليه
الفتوى ، وقيل : أن كان أربعاً في أربع يجوز ، وإن كان أكثر
فلا يجوز ، كما في « شرح الوقاية ومعراج الدراية » ، ولو تنجس الحوض
الصغير فدخل الماء فيه من جانب وسال ماء الحوض من جانب آخر
يحكم بطهارة الحوض ، وهو اختيار « الصدر الشهيد » - رحمه الله -
وبه نأخذ كما في « التارخانية » . وإن دخل الماء ولم يخرج ، ولكن
الناس يغتفون منه اغترافاً متداركاً فإنه يطهر ، كما في « الظهيرية »
وتفسير الغرف المتدارك : أن لا يسكن وجه الماء بين الغرفتين كما في
« الزاهدي » ، وماء حوض « الحسام » طاهر ، مالم يعلم بوقوع النجاسة
فيه ، فإن أدخل رجل يده في الحوض وعليها نجاسة : فإن كان الماء
سائكاً لا يدخل فيه شيء من أنبوبة ولا يغترف منه انسان بالقصعة ؟
يتنجس ، وإن كان الناس يغتفون منه بقصاعهم ولا يدخل من الأنبوب
ماء أو على العكس - فأكثروا على أنه يتنجس ، وإن كان الناس يغتفون

من الحوض بقصاعهم ، ويدخل الماء من الأنبوب فأكثرهم على أنه : لا يتنجس ، والماء الجاري إذا تغير أحد أوصافه وحكم بنجاسته لا يحكم بطهارته ما لم يزل ذلك التغير ، بأن يرد عليه ماء طاهر يزيل تغيره كما في « المحيط » والماء الجاري هو : ما يعد جارياً عرفاً ، وقيل : ما يذهب بتبنة ، والاول : أظهر ، والثاني ، أشهر ، ولا يشترط أن يكون جريانه بحد في الأصح ، فلو سد النهر من أعلاه ، فتوضاً رجل بما يجري من أسفله بلامد جاز ، وكذا لو حفر نهراً من حوض صغير ، أو صب رفيقه الماء في طرق ميزاب وتوضاً فيه ، وعن طرفة الآخر انه يجمع فيه الماء : جاز توضيه به ثانياً وثم كذا في « البحر » .

ولا يصح التوضي ، ولا الاغتسال ، بل الماء المستعمل لأنه وان كان طاهراً فهو غير طهور ، والقول بطهارته دون طهوريته هو : الصحيح وهو : ظاهر الرواية ، وعليه الفتوى ، حتى إن مشايخ العراق نفوا الخلاف وقالوا : انه طاهر عند الكل ، وفي « المجتبى » صحت الرواية عن الكل : أنه طاهر ، غير طهور ، وقيل : انه نجس ، ورجحه في « البحر » من جهة الدليل لقوته ، وعلى القول بنجاسته : فهل هي مغلفة أو مخففة ؟ قيل وقيل ، وبعبارة « الملتقى » : الماء المستعمل طاهر غير مطهر هو المختار ، وعن الامام : انه نجس مغلظ ، وعن أبي يوسف : مخفف ، وهو ما استعمل لقربة ، أو لرفع حدث ، ويصير مستعملاً : إذا انفصل عن البدن ، وقيل : إذا استقر في مكان ، انتهى ، وعلى القول بطهارته

يكره شربه ، والعجن به : لأنه مستقذر ، أما على القول بتحريمه :
فحرام ، على ما في « البحر » - لقوله تعالى : (ويحرم عليهم الخبثات)^(١)
والنجس منها ، وأجاب بعضهم : بأنه مكروه تحريماً : لأن نجاسته
على القول بها غير قطعية ، وقد وافق الإمام الشافعي : صحيح مذهبنا
فقال : بأن الماء المستعمل ، طاهر غير طهور ، غير أنه بقي بين
مذهبنا ومذهب في هذه المسألة : فرق آخر ، وهو : أن الماء المذكور
عندنا يصلح لتطهير الخبث دون الحدث لما في الدر المختار : ونصه : وحكمه
أي : الماء المستعمل ، أنه ليس بطهور لحدث بل لخبث على الراجح
المعتمد . وكتب العلامة ابن عابدين مانصه : قوله على الراجح مرتبط
بقوله بل لخبث . أي : نجاسة حقيقية ، فإنه يجوز إزالتها بغير الماء
المطلق من المائعات ، خلافاً لحمد .

وأما عند الشافعي رحمته الله : فإنه لا يصلح لازالة خبث ولا حدث .
وذهب الإمام مالك رحمته الله إلى : أن الماء المستعمل طاهر مطهر .
ووجه من منع الطهارة بالماء المستعمل كاماننا الأعظم ، والإمام
الشافعي رضي الله تعالى عنها : كون الخطايا وقعت فيه ، كما ورد في
الصحيح^(٢) ، فهو مستقذر شرعاً عند كل من كمل إيمانه ، أو كان صاحب

(١) الأعراف ١٥٧/١ .

(٢) جاء في الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا توضأ العبد المسلم
أو المؤمن فخرج من وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر
قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر »

كشف ، فلا يناسب كل من كل في مقام الايمان : أن يتطهر به ، كما لا يناسب أحداً : أن يتضمخ بالغازورات ثم يقوم لشاكلة ربه عز وجل ، والعفو تابع للمشقة ، لأن المشقة تجلب التيسير ، أما مالا مشقة فيه ، فلا يعفى عنه ، وكأنه لما في الماء المستعمل من الأفذار المعنوية ذهب الامام أبو يوسف إلى نجاسته ، ومنع من استعماله في التطهير ، أخذاً بالاحتياط فإنه لو كشف لأحد لرأى ماء الحيض التي يتكرر الوضوء منها : كالماء الذي أُلقي فيه « ميتة الكلاب » أو غيرها من الحيوانات حتى صارت رائحته منتنة . قال العلامة الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، قدس الله سره . فرضي الله عن الامام « أبي حنيفة » ورحم أصحابه حيث قسموا النجاسة الى : مغلظة ، ومخففة ، لأن المعاصي لا تخرج عن كونها كبائر أو صفائر فمثال غسالة الكبائر ، مثال « ميتة الكلاب » أو يولها ، ومثال غسالة الصفائر مثال : ميتة غير الكلاب ، من سائر الحيوانات المأكولة ، أو غير المأكولة ، فوجه كون الغسالة المذكورة كالنجاسة المغلظة : الأخذ بالاحتياط الكامل للمعوض . به مثلاً لاحتمال أن يكون ذلك غسالة كبيرة من الكبائر . ووجه كون الغسالة المذكورة كالنجاسة المخففة : إحسان الظن بالمعوض . بعض الاحسان وأن لم يرتكب كبيرة وإنما ارتكب صغيرة . ووجه من قال : انه تجوز الطهارة به مع الكراهة :

« الماء فإذا غسل رجله خرجت كل عذبة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الغنوب . رواه مالك والترمذي ومسلم بن خلفه : عن أبي هريرة رضي الله عنه : جمع الغوائل وأطرب الموائد : ٨٠/١ - وغيره . »

احسان الظن بذلك المتوضئ أكثر من ذلك الاحسان ، وانه لم يرتكب شيئاً من الذنوب كبيرها ولاصغيرها ، وانما وقع في مكروه أو خلاف الأولى . قال : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

اعلم يا أخي : أن الطهارة ماشرعت بالأصالة إلا لتزيد أعضاء العبد نظافة ، وحسناً ، وتقديساً ظاهراً وباطناً ، والماء الذي وقعت فيه الخطايا حساً وكشفاً أو تقديراً وإيماناً ، لايزيد الأعضاء إلا تقديراً وقبحاً ، تبعاً لقبح تلك الخطايا التي سقطت في الماء فلو كشف العبد لرأى الماء الذي يتطهر منه « الناس » في المطاهر في غاية القذارة والنتن ، فكانت نفسه لا تطيب باستعماله كما لا تطيب باستعمال الماء القليل الذي مات فيه كلب ، أو هرة ، أو فارة ، أو نحو ذلك ، على اختلاف تلك الخطايا التي خرجت مع الماء من كبائر وصغائر ومكروهات ، وخلاف الأولى ، فقلت له : فاذا ، كنت الامام أبو حنيفة وأبو يوسف من أهل الكشف حيث قالوا : بنجاسة الماء المستعمل ، فقال : نعم ، كان الامام أبو حنيفة وصاحبه من أعظم أهل الكشف ، فكان إذا رأى الماء الذي يتوضأ منه الناس يعرف أعيان تلك الخطايا التي وقعت في الماء ، ويميز غسالة الكبائر من الصغائر ، والصغائر من المكروهات ، والمكروهات من خلاف الأولى كالأمور المجسدة حساً على حد سواء ، قال : وقد بلغنا : أنه دخل مطهرة جامع الكوفة فرأى شاباً يتوضأ فقال له : يا ولدي ، تب عن عقوق الوالدين ، فقال تبث إلى الله عن ذلك ، ورأى غسالة شخص آخر فقال له : يا أخي ، تب من الزنا . فقال : تبث من ذلك ، ورأى غسالة

شخص آخر ، فقال له : يا أخي ، تب من شرب الخمر ، وسماع آلات
 اللهو فقال : تبت منها . فكانت هذه الأمور كالحسوسة عنده على حد
 سواء من حيث العلم بها ، ثم بلغنا أنه سأل الله تعالى : أن يحجبه عن هذا
 الكشف لما فيه من الاطلاع على سواآت الناس ، فأجابه الله إلى ذلك
 فعلم : أن الإمام حال كشفه ، كان قوله في الماء المستعمل تابعا لما يراه
 قد وقع من الخطايا من كبائر وصفات ومكروهات وخلاف الأولى ،
 لا أنه كان يعم بالقول بنجاسة كل ماء ضر من المتطهرين على حد سواء كما
 قد يتوهمه بعض مقلديه فأين غسالة الزنا واللواط وشرب الخمر وعقوق
 الوالدين وأكل الرشا والديانة والسعاية ونحو ذلك ؟ من غسالة التنظر إلى
 الأجنبية أو القبيلة لها أو مواعدها على الفاحشة أو الوقوع في الغيبة
 وأين غسالة هذه المذكورات الأخيرة ؟ من غسالة استعمال المكروه
 كالاستنجاء باليمين من غير عذر ، وتقديم غسل اليد اليسرى على اليمنى
 مثلا ، وكذلك الحكم في غسالة خلاف الأولى ، كتوسيع الأكل بغير
 حاجة ، وتكبير العمامة ، والتبسط بالمال كل والمشرط وبناء الدور ، ونحو
 ذلك لحصول الغفلة في حين من الأحيان عن شيء من أمور الآخرة .
 انتهى .

فقلت له : هذا أحكم أهل الكشف وأهل الأعيان الكل في أحكم
 الضعفاء في ذلك ، فقال : هم مع ما يقوم عندهم من شهود تلك الذنوب
 التي ضرت ولا أرى الاحتياط الأولى بهم ، فيجتنب أحدهم الغسالة
 لتلك الأعضاء كأنها غسالة كبائر أو صفات من غير إساءة ظن بمن هي

غسلته ، وذلك بأن يعامل ذلك الماء معاملة ماء من أتى الكبائر أو الصغائر من غير أن يعتقد وقوعه في ذلك .

وسمعه مرة أخرى يقول : الأولى لكل مقلد أن يجتنب غسالة الماء المستعمل كأنه نجاسة مغلظة أخذاً بالاحتياط وإن نزل عن هذه الرتبة جعلها كالنجاسة المتوسطة كبول البهائم ، لاحتمال ارتكاب صاحبها شيئاً من الصغائر كما هو الغالب وإن نزل عن هذا المقام جعلها كالنجاسة الخفيفة ، حملاً على أن ذلك المتطهر إذا ارتكب مكروهاً من المكروهات دون الكبائر والصغائر ، وإن نزل عن ذلك اجتنبه في الاستعمال ، كما يجتنب استعمال ماء البطيخ ، وماء البقل ، ونحوها مما هو طاهر في نفسه غير مطهر لغيره لاحتمال أن يكون المتطهر ارتكب خلاف الأولى فقط ، ومثل ذلك لا يلحق بالنجاسة الخفيفة فضلاً عما فوقها . انتهى .

وسمعه مرة أخرى يقول : كان الامام « أبو حنيفة » من أهل الكشف ، فكان : ثارة يرى غسالة الكبائر في الماء فيحكم باجتهاده أو كشفه بأنها كالنجاسة المغلظة ، وثارة يرى غسالة الصغرى في الماء فيقول : إنها كالنجاسة المتوسطة ، لأن الصغائر متوسطة بين الكبائر والمكروهات فهي مرتبة بين النجاسة المغلظة والخفيفة تبعاً لأصلها ، فليست أقواله الثلاثة إن صحت عنه في غسالة واحدة كما توهم بعض مقلديه وإنما ذلك في غسالات متعددة . انتهى .

وورد : أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لرسول
 الله ﷺ : يا رسول الله حسبك من صفية حكنا ، تعني : قصيرة ،
 فقال ﷺ : يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ،^١
 أو كما قال ﷺ . يعني : لو قدرت جسماً وطرحته في البحر لغيرت
 طعمه . أولونه ، أو ريحه ، أو أوصافه كلها ، فإذا كان مثل هذه الكمية
 تغير البحر كل هذا التغير فكيف بالذنوب العظام إذا خرجت من
 جميع التوضئين في مطهرة المسجد مثلاً ، فرحم الله تعالى متلدي
 الامام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله حيث منعوا الوضوء من ماء المطاهر
 التي لم تستبحر لما يخرج فيها من خطايا التوضئين ، وأمرُوا أتباعهم بالوضوء
 من الأنهار ، أو الآبار ، أو البرك الكبار ، أو من الحياض المغطاة التي
 لا يعود فيها ماء المتطهرين ، فإن هذا الماء أنعش لأعضاء الطهارة لنظافته وكثرة
 حياته ، لاسيما أعضاء أمثالنا التي كادت أن تموت من كثرة المخالفات ،
 فبيات أن ينعشها الماء الذي لم يستعمل فضلاً عن المستعمل ، ولو كثيراً
 عرفاً ، فنعم والله ما فعل أصحاب هذا الامام رحمه الله وعنه فإنه
 أولى بكل حال ، لأنه إن كان هناك ضعف للجسد ، أو فتور ، صحا
 وقوي واتعش ، وإن لم يكن هنالك ضعف ازداد الجسد حسناً
 ووضاءة . وقد طال الكلام في هذا المقام ولم يكن التقصد من ذلك
 إلا التبرك بكلام سيدي العارف الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني ،

(١) رواه البيهقي وأبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح .

وكلام شيخه سيدي الشيخ « علي الخواص » قدس الله أسرارهما مع بيان ما في الوضوء من الأسرار التي قل أن تخطر في الأفكار لاسيما وقد تضمن ذلك ما مر من الثناء على إيماننا وأصحابه وبيان عظم قدرهم وعلو منزلتهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم وبعلمهم آمين .

وحيث كان القصد من أبحاث الوضوء والغسل بيان أحد شروط الصلاة وهو طهارة البدن ، فلنرجع الآن إلى بحث الصلاة فنقول :
قد مر أن من شروط الصلاة : ستر العورة ، وطهارة البدن ، فلنتم الشروط بذكر ما بقي منها وهو : أربعة أشياء : طهارة الثوب ، وطهارة المكان ، واستقبال القبلة ، والنية .

« مطلب » في طهارة الثوب

فأما طهارة الثوب : فالمراد بها طهارة جميع ما لا يس البدن فدخلت القطنسوة ودخلت أيضاً أشياء آخر كالجوربين والحففين والنعلين ونحوها كما في « الطحاوي » نقلاً عن العلامة « الحلبي » وكما يشترط طهارة الثوب كذلك يشترط طهارة ما يتحرك بحركة المصلي مما اتصل به كتنديل طرفه على عنق المصلي وطرفه الآخر على الأرض وعلى الطرف الملاقي للأرض نجاسة مانعة فإن كان موضع النجاسة يتحرك بحركة المصلي منع وإلا لا ولو تعلق به صبي وهو في الصلاة وكان على الصبي نجاسة فإن كان يتمسك بنفسه لا يمنع صحة الصلاة وإلا منع .
ثم النجاسة إن كانت غليظة وهي أكثر من قدر الدرهم فغسلها

فريضة والصلاة بها باطلة وان كانت مقدار الدرهم فغسلها واجب
 والصلاة معها جائزة وان كانت أقل من قدر الدرهم فغسلها سنة وان
 كانت خفيفة فانها لا تمنع جواز الصلاة حتى تفحش كما في « المضمرات » .
 ومذهب السادات الشافعية : العفو عن اليسير من الدم والقيح
 ولذلك قال في القول المختار ما نصه : ولا يعفى عن شيء من النجاسات
 الا اليسير من الدم والقيح فيعفى عنها في ثوب وبدن ، وتصح الصلاة
 معها . وقال العلامة شهاب الدين ابن رسلان :

وليُعف عن زُر دم وقيح من برأة ودمل وقرح

قال العلامة الباجوري : والضابط في اليسير والكثير العرف .
 وإذا تنجس بدن المصلي أو ثوبه فانها يطهر ان بالماء المطلق بالإجماع .
 وأما غير الماء المطلق فلا تجوز إزالة النجاسة به عند الامام محمد رحمه
 الله تعالى كما في « البحر » وهو مذهب الامام الشافعي رحمته الله ولذلك كتب
 العلامة الباجوري في بحث المياه التي يجوز التطهير بها مانصه : فلا يجوز
 التطهير بغيرها من المائعات فمن استعمل غيرها في الوضوء أو الغسل
 فقد تقرب بالميسر موضوعاً للتقرب فيعصى لتلاعبه مع عدم الصحة ،
 واختصاص الطهارة بالماء : قيل : تعبدى لا يعقل معناه . أي : أمر
 تعبدنا الشارع به لا يعقل معناه ولا تفهم حكمته . وقيل : معقول
 المعنى لانه حوى اللطافة والرفقة التي لا توجد في غيره فلذلك لا يقاس
 عليه غيره خلافاً للحنفية . انتهى . أي : فان الأئمة الحنفية غير محمد

« رحمه الله تعالى » قالوا : بأن كل مائع طاهر قانع للنجاسة ينعصر بالعصر فإنه من المطهرات كالخل وماء الورد ونحوها لكن صرح في الحلية في بحث الاستنجاء بأنه تكره إزالة النجاسة بالمائع المذكور لما فيه من إضاعة المال عند عدم الضرورة فإن كان المائع غير قانع للنجاسة كلبن وسمن وزيت فلا شك في أنه غير مطهر .

« فوائده » . وإذا تتجس الخف فإن كان تنجسه بذئ جرم وهو ما يرى بعد الجفاف فإنه يطهر بذلك ، وإن كان تنجسه بنجاسة لاجرم لها قبول فلا بد من الغسل . وذهب الإمام محمد « رحمه الله تعالى » إلى أن الخف لا يطهر بذلك أصلاً . وهو قول زفر ودليل الإمام قوله عليه الصلاة والسلام « إذا جاء أحدكم المسجد فليُنظر فإن رأى في نعله أذى أو قدراً فليمسحه وليصل فيها » ^(١) كذا في البحر وغيره . والمفتي : نجس عندنا ويطهر بالفرك إن يبس ولا يغسل .
وذهب الإمام الشافعي رحمته الله إلى طهارته .

وطهارة محل النجاسة المراتية : يزوال عين النجاسة ، وطهارة محل النجاسة غير المراتية بأن يغسلها حتى يغلب على ظنه طهارة محلها بلا تقدير بعدد حتى لو غلب على ظنه زوال النجاسة بغسلة واحدة أجزاء على ما صرح به الكرخي واختاره « الإسيجاني » ، فإن كان الغاسل موسوساً اكتفى بالغسل والعصر ثلاثاً . وذهب الشافعي : أنه يكفي

(١) رواه أبو داود : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

لإجراء الماء على النجاسة غير المرئية المعبر عنها بالنجاسة الحكمية .
قال في الزبد :

يكفيك جري الماء على الحكمية وأن تزول العين من عينية

ويول الصبي الصغير معدود من النجاسة المغالطة فلا يعفى عما زاد عن
الدرهم بل لابد من غسله لعموم قوله ﷺ «استزوها من البول»^(١) وذهب
السادات الشافعية إلى أن الصبي الذي لم يتناول ما كولا ولا مشروبا على
جهة التغذية واستوفى ما اشترطوه يطهر ما أصيب ببوله برش الماء
عليه ولا يشترط سيلان الماء واستدلوا بحديث الشيخين عن أم قيس
« أنها جاءت بأبن صغير لها لم يأكل الطعام فأجلسه رسول الله ﷺ
في حجره فبال فدعا ﷺ بماء فنضجه ولم يغسله » . ويخبر الترمذي
« يغسل من يول الجارية ويرش من يول الغلام » . قال العلامة الباجوري :
ويؤخذ من الحديث السابق : ندب حسن المعاشرة واللين والتواضع
والرفق بالأطفال وغيرهم كما في : شرح مسلم .

ولو وقع على الثوب شيء من خرق الطيور والمأكولة غير الدجاج
والبط ونحوها فلا يجب غسله وتصح الصلاة معه لأن خرقه الماء كولة
غير الدجاج والبط ونحوها طاهر عندنا ، واختلف في الروث^(٢) والحي^(٣)

(١) مقدمة حديث : رواه الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢ - ٣) الروث : الفرس والبغل والحمارة والحي : بكرة فسكون : البعوض والقمل
واليمر : اللابل والظنم . والخرق : الطيور . والنحو : النكاح . والعدرة : للأنسان .

فقال الامام: هما نجسان نجاسة مغلظة وقال الامامان أبو يوسف ومحمد: هما نجسان نجاسة مخففة لا مغلظة فعلى الأول: يعفى عن قدر الدرهم فأقل . وعلى الثاني: يعفى عن أقل من ربع الثوب كما لا يخفى ، ومذهب الامام الشافعي أن غسل جميع الأيوان والأرواث ولو من مأكول اللحم واجب .

وذهب الامام مالك إلى أن ما أكل لحمه فبوله وروثه طاهران فلا يجب الغسل منها .

« مطلب » في طهارة المكان

وأما طهارة المكان: فهي أيضاً من شروط الصلاة فلو صلى على مكان متنجس أعاد الصلاة ، وإذا تنجست الأرض وأردنا تطهيرها عاجلاً نصب عليها الماء ثلاث مرات وفي كل مرة نحققها بخرقه طاهرة وكذا إذا صب عليها الماء بكثرة حتى لا يظهر أثر النجاسة كما في « شرح المنية » ، وإذا صب عليها الماء فجري قدر ذراع طهرت الأرض. والماء طاهر بمنزلة الماء الجاري كذا في « المنتقى » وكان عليه السلام يأمر بصب الماء على الأرض المتنجسة ويرى ذلك مطهراً لها ، « ودخل عليه مرة أعرابي فبال في ناحية المسجد فقال عليه السلام صبوا عليه دلواً من ماء ثم قال للأعرابي : إن هذه المساجد لاتصلح لشي من البول والتندر وإنما هي لذكر الله

والصلاة وقراءة القرآن ، ^(١) وإذا لم تغسل الأرض المتنجسة حتى ييسب ويغتسل ، وذهب أثر النجاسة بالكلية فإنها تطهر لصلاة لا لتييم لأن شرط الصلاة طهارة المكان وشرط التيمم طهارة الأرض والظهور أبلغ من الطاهر لأن الظهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره ، وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول : « زكاة الأرض ييسبها فإذا ييسب الأرض المتنجسة طهرت » ^(٢) ولو تنجس طرف ثوب فنيسه وغسل طرفاً منه فإنه يحكم بطهارته كحنطة بال عليها حُمْر ^(٣) تدوسها فغسل بعضها أو ذهب طهرت كلها .

« مطلب » في تسمية القبلة قبل

وأما استقبال القبلة : فهو شرط أيضاً وإنما سميت القبلة قبل لأن المصلي يقابلها وتقابله ، وكانت القبلة في صدر الإسلام إلى بيت المقدس وكان صلى الله عليه وسلم دائماً ينظر إلى جهة السماء مترقباً أن يبين الله عليه بأمر جبريل إليه بالوحي بتحويل القبلة حتى حقق الله رجاءه وأنزل عليه (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول

(١) ورد من طرق عديدة : فقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد : عن أنس رضي الله عنه ، وأبو داود ومسلم عن أبي هريرة وعنه الله بن مغل رضي الله عنه . ومالك : عن يحيى بن سعيد وأم سلمة رضي الله عنهما : جمع القوائد وأعذب الموارد ١١/٦٣ - ٦٤ - ٦٥ هـ .
(٢) يشبه له ما رواه أبو داود بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كنت أبيت في المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت شاباً عزيزاً وكانت الكلاب تبول وتقبل وتدبر في المسجد ولم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك .
(٣) قوله : حُمْر ، بضمين : جمع حار .

وجبهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره^(١)
والاستقبال : من الشروط الزوائد فليس مقصوداً لذاته لأن المعبود
المسجود له هو الله سبحانه وتعالى .

وليعلم أن تعيين الجهة فيه سر عظيم وهو توجيه وجهه الخلق إلى
الجهة التي ارتضاها الحق لكيلا تحصل التفرقة وتنشئت القلوب وكل
يستحسن برأيه وجهه وينحو ناحية والأفا القصد تمريغ الجباه وتعفير
الخدود إلى الجهة المريئة المبنية فإن السجود لا ينبغي إلا لله بل الحكمة
أنما هي صرف القلوب والوجوه إلى جهة اختارها الله أن تكون وجهه
عباده إليه ليربطوا بعد اتجاهها قلوبهم بربهم ويخضعوا لعظمة قدسه
ويسألوه ويذكروه ويهللوه ويكبروه وتكون وجهه كل من عباده
المسلمين وعقدنظامهم وحبل اعتصامهم وطريق حزيهم إليه وباب توكلهم
عليه وعاصمة الكل من التفرقة والخلاف والشقاق وصرف القلوب إلى
الجهات السائرة وعمل كل برأيه، وصوناً لهم من سهم المخالفة للنبي وقوداً
لهم إلى اتباعه والوقوف حيث وقف والافتقد قال تعالى (وهو معكم
أين ما كنتم)^(٢) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله)^(٣) ومن ثم يعلم : أن
القصد هو السجود لله لا للجهة ويدرك مانصه العلماء من أن السجود
لغيره تعالى : كفر . قال في « الدر » بعد ذكر الاستقبال : وهو شرط

(١) البقرة / ١٤٤ .

(٢) الحديد / ١٤ .

(٣) البقرة / ١١٥ .

زائد للابتلاء يسقط للعجز حتى لو سجد للكعبة نفسها كفر وقوله :
 للابتلاء علة لمحذوف . أي : شرطه الله تعالى لاختبار المكلفين كما قال
 تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول من
 ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله)^(١) والمراد
 والله أعلم بكونها كبيرة : كونها شاقة مستمرة ثقيلة على النفوس كما
 قاله العلامة « الفخر » .

ويجب على المكي : إصابة عينها وأما غير المكي فعندنا يكفيه
 إصابة جهتها بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتا للكعبة أو لحوائها
 كنا في « الدر المختار » وذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه إلى
 أنه لا يكفي استقبال جهتها بل يشترط استقبال عينها هذا معتمد مذهبه
 لكن التريب يستقبلها يقينا . والبعيد يستقبلها ظنا كما في « حاشية
 الباجوري » ومن عجز عن استقبال القبلة ومقبلته جهة قدرته لأن الطاعة
 على حسب الطاقة ومن لم يعرف القبلة تحرى إما بالسؤال من العارف
 بها وإما بالاستدلال بالمحاريب والنجوم ولو كان بحضرتة من يسأله فتحرى
 ولم يسأله ؟ إن أصاب القبلة جاز لحصول المقصود والأفلا . قال في
 « رد المختار » واستفيد مما ذكر أنه بعد العجز عن الأدلة المارة عليه أن
 يتحرى ولا يقلد مثله لأن المجتهد لا يقلد مجتهدا وإذا لم يقع تحرية على
 شيء فهل له أن يقلد ؟ لم أره .

وقد نص العلامة الباجوري على أن يثبت الإبرة المعروف وهو المسمى « قبلة نامة » معتبر وهو في معنى اخبار الثقة فيعتمد عليه . ويجوز ترك الاستقبال في الصلاة عند السادات الشافعية في موضعين في شدة الخوف في قتال مباح لافرق بين أن تكون الصلاة فرضاً أو نفلاً وفي النافلة في السفر المباح ولو قصيراً، وكيفية صلاة الراكب والمعاشي المذكورة في القول المختار قبيل أركان الصلاة .

« مطلب في النية »

وأما النية: فهي الشرط السادس من شروط الصلاة وقد عدها الشافعية ركناً من أركانها وهي لغة: العزم وهو الإرادة الجازمة، وشرعاً: إرادة الصلاة لله تعالى، وزاد في « الدر » قيداً آخر وهو: على الخلوص ومعنى الخلوص: الاخلاص لله تعالى على معنى أن لا يشرك معه غيره في العبادة، قال في « رد المختار » أقول: هذا يوم أنها لا تصح مع الرياء مع أن الاخلاص شرط للشواب لا للصحة فعلى هذا لو شرع في الصلاة بلا اخلاص تنعقد صلاته ولا ثواب له. والمعتبر في النية: عمل القلب اللازم للإرادة وهو أن يعلم بدهاء أي صلاة يصلي فلو لم يعلم إلا بتأمل لم تجز صلاته . والتلفظ بها قيل: مستحب وهو المختار . وقيل: سنة . قال في « الدر » يعني أحبه السلف وسنه علماءنا إذ لم يتقل عن المصطفى ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . وقد نص الشافعية على أن التلفظ بها سنة ليساعد اللسان القلب .

ويجوز تقديم النية على التكبير بزمان يسير ووافق على ذلك الامام
أحمد رحمته الله وقال الشافعي ومالك رضي الله تعالى عنهما: بوجوب مقارنة
النية للتكبير فلا تجزئ عندهما قبله ولا بعده أما عندنا فلو قدم النية
بزمان يسير أجزأته ، وفي « البدائع » خرج من منزله يريد الجماعة فلما
انتهى الى الامام كبر ولم تحضره النية جاز وأما إذا أخر النية عن التكبير
فانها لا تجزئ ولا عبرة بها على المذهب . وقيل : تجزئ النية بعد
التكبير على ما قاله « الكرخي » وإذا نوى الصلاة المفروضة فلا بد من
تعيينها ظهراً أو عصرًا أو غيرها سواء كانت الصلاة أداء أو قضاء أو
واجباً ولا يجب تعيين عدد الركعات وينوي المقتدي المتابعة ، ولو
نوى فرض الوقت وكان الوقت باقياً جاز إلا في صلاة الجمعة فلا يكفي
لأن فرض الوقت عندنا الظهر والجمعة بدل عنه ، نعم ان كان المصلي
يعتقد ان الجمعة فرض الوقت كما هو رأي البعض فتصح . ومصلي
الجنائز ينوي الصلاة لله تعالى والدعاء للميت لأنه الواجب عليه فيقول :
أصلي لله تعالى داعياً للميت . وان اشتبه عليه الميت أذكر أم أنثى؟
يقول : نويت أصلي مع الامام على من يصلي عليه ، ولا بد عند السادات
الشافعية من نية الفرضية فيقول المصلي : نويت أصلي على هذا الميت
أو على من يصلي عليه الامام أو على من حضر من أموات المسلمين فرضاً
أو فرض كفاية فان عينه وأخطأ في تعيينه لم تصح صلاته ، وقد شرعت
الصلاة على الجنائز في المدينة المنورة على منورها أفضل الصلاة والسلام

وصلى عليه ﷺ ثلاثون ألفاً من الانس وستون ألفاً من الملائكة
 وكانت صلاتهم عليه ﷺ فرادى لعدم الخليفة حينئذ ولا يلزم الامام
 أن يتوي الامامة فلو نوى صلاته فقط أو اقتدى به الناس صحت قنوتهم
 نعم لا تحصل للامام ثواب صلاة الجماعة فنية الامامة شرط لتبيل الثواب
 لا شرط لصحة الجماعة ونية استقبال القبلة ليست بشرط على الراجح
 كما أنه لا يشترط تعيين الامام في صحة الاقتداء حتى لو اقتدى برجل
 وهو يظن أنه زيد ثم بان أنه عمرو صح قنوته ، لكن لو نوى الاقتداء
 بزيد وتبين أن الامام عمرو فانه لا يصح الاقتداء لأن العبرة لما نوى لا غير
 هذا اذا تجردت النية عن الاشارة أما اذا تضمنت الاشارة كأن قال :
 نويت الاقتداء بهذا الامام الذي هو زيد ثم ظهر أنه عمرو فانه يصح
 اقتداؤه . وفي حكم اسم الاشارة . « أل » التي هي للعهد الذهني أو
 الخارجي فلو قال : نويت الاقتداء بالامام القائم في المحراب الذي هو زيد
 فاذا هو عمرو صح اقتداؤه ومحل ذلك فيما اذا لم يؤكد تعيينه بصفة
 مختصة به أما اذا أكد بذلك كان زاد هذا الشاب فتبين له شيخ فلا يصح
 أما اذا عكس فقال : هذا الشيخ فاذا هو شاب صحت القدوة لأن
 الشاب يدعى شيخاً لعله كما في « الدر » من شروط الصلاة عند قول
 صاحب التنوير ، ونية استقبال القبلة ليس بشرط كنية تعيين الامام
 في صحة الاقتداء ، وما سبق من أن شروط الصلاة ستة هو ما صرح به
 في « تنوير الأبصار » وجامع البحار ، وهو ما اقتصر عليه في ملتقى
 الأبحر .

« مطلب » في دخول الوقت

وعند في « الهندية » نقلاً عن الزاهدني من شروط الصلاة : الوقت ، فيشترط لصحة كل صلاة من الصلوات الخمس دخول الوقت بل ويشترط أيضاً اعتقاد دخوله حتى لو صلى مع كونه شاكاً في دخول الوقت فعليه الإعادة سواء ظهر أنه كانت الصلاة في وقتها أم لا . وحيث كان دخول الوقت واعتقاد دخوله من شروط الصلاة فلنتكلم على أوقات الصلاة فنقول : وقت الصباح من الفجر الصادق وهو : البياض المنتشر في الأفق إلى حين طلوع الشمس ولا عبرة بالكاذب . وهو : البياض الذي يبدو طولاً ثم يعقبه الظلام فبالكاذب لا يدخل وقت الصلاة ولا يحرم الأكل على الصائم كما في « الكافي » وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يقرنكم أذان بلال ولا الفجر المستطيل إنما المعتبر الفجر المستطير »^(١) واختلف المشايخ في أن العبرة لأول طلوع الفجر الثاني أو لاستطارته وانتشاره كذا في « المحيط » .

والثاني أوسع ، وإلى مال أكثر العلماء هكذا في مختارات الفتاوى والأحوط في العشاء والصوم : اعتبار الأول . وفي الفجر اعتبار الثاني كذا في « شرح النقاية » للشيخ « أبي المكارم » ووقت الظهر من الزوال

(١) أخرجه الترمذي ومسلم بلفظ : « لا يقرنكم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير » . ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي : عن مرة رضي الله عنه بلفظ « لا يقرنكم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل حتى يستطير » .

إلى بلوغ الظل مثليه سوى الفيه كما في 'الكافي' وهو الصحيح كما في
 'محيط السرخسي' والزوال : ظهور زيادة الظل لكل شاخص في
 جانب المشرق كذا في 'الكافي' وطريق معرفة زوال الشمس وفي
 الزوال : أن تغرز خشبة مستوية في أرض كذلك فما دام الظل ينقص
 فالشمس لم تزل في ارتفاع وإذا أخذ الظل في الازدياد فتكون الشمس
 قد زالت فاجعل على رأس الظل علامة فمن موضع العلامة إلى الخشبة
 هو في الزوال فإذا زاد على ذلك وصارت الزيادة مثلي ظل أصل العود
 سوى في الزوال فحينئذ يخرج وقت الظهر عند أبي حنيفة عليه السلام
 كذا في 'فتاوى قاضيخان' وهذا الطريق هو الصحيح هكذا في
 'الظهرية' . وامتداد وقت الظهر إلى بلوغ ظل كل شيء مثليه هو
 ظاهر الرواية كما في 'النهاية' وهو الصحيح كما في 'البدائع والنبات' .
 وكما سبق نقله عن 'المحيط' وهو المختار 'غيائية' وصححه 'المجيب' .
 وعول عليه 'التسفي' وصدور الشريعة واختاره : أصحاب المتن .
 وارتضاه الشارحون ، وروي عن الإمام : أن وقت الظهر يبقى إلى
 بلوغ ظل كل شيء مثله فقط لامثليه وهو قول الإمامين أبي يوسف
 ومحمد وزفر وبه قالت الأئمة الثلاثة رضي الله تعالى عنهم . قال الإمام
 الطحاوي : وبه نأخذ وفي 'غرر الأذكار' وهو المأخوذ به . وفي
 'البرهان' وهو الأظهر لبيان جبريل عليه السلام وهو نص في الباب
 وفي 'الفيض' وعليه عمل الناس اليوم وبه يفتي كذا في 'الدر المختار'
 وهناك رواية أخرى عن الإمام الأعظم عليه السلام وهي : أنه يبلوغ ظل

كل شيء مثله يخرج وقت الظهر ولا يدخل وقت العصر إلا ببلوغ
المثلين . ومن هنا قالوا : الاحتياط أن لا يؤخر الظهر الى المثل ولا يصلّي
العصر حتى يبلغ المثلين ليكون مؤدياً للصلاتين في وقتها بالاجماع .

ووقت العصر : من بلوغ ظل كل شيء مثله أو مثليه على القولين
المازنيين الى غروب الشمس . واذا غربت الشمس ثم عادت هل يعود
وقت العصر ؟ الظاهر : نعم . « الدر المختار » قال في حاشيته « رد
المختار » : وهو بحث لصاحب النهر حيث قال : ذكر الأئمة الشافعية :
أن الوقت يعود لأنه عليه الصلاة والسلام « نام في حجر علي بن أبي
طالب عليه السلام وكرم الله وجهه حتى غربت الشمس فلما استيقظ ذكر
له أنه فاتته العصر فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فأرددها عليه فردت حتى صلى العصر وكان ذلك بخير » .
والحديث صححه الطحاوي وعياض وأخرجه جماعة منهم الطبراني
بسنن حسن ، وأخطأ من جعله موضوعاً كابن الجوزي وقواعدنا لأناباه .
انتهى . قال العلامة الحلبي : كأنه نظير الميت اذا أحياه الله تعالى فإنه
ياخذ ما بقي من ماله في أيدي ورثته فيعطى له حكم الأحياء . ورد الشيخ
اسماعيل ما بحثه « صاحب النهر » وجعل ما في الحديث خصوصية لسيدهنا
علي عليه السلام كما يعطيه قوله : أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك .

وصلاة العصر : هي الصلاة الوسطى^(١) وهو قول أئمتنا الثلاثة ،

(١) جاء في الحديث عن علي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الأحزاب : شغلوا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر من الله بيومهم وقبورهم غداً . =

قال الترمذي وغيره : انه قول أكثر العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ ومخيت وسطى لأنها بين صلاتين من صلاة الليل وصلاتين من صلاة النهار وقام الاستدلال على هذا القول من الأحاديث الصحيحة مبسوط في « الحلية » قال العلامة الحلبي : وهذا قول من ثلاثة وعشرين قولاً مذكورة في الوهبانية وشرحها . ووقت المغرب : من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر ، وهو قول الامامين وبه يفتى كما في الوقاية وهو الأظهر من قولي الامام الشافعي رحمته الله . ولذلك قال في الزبد : والوقت يبقى في القديم الأظهر إلى العشاء بمغيب الأحمر

وعند أبي حنيفة إلى مغيب الشفق الأبيض كما في « التقديري » . ووقت العشاء : منه إلى الصبح ولا يصح أن يقدم عليها الوتر لوجوب الترتيب . لأنها فرضان عند الامام غير أن العشاء فرض قطعي والوتر فرض عملي .

ومن كان في بلدة يطلع فيها الفجر قبل أن يغيب الشفق « كبلفار » التي هي مدينة الصقالبة ، فإن الفجر يطلع فيها في أربعينية الصيف قبل مغيب الشفق هل يقضي العشاء والوتر أم لا يكلف بهما ؟ قولان مصححان أفنى البرهان الكبير بالأول . والبقالي بالثاني . وكان « الحلواني » يفتي بوجوب القضاء ثم وافق « البقالي » وذلك أن « الحلواني » أرسل

عنه سلاماً بين المشافعين « رواه الحلة . ومن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة الوسطى صلاة العصر » رواه الترمذي بسند صحيح .

إليه من يسأله عن أسقط صلاة من الصلوات الخمس أيكفر أم لا ؟
 فأجاب السائل بقوله : من قطعت يده أو رجلاه كم فروض وضوئه ؟
 فقال له : ثلاث ، لفوات الحبل . قال : فكذلك الصلاة . فبلغ «الخلواني»
 ذلك فاستحسنه ورجع إلى قول «البقالى» بعدم الوجوب ، وعلى القول
 بأنه يكلف إليها هل ينويها قضاء أم أداء ؟ واعترضه ^(١) الزيلعي بأن
 الوجوب بدون السبب لا يعقل وبأنه إذا لم ينو القضاء يكون أداء
 ضرورة وهو أي : الأداء فرض الوقت ولم يقل به أحد إذ لا يبقى وقت
 العشاء بعد طلوع الفجر اجاعاً فعليه أن يصلحها على سبيل القضاء لا
 الأداء كذا في «رد المحتار» ويستحب الاسفار بالفجر لقوله عليه الصلاة
 والسلام «أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر» ^(٢) ولا يؤخرها إلى أن
 يقع الشك في طلوع الشمس بل يسفر بها بحيث يمكن الأداء بترتيل
 أربعين آية أو أكثر ثم إن ظهر فساد الطهارة يمكن الوضوء وإعادة الصلاة
 على الوجه المذكور وهذا في كل صبح إلا صبيحة يوم النحر للحاج
 بمزدلفة فإن هناك التغليس أفضل كما في المحيط وسيأتي ذلك في الكلام
 على الحج إن شاء الله تعالى .

وذهب السادات الشافعية إلى أن التغليس في الصبح دائماً هو الأفضل

(١) الصغير منا عائد على العلامة : البرهان الكبير الذي قال بالوجوب . رافعه
 تعالى أعلم .

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان : عن رافع بن خديج ، ورواه الديلمي
 عن أنس بلفظ «أسفروا بالفجر يفر لكم» .

لما ورد أنه ﷺ « كان يصلي الصبح في أكثر أوقاته بغلس حتى لا يعرف المصلي وجه جليسه »^(١) . ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له « يا معاذ إذا كان في الشتاء فغلس في الفجر وأطل القراءة قدر ما يطيق الناس ولا تلههم ، وإذا كان الصيف فاسفر بالفجر فان الليل قصير والناس ينامون فامهلهم حتى يذكروا »^(٢) .

ويستحب تأخير الظهر في الصيف لأنه ﷺ « كان يبرد بالظهر في الحر ويقول : « شدة الحر من فيح جهنم »^(٣) وإذا كان الوقت بارداً عجل به و « كان ﷺ يأمر أصحابه بالإيراد بالظهر وهم نازلون في الأسفار »^(٤) وكان ﷺ يقول : ان الله عز وجل وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالشئ كل يوم ولولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقت . ويستحب تأخير العصر في كل زمان ما لم تتغير الشمس والعبرة لتغير القرص بالتغير الوضوء فمتى صار القرص بحيث لا تخار فيه العين فقد تغيرت ، والأفضل عند السادات الشافعية فعلها في أول الوقت . ويستحب تعجيل المغرب في كل زمان كذا في « الكافي » ويستحب تأخير العشاء إلى ثلث الليل .

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه يلفظ : والصبح كان الذي صلى الله عليه وسلم يصلي بغلس ، والغلس حركة : ظلمة آخر الليل كما في القاموس وهو أول الفجر . . ومسلم وحده من حديث أبي موسى رضي الله عنه يلفظ : « فأقام الفجر حين انشق الفجر والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضاً » .

(٢) رواه الشيخان عن محمود البغوي في شرح السنة .

(٣) بعض حديث رواه الجماعة عن أبي هريرة .

(٤) انظر حديث أبي ذر رضي الله عنه في ذلك : قبل الأوطار للشوكاني ١/ ٣٨٦ .

وذهب الامام الشافعي رحمته الله إلى أن الأفضل أدائها في أول الوقت .

ويستحب تأخير الوتر إلى آخر الليل لمن يثق بالانتباه ومن لم يثق بالانتباه أوتر قبل النوم كذا في « التبيين » : ولا يجمع بين صلاتين لافي السفر ولا في الحضر بعذر من الاعذار ماعدا عرفة والمزدلفة كما في « المحيط » وسياقي الكلام عليه في أحكام الحج أيضاً .

وذهب الشافعي ومالك وأحمد رضي الله تعالى عنهم إلى أنه يجوز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً ، قال ابن عمر : رضي الله تعالى عنهما « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تریغ الشمس أخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما ، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصلها مع العشاء »^(١) ويجوز عند الشافعي الجمع في المطر بين الظهر والعصر وكذا بين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً ولذلك قال الباجوري : وبالجمله فلا يجوز الجمع بالمطر إلا تقديماً فقط ، وذهب الامام مالك إلى جواز الجمع في المطر بين المغرب والعشاء لابن الظهر والعصر وقد سبق أن منذهب الامام الأعظم عدم جواز الجمع إلا في موضعين وهما عرفة ومزدلفة . ويذكر الوقت في شروط الصلاة صارت الشروط سبعة .

(١) روى البخاري ومسلم حديثاً قريباً منه عن أنس رضي الله عنه .

« مطلب » في بنية شروط الصلوة

وبقي من شروط الصلاة على ما نقله العلامة « ابن عابدين » عن
« القهستاني » أشياء أخر :

منها - القراءة . وقد عدّها كثير من علمائنا ركناً ، والجمهور على
أنها : ركن زائد ، لا أصلي . والفرق بين الركن الأصلي ، والركن
الزائد : أن الأصلي لا يسقط إلا لضرورة ، والزائد قد يسقط بلا
ضرورة ، والقراءة : تسقط عن المقتدي بلا ضرورة . فلذلك سميت
ركناً زائداً . قاله « شيخي زادة » في « شرح الملتقى » وقد خالف « ابن
ملك » فجعل القراءة ركناً أصلياً . والقول : بأنّها ركن هو الموافق
لمذهب الشافعي من جهة التسمية . أما من جهة الأحكام : فعندنا :
تفرض القراءة في ركعتين من الصلاة . وعند « الشافعي » لا بد منها في
كل ركعة . وعندنا : تسقط عن المأموم ، لأن قراءة إمامه قراءة له .
وعند « الشافعي » لا تسقط عنه . وعندنا إذا ترك الفاتحة مع القدرة
عليها لا تفسد صلاته ، وإن كان يؤمر بإعادة الصلاة على ما في « المجتبى »
وعند « الشافعي » لا تصح الصلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة . ولذلك قال العلامة
الباجوري : وتحجب في كل ركعة سواء بالصلاة السرية والجمهرية ، وسواء
الامام والمأموم والمنفرد .

ودليلنا على أن الفاتحة غير فرض في الصلاة : قوله تعالى : (فاقرؤوا

ما تيسر منه وأقيموا الصلاة^(١)، ودليل الامام « الشافعي » ومن وافقه
 كـ « مالك » و « أحمد » في أشهر الروايات عنه على أن الفاتحة فرض
 قوله ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »^(٢) .

ولو أسقط من الفاتحة حرفاً أو تشديداً أو أبدل منها حرفاً بحرف
 كان قال : الزين . أو الدين . بالزاي أو بالdal : أو قال : الحمد لله .
 بالهاء بدل الحاء . أو قال : ولا الظالين بالظاء المشالة بدل الضاد المعجمة
 فذهب السادات الشافعية : أنه لا تصح صلاته . ولذلك قال العلامة ابن
 رسلان : لو أبدل الحرف بحرف بطلت .

وعندنا : أنه إذا أحل بتشديداً ، فإن كان المعنى لم يتغير لا تفسد
 الصلاة . وأما إن تغير المعنى كان قرأ قوله تعالى (إن النفس لأماراة
 بالسوء)^(٣) بتخفيف ميم أماراة . فالعامة على أنها تفسد . وحكم تشديد
 الخفّف كحكم تخفيف المشدد .

وان زاد حرفاً فإن غير المعنى فسدت ، وإن لم يغير ففيه قولان .
 ولو أبدل حرفاً بحرف وغير المعنى فإن أمكن الفصل بين الحرفين بلا
 مشقة تفسد وإن لم يمكن إلا بمشقة كالظاء مع الضاد المعجمتين . والصاد

(١) المزمل / ٢٠ .

(٢) رواه أحمد والسنن عن عباد بن الصامت . وفي لفظ عند مسلم وأبو داود
 والنسائي : لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب قصاعداً . وعند أحمد وابن ماجه : من عاثقة
 وابن عمر . والبيهقي عن علي ، والخطيب عن أبي أمامة بلفظ : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم
 الكتاب فهي خداج » والخداج : النقصان . ١ .
 (٣) يوسف / ٢٣ .

مع السين المهملتين. والطاء مع التاء . قال أكثرهم : لا تفسد . قال القاضي أبو عاصم : إن تعمد ذلك تفسد . وإن جرى على لسانه ، أو لا يعرف التمييز لا تفسد وهو المختار « حلية » وفي « البرازية » : وهو أعدل الأقاويل وهو المختار كما في « رد المختار » وإذا كان مذهبا : أن من تعمد إبدال الضاد ظاءً ، بأن قال بدل ولا الضالين : ولا الظالين : لا تصح صلاته ومذهب الشافعي : بطلان الصلاة بمثل ذلك مطلقاً ، فما الموجب لبعض من يصلي إماماً في الجمعة والجماعة أن يتعمدوا ذلك ويجعلوه ديناً لهم وما الذي سوغ لهم أن يبدلوا هذه الكلمة مع قوله تعالى (لا تبدلوا كلمات الله) مع أن ما بين « الضالين » الذي هو جمع : ضال . مأخوذ من الضلالة ضد الهداية . وبين ظالين الذي هو جمع : ظال مشتق من الظلة . التي هي بمعنى الإقامة . من الفرق ما لا يخفى على من له إلمام بفهم شيء من الكلام ، فضلاً عما يدعي أنه حصل نتائج العلوم ، وجمع زبدة المنطوق والمفهوم . ولا يخفى أيضاً أن الوقوف على الخطأ الذي ينهى عنه شرعاً مع العلم به : إحداه في الدين . وقد ذكرنا هذه الكلمات هنا تنبيهاً لأخواننا المسلمين الغافلين عن هذه الحكمة لأن العبادة : معاملة بين العبد والرب على ما يشرع الرب ويرضى لنفسه تعالى لا على ما يرضى العبد ويختار . فإذا عمل العبد بما يرضيه مخالفاً لما يرضى الله قولاً أو فعلاً فقد أحدث البدعة في الدين ، وقد روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا

(١) بونس / ٦٤ .

هذا ما ليس منه فهو رد ، وفي رواية لـ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة . وفي الحديث « كل بدعة ضلالة »^(١) .

ومنها عدم تذكر فائنة لني ترتيب . وصاحب الترتيب : هو الذي لم يجتمع عليه ست فوائت ، أما إذا صارت الفوائت ستة فإنه يسقط الترتيب كما يسقط بضيق الوقت وبالنسيان فإذا فائنت صلاة الظهر مثلاً ، وشرع في صلاة العصر وهو متذكر الصلاة الفائتة والوقت واسع وهو صاحب ترتيب فسدت صلاة العصر لكن فسادها موقوف عند الإمام ، حتى لو صلى بعد صلاة العصر « ست صلوات » أو أكثر : انقلب الكل جائزاً عنده . وقال صاحباه أبو يوسف ومحمد : بفسادها باتاً لاموقوفاً فلا يمكن عندهما انتقالها إلى الجواز . نعم ، اختلف الصاحبان في معنى الفساد . فقال أبو يوسف : يفسد وصف الفرضية وتنقلب نقلاً . وقال محمد : فسدت الصلاة بأصلها ووصفها ، فلا تعتبر فرضاً ولا نفلاً .

والوتر كالفرض عملاً فتذكره مفسد فائتاً خلافاً لأبي يوسف ومحمد ولو صلى العشاء بلا وضوء ناسياً ، ثم صلى السنة والوتر بوضوء ثم أعاد صلاة العشاء فإنه يعيد السنة لاعادة العشاء ولا يعيد الوتر ، وقيل : يعيده .

ومنها : ترتيب فروض الصلاة . وذلك كالقراءة والركوع والسجود فيجب تقديم القراءة على الركوع ، وتقديم الركوع على السجود فلو

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث العراء بن سارية مرفوعاً .

عكس لم تصح صلاته، لما صرح به شراح «الهداية» وغيرهم: من أنه لو قدم الركوع على القراءة: تفسد الصلاة. لكن هذا فيما إذا اكتفى بما قدمه ولم يعده، فإن قرأ وأعاد الركوع الذي قدمه صحت ولزمه سجود السهو كما في «رد المحتار».

«مطلب» في سجود السهو

وسجود السهو: واجب عندنا في محله، كأن جهر الإمام في الصلاة السرية أو أسر في الصلاة الجهرية. وانما مثلنا بالإمام لأن الجهر في الجهرية لا يجب على المنفرد اتفاقاً. وانما الخلاف في وجوب الاخفاء عليه في الصلاة السرية. وظاهر الرواية عدم الوجوب. والقول بوجوب الجهر والاسرار على الإمام في محليها هو مذهبنا. أما عند السادات الشافعية فهو ليس كذلك. وكذلك سجود السهو عند الشافعي رحمته الله سنة إلا في مسألة واحدة فإنه فيما يصير واجباً ويكون بمنزلة الركن وذلك في حق المأموم إذا فعله إمامه، فلو سلم إمامه ساهياً عن سجود السهو لزمه أن يعود إليه أن قرب الفصل والا أعاد صلاته كما لو ترك منها ركناً.

واختلاف في محل سجود السهو فقال إمامنا الأعظم: بأن السجود بعد السلام. وهل هو بعد تسليمه واحدة أو بعد تسليمتين؟ قولان. وإذا اقتصر على الواحدة، فهل يجعل السلام عن يمينه أم يجعله تلقاء وجهه؟ قيل عن يمينه وقيل تلقاء وجهه. ولو فعله قبل السلام، هل يحز ثم مع الكراهة التزجية أم لا؟

ظاهر الرواية : نعم ، وعن أصحابنا أنه لا يحزنه ويعيده . وذهب
 الامام الشافعي رحمته الله الى أن سجود السهو قبل السلام لا بعده .
 وذهب الامام مالك رحمته الله الى أنه إن سها المصلي بنقص شيء فإنه
 يسجد قبل السلام ، وإت سها بزيادة شيء فإنه يسجد بعد السلام .
 فعنده القاف بالقاف ، والدال بالدال . أي قاف قبل لقاف النقصان ،
 ودال بعد لدال الزيادة . وإنما وقع الاختلاف بين الأئمة لما روي عن النبي
ﷺ : « أنه كان تارة يسجد للسهو قبل السلام ، وتارة يسجد له بعده »^١
 فلذلك اختار بعضهم القبلية . وبعضهم البعدية . وبعضهم التفصيل .

« مطلب » في سهو النبي ﷺ

« فإن قلت : فكيف يقع السهو من رسول الله ﷺ مع أن من
 البشري أنه ﷺ لاشاغل له عن عبادة ربه سبحانه وتعالى يشغله في
 وقت من الأوقات أو لحظة من اللحظات ولذلك كان نومه بل ونوم
 سائر اخوانه من النبيين والمرسلين لا ينقض الوضوء ، لأن أعينهم تنام
 وقلوبهم مستيقظة مشغولة في تعظيم الملك العلام ؟! أجيب بأن ذلك إنما
 وقع للتشريع لهذه الأمة فإنه ﷺ بعث مشرعاً ومعلماً يدل عليه
 قوله ﷺ : « إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ليستن في فإذا نسيت
 فذكروني ، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحرر الصواب فليتم عليه ثم

(١) انظر باب سجود السهو وغيره . في سبل السلام للمتعالى أو غيره من كتب

الحديث .

ليسلم ثم ليسجد سجدتين بعد سلامه^(١) . وفي رواية أخرى « كان ﷺ يقول : « فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين قبل أن يسلم » . وأجاب بعضهم بجواب آخر . وهو : أنه ﷺ غاب عن كل ما سوى الله فسها عن غير الله ، واشتغل بتعظيم الله فقط ولذلك قال القائل :

ياساني عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سهره فسها عما سوى الله فالتعظيم لله

والذي يخطر لي في معنى هذين البيتين : أن ملاحظة أمرار العبادة أدب ، والغيبة عن ملاحظة أمرارها وقواعدها : محبة ، وقد تغلب على النبي العظيم ﷺ سلطان محبة الله ، فغيبه سلطان محبة ربه قلباً عن ملاحظة قاعدة أدب العمل جسماً ، وكأنه صرفه الله إليه خاصة وأسقط من البين حالة العمل فأنصرف جسمه الشريف من حضرة العمل إلى حضرة الحب فغاب عن الملاحظات والارادات . وفي هذا تعظيم شأن الرسول ﷺ من جهتين :

الأولى : أنه اجتذبه سلطان محبة ربه من حضرة العمل إلى الحضرة المقدسة التي تسقط فيها قواعد قيود الأعمال . والثانية : أن تفضل الله بسببه على الأمة ساهيم ولاهيم وذاهلهم ببيان الحكم الشرعي حاله مسوهم إذ لو لم يسه عليه الصلاة والسلام سهوة الجسم لبقى الحكم مطوياً .

(١) متفق عليه .

ولا بد من حكم آخر تدرك في هذا الشأن لدى أهلها وأقول :

غلبت عليه محبة الرحمن	فَعَلَّتْ به عن حاله الجسماني
وأقام ضمن حضوره متمكنا	في غيبه عن كل شيء ثاني
فانظر لصدق عبادة جسمية	صعدت لحال العالم الروحاني
وانظر لمحبوب محب جسمه	قطعت علائقه عن الأكوان
ومضى على بسط العبادة عاكفاً	بمكانه والقلب لايمكث
فتراه سهواً عند ظاهر حكمه	وتقرباً في باطن العرفان

« فرائض الصلاة »

« مطلب » في فرائض الصلاة

وحيث تكلمنا على شيء من شروط الصلاة فلنتكلم على شيء من فروضها فنقول : من فرائض الصلاة التي لا تصح بدونها : التحريمية وهي تكبيرة الافتتاح لقادر عليها أما العاجز عنها كالآخرس فلا يكلف بها ولا بتحريك لسانه وكذا في حق القراءة على الصحيح لأنه إذا تعذر الواجب فلا يلزم غيره إلا بدليل قال في « المثبة » . ولا دخول في الصلاة إلا بتكبيرة الافتتاح وهي قوله : الله أكبر أو الله الأكبر أو الله الكبير أو الله كبير إلى آخره . وعين الإمام مالك الأول لأنه المتوارث وأجيب بأنه يفيد السنية أو الوجوب ونحن نقول به فإن الأصح أنه يكره الافتتاح بغير « الله أكبر » عند أبي حنيفة كما في « التحفة والزخيرة والنهاية » وغيرها . وتقامه في « الحلية » وعليه فلو افتتح بأحد الألفاظ الأخيرة لا يحصل الواجب كما في « رد المحتار » ومذهب الإمام الشافعي موافق لمذهب الإمام مالك فعنده أيضاً يتعين للتكبير لفظ . الله أكبر حتى لو غير أحد اللفظين كان قال : الرحمن أكبر . أو الله كبير أو الله عظيم

أو الله أعظم فهو غير كاف . وكذلك إذا قدم الخبر على المبتدأ بأن قال :
 أكبر الله لا يكفي ولو عجز عن العربية فترجم عنها باللغة الفارسية فقال :
 « خدای بزرگ تر » فإنه يكفي . ويشترط للتحريم دخول الوقت إن
 كانت الصلاة وقتية ويلزم اعتقاد دخوله أو ما يقوم مقام العلم من غلبة
 الظن فلو شرع شاكاً فيه لا تجزيه وإن تبين أنه صلى في الوقت . ويشترط
 أيضاً للتحريم : ستر العورة . والطهارة من الحدث والحبث في البدن
 والثوب والمكان . وكذلك يلزم اعتقاد ذلك فلو صلى على أنه محدث أو
 على أن ثوبه أو مكانه نجس ثم تبين خلاف ذلك : لاتصح الصلاة . ويشترط
 لصحة التحريم : القيام لقادر عليه إن كانت الصلاة غير نفل أو كانت
 سنة فجر . ويشترط أيضاً أن يسمع المصلي نفسه فلو حرك لسانه بقوله :
 الله أكبر . ولم يسمع نفسه لا يصح . ويشترط أيضاً لصحة الاحرام :
 تعيين الفرض أنه صبح أو ظهر مثلاً أو تعيين الواجب كركعتي
 الطواف والعیدین والوتر والمتنور وقضاء نفل أفسده إلى غير ذلك من
 شروط التحريم .

ومن فرائضها : القيام بحيث إذا مد يديه لا ينال ركبتيه فإن نال
 ركبتيه فلا يعد قائماً ، ويكره القيام على أحد القدمين في الصلاة بلا عذر
 أما إذا كان بعذر فلا يكره ، وعليه حل ما وقع للامام الأعظم والهمام
 المقدم : أبي حنيفة النعمان رحمته الله . وذلك أنه في حجته الأخيرة استأذن
 حجة الكعبة بالدخول ليلاً فقام بين العمودين على رجله اليمنى ووضع
 اليسرى على ظهرها حتى ختم نصف القرآن ثم ركع وسجد ثم قام على

رجله اليسرى ووضع اليمنى على ظهرها حتى ختم القرآن فلما سلم بكى
وناجى ربه وقال : إلهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك لكن
عرفك حق معرفتك فهب نقصان خدمته لكيال معرفته فهتف هاتف
من جانب البيت يا أبا حنيفة قد عرفتنا حق المعرفة وخدمتنا فأحسن
الخدمة وقد غفرنا لك ولئن اتبعك ممن كان على مذهبك الى يوم القيامة.
وقوله : لمن اتبعك أي: في الخدمة والمعرفة أو فيا أدى اليه اجتهادك من
الأوامر والنواهي من غير أن يزيد عن شيء منها لا بمجرد التقليد كما
قرره العلامة « ابن عابدين »^١ ففي هذه الصلاة قام الامام على قدم
واحدة ولا كراهة في ذلك بالنسبة إليه لئلا من المقصد الحسن الذي ينفي
الكراهة كما قالوا : يكره للرجل أن يصلي حاسراً عن رأسه لكن إذا
قصد التذلل فلا كراهة قاله في « رد المحتار » ثم قال : انه رأى بعض
العلماء أجاب بذلك فقال انما فعل ذاك مجاهدة لنفسه وليس يبيعد
أن يكون غرض مجاهدة النفس بذلك ممن لم يختل منه خشوعه مانعاً
للكراهة . انتهى .

(١) ابن عابدين : محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي : تليقه الدار
الشامية و امام الحنفية في عصره . له تأليف جليلة منها : « رد المحتار على الدر المختار - ط »
عشر مجلدات في الفقه الحنفي يعرف بحاشية ابن عابدين ، و « تنبيه الأسفار على شرح
النار » في أصول الفقه . و « الرحيق المختوم » في الفرائض . و « حاشية على المعلول »
في البلاغة . وحواش على « تفسير البضاوي » « التزم فيها أن لا يذكر شيئاً ذكره المفسرون ،
وله غير ذلك . توفي رحمه الله في دمشق سنة ١٢٥٢ هـ . سبل النجاح : ٢ / ٦٥ - تذكرة
المحقق : ١٢ - ١١٥ - ٥١ .

« فَوَاضِلُ » وإنما يفترض القيام لقادر عليه فلو عجز عنه حقيقة كما هو ظاهر أو حكماً كما لو حصل له به ألم شديد أو كان يحصل له به زيادة المرض فإنه يسقط عنه القيام . ويجوز لمن كان في السفينة الجارية أن يصلي قاعداً مع قدرته على القيام فتكون هذه المسألة مستثناة على قول الإمام ، ولو أضعفه الخروج للمسجد ليصلي بالجماعة عن القيام فإنه يصلي في بيته قائماً وبه يفتى وذلك لأن القيام فرض من فروض الصلاة بخلاف الجماعة فإنها ليست من فروضها ولا يترك فرض القيام لأجل الجماعة ، وهذا موافق لمذهب الإمامين الشافعي ومالك رضي الله تعالى عنها وقال الإمام أحمد بل يذهب إلى المسجد ليصلي بالجماعة ولو أضعفه ذلك عن القيام .

ومن فرائض الصلاة : القراءة وقد مر الكلام عليها في الشروط بناء على أن « القهستاني » عدها منها . ومن فرائض الصلاة : الركوع بحيث لو مد يديه ثل ركبتيه ويضع المصلي يديه على ركبتيه ويفرج أصابعه للتمكن . ويسن أن يلصق كعبيه وينصب ساقيه ويسطو ظهره حتى يكون مستوياً ولا يرفع رأسه ولا ينكسه ويسبح حال ركوعه ثلاثاً . واختلف في هذا التسبيح فقيل : هو واجب . وهذا أرجح الأقوال من حيث الدليل تخريجاً على قواعد المذهب . وقيل : هو فرض . وقيل : سنة . والقول : بسنيتها هو الموافق لمذهب الشافعي رحمته الله . فان المصرح في كتب مذهبه أن التسبيح في الركوع سنة وكذا التسبيح

في السجود، ويحصل أصل السنة عنده مرة وأدنى الكمال ثلاث، والثلاث سنة للإمام والمأموم والمنفرد وتسب زيادة على الثلاث للمنفرد ولإمام قوم محصورين راضين بالتطويل إلى إحدى عشرة مرة ، ولا يزيد أحد على ذلك ، ويسن أيضاً للمنفرد وإمام المحصورين الراضين بالتطويل زيادة : اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خضع لك سمعي وبصري ومغني وعظمي وعصبي وشعري وبشري وما استقلت به قدمي لله رب العالمين .

« فوائده » ويكره ترك التسبيح في الركوع والسجود حتى قالوا : من دأب على تركه سقطت شهادته كما ذكره « ابن قاسم » الشافعي في باب الشهادات . انتهى . كما في « حاشية الباجوري » .

ولو رفع الإمام رأسه من الركوع وكذا من السجود قبل أن يتم المأموم التسبيحات الثلاث وجبت متابعتة . ولو رفع المأموم رأسه من الركوع وكذا من السجود قبل أن يتم الإمام التسبيحات فيعود ولا يصير بذلك راكعاً ركوعين فإذا لم يعد فيكون قد ارتكب الكراهة التحريمية وإذا أتم المصلي الركوع وأتى بالتسبيح المطلوب فإنه يرفع رأسه من ركوعه ويقول : سمع الله لمن حمده ، ولا يسن التكبير حالة الرفع خلافاً لما في « المحيط » من أنه سنة وإن ادعى « الطحاوي » تواتر العمل به وما رواه من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعلياً وأبا هريرة رضي الله تعالى عنهم كانوا يكبرون عند كل خفض ورفع محمول على أن المراد

بالتكبير : الذكر الذي فيه التعظيم لله سبحانه وتعالى جمعاً بين الروايات والآثار والأحاديث والأخبار .

وإذا كان المصلي اماماً فإنه يكتفي بقوله : سمع الله لمن حمده . وعند الامامين يضم التحميد سرّاً ، وإذا كان مؤتمناً يكتفي بالتحميد وأفضله : اللهم ربنا ولك الحمد ، ثم حذف الواو ، ثم حذف اللهم فقط . ويجمع المنفرد بين التسميع والتحميد على المعتمد فيسمع رافعاً ويحمد مستوياً . وقيام المصلي من ركوعه مستوياً سنة على قول « أبي يوسف ومحمد » وواجب على ما اختاره « الكمال » وتلميذه وفرض على ما قاله « أبو يوسف »^١ والقول بفرضيته هو الموافق لمذهب الشافعي ومالك وأحمد رضي الله تعالى عنهم فينبغي الاعتناء به بخلاف ما يرى من بعض المصلين الذين لا يعتدلون من ركوعهم فمثل هؤلاء لا تصح صلاتهم في المذاهب الثلاثة قطعاً لما عرفت من أنهم متفقون على أن الاعتدال فرض وفي مذهبنا قيل تجوز ، وقيل لا تجوز . وأين هذه الصلاة مما أمر الله تعالى به في آيات كثيرة من القرآن العظيم فإنه تعالى أمر بإقامتها وقد مر أن الإقامة المذكورة في الآيات القرآنية عبارة عن تعديل الأركان .

ومن فرائض الصلاة : السجود بحبته على الأرض حيث لا عذر بها

(١) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم الانصاري الكوفي : صاحب الامام أبي حنيفة كان عليها علامة . ود بالكوفة وولي القضاء « ببغداد » في أيام المهدي والمهدي والرشد . وهو أول من دعي « فاضل القضاة » في الاسلام وأول من وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، وكان واسع العلم بالتفسير والفرازي وأهم العرب من كتب « المراجع » توفي رحمه الله ببغداد سنة ١٨٢ هـ - ١٦ هـ .

ولا يجوز الاقتصار على الأنف إلا بعذر ووضع جزء من الجبهة وإن قل
 فرض ووضع أكثرها واجب والاكل وضع الجبهة والأنف جميعاً، ولو
 وضع خده أو ذقنه لا يجوز لا في حالة العذر ولا في غيرها فلو لم يقدر على
 السجود بجبهته ولا بأنفه فإنه يومئ أيماء ولا يسجد كما في «خزانة المفتين» .
 وإن سجد المصلي على حشيش أو قطن أو صوف أو نحو ذلك فإن
 استقرت جبهته وأنفه ووجد حجمه جاز وإن لم تستقر فلا ، وإذا
 كان موضع سجوده أرفع من موضع القدمين بقدر لبنة أو لبنتين منصوبتين
 جاز وإن زاد لم يحز كذا في «الزاهدي» . وحده اللبنة ربع ذراع كما في
 «السراج الوهاج» ولو سجد ولم يضع قدميه على الأرض لا يجوز ولو وضع
 أحدهما على الأرض جاز ويكره أن كان بغير عذر كما في «منية المصلي»
 ولو ترك وضع اليدين أو الركبتين جازت صلاته بالاجماع كذا في «السراج
 الوهاج» ولعل مراده بالاجماع : اجماع مشايخ مذهبنا لإجماع جميع
 المجتهدين والا فالصلاة المذكورة غير مجمع على جوازها بل يختلف فيها
 فعند السادات الشافعية لا تجوز قال العلامة «الباجوري» : ويجب وضع
 جزء من ركبتيه ومن باطن كفيه ومن باطن أصابع قدميه مع الجبهة لحبر
 الشيخين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أمرت أن أسجد على سبعة
 أعظم : الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين» .

ولا بد من سجدتين في كل ركعة فإن تكرار السجود ثابت بالسنة
 وبالإجماع وتكراره أمر تعبدى لا يعقل معناه على قول أكثر المشايخ
 وقيل : هو معقول المعنى واليه ذهب بعض من المشايخ وهو المنصوص

في كتب السادات الشافعية فانهم قالوا : انما كرر السجود دون غيره من الاركان لما فيه من زيادة التواضع بوضع اشرف الاعضاء على مواطئ الاقدام ، ولهذا كان افضل من الركوع ، ولما فيه من ارغام الشيطان حيث لم يسجد لآدم وأمر أولاد آدم بالسجود فسجدوا مرتين ولذلك روي أنه « اذا سجد العبد اعتزل الشيطان يبكي ويقول : ياويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار » ولما فيه من شدة التقرب بين العبد وربّه سبحانه ، كما ورد « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »^(١) وقال بعضهم : الحكمة في كون السجود مرتين : ان الركوع فيه دعوى العبودية والسجدة كالشاهدين عليها وقيل : الحكمة في كون السجود مرتين دون الركوع : ان الملائكة لما أمروا بالسجود لآدم فسجدوا ورفعوا رؤوسهم وجدوا ابليس لم يسجد فعلموا أن الله خذله ولعنه فسجدوا مرة أخرى شكراً لله على توفيقهم .

« فائدة » ان العلامة التمرناشي سئل هل التعبدى أفضل أو معقول المعنى ؟ أجاب : لم أقف عليه لعلنا تساوى قولهم : الاصل في النصوص التعليل فانه يشير الى أفضلية المعقول . ووقفت على ذلك في « فتاوى ابن حجر » قال : قضية كلام « ابن عبد السلام » : ان التعبدى أفضل لأنه بحض

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رفته بزيادة : فأكثرها الدعاء . في آخره . ورواه البزار عن ابن مسعود بلفظ : « أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد » . ورواه ابن النجار عن عائشة والطبراني عن ابن مسعود بلفظ : « أقرب ما يكون العبد من الله الا كان ساجداً » .

الاتقياد بخلاف ما ظهرت علته فان ملابسه قد يفعله لتحصيل فائدته .
 وخالفه «البلقيني» فقال: لاشك ان معقول المعنى من حيث الجملة افضل
 لأن اكثر الشريعة كذلك وبالنظر للجزئيات قد يكون التعبدى افضل
 من المعقول وقد يكون بالعكس: واختلفوا هل للتعبدى حكمة خفيت
 علينا أم لاحكمة له أصلاً ؟ والأكثر على الاول فان عادة الله سبحانه
 وتعالى لم تزل تجلب مصالح العباد وتدرأ عنهم الفساد فما شرعه له من
 الاحكام ان ظهرت له حكمته قلنا : إنه معقول المعنى . وان خفيت
 حكمته علينا ودقت على أفهامنا قلنا : انه أمر تعبدى ، أفاده في «الحلية» .

ومن فرائض الصلاة : القعود الاخير واختلف فيه فقيل : هو ركن
 أصلي وهو الموافق لمذهب الشافعي رحمته الله وقيل : هو واجب لا فرض
 الا أن هذا الواجب في قوة الفرض في العمل ، وفي «الجزالة» انه فرض
 وليس بركن أصلي بل هو شرط للتحليل ، وجزم في «الفتح والتبيين»
 انه فرض ، وفي «الينابيع» انه الصحيح ، والفرق بين الفرض والركن
 ان الركن هو الداخل في الماهية ، والفرض غير داخل فيها ، والركن
 يتكرر والفرض لا يتكرر . وانما قالوا : بأن القعود الاخير فرض لاركن
 لان الصلاة افعال موضوعة للتعظيم وأصل التعظيم بالقيام ويزداد
 بالركوع ويتناهى بالسجود فكانت القعدة الاخيرة مرادة للخروج من
 الصلاة فكانت غيرها لالعينها فلم تكن من الاركان . وقامه في «شرح
 الدرر» للشيخ اسماعيل ، وتظهر ثمرة الخلاف فيما لو أتى بالقعود الاخير

نائماً فعلى القول بأنه شرط يعتبر وعلى القول بأنه ركن لا يعتبر والأصح
 عدم اعتباره وهو دليل على أن القول بركنيته هو الأصح وإنما يفترض
 القعود الأخير قدر التشهد والمراد بالتشهد : التحيات لله إلى عبده
 ورسوله هذا هو الصحيح لما زعمه بعضهم من أنه لفظ الشهادتين فقط .
 ومن فروض الصلاة : الخروج بصنع المصلي وذلك بفعله الاختياري
 يأتي وجه كان من قول أو فعل يتنافى الصلاة بعد تمامها كان يفي على
 صلاته صلاة أخرى فرضاً أو نفلاً أو يضحك قهقهة أو يحدث عمداً أو
 يتكلم أو يذهب أو يسلم والصحيح أنه ليس بفرض ولو كان فرضاً
 لاختص بما هو قرينه كلفظ السلام وهذا ما قرره المحقق « التمرنثي »
 وغيره وذهب « البردعي » إلى فرضيته وتبعه كثير من أصحاب التحقيق
 وما ذكرناه من أن الخروج من الصلاة يكون بكل قول أو فعل اختياري
 مغاير لما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمته الله فإن مذهبه : أن الخروج
 من الصلاة لا يكون إلا بالسلام ولذلك عد علماء مذهبه التسليم الأولي :
 ركناً من أركان الصلاة واستدلوا على أن الخروج من الصلاة لا يكون إلا
 بالسلام وعلى أن السلام ركن من أركانها بخبر مسلم « تحريمها التكبير
 وتحليلها التسليم وذكروا أن الحكمة في طلب السلام من المصلي أنه كان
 مشغولاً عن الناس ثم أقبل عليهم ولم يكتفوا إلا بلفظ السلام عليكم حتى
 صرحوا بأنه لو قال : سلام عليكم أو سلامي عليكم أو سلام الله عليكم
 أو السلام عليهم تبطل الصلاة أن كان متعمداً بل شرطوا للسلام تسعة
 شروط نظمها بعضهم في قوله :

عرف وخاطب وصل واجمع ووال وكن
 مستقبلاً ثم لا تقصد به الخبراً
 واجلس وأسمع به نفساً فان كلت
 تلك الشروط وثقت كانت معتبراً

ولفظ السلام وان كان غير متعين في مذهبنا للخروج من الصلاة فهو
 واجب فمن خرج بغير لفظ السلام فقد ترك الواجب وأثم .

« مطلب » في تمييز المفروض

وبقي من الفروض : تمييز المفروض وقد فسره العلامة « الحلبي »
 بأن المراد : تمييز ما فرض عليه من الصلوات مما لم يفرض عليه حتى
 لو لم يعلم فرضية الحس إلا أنه كان يصليها في وقتها لا يجزئه ولو علم أن
 البعض فرض والبعض سنة ونوى الفرض في الكل أو لم يعلم ونوى
 صلاة إمامه عند اقتدائه في الفرض جاز ، ولو علم الفرض دون ما فيه
 من فرائض وسنن جازت صلاته أيضاً كذا في البحر وبقي أيضاً عدم
 محاذاة امرأة في صلاة مشتركة تحرمة وأداء إذا نوى الإمام امامتها
 فلو حاذته كذلك لاتصح صلاته واختلف في تعديل الأركان هل هو
 فرض من فروض الصلاة أو واجب ؟ فذهب الإمام إلى وجوبه مذهب
 أبو يوسف إلى فرضيته وحمل ذلك على أنه فرض عملاً . واتفق الأئمة
 الثلاثة الشافعي ومالك وأحمد رضي الله تعالى عنهم على فرضيته مستدلين

بحديث^(١) النبي ﷺ صلاته والعلامة «البركوي» رسالة مخصوصة في تعديل الأركان سماها : معدل الصلاة . أوضح المسألة فيها غاية الإيضاح وبسط فيها أدلة الوجوب وذكر ما يترتب على ترك التعديل من الآفات وأوصلها إلى ثلاثين آفة وذكر فيها ما يكره في صلوات كل يوم وليلة وأوصل المكروهات إلى أكثر من ثلاثمائة وخمسين مكروهاً فينبغي لكل مهم بأمر دينه أن يعدل أركان الصلوات ويتوقى من المكروهات ويحترز من هذه الآفات ويعلم أن الصلاة أول شيء يحاسب عليه العبد يوم القيامة فليتق الله فيها ولا يضع شيئاً من أركانها وفروضها وواجباتها وسننها وآدابها ومنهوباتها فلعلها تقبل هي وتقبل بعد ذلك سائر أعماله بيركاتها إن شاء الله تعالى .

« مطلب » في واجبات الصلوة

وللصلوة واجبات كثيرة فتجب قراءة الفاتحة وضم السورة أو ما يقوم مقامها من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من كل فرض ونفل ويجب تقديم الفاتحة على السورة وتجب القعدة الأولى قدر التشهد إذا رفع رأسه من السجدة الثانية من

(١) جاء في الحديث : « من أتى منزلة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « غاطياً » لمسه في صلاته وهو : خلاد بن رافع » إذا قلت الـ صلوة فأصبح الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها . أخرجه السيعة بألفاظ متغيرة وهذا اللفظ البخاري رحمه الله .

الركعة الثانية في ذوات الأربع والثلاث كما في « الظهيرية » . ويجب
التشهد في القعدة الأخيرة وكذا في القعدة الأولى وهو الصحيح كما في
« السراج الوهاج » .

والتشهد هو أن يقول : « التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »^(١) وهذا تشهد
عبد الله بن مسعود والأخذ بهذا أولى^(٢) من الأخذ بتشهد ابن عباس
رضي الله تعالى عنها . وما قلناه من وجوب التشهد هو مذهب أئمتنا
الحنفية ، وذهب الشافعي إلى أن التشهد الأخير ركن من أركان الصلاة
مستدلاً بخبر ابن مسعود كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد :
« السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام
على فلان فقال ﷺ « لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام ولكن
قولوا : التحيات لله إلى آخره »^(٣) فأخذ من قوله : قبل أن يفرض

(١) أول الحديث قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : التفت اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا صلى أحدكم فليقل : التحيات ... الحديث » بلفظ : وأن
محمداً عبده ورسوله . كما ذكره المؤلف وورد في جميع روايات الأئمة الست .

(٢) قال الجزار : أصبح حديث عندي في التشهد حديث ابن مسعود يروى عنه من
ثيف وحشرين قريباً . وقال مسلم : إذا أجمع الناس على تشهد ابن مسعود لأن أصحابه
لا يختلف بعضهم بعضاً . وخبره قد اختلفت عنه أصحابه . وقال محمد بن يحيى الذهلي : هو
أصح ما روي في التشهد : سبل السلام : ١ / ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) رواه الترمذي بلفظ قريب من لفظه .

علينا أنه فرض علينا التشهد في الجلوس الأخير وقام مالك : باستجابته
وأحمد بوجوبه .

ويجب الجهر في الصلاة الجهرية والخافتة في الصلاة السرية فيجهر
في الفجر وفي الأولين من المغرب والعشاء ويجهر في الجمعة والعيسدين
وفي التراويح والوتر ويخفي في الظهر والعصر وفي الثالثة من المغرب
وفيها وفي الرابعة من العشاء هذا إذا كان اماماً فإن كان منفرداً أتت
كانت الصلاة سرية بخافت فيها حتماً وهو الصحيح . وإن كانت الصلاة
جهرية فهو بالخيار والجهر أفضل ، لكنه يجهر دون جهر الامام فلا
ينبغي له أن يبالغ في رفع الصوت لأنه لا يسمع غيره وأما الامام
فيرفع صوته قدر الحاجة فإن أجهد نفسه وزاد عن مقدار الحاجة فقد
أساء لأن الامام إنما يجهر بالقراءة لسمع الناس فيتدبروا كلام الله ويحصل
لهم حضور القلب .

ونوافل النهار سرية وأما نوافل الليل فصلها غير إن شاء أسر وإن
شاء جهر .

« مطلب » في القنوت في مصلي الوتر والصبح

ويجب على مصلي الوتر أن يقنت فيه وقيل سنة ، والقنوت الذي
قيل بوجوبه إنما هو مطلق الدعاء وأما خصوص : اللهم إنا نستعينك
ونستديك فسنة فقط فلو أتى بغيره جاز اجماعاً وذهب الشافعي إلى
أن قنوت الوتر مختص بالنصف الثاني من شهر رمضان وهو عنده سنة

فلو تركه كره كما يكره فعله في غير النصف الأخير عنده ، ويسن عند الشافعي القنوت في الركعة الثانية من الصبح دائماً أخذاً بقول أنس رضي الله عنه « ما زال صلى الله عليه وسلم يقنت في الأخيرة من الصبح حتى فارق الدنيا »^(١) وليس ذلك سنة عندها أخذاً بقول ابن مسعود رضي الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقنت في الصبح إلا أن يكون يدعو لقوم أو على قوم » وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير القنوت في النوازل في الركعة الأخيرة في الفرائض كلها فكان يدعو على قوم من المنافقين ويدعو لقوم من المستضعفين من المؤمنين . ومن هنا نص علماءنا على طلب القنوت للنازلة ، ففي « النقاية » وإن نزل بالمسلمين نازلة قنت الامام في صلاة الجهر وخصه في « الأشباه » بصلاة الفجر وأما القنوت في الصلوات كلها للنوازل فهو مذهب الامام الشافعي رحمته الله .

ومن الواجب : الاتيان بكل فرض أو واجب في محله وعدم تكرير ركوع وتثليث سجود .

ويجب : ترك قعود قبل ثانية أو رابعة لما يلزم من فعلها تأخير القيام الى الركعة الثانية أو الى الركعة الرابعة عن محله وهذا اذا كانت القعدة طويلة أما القعدة الخفيفة التي استحباها الشافعي فتركها غير واجب عندها بل هو الأفضل .

وتجب : متابعة الامام في الفرائض والواجبات الفعلية وتسبب متابعتها في السنن .

(١) رواه أحمد والدارقطني عنه رضي الله عنه .

« مطلب » في سنن الصلاة

وسنن الصلاة رفع^(١) اليدين للتحريمة . ونشر الأصابع . وأنت لا يبطأ طيء رأسه عند التكبير . وجهر الإمام بالتكبير بقدر حاجته للاعلام بالدخول والانتقال وكذا بالتسميع والسلام ، وأما المؤتم والمنفرد فيسمع نفسه . والثناء والتعوذ والتسمية والتأمين وكونهن سر أو وضع عينه على يساره وكونه تحت السرة للرجال وأما المرأة فتضعها تحت ثديها كما في « المنية » ، وتكبير الركوع وأن يقول في ركوعه : سبحان ربي العظيم ثلاثا . وتكبير الرفع منه . والتسبيح فيه ثلاثا . وأخذ^(٢) ركبتيه بيديه . وتفريج أصابعه . وتكبير السجود والرفع منه والتسبيح فيه ، بأن يقول : سبحان ربي الأعلى ثلاثا . ووضع يديه وركبتيه في السجود . والجلوس بين السجدين . والصلاة على النبي ﷺ في القعدة الأخيرة . وعدها الإمام الشافعي ركناً وهي فرض في العمر مرة . والختار وجوبها فلما ذكر كما في « التنوير » وتستحب الصلاة عليه في كل أوقات الامكان .

« فائز مهتم » وتكره كراهة تحريمية في المواضع الخلة بتعظيمها أو أو التي لا يقصد بها حقيقة الصلاة وإنما تستعمل في معنى آخر فالأول :

(١) قال في الخلاصة : إن اعتاد تركه أم . وجزم به في القبض وكذا في المنية قال شارحاً : يأثم لانتفاء الترك بل لأنه استخفاف وعدم مبالاة بسنة وإطبع عليها التي صلى الله عليه وسلم مدة عمره وهذا مطرد في جميع السنن المؤكدة . ١٠١ .
(٢) أي : في الركوع .

كحالة الجماع وقضاء الحاجة . والثاني : كالحارس اذا صلى على النبي ﷺ يريد بذلك افهام أنه مستيقظ . وكما اذا قدم أحد العظماء الى مجلس ف صلى رجل على النبي ﷺ يريد الاعلام بقدمه . وكما اذا فتح التاجر الثوب وصلى على النبي ﷺ يريد بصلاته اعلام المشتري بجودة ثوبه .
 قيل : وتكره أيضاً حين التعجب والعطاس وحين الذبح على خلاف في هذه الثلاثة الأخيرة .

ومن سنن الصلاة : الأذان والاقامة فيسن الأذان للفرائض الخمس في وقتها ولو قضاء لاغيرها كعيد ووتر وجنازة وكسوف واستسقاء ، ولا بد للأذان من دخول الوقت فلو أذن المؤذن قبل الوقت أعاد ولا تغني فيه ، وأما الترجيع : وهو أن يخفف المؤذن صوته بالشهادتين ثم يرجع فيرفع بها فهو سنة عند الشافعي رحمته الله لا عندنا بل صرح علماؤنا بكراهته ^١ ، وصفة الأذان معروفة ويزاد بعد حي على الفلاح في أذان الفجر : الصلاة خير من النوم . مرتين . والاقامة : كالآذان ويزاد بعد فلاحيا : قد قامت الصلاة مرتين . ويترسل في الأذان بأن يتمهل فيه ويحذر في الاقامة بأن يسرع فيها ويستقبل بهما القبلة ويحول وجهه يمنة ويسرة عند حي على الصلاة . وحي على الفلاح . ويجعل المؤذن أصبعه في صمخ أذنيه لأنه أبلغ في الاعلام ، ولا يتكلم في أثناء الأذان ولا في أثناء الاقامة لأنه مغل بالتعظيم ومغير للنظم حتى لو

(١) التكرامة من تعذيبية : رد المحتار : ٢٨٣/١ - ٢٨١ .

تكلم في أثنائها أعادها ، وينبغي أن يفصل بين الأذان والاقامة بجلسة
إلا في المغرب فإنه يفصل فيه بينهما بسكتة فلو وصل الأذان بالاقامة كره
وينبغي : أن يكون كل من الأذان والاقامة على طهر ، فلو أذن محدثاً
حدثاً أكبر كره^(١) ، ولو محدثاً حدثاً أصغر فقليل : يكره . وقيل : لا .
وهو الصحيح ، وأما اقامة المحدث فتكره مطلقاً .

ويستحب أن يكون المؤذن عالماً بما للأذان من السنن والآداب لينال
بفعلها كمال الثواب ، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قال
المؤذن : الله أكبر فتحت له أبواب السماء . فإذا قال : أشهد أن لا إله إلا
الله تزينت له أبواب الجنة فإذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت
الملائكة : ارفع حاجتك إلى الله تعالى فإن الله تعالى يقضي لك الحوائج »
وفي الحديث « لو يعلم الناس ما في الأذان لاقتتلوا عليه بالسيوف »^(٢)
وفي حديث آخر « يد الرحمن فوق رأس المؤذن وأنه ليغفر له مدى
صوته أين بلغ »^(٣) .

« مطلب » في عدد الركعات

قد مر أن عدد الصلوات المفروضات «خمس» ثابتة بنص الكتاب
وبالسنة والاجماع .

(١) ظاهره أن الركعة تحريرية : رده الفناء .

(٢) رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ : لو يعلم الناس ما في
الأذان لتضاربوا عليه بالسيوف .

(٣) رواه القاسم عن أبي أمامة الباهلي باختصار .

وأما عدد الركعات : فهو ثابت بالسنة والاجماع وهي : سبع عشرة
ركعة لمقيم في غير يوم الجمعة ، أما في يوم الجمعة فهي خمس عشرة
ركعة . وأما المسافر : فعدد الركعات في حقه : إحدى عشرة ركعة ،
لأن المسافر يقصر الرباعيات الثلاثة : الظهر والعصر والعشاء فيصل
كلًا من الصلوات المذكورة ركعتين فقط فتكون جملتها ست ركعات ،
والثلاثية وهي المغرب لا تقصر وكذلك الثانية وهي الصبح لا تقصر
وهما «خمس» ركعات ، فتكون الجملة إحدى عشرة ركعة . كما سبق ،
وفي الدر المختار : قبيل الجمعة قال لنسائه : من لم تدر منكن كم ركعة
فرض يوم ليلة فهي طالق ، فقالت أحدهن : عشرون ، والثانية سبعة
عشر ، والثالثة خمسة عشر . والرابعة إحدى عشر . لم يطلقن لأن
الأولى ضمت الوتر وهي صادقة لأنه فرض عملي . والثانية تركته ،
والثالثة ليوم الجمعة ، والرابعة للمسافر ، انتهى . وقد تعرض في
«الغاية» وشرحها وحواشيها لذكر ما في الصلوات المذكورة من سجدة
وتكبيرات وتشهدات وتسليمات وتسيبحات فأما صلوات المقيم في اليوم
والليلة ماعدا يوم الجمعة ففيها : أربع وثلاثون سجدة . وأربع وتسعون
تكبيرة ، وتسع تشهدات ، وعشر تسليمات ، ومائة وثلاث وخمسون
تسيبحة ، وأما صلواته في يوم الجمعة ففيها ثلاثون سجدة ، وثلاث
وثمانون تكبيرة : ومائة وخمس وثلاثون تسيبحة ، وثمان تشهدات ،
وعشر تسليمات ، وأما صلاة المسافر ففيها : اثنتان وعشرون سجدة ،

واحدى وستون تكبيرة ، وتسع وتسعون تسبيحة ، وست تشهدات
وعشر تسليمات .

« مطلب » في مكروهات الصلوة

ويكره للمصلي أن يعيث بشوبه أو لحيته أو جسده وأن يلتفت يمنة
ويسرة وأن يرفع بصره إلى السماء وأن يسدل ثوبه بأن يجعل الثوب على
رأسه أو على كتفيه ويرسل جوانبه أو يجعل القباء على كتفيه ولا يلبسه
بيديه وأن يحصر عن رأسه إلا إلت كان لا يجد عمامة أو قصد بذلك
خضوعاً وتذلاً ، وتكره الصلاة في الثياب البذلة ويكره أن يكون بين
يدي المصلي أو فوق رأسه أو عن يمينه أو عن شماله أو في ثوبه تصاوير
وأما إذا كانت في البساط ولم تكن في موضع سجوده فالصحيح عدم
الكراهة ، وهذا إذا كانت الصور كبيرة أما إذا كانت صغيرة لا تبدو
للناظر إلا بتأمل فلا يكره وإن قطع الرأس بأن خيط عليه بخيط حتى
لم يبق له أثر فلا كراهة ولو خيط بين الرأس والجسد لاتزول الكراهة
لأن كثيراً من الطيور ما هو مطوق ولا يكره قتال غير ذي روح .

ولا بأس للمتطوع المنفرد إذا قرأ آية رحمة أن يسأل الله الرحمة ،
ولا إذا قرأ آية عذاب أن يستعيز بالله من عذابه ، وإن كان في الفرض
يكره وأما الامام والمقتدي فلا يفعلان ذلك فرضاً كانت الصلاة أو
نفلاً ، ويكره التأمل على مئناه مرة ويسراه أخرى ، ويكره أن يحرف
أصابع يديه أو رجليه عن القبلة في السجود وغيره ، ويكره قيام

الإمام في المحراب وأما سجوده فيه فلا يكره ، وتكره الصلاة على ظهر الكعبة لما فيه من ترك التعظيم ، ويكره للإنسان أن يخص لنفسه مكاناً في المسجد يصلي فيه ولو صلى إلى وجه إنسان يكره إلا أن يكون بينها ثلث ظهره إلى وجه المصلي ، ولو صلى إلى ظهر رجل يتحدث لا يكره وإن كان بالقرب منه ، إلا إذا ارتفعت الأصوات بحيث صار المصلي يخاف أن يزل في القراءة فحينئذ يكره كما في « الخلاصة » ويكره أن يصلي وبين يديه نيام كما في « فتاوى قاضيخان » وإذا شعر الإمام برجل يأتي للصلاة وهو في الركوع فأطال الركوع ليذكر الجاني فإن عرف الذي يجيء يكره ، وإلا فإن أطال قدر تسبيحة أو تسبيحتين لا يكره ، ويكره أن يصلي وفي فيه دراهم أو دنائير وإن كان ذلك لا يمنعه عن القراءة ، ولو خطأ خطوات ووقف بعد كل خطوة فإن كان بعثر لا يكره ولا يكره ، ويكره أن يدافع بيده الذباب والبعوض إلا عند الحاجة بعمل يسير ، والصلاة في أرض مغموسة جائزة لكن يعاقب على ظلمه ، وكل صلاة أدت مع الكراهة فإنها تعاد ، ثم إن كانت الكراهة تحريمية تجب الإعادة وإن كانت تنزيهية تستحب .

ولا يجوز قطع الصلاة لأنه إبطال للعمل . وقد قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم)^(١) فإن وجد عند شرعي أو جب الاضطراب للقطع جاز ، لأن الضرورات تبيح المحظورات فلو خاف رجل أن يسقط من

(١) سورة محمد / ٢٢ .

سطح أو أن يحترق بالنار أو أن يغرق بالماء واستغاث بالمصلي فيجب قطع الصلاة ، ولو رأى أعمى عند البشر فخاف عليه أن يقع يقطع الصلاة لأجله ، ولو جاء ذمي فقال للمصلي : اعرض علي الإسلام يقطع وإن كان في الفريضة .

« مطلب » في مفسرات الصورة

وتفسد الصلاة : بالكلام وبالألن والتأوه والتأفيف ولو كانت بحرفين وتفسد بالبكاء بصوت لوجع أو مصيبة للذكر جنة أو نار وتفسد بالأكل والشرب وبالعمل الكثير وبالشروع في غيرها ولو فتح على غير إمامه فسدت أما على إمامه فلا تفسد مطلقاً على الأصح ولو سلم على أحد أو رد سلامه أو شمت عاطساً أو قصد جواباً بالمحمد لله . أو الهيلة . أو السبحة ، والحوقة ، بطلت .

ولو قرأ في الصلاة فأبدل كلمة بكلمة فإن لم تكن تلك الكلمة في القرآن ولا تتقاربان في المعنى تفسد صلاته بلا خلاف إذا لم تكن الكلمة تسبيحاً ولا تحميداً ولا ذكراً وإن كانت تلك الكلمة في القرآن ولكن لا تقارب في المعنى كان قرأ (وعداً^(١) علينا - إنا كنا غافلين) مسكان (فاعلين) ونحوه ، مما لو تعمده يكفر فإنه تفسد صلاته على الصحيح . ولو زاد كلمة فإن غيرت المعنى تفسد الصلاة سواء كانت تلك الكلمة موجودة في القرآن أو لا ، وإن لم تغير المعنى فإن كانت في القرآن لا تفسد إجماعاً .

(١) الأنبياء / ١٠٤ .

وإن لم تكن في القرآن اختلف فيها وعامة المشايخ على عدم الفساد، وإن كرر الحرف فإن كان ذلك إظهار تضعيف لم يفسد كأن قرأ « ومن يرتدد » وإن كان زيادة كأن قرأ : الحمد لله . بثلاث لامات تفسد وإن كرر الكلمة فإن لم يتغير المعنى لا تفسد وإن تغير كأن قال : (الحمد لله رب رب العالمين) فالصحيح أنها تفسد ، وإن قدم كلمة على كلمة ولم يتغير المعنى كأن قال (لهم فيها شقيق وزفير) لا تفسد وإن غير المعنى كأن قرأ (إن الأبرار لفي جحيم . وإن الفجار لفي نعيم) فالصحيح أنها تفسد ، ولو قدم حرفاً فإن تغير المعنى كأن قرأ مكان (عاصف) : عافص فسدت والا لا ، ولو قرأ آية مكان آية فإن كان بعد أن وقف وقفاً تاماً لا تفسد وإن وصل فإن تغير المعنى تفسد والا فلا وقد تقدم شيء من أحكام زلة القاريء في الكلام على فروض الصلاة فأرجع إليه إن شئت .

« مطلب » في مائتين قراءة في الصلاة

وحيث ذكرنا هاهنا شيئاً من أحكام القراءة فلنذكر مائتين قراءته في الصلاة فنقول : يسن أن يقرأ في الفجر أربعين أو خمسين آية سوى فاتحة الكتاب . وفي الظهر مثل « الفجر » أو دونه . وفي العصر والعشاء عشرين آية سوى فاتحة الكتاب . وفي المغرب يقرأ في كل ركعة سورة قصيرة ، واستحسنوا طوال المفصل في الفجر ، والظهر ، وأوساطه في العصر والعشاء . وقصاره في المغرب ، وطوال المفصل : من الحجرات إلى البروج . والأوساط : من البروج - إلى - لم يكن . والقصار : من

سورة «لم يكن» الى الآخر . هذا المطلوب قراءته حضراً . فاما المطلوب قراءته حال الاختيار سغراً . فهو أن يقرأ في الفجر : سورة البروج أو مثلها . وفي الظهر كالفجر . وفي العصر والعشاء دون ذلك . وفي المغرب القصار جداً . فان كان على عجلة في سيره فانه يقرأ الفاتحة وأي سورة شاء .

« مطلب » في النوافل

وكا أن القراءة تتفاوت في حق المقيم والمسافر طويلاً وقصراً كذلك النوافل تتفاوت في حقها فان المسافر يقتصر على السنن المؤكدة ، والمقيم يفعل المؤكدة والرواتب . والفرق بين السنن المؤكدة والسنن الرواتب أن السنة المؤكدة قريبة من الواجب في حقوق الاثم لتاركها كما في «البحر» ويستوجب تركها : اللوم والتضليل كما في «التحرير» هذا . إذا أصر على تركها بلا عذر كما قيد به في «شرح التحرير» لأن تركها استخفاف في الدين كما ذكره العلامة «ابن عابدين» نعوذ بالله من ذلك . والسنن المؤكدة : أربع قبل الظهر والجمعة بتسليمة ، وركعتان قبل الصبح وبعد الظهر والمغرب والعشاء .

وشرعت السنة القبلية لقطع طمع الشيطان . وشرعت البعدية لجبر النقصان ولذلك جاء في الخبر الصحيح «ان فريضة الصلاة والزكاة اذا لم تتم تكمل بالتطوع» وما ذكرناه من السنة لجبر النقصان أو لقطع طمع الشيطان هو خاص بنا أما نوافله التي هي سنة فهي لرفع الدرجات خاصة ،

ويستحب : أربع قبل العصر لما ورد من أنه ﷺ كان يصلي أربعاً قبل العصر ولم يكن يصلي بعدها شيئاً وكان ﷺ يقول « من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار »^(١) وكانت يقول كثيراً « رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً »^(٢) ويستحب أن يصلي ستاً بعد المغرب ليكتب من الأوابين . والأوابون : هم الرجاعون إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار . قال العلامة الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني : وكان ﷺ يقول « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة »^(٣) . و « غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر »^(٤) و « من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة »^(٥) قال أنس رضي الله عنه : وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يصلي المغرب ثم لم يزل يصلي تطوعاً حتى ينادي للمشاء الأخيرة .

وذكر في عوارف المعارف : أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) فقال : هي الصلاة بين العشائين .

-
- (١) رواه الطبراني في الكبير : عن أم سلمة رضي الله عنها .
 (٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
 (٣) رواه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذي : عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال : حديث غريب .
 (٤) رواه الطبراني في الثلاثة : عن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهما .
 (٥) رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

ويستحب أربع قبل العشاء وبعدها وكان رسول الله ﷺ يصلي أربعاً بعد العشاء ويقول « من صلاه بعد العشاء كان كمثل من ليلة القدر »^(١) وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول : ما دخل علي رسول الله ﷺ قط إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات . ويسن مؤكداً كما مر صلاة ركعتين قبل الصبح ، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها « ما رأيت رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر ، وكان ﷺ يقول « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »^(٢) وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : لم يدع النبي ﷺ ركعتين قبل الفجر صحيحاً ولا مريضاً في سفر ولا حضر غائباً ولا شاهداً .

ويستحب أن يصلي أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها لما رواه الترمذي : عن رسول الله ﷺ أنه قال « من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » قال العلامة الطحطاوي « فلا يدخلها أصلاً وذنوبه تكفر عنه وتبعاته يرضي الله تعالى عنه خصامه فيها ويحتمل : أن عدم دخوله بسبب توفيقه لما لا يترقب عليه عقاب . انتهى . قال في «رد المحتار» أو هو بشارة بأنه يختم له بالسعادة فلا يدخل النار ، وكان ﷺ يقول « أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَرْسَاطِ : عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رَوَاهُ مسلم وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

أبواب السماء فلا يغلّق منها باب حتى يصلي الظهر^(١) ، وما من شيء إلا
 إلا وهو يسبح في تلك الساعة غير الشياطين وأغبياء بني آدم ثم يقول
 « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتغيّر ظلّاله عن اليمين والشمال
 سجداً لله وهم داخرون » ، وكان عليه السلام كثيراً ما يصلي أربعاً بعد
 أن تزل الشمس قبل الظهر ثم يقول « إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء
 وينظر الله تبارك وتعالى إلى خلقه »^(٢) .

« مطلب » في الوتر

وأما الوتر فكان عليه السلام يقول : « إن الله وتر يحب الوتر »^(٣) و « من
 لم يوتر فليس منا »^(٤) قال ابن مسعود رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يحثنا على صلاة الوتر من غير أن يعزم علينا ويقول « الوتر حق لا واجب
 فاوتروا يا أهل القرآن » وكان أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب
رضي الله عنه يقول « الوتر ليس يحتم كهيئة المكتوبة ولكنه سنة سنّها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم »^(٥) وكأنه من هذا ونحوه استدللّ صاحبان والشافعي ومن
 وافقهم على أن الوتر سنة ، وأما الإمام أبو حنيفة الثعلبي وعنه

-
- (١) الحديث إل هنا : لأبي داود والطبراني ثم قوله : وما من شيء .. الحديث «
 للترمذي وهو حديث غريب . والآية من سورة النحل برقم ٤٨ / .
 (٢) رواه البزار عن عائشة رضي الله عنها بلفظ : « الساعة التي خلقه » .
 (٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والبخاري وهو حديث حسن .
 (٤) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
 (٥) بعض حديث لأصحاب السنن .

فانه روي عنه ثلاث روايات أحدها : أنه فرض ، والثانية : أنه واجب ،
والثالثة : أنه سنة ، وقد وفق علماؤنا بين هذه الروايات فجعلوه فرضاً
عملاً ، وواجباً اعتقاداً . وسنة ثبوتاً . وعلى هذا فنعامله معاملة الفرض
فتقول : ياتم تركه ويجب ترتيبه وقضاؤه ، ولا تقول : انه فرض عملاً
وعملاً - لأن الفرض العملي يكفر جاحده وهذا ليس كذلك وانما نعتقد
انه واجب وأنه ثابت بالسنة يعني ثبت بالسنة النبوية لا بالآيات القرآنية
فن الأحاديث الواردة في حق الوتر مارواه أبو داود والحاكم وصححاه
عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الوتر حق فمن لم يوتر فليس مني »
قوله ثلاث مرات وروي الامام مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« أوتروا قبل أن تصبحوا » والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة ،
وقد ذهب أئمتنا إلى أنه ثلاث ركعات بتسليمة كالمغرب ، وقال الشافعي :
أقل الوتر ركعة وأكثره إحدى عشر . وأدنى الكمال ثلاث ركعات ،
ووافق الامام أحمد الشافعي رضي الله تعالى عنها في ذلك ، وقد جاء
من الأحاديث ما يدل لكل من المذهبين ، روي أنه ﷺ كان يقول :
« صلاة المغرب وتر النهار »^(١) وكان ﷺ يوتر بثلاث ، وكان ﷺ
يقول : « الوتر ركعة من آخر الليل »^(٢) .

وكان سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة ﷺ

(١) رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي : عن ابن عمر ، وأحمد والطبراني : عن ابن

عباس رضي الله عنهم .

يوتر بركة ، وكان تميم الداري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم يوترون بركة ، وكان عليه السلام إذا أوتر بثلاث يقرأ في الأولى : « سبح اسم ربك الأعلى » وفي الثانية « قل يا أيها الكافرون » وفي الثالثة « الاخلاص » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الوتر يسلم بتسليعة واحدة شديدة يكاد يوقظ بها أهل البيت من شدة تسليمه ثم يقول : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ويرفع صوته بالأخيرة منها ثم يقول : اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) واختلاف فيمن يصلي النوافل كالتهجد مثلاً هل كثرة الركوع والسجود أفضل في حقه أم طول القيام ؟ - مثلاً لو كان يريد أن يقوم ساعة من الليل ويمكنه أن يصلي في هذه الساعة ركعتين مع طول القيام ويمكنه أن يصلي أربعاً أو أكثر من غير تطويل في القيام فأيهما أولى ؟ الصحيح من مذهبننا : أن طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود فإن القيام وإن كان وسيلة إلى الركوع والسجود إلا أنه يشتمل على القراءة ولو قرأ المصلي جميع القرآن في ركعة واحدة يقع جميع ماقرأه فرضاً بخلاف ما لو سبغ في ركوعه وسجوده فإن التسبيح لا يقع فرضاً والفرض أفضل من النفل .

وزهد الشافعي ومن وافقه من علمائنا إلى أن كثرة الركوع والسجود

(١) رواه أصحاب السنن .

أفضل من طول القيام واستدلوا على ذلك بما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « عليك بكثرة السجود » وقال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »^(١) .
ولنا : ما رواه مسلم أيضاً « أفضل الصلاة طول القنوت »^(٢) أي طول القيام كما هو رواية أحمد .

« مطلب » في قيام الليل

واعلم أن قيام الليل من أحسن القربات وأعظم العبادات ولذلك كان ﷺ لا يدع قيام الليل وكان إذا مرض صلى قاعداً وكان يحث أصحابه على قيام الليل ويقول : « لاتدعوا قيام الليل ولو حلب ثاقه أو شاة »^(٣) وكان ﷺ يقول : « طول القنوت يخفف سكرات الموت »^(٤) وكان ﷺ يقول « قيام الليل فريضة على قارئ القرآن »^(٥) وكان ﷺ يقول : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وجوف الليل الأخير أفضل وهو أقرب ما يكون الرب من العبد فان استطاع

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي : عن أنس بن مالك رضي الله عنه بن رواية :
فاكثروا الدعاء .

(٢) كما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .
(٣) رواه الطبراني عن الحسن بن معاوية المزني رضي الله عنه بلفظ : « لا بد من صلاة بليل ، ولو حلب شاة وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل » .
(٤) رواه الترمذي في مسند الفردوس : عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : طول القنوت في الصلاة .. الحديث ..
(٥) رواه الترمذي في مسند الفردوس عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه بلفظ : « قيام الليل فريضة على حامل القرآن ولو ركعتين » .

أحدهم أن يكون من يذكر الله تعالى في تلك الساعة فليكن^(١) وكان
 ﷺ يقول : « عليكم بقيام الليل فإنه من دأب الصالحين قبلكم وقربة
 إلى ربكم ومنهاة عن الآثام وتكفير للسيئات ومطرودة الداء عن الجسد »^(٢)
 وكان ﷺ يقول : « شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن
 الناس »^(٣) وكان ﷺ يقول : « عليكم بقيام الليل ولو ركعة »^(٤)
 وكان ﷺ يقول : « قالت أم سليمان بن داود عليها السلام : يا بني
 لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم
 القيامة »^(٥) وكان أبو ذر ﷺ يقول : « أوحى الله تعالى إلى داود
 عليه السلام : يا داود كذب من ادعى محبتي فإذا جن الليل نام عني ، وإذا
 جن الليل بظلامه يقول الله تعالى يا جبريل حرك أشجار المعاملة فإذا
 حركها قامت القلوب على باب المحبوب » قال الفضيل بن عياض : إذا لم
 تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك ،
 وقال الحسن ﷺ : أن الرجل ليحرم قيام الليل بذنب وقع منه ،
 وقال سفيان الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد ،

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه باختصار والترمذي
 بطوله وقال : حديث حسن صحيح قريب .

(٢) رواه الترمذي عن بلال رضي الله عنه .

(٣) رواه العقيلي في الضعفاء والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة بلفظ « شرف المؤمن
 صلته بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس » .

(٤) رواه أحمد في الزهد وابن نصر ، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ
 « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة واحدة » .

(٥) رواه ابن ماجه والبيهقي : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

قيل ماهو ؟ قال رأيت رجلاً يبكي فقلت : هذا مرء ، ولقد أحسن
من قال :

أراني بعيد الدار لأقرب الحمى وقد نصبت للساهرين خيام
علامة طردي طول ليلي نائم وغيري يرى أن المنام حرام

ومن لطائف ما يحكى : أن أبا يزيد البسطامي لما كان صغيراً أرسله
أبوه إلى المكتب فكان يقرأ حتى وصل إلى سورة المزمل وقرأ (يا أيها
المزمل قم الليل إلا قليلاً) قال لأبيه : من هذا النبي أمره الله بقيام الليل ؟
فقال يا بني : هذا محمد ﷺ قال : فلم لا تفعل كما فعل محمد ﷺ ؟
قال : ذاك أمر شرف الله به محمداً ، فلما قرأ : (وطائفة من الذين معك)
قال : يا أبت من هؤلاء الطائفة ؟ فقال له : هؤلاء أصحاب محمد ﷺ
فقال : يا أبت ولم لا تفعل كما فعل أصحاب محمد ﷺ ؟ فقال : يا بني
قوام الله على قيام الليل فقال : يا أبت لاخير فيمن لا يقتدي بمحمد
وأصحابه ! فصار أبوه يصلي قيام الليل ، فقال : يا أباي علمني صلاة الليل ،
قال : يا بني أنت صغير ، فقال : إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر
بأصحاب قيام الليل إلى الجنة ، أقول : يارب أردت الصلاة بالليل
فمنعني أبي فقال : يا بني قم الليل .

« فائز » عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ
أنه قال : « من انتبه من منامه فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله

إلا الله والله أكبر نظر الله إليه فان توضع له فان صلى أربع ركعات
يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد
إحدى عشر مرة غفر الله له البتة قال عكرمة والله الذي لا إله
إلا هو لقد سمعته من ابن عباس ، وقال ابن عباس : والله الذي لا إله إلا هو
لقد سمعته من رسول الله ﷺ ، وكان بعض الصالحين يقوم الليل فنام
ليلة فقبل له : قم فصل أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل
هم خزائنها ١٢

وعنه ﷺ أنه قال : « من توضأ ثم أتى المسجد وصلى ركعتين قبل
الفجر ثم جلس حتى يصلي الفجر كتبت صلاته في صلاة الأبرار وكتب
في وفد الرحمن » وأوحى الله إلى بعض الصديقين : ان لي عبداً يحبوني
وأحبهم ويشاقون إلي واشتاق إليهم ويذكروني وأذكروهم قال : يارب
ما علامتهم قال : يراعون الظلام بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون
إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فاذا جنهم الليل أي :
سترهم ، واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا
لي أقدامهم وافتروشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا لي بأنعامي
فمنهم صارخ وبالك ومتأوه وشاك ، ومنهم قائم وقاعد وبراع وساجد
فاول ما أعطيتهم ثلاث خصال : الأولى : أن أقذف في قلوبهم من نوري ،
الثانية : لو كانت السماوات والأرض في موازينهم لاستقلتها لهم ،
الثالثة : أقبل بوجهي الكريم عليهم ، أفترى من أقبلت عليه بوجهي

أيعلم أحد ما أريد أعطيه وعنه ﷺ أنه قال : « من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين جميعا كتب من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات فإن أبت فلينضح في وجهها الماء وأن أبى فلتنضح في وجهه الماء »^(١) وكان ﷺ يقول : إذا نمت أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم وما من امرئ يكون له صلاة بليل فيغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة »^(٢) وكان ﷺ يقول :

« أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه »^(٣) وكان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين يقرأ في الأولى منها (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)^(٤) .

وفي الثانية (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)^(٥) ثم يصلي بعد ذلك ما كتب له . وكان ﷺ يطيل في قيام الليل ما شاء وربما قرأ في الركعة الواحدة « البقرة وآل عمران والنساء » وكان ﷺ تارة يجهر بالقراءة وتارة يسر ، وكان ﷺ

(١) رواه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما .

(٢) رواه النسائي بإسناد .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه : عن عبد الله بن عمرو

ابن العاص رضي الله عنهما .

(٤) النساء / ٦٤ .

(٥) النساء / ١١٠ .

يقول : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين » ^(١) وكانت قراءته سورة الفاتحة مفسرة حرفاً وحرفاً وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من نام إلى الصبح لم يصل من الليل فذلك رجل بال الشيطان في أذنه » ^(٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل حتى تورمت قدماء وكان يقرأ في ورده ودموعه تقع على مصلاه كوكف ^(٣) المطر ، وقال رجل لبعض الصالحين : اني عاجز عن قيام الليل ، فقال : يا أخي لاتمص الله بالنهار ، وكان عمر بن عبد العزيز يأتي القبور ويقول : يا أهل القبور طويت صحفكم ورفعت أعمالكم ثم يقف فيصلي حتى يطلع الفجر ويرجع فيصلي الصبح جماعة ، وكان امامنا أبو حنيفة النعمان رحمته الله لا يتخذ فراشاً للنوم ، ونام بعض الصالحين على فراش لبن فنام عن ورده فحلف أن لا ينام على فراش أبداً ولم يزل الصالحون أصحاب صيام وقيام وذكر وفكر وهيام لأصحاب دعاوى وكلام ولذلك كانت رؤيتهم موعظة قبل رواياتهم ، فأمّا من وعظ بغير حاله فكأنما أعطى من غير ماله ولذلك قيل : عمل رجل في ألف رجل أنفع من كلام ألف رجل في رجل . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون » . وقال عيسى عليه الصلاة والسلام : لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتناموا

(١) رواه أبو داود وابن عزيمة في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أي : كوقع المطر .

كثيراً فيفوتكم خير كثير ، كثرة النوم نقصان في العمر وخراب في
القبر ، وخسران يوم الحشر ، وبلغنا عن سيدنا الشيخ أحمد الكبير
الرافعي الحسيني رحمته الله أنه كان يقول :

تعود سهر الليل	فإن النوم خسران
ولا تركز إلى الذنب	فعمى الذنب نيران
وتم للواحد الفرد	فللقراء خلل
إذا جنهم الليل	فهم في الليل رهبان
ينام الغافل الساهي	وما في القوم وسان
ويلهو المعرض اللاهي	وعند القوم أحزان
فما يليهم ربيع	ولا أهل وغلل
هم والله فتيان	إذا ما قيل فتيان

ولبعضهم في أهل الليل كثير من العبارات الرائقة والاشارات
الفاتقة تحض على هجر النوم لاقتناء طريقة القوم تحرك من الشوق
ما سكن ومن الوجد ما استكن فعليك بأدمان مطالعتها ودوام تلاوتها
لعلها تجلو صدأ القلوب وتدعو لتعرض الحب للحبيب ، ومن جملة
كلماتهم المؤثرة في الفؤاد الداعية لسبل الرشاد المبينة للفرق بين من هم
نيام ، وبين أهل البكاء والهيام قولهم : الناس قيام وهم قيام ، الناس
هجوم وهم ركوع ، الناس رقود وهم سجود ، الخلق من الخلق وهم من
الخلق ، شان بين من أنيسه المولى القريب ومناجاته مع السميع الجيب

وخلوته بالحبيب من غير رقيب وبين من أوقاته تمر في غير طائل وفي
سرور زائل ومامرة في هو وباطل :

فأختارهم ورضي بهم خداما	شع قوم أخلصوا في حبه
أبصرت قوماً سجداً وقياماً	قوم اذا جن الظلام عليهم
ويكابدون لدى النهار صياماً	يتلذذون بذكره في ليلهم
ويبوؤون من الجنان خياماً	فينعمون عرائساً بعرائس
ويسمعون من الجليل سلاماً	وتقر أعينهم بما أخفي لهم

فاذا كان يوم القيامة يكون الناس على جمر الغضا، وعباد الرحمن على
بساط الرضى، الناس في الكرب والشقا وعباد الرحمن في القرب واللقاء
جزاء السهر النظر وجزاء العنا نيل المنى.

حجبت عيني عن مرآك يا أملي فلو مننت على عيني بالنظر
حتى أقول لعيني عند رؤيتها : هذا جزاء لطول الدمع والسهر

سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر الجماعة .

تجمع جنود الكسل فتعلق بذيل التواني وتزين حب النوم وتزخر ف
طيب الفراش وتخوف برد الماء فاذا ثارت شعلة من نار العزم أضاءت بها
طريق المقصد فسمعت أذن المتقين نداء هل من سائل فأعطيه سؤلهم
من مستغفر فأغفر له هل من تائب فاتوب عليه فقمت أفرش خدي في
في التراب له ذلاً وأسحب أجفاني على الأثر .

رياح الأسحار أقوات الأرواح، عبارة النسيم لا يفهمها إلا المشتاق ،
حديث البروق لا يروق إلا للأحباب .

خلوا بالحبيب على بساط المتأجاة فكساهم ثوب الرصلة وضمخهم بطيب
المعاملة وغالية السحر غالية يصبحون وعليهم سوا القرب تفوح رياح
نجد من ثيابهم .

تأسف باجيفة النوم ابك يا عريان الغفلة ويحك تدري عملهم بالليل ،
الك علم بما جرى للقوم ، أيعلم خال كيف بات المتيمم ، عينه تدمع
ولسانه يدعو ويتضرع ، القوم مع الاجتهاد في الطاعات خائفون وعلى
أبواب النذل والافتقار واقفون وبين يدي مولاهم بأسرارهم عاكفون ،
رضوا من الدنيا بالكفاف وقالوا: انما نحن أضياف ، والجاهل الغافل مع
تفريطه وإهماله وتقصيره في أعماله قليل التفكر في حاله وماله ، فشتان
ما بين الفريقين وبعيد ما بين الطريقتين هؤلاء الذين قال تعالى في حقهم:
(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون)^(١) هؤلاء
الذين قال تعالى في حقهم : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون . فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(٢) .

« مطلب » في فرض التزهد عليه عليه السلام

ولاختصاص قيام الليل بأشرف المناقب وكونه سبباً لأجل العطايا

(١) القاريين / ١٦-١٧ .

(٢) السجدة / ١٦-١٧ .

والمواهب : قد فرض الله تعالى التهجد على النبي ﷺ بقوله تعالى :
 (يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا)^(١) كما قاله ابن عباس وهذا القول
 المشهور . وادعى بعضهم : أن التهجد لم يفترض عليه قط مستدلاً بإدلة
 تعرض المفسرون إلى ردها . واختلف في أنه هل نسخت فرضيته في حقه
 ﷺ بالصلوات الخمس أم بقي مفروضاً عليه بعد الصلوات الخمس
 خصوصية له ﷺ قال جماعة : بالأول . وقال آخرون : بالثاني .
 واحتج كل منهم بقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن
 يبعثك ربك مقاماً محموداً)^(٢) فن قال بأنه قد نسخت فرضيته في حقه
 أخذ بظاهر قوله تعالى (نافلة) متسكياً بأن النافلة هي التطوع ، وما كان
 تطوعاً لا يكون مفروضاً . ومن قال : بأن فرضية التهجد لم تنسخ في
 حقه ﷺ قال : قوله تعالى (فتهجد) أمر والأمر : يفيد الوجوب ،
 وقوله تعالى (نافلة لك) معناه صلاة زائدة على الصلوات الخمس مخصصة
 بك أي : مفروضة عليك دون أمتك ، وفي تفسير قوله تعالى (مقاماً
 محموداً) أقوال : أصحابها وأحسنها وأولها : أن المراد به الشفاعة حتى
 قال الواحدي : أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة ، كما قال النبي ﷺ
 في هذه الآية : « هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي » وما يؤكد هذا الوجه :
 الدعاء المشهور : وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأولون
 والآخرون واتفق الناس على أن المراد منه الشفاعة . وقال حذيفة

(١) المزمل / ١ - ٢ .

(٢) الاسراء / ٢٩ .

يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس ، فأول مدعو محمد ﷺ
 فيقول : لبيك وسعديك والشر ليس إليك تباركت وتعاليت سبحانك
 رب البيت ، فهذا هو المراد من قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاماً
 محموداً » قال : العلامة الكبير الفخر الرازي الشير : وأقول : القول
 الأول أولى ، لأن سعيه في الشفاعة يفيد إقدام الناس على حذره فيكون
 محموداً ، وهنالك أقوال آخر لا يناسب بسطها . وبالجملة فقيام الليل بالتهجد
 فيه طاعة يالها من طاعة ويكفيك ما حكى أن شيخ الصوفية : الجنيد :
 ﷺ روي في المنام ف قيل له : ما فعل الله بك فقال طاحت تلك
 الاشارات وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت تلك
 الرسوم ، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها عند السحر والناس نيام .
 وقد نصوا : على أن النفل المطلق في الليل أفضل من النفل المطلق في
 النهار وقد عد العلامة « أبو شجاع » في كتاب « الغاية » ثلاث نوافل
 مؤكدات وحث شراحها ومحشوها على فعلها وهي : قيام الليل ، وصلاة
 الضحى ، وصلاة التراويح . وحيث كتبنا هذه الكلمات في صلاة الليل
 فلتكتب لك شيئاً في الصلوتين الآخرين .

« مطلب » في صلاة الضحى

فأما صلاة الضحى : فالصحيح من مذهبنا أنها مندوبة وقد جزم
 بذلك في « الحاوي » والتبيين والمفتاح والشرعة وغيرها وبسط الأدلة
 على استحبابها في « شرح المنية » ونقل العلامة « الباجوري » من الشافعية

الاجماع على استحبابها في حاشية « الشرائع المحمدية » . ووقتها من ارتفاع الشمس إلى الزوال ووقتها المختار بعد ربع النهار كما في « الدر المختار » وأقلها : ركعتان قال في « رد المحتار » : ودليله : أنه ﷺ أوصى أبا هريرة بركعتين كما في صحيح البخاري . وأكثرها اثنا عشر لما رواه الترمذي والنسائي بسند فيه ضعف أنه ﷺ قال : « من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرًا من ذهب في الجنة » . وقد تقرر أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال كما في « المنية » وغيرها . وقيل : أكثرها ثمانية . وعزاه في « الحلية » إلى الامام أحمد وعزاه بعض السادات الشافعية إلى الأكثرين وكتب العلامة الباجوري على الشرائع مانصه : فالحاصل أنه ﷺ صلاها ثلثة ركعتين وهو أقلها وثلة أربعاً وهو أغلب أحواله وثلة ستاً وثلة ثمانية وهو أكثرها فضلاً وعدداً على الراجح . وقيل أفضلها ثمان وأكثرها : ثنتا عشرة ولا ينافي ذلك قولهم : كل ما كثر وشق كان أفضل لأنه غالي ، فقد صرحوا بأن العمل القليل قد يفضل الكثير في صور كثيرة لأنه قد يرى المجتهد من المصالح المحتملة بالعمل القليل ما يفضل على الكثير . انتهى .

وكان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على صلاة الضحى سراً وحضراً وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كانت صلاة الضحى أكثر صلاة داود عليه الصلاة والسلام » . وكان ﷺ إذا صلاها ثلثة ركعتين وثلة يصليها

أربعاً وثارة يصليها ثمان ركعات وثارة اثني عشر وأوحى الله تعالى
إلى موسى : أتحب أن تدعو لك الجبال الراسية ؟ قال : نعم . قال :
لا تدع صلاة الضحى .

وذكر السيد الشيخ « عبد القادر الجيلاني » قدس الله سره في « القنية »
عن النبي ﷺ : « صلوا الضحى بالشمس وضحاها وسورة الضحى »^(١)
ولوقت الضحى مزية عليّة ومنقبة جليلة ويكفيك أن الله تعالى أقسم
به وقدمه على الليل وقابل الضحى الذي هو ساعة من نهار بالليل كله إشارة
إلى أن هذه الساعة توازي الليل كله كما أن المنزل عليه ﷺ يساوي
الأنبياء كلهم .

وساعة الضحى : هي الساعة التي كلم الله فيها « موسى بن عمران »
وفيها ألقى السحرة سجداً للرحمن وفي تفسير العلامة « الفخر الرازي »
في أول سورة « الضحى » عبارات رشيقة ومعان بديعة رقيقة أحببت
أن أذكر بعضاً منها : قال نور الله مرقدته :

السؤال الخامس : أي من الأسئلة التي ذكرها في افتتاح تفسير هذه
السورة : هل أحد من المذكورين^(٢) فسر الضحى : بوجه محمد ﷺ .
والليل : بشعره ؟ والجواب نعم ، ولا استبعاد فيه ومنهم من زاد عليه
فقال : والضحى : ذكور أهل بيته ، والليل : إناثهم . ويحتمل : والضحى

(١) رواه البهقي ، والديلمي في مسند الفردوس كلاماً عن : عتبة بن عامر رضي
الله عنه يلقط : « صلوا ركعتي الضحى بسورتها ، والشمس وضحاها والضحى » .

(٢) المذكورين : مكثراً عبارة « الفخر » رحمه الله ، ولعله يريد بهم : الصوفية .
والله تعالى أعلم .

رسائله ، والليل زمن احتباس الوحي ، لأن في حال النزول حصل الاستثناس وفي زمن الاحتباس حصل الاستيحاش ، ويحتمل : والضحي : نور علمه الذي به يعرف المستور من الغيوب ، والليل : عفوه الذي به يستر جميع العيوب ، ويحتمل : أن الضحي : أقبال الاسلام بعد أن كان غريباً ، والليل : إشارة إلى أنه سيعود غريباً ، ويحتمل : والضحي : كمال العقل ، والليل : حال الموت ، ويحتمل : أن الضحي : علانيته ﷺ ، والليل : سره عليه الصلاة والسلام . والمعنى : أقسم بعلايتك التي لا يرى عليها الخلق عيباً وبسرك الذي لا يعلم عليه علام الغيوب عيباً . انتهى .

« فائز مسمم » في هذه السورة آية ينبغي لكل أحد أن يطلع على ما قاله المفسرون في تفسيرها ، وهي قوله تعالى : « ووجدك ضالاً فهدى » كيلا يسبق لوجه اتصافه ﷺ في وقت من الأوقات بما شهدت براءته عنه وتنزيهه منه صريح الآيات ، قال تعالى : (ماضل صاحبكم وما غوى)^(١) وقد ذكر أكابر العلماء المتقدمين وأفاضل فضلاء المفسرين في معنى هذه الآية وجوهاً عديدة وتاويلات حميدة ، قال « ابن عباس والحسن » وغيرهما : وجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها وهو المراد بقوله تعالى (ما كنت تدري ما المكتاب ولا الإيمان ؟)^(٢)

(١) سورة النجم / ٢ / .

(٢) التورى / ١٠٢ / .

وقوله تعالى (وان كنت من قبله لمن الغافلين)^(١) وروي مرفوعاً : أنه
 ﷺ قال : « ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع
 يقتلني فهداني الله » . ذكره الضحاك وذكر تعلقه باستار الكعبة وقوله :
 يارب رد ولدي محمداً أردده ربي واصطنع عندي يداً
 فما زال جده يردد هذه الكلمة حتى أنه أبوجهل على ناقه ومحمد بين يديه ،
 وهو يقول : لا تدري ماذا نرى من ابنك ؟ فقال عبد المطلب : ولم ؟ قال : اني
 أنحت الناقة واركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامي
 قامت الناقة ! . كان الناقة تقول : يا أحق هو الامام فكيف يقوم خلف
 المقتدي ؟ ! قال ابن عباس رده الله إلى جده بيد عدوه كما فعل موسى حين
 حفظه على يد عدوه . وقيل : المعنى : ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك
 إليها ، وقيل : المعنى ؛ ووجدك ضالاً أي : ضائعاً بين قوم يؤذونك
 ويكذبونك فهدى منهم من سبقت له السعادة ببركائك . وقيل : ووجدك
 ضالاً أي : ناسياً ، كما قال الله تعالى (أن تضل احدهما فتذكر إحداها
 الأخرى)^(٢) وذلك أنه ﷺ ليلة المعراج غلبته هبة الحضرة
 الإلهية حتى نسي ما ينبغي أن يقال إذ ذاك من محامدة القدسية فهداه الله
 تعالى حتى قال : لا أحصي ثناء عليك ، وقيل : الخطاب له ﷺ والمقصود
 أمته أي : ووجد قومك ضلالاً فهداهم بك ، وقد ذكر العلامة الرازي
 عشرين قولاً في تفسير هذه الآية من الأقوال التي وردت عن أكابر

(١) يوسف / ٢٠ -

(٢) البقرة / ٢٨٢ -

المفسرين فارجع إليه إن شئت. ولنرجع إلى بحث فضائل صلاة الضحى فنقول : ذكر في كتاب « النورين في اصلاح الدارين » ، عن النبي ﷺ « صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفي الفقر » . وقال شقيق البلخي : طلبنا خمسا فوجدناها في خمس ، طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل ، وطلبنا جواب شكر ونكير ، فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه في الصدقة ، وطلبنا الري يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار ، وطلبنا البركة في الرزق فوجدناها في صلاة الضحى . وعن النبي ﷺ « ان في الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يدعون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوا برحمة الله » رواه الطبراني ، وعنه ﷺ « يكتب للرجل في ركعتي الضحى ألف ألف حسنة » . قال العلامة الباجوري وهل هي صلاة الاشراق أو غيرها ؟ النبي في « شرح الرمي » انها هي ، وعبارته : وهي صلاة الاشراق كما أفتى به الوالد وان وقع في « العباب » انها غيرها . وقال ابن حجر : انها غيرها ونقله « ابن قاسم » عن « الرمي » أيضاً وعليه : فصلاة الاشراق ركعتان يحرم بها بنية سنة اشراق الشمس ويتأكد على من فاتته قضاؤها لأنها ذات وقت وهو وقت طلوع الشمس ولا تكره حينئذ لما علمت من أنها ذات وقت .

« مطلب » في دعاء صلاة الضحى

ودعاء صلاة الضحى : اللهم ان الضحاه ضحاؤك ، واليهاء بهاؤك ،

والجمال جمالك ، والقوة قوتك ، والقدرة قدرتك ، والعصمة عصمتك ،
 اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فاخرجه ، وإن
 كان معسراً فيسره ، وإن كان حراماً فطهره ، وإن كان بعيداً فقربه ،
 بحق ضحائك وبهائك وجمالك وقوتك وقدرتك آتني ما آتيت عبادك
 الصالحين .

« نعيم » ما يقال من أن صلاة الضحى تقطع الذرية لأصل له ، وإنما هي
 نزغة ألقاها الشيطان في أذهان العوام ليحملهم على تركها وكذلك ماشاع
 بين العوام من أن قطعها يورث العمى . والعياذ بالله . لأصل له كما قاله
 العلامة « الباجوري » في « حاشية السائل المحمدية » ويستحب القراءة
 فيها : بالكافرون والاخلاص . وهما أفضل من « الشمس والضحى »
 وإن وردت في حديث لأن « الكافرون » تعدل ربع القرآن و « الاخلاص » ثلثه
 بلا مضاعفة كما قاله « الرملي » ولم أره لأحد من علمائنا بل المنصوص في
 كتب مذهبنا قراءة : الشمس . والضحى . وفي النفس شيء من هذه العبارة
 فإن النبي ﷺ هو الذي أخبرنا أن « الكافرون » تعدل ربع القرآن
 و « الاخلاص » تعدل ثلثه وهو الذي أمرنا في صلاة الضحى : بالشمس .
 والضحى . ولو لم يكن لهاتين السورتين خصوصية ومزية عليّة في هذه
 الصلاة لما أمرنا بهما خصوصاً وهو أدري بالأفضل وأعلم بالأولى والأكمل
 ولم يترك ﷺ فضيلة إلا ندب إليها وحث الأمة عليها وقد قال تعالى

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)^(١) وقال تعالى (ما كان لهم الخيرة)^(٢)
فالنبي علينا : أن نختار ما اختاره ، ونأتمر بما أمر به . وهنا « نكتة » أخرى
توضح ما قلنا وهي : أن النبي ﷺ أمر بقراءة « الفاتحة » في الصلاة
فصارت قراءتها . فرضاً عند السادات الشافعية وواجبة عندنا مع أنها
وإن كانت أم القرآن وجامعة لمعاني الفرقان لكن لم تر أنها تعدل ثلث
القرآن فلو قرأ المصلي بدل الفاتحة سورة الاخلاص ألف مرة أتراه يكون
قد أدى الفرض أو الواجب ؟ ! بل لو قدر أنه قرأ القرآن كله مراراً
ماعد « الفاتحة » أيتخلص بذلك مما يلحقه من ترك « الفاتحة » ؟ ! فشيء
خصه رسول الله ﷺ لنا وأمرنا به لانفر منه ولا تعدل عنه
ونعتقد أن ما أمر به الرسول ﷺ أولى مما قاله « الرمي » ولعل
للعلامة « الرمي » رحمه الله مأخذاً من حديث أو أثر لم نره وإنما بسطنا
العبارة هنا تعظيماً للأمر النبوي المتبع الذي بلغنا صريحاً وعليه رجال
مذهبنا نفعنا الله بهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . وعن معاذة
العدوية قالت : سألت عائشة أكان النبي ﷺ يصلي الضحى ؟ قالت :
نعم . « أربعاً ويزيد ما شاء الله »^(٣) وعن أبي عمار عن أبي هريرة قال
قال رسول الله ﷺ : « من حافظ على شُعبة الضحى غفرت له

(١) الأحزاب / ٦ .

(٢) القصص / ٦٨ .

(٣) رواه أحمد والنسائي .

ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر^(١) وأخرج الامام مسلم عن أبي ذر عن
 النبي ﷺ أنه قال : يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل
 تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة
 وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتان
 يركعهما من الضحى ، وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ
 كان يدمن أربع ركعات عند زوال الشمس فقلت يا رسول الله : إنك تدمن
 هذه الأربع ركعات عند زوال الشمس فقال : إن أبواب السماء تفتح عند
 زوال الشمس فلا ترتج حتى يصلي الظهر فأحب أن يصعد لي في تلك الساعة
 خير فقلت : أي كهن قراءة ؟ قال : نعم . قلت : هل فيهن تسليم فاصل
 قال : لا . وقوله : فلا ترتج أي : فلا تغلق . وقوله : قلت هل فيهن
 تسليم ؟ قال : لا . أخذ منها امامنا أبو حنيفة رضي الله عنه : أن الأفضل في
 النفل أن يكون أربعاً أربعاً سواء صلاه ليلاً أو نهاراً . ووافق
 الامامان أبو يوسف ومحمد في نفل الليل دون النهار . وحل الامام
 الشافعي رحمه الله قوله : قال : لا . على أن المراد لاسلام واجب ونفي
 الوجوب لا يستلزم نفي الأفضلية فعند الامام الشافعي رحمه الله الأفضل
 في النفل : أن يكون مثنى مثنى ، سواء صلاه في الليل أم في النهار يدل

(١) رواه الترمذي وابن ماجه . وشعبة الضحى ، بضم الشين المعجمة وقد تفتح :
 أي : ركعتا الضحى .

قوله ﷺ « صلاة الليل مثنى مثنى »^(١) وبه قال مالك وأحمد رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

« فان قلت : قد ورد ما يفيد أن النبي ﷺ لم يكن يصلي الضحى وذلك في آثار كثيرة فمنها ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : ما رأيته سبحانه أي صلاحها تعني صلاة الضحى ، ومنها ما روي عن عائشة أيضاً أنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى . أي : صلاة الضحى في سفر ولا حضر وفي لأصحابها »^(٢) أي : لأصلياً . فكيف الجمع بين هذين الأثرين وبين ما ورد من أنه ﷺ : كان يصلي الضحى ثارة ركعتين وثارة أربعاً وثارة ثمان ركعات وثارة اثني عشر . وما روي من قوله ﷺ : « كتب علي الأضحى ، وأمرت بصلاة الضحى »^(٣) . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على أنه كان مأموراً بها وكان يصليها ؟ أجيب : بأن المراد من قول السيدة عائشة رضي الله عنها « ما رأيته سبحانه » وقولها : ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى . نفي المداومة والمواظبة لانفي أصل الصلاة فالمعنى - والله أعلم - ما رأيته يداوم على صلاة الضحى . يدل على ذلك قولها في رواية أخرى : « كان لا يصلي الضحى إلا ان جاء

(١) رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه : عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري ومسلم كلاهما باختصار .

(٣) رواه أحمد والطبراني : عن ابن عباس رضي الله عنهما .

من مغيبة^(١) وقول أنس رضي الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا تركها ويتركها حتى نقول لا يصليها»^(٢) وقد شهد تسعة عشر من أكابر الصحابة: أنهم رأوا المصطفى صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى، حتى قال ابن جرير: أخبارها بلغت حد التواتر. وقد كانت صلاة الأنبياء قبله.

فإن قلت: فلم صح عن ابن عمر أنه قال: إنها بدعة^(٣) ونعمت البدعة. وقال: لقد قتل عثمان وما أحد يسبحها، وما أحدث الناس شيئا أحب إلي منها؟ أجيب: بأن ذلك محمول على أنه لم يبلغه ماورد فيها من الأحاديث والآثار والأخبار أو أنه أراد أن المداومة عليها بدعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها. فإن قلت: فإذا كان لصلاة الضحى ماسبق من الفضائل فكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتركها أحيانا ولا يداوم عليها؟ أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم ترك المداومة عليها راحة بال الأمة وشفقة عليهم وذلك لأنه خشي أن تفرض عليهم كما يدل عليه ما روي أنه: كان صلى الله عليه وسلم يترك أشياء كراهية أن يشق على أمته أو: أنه صلى الله عليه وسلم تركها في بعض الأوقات كيلا يعتقد الناس فرضيتها وليكن هذا آخر كلامنا على صلاة الضحى.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي عن أبي سعيد رحت بلفظ «كان صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول: لا بدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها».

(٣) واليه ذهب الحادي والقاسم وأبو طالب.

« مطلب » في صلاة التراويح

وأما صلاة التراويح : فهي سنة مؤكدة عندنا كما هي عند الامام الشافعي رحمته الله . والقول : بكونها سنة هو ما صححه في الهداية وغيرها وهو المروي عن أبي حنيفة رحمته الله . وانما كانت سنة لمواظبة أكثر الخلفاء الراشدين عليها وذلك لأن المواظبة عليها وقعت في أثناء خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ووافقه على ذلك عامة الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا بلا تكثير وقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود وذكر في « الاختيار » أن أبا يوسف سأل من أبي حنيفة « رضي الله عنه » تعالى عنها « عنها وعما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه فقال : التراويح سنة مؤكدة ولم يتخرج عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيه مبتدعاً ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وقد ذكر البخاري في صحيحه ما نصه : أخبرنا أبو سلمة أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرمضان : من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . حدثنا عبد الله بن يوسف قال أنبأنا مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » قال ابن شهاب : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر . وعن

ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال :
 « خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان الى المسجد فاذا
 الناس أوزاع مفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته
 الرهط فقال عمر : اني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان
 أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي ^(١) بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى
 والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتي ينامون
 عنها أفضل من التي يقومون . يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله ^(٢)
 حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير
 عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذلك في رمضان .
 حدثنا يحيى ابن بكير أنبأنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني
 عروة عن عائشة أنها أخبرته « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من
 جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا
 فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل

(١) أي بن كعب : ابن قيس بن عبيد من بني النجار ، من الخزرج : صحابي
 أنصاري ، كان يكتب ويقرأ على فقه العارفين بالكتابة في عصره ولا أعلم كان من كتاب
 الوحي ، وشهد براءً وأحدًا والحنق والشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 الذي أمره عثمان بجمع القرآن فاشترك في جمعه ، روى له البخاري ومسلم « ١٦٤ » حديثاً
 وفي الحديث « أقرأ أمي : أي ابن كعب » ثوبان رضي الله عنه في المسند سنة
 « ٢١ » قال المحدث العجلوني في كتابه : كشف الغطاء : وما يقال من أن قبره رضي
 الله عنه في الجانب الشرقي من « دمشق » : فباطل لا تتفق العلماء على أنه لم يدخلها فضلاً
 عن دفنه فيها وإنما مات في المدينة . ١ .

(٢) رواه البخاري .

المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلوا فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم ولكني خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، انتهى .

وأخرج الامام مسلم في صحيحه عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » . وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وعن النضر بن شيبان قال لقيت أبا سلمة ابن عبد الرحمن فقلت : حدثني بحديث سمعته من أبيك يذكره في شهر رمضان قال : نعم . حدثني أبي أن رسول الله ﷺ ذكر شهر رمضان فقال : « شهر كتب الله عليكم صيامه وسنت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . فان قلت : كيف قال ﷺ : وسنت لكم . مع أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فما وجه نسبة سنية القيام إلى ذاته عليه الصلاة والسلام ؟ أجيب : بأنه ليس الغرض من قوله ﷺ : وسنت . أنه سن هذه السنة برأيه ،

(١) رواه البخاري ومسلم .

بل لما علم بالوحي شرف قيام رمضان فعله لئن قندي به ونستن بسنته
 فان فضيلة الشيء لاتعرف إلا بالوحي على أن للنبي ﷺ أن يجتهد
 في بعض الأحكام ، وقولهم : الاجتهاد يحتمل الخطأ والصواب خاص
 بغيره ﷺ ، أما اجتهاده ﷺ فهو عين الصواب بلا شك ولا
 ارتياب وكيف لا - وهو المعصوم الأكبر ﷺ وقد نص في « الدر
 المختار » وحواشيه . على أنه : قد انعقد الاجماع على أن التراويح سنة
 للرجال والنساء فلا اعتذار بقول بعض الروافض : انها سنة للرجال
 فقط دون النساء فانه ورد أن سيدنا عمر رضي الله عنه لما جمع الرجال على
 « أبي » ليصلي بهم التراويح كما في حديث البخاري جمع النساء على
 « سليمان بن أبي حشمة » ولا اعتذار أيضاً بن أنكر التراويح من الرافضة
 لانهم أهل بدعة يتبعون أهواءهم لا يعولون على كتاب ولا سنة بل
 ينكرون الأحاديث الصحيحة كما قاله في « رد المختار » وقد كان ﷺ
 في الليالي الثلاثة المار ذكرها يصلي من التراويح في المسجد « ثماني »
 ركعات لكن كان يكملها « عشرين » في بيته وكذلك الصحابة رضي الله
 تعالى عنهم كانوا يكملون التراويح « عشرين » في بيوتهم بدليل : أنه كان
 يسمع لهم أزيز كازيز « النحل » وانما لا يكمل بهم « العشرين » في المسجد
 شفقة عليهم وقد مر أن النبي ﷺ لم يواظب عليها في المسجد
 بالجماعة خشية أن تفرض علينا فلا نستطيعها واستشكل ذلك بما في
 حديث الإسراء « هن خمس والثواب خمسون » لا يبدل القول لدي « فبعد
 قوله تعالى لئنبي ﷺ « هن خمس » وقوله « لا يبدل القول لدي »

كيف يمكن فرضية غير هذه الخمس أو أجيب أجوبة أحسنها : أن ذلك في كل يوم وليلة فلا يتنافى فرضية غيرها في السنة .

« فائز » قال العلامة « الباجوري » واعلم : أن زيادة الوقود عندها جائزة إن كان فيها نفع ولم تكن من مال محجور عليه ولا من وقف لم يشترطها الواقف فيه ولم تطرد العادة بها في زمانه مع علمه بها والأفهي حرام . ووقت صلاة التراويح : بين صلاة العشاء والفجر . فأول وقتها بعد صلاة العشاء قبل صلاة الوتر وقيل قبل الوتر وبعده . وقيل : أول وقتها غروب الشمس حتى لو صلاها قبل العشاء تصح لأنها قيام الليل ، والقول الأول هو الصحيح ، فقد صححه في « الخلاصة » ورجحه في « غاية البيان » وقال : إنه المأثور المتوارث وهو الموافق لمذهب السادات الشافعية . وأما آخر وقتها : فهو طلوع الفجر فتمت طلوع الفجر فقد خرج وقت التراويح بلا خلاف كما في « النهر » ويستحب تأخيرها إلى ثلث الليل أو نصفه ولا تكره بعده في الأصح كما في « الدر المختار » وإذا خرج وقتها فمذهبنا أنها لا تقضى وقيل : تقضى فرادى ، ما لم يدخل وقت تراويح أخرى . وقيل : ما لم يمض الشهر والقول الأول : هو الأصح وعليه فلو قضاها تقع نفلاً مستحباً وليس بتراويح أما على القول الثاني والثالث فتكون تراويح ما لم يمض الوقت المعين للقضاء على ما فيه من الخلاف وما ذكر من الخلاف في أنها تقضى أولاً فهو في مذهبنا . أما السادات الشافعية فقد نصوا على أنها تقضى ، لأنها ذات

وقت وهم يقولون بقضاء النوافل الوقتية وهي عشرون ركعة وهو قول الجمهور وعليه عمل الناس شرقاً وغرباً . وعن مالك رحمته الله أنها ست وثلاثون ونص السادات الشافعية على أنها « عشرون » ركعة في حق غير أهل المدينة الشريفة المنورة على مشرقها ومنورها أفضل الصلاة وأكمل السلام أما في حقهم فهي « ست وثلاثون » وسبب ذلك أن الصحابة في مكة كانوا يفصلون بين كل ترويحين بطواف ليستريحوا وينشطوا بذلك لأن في الانتقال من عبادة إلى أخرى راحة ونشاطاً ، ولذلك سميت التراويح ، وكان ذلك باجتهادهم لا بأمره صلى الله عليه وسلم ولما تعذر الطواف على أهل المدينة المشرفة أدام اجتهادهم إلى أن يجعلوا مكان كل طواف « أربع » ركعات فصارت عندهم « ستاً وثلاثين » لكن فعلهم لها « عشرين » أفضل لأنه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم والمراد بأهل المدينة : من كان فيها أو في مزارعها وقت أدائها . وقد اختلفوا في الحكمة في كونها « عشرين » ركعة فذكر علماؤنا : أن الحكمة مساواة المكمل للمكمل والمسكّل الأول بكسر الميم : وهو التراويح . والمكمل الثاني بفتح الميم : وهو الفرائض الخمس والوتر . على ما ذهب إليه الإمام في إحدى الروايات من أنه فرض فتكون الفرائض « عشرين » والتراويح المكمل لها « عشرين » وذكر السادات الشافعية : أن الحكمة في كونها « عشرين » ركعة : أن الرواتب المؤكدة في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت فيه لأنه وقت جد وتشمير^(١) ، لعبادة اللطيف الخبير .

(١) انظر حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم : ٢٤١/١ .

« فائدة » : الحتم في التراويح مرة سنة وصححه في « الحانية » وغيرها وعزاء في « الهداية » إلى أكثر المشايخ وعزاء في « الكافي » إلى الجمهور وفي « البرهان » وهو المروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه وهو المنقول في الآثار .

وروى الحسن عن أبي حنيفة : أنه يقرأ مصلي التراويح في كل ركعة عشر آيات ونحوها وهو الصحيح لأن السنة الحتم في التراويح مرة وهو يحصل بذلك مع التخفيف لأن عدد ركعات التراويح في الشهر على فرض تمامه ستائة ركعة وعدد آيات القرآن ستة آلاف أيقوا إذا قرأ في كل ليلة أكثر من عشر آيات حتى أتم الحتم قبل انتهاء رمضان فيصلي التراويح في بقية لياليه بما شاء لأن سنة القراءة قد تمت بتمام الحتم إذ الحتم كما مر سنة ، والحتمان فضيلة والثلاثة أفضل ولا يترك الحتم لكسل القوم على ما عليه المتون لكن في « الاختيار » الأفضل في زماننا أن يقرأ قدر ما لا يثقل عليهم لأن تكثير الجمع أفضل من تطويل القراءة كما في « الحلية » عن « المحيط » وأقره المصنف وغيره قال في « البحر » فالحاصل أن المصحح في المذهب : أن الحتم سنة ، لكن لا يلزم منه عدم تركه إذا لزم منه تنفير القوم وتعطيل كثير من المساجد خصوصاً في زماننا فإن أهله لا يقاسون بمن سلفوا ، وفي « المجتبى » عن الإمام : لو قرأ ثلاثاً قصاراً أو آية طويلة في الفرض فقد أحسن ولم يسيء مما ظنك بالتراويح ؛ وفي فضائل رمضان ، للزاهدي . أفتى « أبو الفضل الكرماني والوبري »

أنه إذا قرأ في التراويح الفاتحة وآية أو آيتين لا يكره ومن لم يكن عالماً
 بأهل زمانه فهو جاهل كذا في « الدر المختار » وبآتي الامام والقوم بالثناء
 في كل شفع ويزيد الامام على التشهد إلا أن يمل القوم فيأتي بالصلوات
 ويترك الدعوات لأن الصلوات حق جد السادات عليهم السلام والدعوات
 حقنا وحقه عليه السلام مقدم على حقوقنا لأنه أولى بنا من أنفسنا بنص
 القرآن . وإذا خاف الامام ملل القوم فيقتصر في الصلوات على قوله :
 اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . لأن الصلاة على آله عليهم السلام في التشهد
 الأخير سنة عند الشافعي رحمته الله بل قيل بوجودها .

« نهي » : وإذا أتى بالصلاة وترك الدعوات لأجل التخفيف فليحذر كل
 الحذر من فعل المنكرات والمراد بالمنكرات : ما يخالف المشروع وقعد
 في « الدر المختار » من ذلك ستة أشياء وهي : هزيمة القراءة أي : الاسراع
 فيها ، وترك تعوذ وتسمية وطمانينة وتسبيح وترك الاستراحة ،
 وهي : القعدة بين الترويحتين ، فكل هذه الأشياء مخالفة للمشروع ،
 والأفضل أن تصلى التراويح بعشر تسليمات وهو المتعين عند السادات
 الشافعية فلو صلى أربع ركعات بتسليمة واحدة فذهب الشافعي عدم
 الصحة ومذهبنا أنها صحيحة لكنها خلاف الأفضل حتى لو صلاها
 بتسليمة واحدة وقعد لكل شفع فانها تصح لكن مع الكراهة أما لو لم
 يقعد على رأس كل شفع فلا تجزى هذه « العشرون » ركعة إلا عن شفع
 واحد فقط .

ولو حصل شك في عدد الركعات بأن شكوا هل صلوا «ثانية عشر» ركعة أم «عشرين» ركعة بنوا على الأقل ويصلون «ركعتين» آخرين أفرادى على الأصح احتياطاً لأنهم لم يتيقنوا أن هاتين الركعتين من التراويح فيجوز أن تكونا منها ، وهي تصح صلاتها بدون جماعة ويجوز أن لا تكونا منها فتقعان نفلاً مطلقاً والنفل المطلق لا يصلح بجماعة .

ونذب الجلوس : بين كل أربعة بقدرها وليس المراد حقيقة الجلوس بل المراد الانتظار فانه يغير بين الجلوس ساكناً أو قارئاً أو مسبحاً وبين أن يصلي أربع ركعات بين كل ترويحتين فتريد «ستة عشرة» ركعة وتصير كصلاة أهل المدينة المنورة قال العلامة «قاسم» ان زادوها منفردين لا بأس به وهو مستحب وان صلوها بجماعة كما هو مذهب مالك كره . والمعروف في زماننا أنهم يقرؤون بين كل ترويحتين سورة الاخلاص ثلاثاً واذا أرادوا أن يسبحوا في هذه الجلسة فانهم يقولون على ما نقل عن «القهستاني» : سبحان ذي الملك والمكوت ، سبحان ذي العزة والعظمة والقدرة والكبرياء والجبروت ، سبحان الملك الحى الذي لا يموت ، سبحان قدوس رب الملائكة والروح لا إله إلا الله . نستغفر الله نسالك الجنة ونعوذ بك من النار ، ولشدة التأكيد في التراويح قالوا : يكره بأن يصلها أحد قاعداً مع القدرة على القيام بل قيل : انها لا تصح كما قالوه في سنة الصبح .

« نهي » : يكره للمقتدي أن يقعد في التراويح حتى إذا أراد الامام

الركوع قام ليركع معه لان فيه اظهار التشكّل في الصلاة والتشبه
 بالنافقين الذين قال في حقهم رب العالمين : (واذا قاموا الى الصلاة قاموا
 كسالى) قال في الحلية وفيه اشعار بأنه اذا لم يكن لكسل بل لكبر سن
 ونحوه لا يكره وهو كذلك قال في « التتارخانية » : واذا غلبه النوم
 يكره له أن يصلي بل ينصرف وينام ويستيقظ بعد ذلك ليقوم الى
 الصلاة بنشاط ولا بد لصلاة التراويح كغيرها من الصلوات من النية
 وهل لابد لها من التعيين أو يكفي لها مطلق النية ؟ الأصح : الثاني ،
 والأحوط : الأول . وهو مذهب الشافعي رحمته الله وهل يشترط أن
 يحدد لكل شفع نية قال في « الخلاصة » : الصحيح نعم ، لأنه صلاة على
 حدة وهو الموافق لمذهب الشافعي رحمته الله وفي « الحنانية » الأصح : لا
 فإن الكل بمنزلة صلاة واحدة قال العلامة ابن عابدين في حاشيته « رد
 المحتار » : ويظهر لي التصحيح الأول لأنه بالسلام خرج من الصلاة حقيقة
 فلا بد في دخوله فيها من النية ، ولا شك أنه الأحوط خروجاً من
 الخلاف ثم نقل عن « الحلية » ترجيح الثاني لكن بشرط أن ينوي
 التراويح كلها عند الشروع في الشفع الأول كما لو خرج من منزله يريد
 صلاة الفرض مع الجماعة ولم تحضره النية لما انتهى الى الامام .

وكيفية النية على ما ذكره « الباجوري » : أن ينوي بكل ركعتين
 سنة التراويح أو سنة قيام رمضان . واحكام صلاة التراويح كثيرة
 والأحاديث والأخبار الواردة في فضلها شهيرة فلنكتف في الكلام عليها

بما ذكرناه ونسأل الله أن يمن علينا برضاه ومن اللازم هنا أن تصرف
 الهمة لذكر شيء من النوافل مع بيان مالها من الأحكام والفضائل لينتفع
 المطلع عليها ويرى غاية آماله والخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

« مطلب » في تحية المسجدين

فمن النوافل المشروعة : تحية المسجد والكلام على حذف مضاف
 والتقدير : تحية رب المسجد ، لأن المقصود التقرب إليه سبحانه وتعالى
 لا إلى المسجد لأن الإنسان إذا دخل بيت الملك يحیی الملك لا يتيه كما في
 « البحر » عن « الحلية » وقد حكى الإجماع على سنيها غير أن أصحابنا
 يكرهونها في الأوقات المكروهة تقديماً لعموم الحافظ على عموم الميخ .
 وهي : ركعتان . قال القهستاني : أو أربع . وهي أفضل لتحية المسجد
 وإذا دخل فيه بعد الفجر أو العصر فإنه يسبح ويكبر ويصلي على النبي
 ﷺ فإنه حينئذ يؤدي حق المسجد وفي « الضياء » عن « القوت » من
 لم يتمكن منها لحدث أو غيره يقول ندبا : كلديات التسبيح الأربع أربعاً
 كذا في « الدر المختار » والكلديات الأربع هي : سبحان الله والحمد لله
 ولا إله إلا الله والله أكبر . وينوب عن تحية المسجد كل صلاة صلاحها
 عند الدخول فرضاً كانت أو نفلاً فالأمور بتحية المسجد إنما هو من
 دخله لدرس أو لقضاء أو ذكر أو تلاوة قرآن أو نحو ذلك أما من دخل
 لصلاة فرض كاحدى الصلوات الخمس أو لسنة كصلاة الضحى وصلاة
 التراويح فإذا صلى حال دخوله فتسقط عنه تحية المسجد وهل يحصل

له ثوابها ؟ الذي حرره العلامة ابن حجر أن حصول الثواب موقوف على التنية فإن نواها فله الثواب وإلا فلا ثواب له ، لأن الأعمال بالنيات . وإذا تكرر دخول شخص للمسجد في يوم واحد مراراً لعذر فتكفيه تحية المسجد مرة واحدة عندنا أما عند الشافعي رحمته الله فتكرر التحية بتكرار الدخول ولو عن قرب . ولا تسقط بالجلوس عندنا أيضاً لحديث ابن حبان في صحيحه « يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعها » . وذهب الشافعي إلى أنه يفوت وقتها بالجلوس إلا أن يكون سهواً أو جهلاً وقصر الفصل واعتمد بعض الشافعية أنه يفوت وقتها بالقيام كما يفوت وقتها بالجلوس وقال غيره لانفوت بالقيام إلا إذا طال . ودليل فوات وقتها بالجلوس حديث الصحيحين وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين » . وحمل أئمتنا هذا الحديث على أنه بيان للأولى حتى نصوا على أن الحرام إذا دخل المسجد للحكم إن شاء صلى التحية عند دخوله وإن شاء صلاها عند خروجه واتفقوا على أن الإمام إذا كان يصلي المكتوبة أو أخذ المؤذن في الإقامة فإنه يتركها وما ذكر من أن تحية المسجد ركعتان فهو في غير المسجد الحرام لأن تحية المسجد الحرام : الطواف كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقد ورد في حق تحية المسجد أحاديث وآثار كثيرة منها ماورد أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أعطوا المساجد حقها » قالوا : وما حقها يا رسول الله ؟ قال : إذا دخلتم فصلوا ركعتين قبل أن

تجلسوا^(١) . وكان كثيراً ما يقول : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين »^(٢) وفي رواية « سجدتين » وجاء أبو قتادة رضي الله عنه يوماً والنبي ﷺ جالس بين ظهري الناس فجلس فقال له رسول الله ﷺ : مأمعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس ؟ فقال : يا رسول الله رأيتك جالساً والناس جلوس . فقال : إذا دخلت فلا تجلس حتى تصلي ركعتين . وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : إن من اشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد فلا يصلي فيه ركعتين . قال أبو سعيد رضي الله عنه كنا نغزو إلى السوق على عهد رسول الله ﷺ فنمر على المسجد فنصلي فيه . وكذلك ورد في تعظيم المساجد آيات وأحاديث كثيرة قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً)^(٣) وقال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)^(٤) وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)^(٥) وقال تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال)^(٦) ، الآية . وروى الشيخان في الصحيحين عن رسول الله

-
- (١) رواه ابن أبي شيبة عن أبي قتادة رضي الله عنه بلفظ « أعطوا المساجد حقها ركعتان قبل أن تجلس » .
 (٢) رواه الجماعة .
 (٣) الجن / ١٨ .
 (٤) البقرة / ١١٤ .
 (٥) التوبة / ١٨ .
 (٦) النور / ٣٦ .

ﷺ انه قال : « من بنى لله مسجداً بنى الله له كهيبته في الجنة »
 وفي رواية أخرى « بنى الله له بيتاً في الجنة » . وروى أبو هريرة رضي الله عنه
 عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أحب البلاد الى الله تعالى مساجدها
 وأبغض البلاد الى الله أسواقها »^(١) . الحديث . وذلك لأن المساجد
 بيوت لذكر الله حتى أن من دخلها من الغافلين ورأى الذاكرين شاركهم
 في الذكر وحصل له وافر الخير والأجر ، وأما الأسواق فانها بيوت
 الغفلة عن الله تعالى والاقبال على الدنيا حتى ان ذاكر الله اذا دخل
 الأسواق التي هي ماوى الشياطين فانه يلهو عن ذكر الله ويتفرق قلبه
 بعد أن كان مقبلاً بكيته على الله فلذلك كانت المساجد أشرف الأماكن .
 والأسواق أخس المساكن ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
 الله ﷺ « من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي
 فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى
 ترفع درجة » . رواه مسلم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال « من غدا
 أو راح إلى المسجد أعد الله له في الجنة منزلاً كلما غدا أو راح »^(٢) وعن
 أبي بن كعب قال « كان رجل ما أعلم أحداً من أهل المدينة ممن يصلي الى
 القبلة أبعد منزلاً منه من المسجد وكان لا تخطيه الصلوات مع الرسول
 ﷺ فقليل له : لو اشتريت حماراً لتركبه في الرمضاء والظلماء

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحهما : عن أبي هريرة رضي

الله عنه .

فقال : والله ما أحب أن منزلي يلزق بالمسجد فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسأله فقال : يا رسول الله کیا يكتب أنري وخطاي ورجوعي إلى أهلي وأقبالي وأدباري فقال عليه الصلاة والسلام لك ما احتسبت أجمع . أخرجه مسلم . وعن جابر قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : انه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا إلى قرب المسجد . فقالوا : نعم قد أردنا ذلك . قال : يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم . رواه مسلم ، وعن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت في حقهم (انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ان أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إلى المسجد مشياً^(١) وعن سعيد ابن المسيب قال حضر رجلاً من الأنصار الموت فقال لأهله : من في البيت ؟ فقالوا : أهلك ، وأما اخوتك ، وجلساؤك ففي المسجد . فقال : ارفعوني فأسندهم رجل منهم إليه ففتح عينيه وسلم على القوم فردوا عليه وقالوا له خيراً ، فقال : اني مورثكم اليوم حديثاً ما حدثت به أحداً منذ سمعته من رسول الله ﷺ احتساباً وما أحدثكموه اليوم الا احتساباً سمعت رسول الله ﷺ يقول : من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم خرج

(١) يس / ١٢ -

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

إلى المسجد يصلي في جماعة المسلمين لم يرفع رجله اليمنى الا كتب الله له بها حسنة ولم يضع رجله اليسرى الا حط الله عنه بها خطيئة حتى يأتي المسجد فاذا صلى بصلاة الامام انصرف وقد غفر له فان هو أدرك بعضها وفاته بعض كان كذلك^(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها ولم ينقص ذلك من أجرهم شيئاً^(٢) » وروى (أبو) مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اسبغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط^(٣) » . وقال عليه الصلاة والسلام « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة^(٤) » وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من بنى لله بيتاً يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتاً في الجنة من در وياقوت^(٥) » وعن أبي ذر أنه قال

(١) رواه أبو داود وغيره .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ : « كفارات الخطايا اسبغ الوضوء على المكاره .. الحديث » كالم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ « ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا .. الحديث » وابن ماجه من حديث جابر بلفظ « ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب .. الحديث » . وعليه فلفظ « أبو » الذي بين قوسين زائدة والله تعالى أعلم .

(٤) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث غريب .

(٥) رواه الطبراني في الارسط واليعزاردون قوله : « من در وياقوت » . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال رسول الله ﷺ من بنى لله مسجداً ولو كحفص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة^(١) وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله تعالى قال : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر^(٢) . وعن أنس قال قال عليه الصلاة والسلام : إذا نزلت عاهة من السماء صرفت عن عمار المساجد . وكتب سلمان إلى أبي الدرداء : يا أخي ليكن بيتك المسجد فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسجد بيت كل تقى وقد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله تعالى »^(٣) وعن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : (يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسهم فليس لله فيهم حاجة)^(٤) . وقد سبق نقل الحديث الشريف وهو قوله ﷺ « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه » الحديث وروى فاطمة بنت رسول الله عن

-
- (١) رواه البزار والطبراني في الصغير وابن حبان في صحيحه . ومفصص قطاة : الموضع الذي تلمس التراب منه لتبش فيه .
 (٢) رواه الترمذي واللفظ له وقال : حديث حسن قريب . وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
 (٣) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال : إسناده حسن بلفظه ولكن قال الله لمن كان المسجد بيتاً . وبزيادة : إلى الجنة . في آخر الحديث . اهـ
 (٤) رواه ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود بلفظه « سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ، ليس لله فيهم حاجة » .

أبيها عليه السلام قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال : « رب اغفر ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » وقال عليه الصلاة والسلام « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فتقول : اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث »^(١) .

« فائدة » : ورد أنه نهى ﷺ عن تناشد الأشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيه فيكره البيع والشراء في المسجد وبه قال أحمد وإسحاق وعطاء بن يسار وكان إذا مر عليه بعض من يبيع في المسجد قال عليك بسوق الدنيا فانما هذا سوق الآخرة ، وعنه ﷺ أنه قال « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له : لا أربح الله تجارتك »^(٢) . وينبغي لكل ذي إيمان أن يقر المسجد من البصاق والقاء النخامة ونحو ذلك وفي الحديث « ان المسجد ليزوي من النخامة كما تزوي الجلدة في النار »^(٣) أي ينضم ويتقبض وقد قالوا في تفسير هذا الحديث الشريف : المراد أن كونه مسجداً يقتضي التعظيم والتوقير ، والقاء النخامة يفضي إلى الإهانة والتحقير وبينها منافاة فعبّر ﷺ عن تلك المنافاة بالآزواء ، وقال آخرون أراد ﷺ في قوله : ان المسجد ليزوي : أن أهل المسجد ليزوون فالكلام على حذف مضاف على حد

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه باختصار : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) قال القاري : لم يوجد .

قوله تعالى : (واسأل القرية التي كنا فيها)^(١) أي : أهل القرية ، وأهل المسجد الذين يتزوّون بمعنى : يتقبضون من الثّقاء النّخامة فيه : هم الملائكة الكرام على نبينا وعليهم الصّلاة والسلام .

« نعيم » : ينبغي لمن أراد الحضور إليها أن يستعمل الطيب ويتباعد كل التباعد من أكل ذي ربح كره لأن الرائحة الكريهة تؤذي الملائكة وفي الحديث « من أكل من هذه الشجرة الملتنة فلا يقربن مسجداً فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس »^(٢) وعن جابر أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزل مسجداً »^(٣) . وحيء لرسول الله ﷺ بقدر فيه خضر فوجد لها ريحاً فسأل فأخبر بما فيها من البقول فقال « قريوها إلى بعض من كان حاضراً وقال له : فاني أناجي من لاتناجي » أخرجاه في الصحيحين .

« فوائده » : يكره غلق باب المسجد وقيل : لا بأس بغلق أبواب المسجد في غير أوان الصّلاة صيانة لمتاع المسجد وهو الصّحيح . ولا يكره نقش المسجد بالجلس وماء الذهب كما في « التبيين » وهذا إذا فعله أحد من مال نفسه أما المتولي فليس له أن يفعل من مال الوقف إلا ما يرجع إلى احكام البناء دون ما يرجع إلى النقش ، حتى لو فعل يضمن ، نعم إذا اجتمع للمسجد أموال وخاف المتولي ضياعها بطمع الظلمة المتغلبين فيها فلا بأس

(١) يوسف / ٨٢ .

(٢) رواه مسلم بلفظ : الخبيثة ، بدل : الملتنة . والناس بدل الانس .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

به حينئذ كما في «الكافي» . ولا ينبغي كتابة القرآن على المحاريب والجدران لأنه يخاف من سقوط الكتابة على الأرض فتمتحن . ويكره الوضوء في المسجد كما تكره المضمضة فيه إلا أن يكون هنالك موضع مخصوص أعد لمثل ذلك بحيث لا يصل فيه وله أن يتوضأ في أثناء في المسجد . ومن إصابه طين في الطريق : يكره له أن يمسه في جدار المسجد أو في أسطوانته ، ولا يحفر في المسجد بئر وتترك القديعة كبر زمزم ، ويكره غرس الشجر فيها إلا لعذر شرعي كأن تكون الأضنة لاستقرار أساطينها إلا إذا قل تزها " بغرس الأشجار التي تشرب ماءها . ولا بأس بأن يتخذ في المسجد حجرة لوضع الحصر ونحوها ، ولا يجوز اتخاذ " المسجد طريقاً بغير عذر ، ولا يحمل الرجل سراج المسجد إلى بيته وإنما يحمل سراج بيته إلى المسجد ، ولا بأس بأن يترك سراج المسجد إلى ثلث الليل ولا يزداد على ذلك إلا إذا كان ذلك مشروطاً أو معتاداً ، وأحكام المساجد مبسطة في كتب الفقه كالمحيط والخلاصة والأشياء وفتح القدير ، وقضائنها مسطورة في كتب الحديث والتفسير وفي سائر ما صنف في الوعظ والتذكير وإنما للتبرك بأحاديثه عليه السلام وأخباره وجوامع كلمه وآثاره ذكرنا هذه الكلمات في هذا البحث والمقصود الآن معرفة أن تحية

(١) التز : بفتح التاء وتسرها والواو المعجمة : ما ينحلب من الأرض من الماء يقال : نزلت الأرض ، صارت قاتت نزل . هكذا في الصحاح . ١ .
(٢) صرح في القنية بفسقه أن اعتاده ، وفي تعبير المؤلف بالأخلاق هنا : إتياء إلى أنه لا يفسق مرة أو مرتين . والله تعالى أعلم .

المساجد غير المسجد الحرام : انما هي صلاة ركعتين أو أربع على ما سلف
وتحية المسجد الحرام هي الطواف وأما تحية الحرم : فهي الاحرام وأما
تحية المؤمن فهي السلام ، والكلام على سائر التحيات لاتسعه هذه
الورقات .

« مطلب » في سنة الوضوء

ومن الصلوات المندوبة : سنة الوضوء قال في « الدر المختار » وتندب
ركعتان بعد الوضوء يعني : قبل الجفاف كما في « الشرنبلالية » عن
« المواهب » وكتب العلامة ابن عابدين في حاشيته « رد المحتار » مانصه :
قوله : وتندب ركعتان بعد الوضوء لحديث مسلم « ما من أحد يتوضأ
فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليها إلا وجبت
له الجنة » . ومثل الوضوء الغسل كما نقله « الطحطاوي » عن الشرنبلالي
ويقراً فيهما « الكافرون » و « الاخلاص » كما في « الضياء » وانظر هل
تنوب عنهما صلاة غيرهما كتحية المسجد أم لا ثم رأيت في شرح « لباب
المناسك » أن صلاة ركعتي الاحرام سنة مستقلة كصلاة استخارة وغيرها
مما لاتنوب الفريضة منابها بخلاف تحية المسجد وسنة الوضوء فانه ليس
لها صلاة على حدة كما حققه في « الحجة » انتهى .

ومقتضاه : أنه تنوب عنهما صلاة غيرهما وقد أمر ﷺ بالصلاة بعد
الوضوء في أحاديث كثيرة وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :
« من توضأ نحو وضوئي هذا ثم ركع ركعتين لا يحدث نفسه فيهما إلا يجير

غفر الله له ماتقدم من ذنبه^(١) وقال عليه السلام لبلال « يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة، فقال : ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل ونهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بهذا^(٢) . وقد ذكرنا لك في اسلف ماورد في الخبر من أنه يقول الله تعالى « من أحدث ولم يتوضأ فقد جفائي ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفائي ومن أحدث وتوضأ وصلى ولم يدعني فقد جفائي ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعاني ولم استجب له فقد جفوته ولست برب جاف^(٣) » وروى عنه عليه السلام أنه قال : « مامن مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم مايقول إلا خرج كيوم ولدته أمه » رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

« مطلب » في صورة الحاجة

ومن الصلوات المندوبة : صلاة الحاجة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كانت له الى الله تعالى حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم يثني على الله بما هو أهله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي : عن عثمان بن عفان رضي الله عنه بلفظ « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه » . وزاد الطبراني في الأوسط قوله : إلا يجزئ . ا .

العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لاتدع لي ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرّجته ولا حاجة هي لك رضى إلا قضيتها يا أرحم الراحمين^(١) وقد نص علماءنا على صلاة الحاجة في كثير من كتب المذهب كالملتقط والتجنيس والحاوي وشرح المنية وكثير من الفتاوى أما في الحاوي فذكر أنها : اثنتا عشرة ركعة ويُسَنُّ كيفيتها بما في فيه كلام وأما في التجنيس وغيره : فذكر أنها أربع ركعات بعد العشاء وإن في الحديث المرفوع : يقرأ في الأولى الفاتحة مرة وآية الكرسي ثلاثاً وفي كل من الثلاثة الباقية يقرأ الفاتحة والاخلاص والمعوذتين مرة مرة فأنه يمكن له مثلهن من ليلة القدر قال مشايخنا: صلينا هذه الصلاة فقضيت حوائجنا ذكره في « الملتقط » و « التجنيس » وكثير من كتب الفتاوى هكذا في « خزنة الفتاوى » وذكر في « شرح المنية » أنها ركعتان والآحاديث فيها ما مذكورة في « الترغيب^(٢) » والترهيب كما في البحر ، وروى الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى نحو الحديث المار في أول الكلام على هذه الصلاة وقد عقد في آخر الحلية فصلاً مستقلاً لصلاة الحاجة وذكر ما فيها من الكيفيات والروايات والأدعية وأطال وأطاب كما قاله في « رد المحتار » فجزاه الله خيراً فمن أراد فليرجع إليه ، وتقل عن أبي قاسم

(١) أخرجه الترمذي : عن عبد الله بن أبي أوفى « رضى الله عنها » . حديثاً قوياً من لفظه .

(٢) الطرحة في الجزء الأول منه : ص : ٦٦ - ٦٩ - ٥١ .

القشيري رحمه الله تعالى: إن من أراد صلاة الحاجة فليتوضأ لها وضوءاً جديداً ثم يصلي أربع ركعات بتسليدين وسلامين يقرأ في الأولى «الفاتحة» و«ربنا آتنا من لدنك رحمة»^(١) الآية: عشر مرات. وفي الثانية بعد الفاتحة: «رب اشرح لي صدري»^(٢) الآية: عشرًا وفي الثالثة بعد الفاتحة «فستذكرون ما أقول لكم»^(٣) الآية: عشرًا وفي الرابعة بعد الفاتحة «ربنا اقم لنا نورنا»^(٤): عشرًا ثم يسجد بعد الفراغ ويقول في سجوده «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له»^(٥) الآية. إحدى وأربعين مرة ثم يسأل حاجته فانها تقضى بإذن الله تعالى.

«مطلب» في صورة الاستخارة

ومن الصلوات المندوبة: صلاة الاستخارة، روي عن جابر بن عبد الله قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم

(١) الكهف / ١٠ / .

(٢) طه / ٢٥ / .

(٣) المؤمن / ٤٤ / .

(٤) فتح / ٨ / .

(٥) الأنبياء / ٨٦ - ٨٨ / .

وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فأقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فأصرفه عني وأصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني^(١) به، قال : ويسمي حاجته ، رواه الجماعة إلا مسلماً كذا في «شرح المثبة» . ومعنى فأقدره لي : هبته لي ، وقوله : أو قال : عاجل أمري : شك من الراوي . قالوا : وينبغي أن يجمع بينهما فيقول : وعاقبة أمري وعاجله وآجله ، وقوله : ويسمي حاجته : قال العلامة «الطحطاوي» أي : يدل قوله : هذا الأمر قال العلامة «ابن عابدين» قلت : أو يقول بعده : وهو كذا وكذا ، وفي «الحلية» : ويستحب افتتاح هذا الدعاء وختمه بالمحمدة والصلاة على النبي ﷺ ، وفي الأذكار : أنه يقرأ في الركعة الأولى «الكافرون» وفي الركعة الثانية «الخلاص» . وعن بعض السلف : أنه يزيد في الأولى «وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله : يعلنون»^(٢) وفي الثانية «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة»^(٣) الآية . والذي في «حاشية الباجوري» على «ابن قاسم» يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قوله تعالى

(١) كذا في الأصل كما أوردته في «رد المحتار» . وجاء في «الترغيب والترهيب»
 بلفظ : أرضني . فليثبت . ٥١ .
 (٢) القصص / ٦٨ - ٦٩ .
 (٣) الأحزاب / ٤٦ .

« وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله يعملون » وفي الثانية : قوله تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - الى - من أمرهم » أو : في الأولى « الكافرون » وفي الثانية « قل هو الله أحد » ثم يدعو بالدعاء المار ذكره وبعده يقول : اللهم إن علم الغيب عندك وهو محبوب عني ، ولا أعلم ما أختاره لنفسي لكن أنت المختار لي فاني فوضت اليك مقاليد أمري ورجوتك لفقرتي وفاقتي فأرشدني إلى أحب الأمور اليك وأرجاها عندك وأحدها لديك فانك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ويسمي حاجته ، ثم يقوم على الرجاء والخوف فإن انشرح صدره للفعل فعل وان انشرح صدره للترك ترك وان لم ينشرح لشيء أعادها حتى ينشرح صدره وفي « رد المحتار » : وينبغي أن يكررها سبعاً ففي رواية ابن السني « يأانس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي سبق الى قلبك فان الخير فيه » . قال العلامة « الباجوري » بعد ذكره صلاة الاستخارة ودعائها مانصه : فهذه هي الاستخارة الشرعية وأما الاستخارة على نحو سُبحة^(١) فبعضهم جوزها وبعضهم منعها ومنهم من يستخير في النوم . انتهى . وقد ذكر الاستخارة بالدعاء والنوم : العلامة « ابن عابدين » ونصه : ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء وفي « شرح الشريعة » : المسموع من المشايخ : انه ينبغي أن ينام على طهارة مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المذكور فان رأى في منامه بياضاً أو

(١) قال في المصباح : السُبحة : خرزات منظومة ، وهو يقتضي كونها عربية .. وقال الأزهرى : كلمة مولدة وجمعها : مثل غرفة وغرف . ١٠١ .

خضرة فذلك الأمر خير وإن رأى فيه سواداً أو حمرة فذلك الأمر شر
ينبغي أن يحتسب . انتهى .

قال الامام اليافعي رحمه الله تعالى : ومن التبس عليه أمر ولم يعلم
كيف يتخلص منه فليصل العشاء ثم يضطجع على جنبه الأيمن مستقبل
القبلة ويقرأ سورة « الليل » و « الضحى » و « ألم نشرح لك » كل
واحدة « سبع » مرات ثم يقول : اللهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً
« سبع » مرات فإنه يأتيه في الليلة الأولى أو الثانية أو الثالثة من يقول له :
المخرج كذا وكذا .

« فائدة » : كما ينبغي الاستخارة كذلك ينبغي الاستشارة لقوله تعالى :
(وشارهم في الأمر)^(١) فإذا كان عليه السلام أمر بالمشورة مع كونه أرجح
الناس عقلاً وأجودهم فكراً وأصوبهم رأياً وأغزرهم علماً وأجلهم فطانة
وفهماً فكيف بنا . وفي الحديث « ما خاب من استخار ولا ندم من استشار
ولا عال من اقتصد »^(٢) ومعنى قوله عليه السلام : ولا عال من اقتصد :
ما افتقر من استعمل القصد في النفقة على عياله ، والقصد هو : التوسط
فيما من غير اسراف ولا تقتير ولا امساك ولا تبذير وقد كان عليه السلام
يشاور أصحابه في غير ما أمر به أما الذي أمر به فإنه يفعله بلا استشارة
لأحد وكان الحسن عليه السلام يقول : ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد

(١) آل عمران / ١٥٩ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط : عن أنس رضي الله عنه .

أمورهم ، وكان ﷺ إذا تعارض عنده أمران خطب الناس وقال :
« أشيروا علي يا معشر المسلمين » . وكان ﷺ إذا عرض له أمران
يقول : « اللهم خيري واختر لي » . وفي الاستخارة والاستشارة من
الاحاديث والاخبار والآثار ما لا يحصى .

« مطلب » في صلاة التسايح

ومن الصلوات المندوبة : صلاة التسايح ، قال العارف بالله الشيخ
« عبد العزيز الدريبي » رحمه الله تعالى : ومما كان الصالحون يحافظون
عليه : صلاة التسايح ، قال في « روض الأفكار » : ينبغي أن يصليها بعد
الزوال قبل الظهر وكيفيتها : ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لعنه العباس رضي الله عنه : « يا عمه ألا
أمنحك ألا أعطيك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر
الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه عمده وخطأه صغيره وكبيره
سره وعلايته : أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
وسورة ، فإذا فرغت من القراءة قلت وأنت قائم : سبحان الله والحمد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر » خمس عشرة مرة ثم ترقع فتقولها
« عشراً » ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها « عشراً » ثم تهوي ساجداً
فتقولها « عشراً » ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها « عشراً » ثم تسجد
فتقولها « عشراً » ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها « عشراً » قبل أن
تقوم فذلك « خمس وسبعون » تسيح في كل ركعة ، إن استطعت أن

تصليا في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة فان لم تفعل
 ففي كل شهر فان لم تفعل ففي كل سنة فان لم تفعل ففي عمر ك مرة^(١)
 ذكره في « المصاييح » وقوله ﷺ : ألا أفعل بك عشر خصال :
 الظاهر : أن المراد بها مغفرة الذنوب « العشر » المذكورة لأنه قسمها
 إلى عشرة أقسام : أول وآخر قديم وحديث عمد وخطأ صغير وكبير
 سر وعلن . قال في « الترغيب والترهيب » : ان صلاها ليلا سلم من كل
 ركعتين وان صلاها نهارا فهو غير ان شاء صلاها بتسليمة أو تسليمتين
 قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : كان رسول الله ﷺ
 يحثنا على صلاة التساييح ويقول : « ان استطاع أحدكم أن يصليا في كل
 يوم مرة فليفعل فان لم يستطع ففي كل سنة مرة فان لم يفعل ففي عمره
 مرة فمن صلاها غفر الله له ذنبه أوله وآخره قديمه وحديثه خطاء
 وعنده صغيره وكبيره سره وعلانيته ولو كان أعظم أهل الأرض ذنباً
 لغفر الله له بذلك » . وكان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول :
 « أمرني رسول الله ﷺ أن أفعلها إذا زال النهار قلت : يا رسول الله
 فان لم أستطع أن أفعلها تلك الساعة قال : صلها من الليل والنهار » .
 وكان ﷺ يقول (إذا علمها لرجل : هي أربع ركعات يقول في كل

(١) روي هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة وأمثلها : حديث
 عكرمة هذا ، وقد صححه جماعة منهم الحافظ « أبو بكر الأجرمي » والحافظ « أبو
 الحسن المقدسي » وقال فيه الامام مسلم : لا يروى في هذا الحديث إسناده أحسن من هذا ،
 يعني : إسناده حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : الترغيب والترهيب للحافظ
 المنذري ١ : ٦١/١ - اهـ .

ركعة منها بعد القراءة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
« خمس عشرة » مرة ويقول في الركوع « عشرأ » وفي الرفع منه
« عشرأ » ولكل من السجدين « عشرأ » وبينهما « عشرأ » وجلسي
الراحة والتشهد « عشرأ » فذلك « خمس وسبعون » في كل ركعة .
وما في هذا الحديث الشريف موافق لما في الحديث السابق وهو أن يجعل
التسبيح بعد القراءة وهذه الكيفية هي المشهورة ، وهي الطريقة
المعتدة عند السادات الشافعية كما نص عليها « الباجوري » واقتصر
عليها في « الحاوي القدسي » و « الحلية » و « البحر » وحديثها أشهر .
وهناك طريقة أخرى وهي أن يقول ذلك قبل القراءة « خمس عشرة »
مرة لكن قيده في « رد المختار » بأن يكون بعد الثناء ثم بعد القراءة
وفي ركوعه والرفع منه ولكل من السجدين وفي الجلسة بينهما « عشرأ »
« عشرأ » بعد تسبيح الركوع والسجود وهذه الكيفية هي التي رواها
الترمذي في جامعه : عن « عبد الله بن المبارك » أحد أصحاب أبي
حنيفة رحمهما الله وهو الذي شاركه في العلم والزهد والورع ، وعليها
اقتصر في « التنية » وقال : إنها المختار من الروايتين ، قال في « شرح
المنية » وهذه الصفة التي رواها ابن المبارك هي التي ذكرها في « مختصر
البحر » وهي الموافقة لمذهبنا لعدم الاحتياج فيها إلى جلسة الاستراحة
أذ هي مكروهة عندنا . انتهى .

وأما عند الشافعي : فجلسة الاستراحة مندوبة قال في متن الزبد :

وجلسة الراحة خففنها في كل ركعة تقوم عنها

وقد نصوا على أن ثبوت حديث الكيفية التي اختارها السادة الشافعية يشبتها وإن كان فيها ذلك قال في «رد المحتار» فالذي ينبغي فعل هذه مرة ، وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تعلم لهذه الصلاة سورة ؟ قال : «التكاثر والعصر والكافرون والاخلاص» وقال بعضهم : الأفضل نحو «الحديد والحشر والصف والتغابن» لغناسبتها في الاسم أي : لأن الصلاة صلاة التساييح ، وهذه السور الأربعة مفتتحة بالتسبيح فكان بين الصلاة ومفاتيح هذه السور مناسبة ظاهرة ، وقيل لابن المبارك : لو سها فسجد للسهو هل يسبح عشراً عشراً قال : لا - إنما هي ثلاثمائة تسبيحة . قال «المثلا علي» في «شرح المشكاة» : مفهومه أنه ان سها ونقص عددا من محل معين يأتي به في محل آخر تكملة للعدد المطلوب . قال العلامة «ابن عابدين» قلت : واستفيد أنه ليس له الرجوع الى المحل الذي سها فيه وهو ظاهر ، وينبغي كما قال بعض الشافعية : أن يأتي بما ترك فيها يليه ان كان غير قصير فتسبيح الاعتدال يأتي به في السجود أما تسبيح الركوع فيأتي به في السجود أيضاً لافي الاعتدال لأنه قصير قلت : وكذا تسبيح السجدة الأولى يأتي به في الثانية لافي الجلسة لأن تطويلها غير مشروع عندنا وفي «الثنية» لا يعد التسبيحات بالأصابع إن قدر أن يحفظ بالقلب ولا يغمز الأصابع ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه يقال فيها بعد التشهد قبل السلام :

اللهم اني أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الحشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك. اللهم اني أسألك مخافة تحجزني عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملاً أستحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حباً لك وحتى أؤكل عليك في الأمور حسن ظن بك سبحانه خالق النور . وقد ثبتت مشروعية صلاة التساييح بحديث حسن ورد من طرق كثيرة فمن زعم أن حديثها موضوع فقد وهم وفيها من الثواب ما لا يعد ولا يحصى ومن ثم قال بعض المحققين : لا يسمع بعظيم فضلها ويتركها إلا متهاون بالدين والطعن في نديها بأن فيها تغيير نظم الصلاة انما يتأتى على ضعف حديثها فاذا ارتقى الى درجة الحسن أثبتتها وان كان فيها ذلك كذا في « رد المحتار » .

« مطلب » في سنة السفر

ومن الصلوات المندوبة : سنة السفر . فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً » . رواه الطبراني . وعن كعب ابن مالك « كان رسول الله ﷺ لا يقدم من السفر إلا نهراً في الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه » . رواه مسلم كذا في « شرح المنية » قال في « رد المحتار » : ومفاده : اختصاص صلاة ركعتي السفر

بالبیت وركعتي القدوم من السفر بالمسجد وبه صرح الشافعية .

« مطلب » في تعداد بعض الصلوات المتروكة

وقد عد العلامة « الباجوري » كثيرًا من الصلوات المندوبة فعد منها : ركعتي الاحرام . وركعتي الطواف . وركعتي التوبة . وركعتي الخروج من المنزل . وركعتي دخول المنزل . وركعتين عند الخروج من مسجد رسول الله ﷺ . وركعتين عند الخروج من الحمام . وركعتين عند المرور بأرض لم يمر بها أو لم يعبد الله فيها . وركعتين عند القتل أن أمكن . وركعتين عند الزفاف لكل من الزوج والزوجة قبل الوقاع ، ثم ذكر أن من التوافل : النفل المطلق ولا حصر له . ولذلك قال ﷺ : « الصلاة خير موضوع استكثر أو أقل »^(١) .

« نعيم » : أما صلاة الرغائب : فهي بدعة ليست بمسنونة ولا مستحبة ولا مشروعة أصلاً . قال في « رد المحتار » : « ومن هنا يعلم كراهة الاجتماع على « صلاة الرغائب » التي تفعل في رجب في أول جمعة منه ، وأنها بدعة وما يحتاله أهل الروم من نذرها لتخرج عن النفل والكراهة فباطل قلت : وصرح بذلك في « البزازیة » كما سيذكره الشارح آخر الباب وقد

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَرْسَطِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يُلْفِظُ « الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ » . وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي ذَرٍّ يُلْفِظُ « الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ مَنْ شَاءَ أَقَلَّ وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ » وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَإِسْحَاقُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا : كَشَفُ الْخَفَاءِ : ٣٠ / ٢ - ٣١ .

بسط الكلام عليها شارحا « النية » وصرحا بأن ما روي فيها باطل
موضوع، وبسط الكلام عليها في « الحلية » والعلامة « نور الدين المقدسي »
فيها تصنيف حسن سماه : « ردع الراغب عن صلاة الرغائب » أحاط
فيها بغالب كلام المتقدمين والمتأخرين من علماء المذاهب الأربعة .

« مطلب » في الترغيب في العمرة والترهيب من تركها

والآيات والأحاديث والأخبار والآثار الواردة في فضل الصلاة
لأنه لا تعد ولا تحصى وقد مر بعض منها . وهنا نذكر لك شيئا مما ذكره
ونقتصر على النزر اليسير مما حرروه وسطروه ليدين ثواب فاعلها ومن
واظب عليها ومن أداها بالجماعة ومن خشع قلبه فيها وما ورد من الوعيد
الشديد لمن فرط في أدائها وتعرض لسخط الله بضياعها إلى غير ذلك مع
ذكر شيء من الآيات والأخبار وكللت الأفاضل الأخيار ، قال تعالى :
(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) . قال أنس رضي الله عنه : « كان
رجل يصلي الخمس مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحيش
الا ارتكبه فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : إن صلاته تنهاه يوما فلم
يلبث ان يلب وحسن حاله فقال : ألم أقل لكم أن صلاته تنهاه يوما » .
قال « العلائي » في تفسير سورة العنكبوت : الصلاة عرس الموحدين
فانها تجتمع فيها ألوان العبادات كما أن العرس تجتمع فيه ألوان الأطعمة .
وروي : أنه مر عيسى عليه السلام على شاطئ البحر فرأى طيرا من
نور انغمس في الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه ثم انغمس في

الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه وهكذا «خمس» مرات فتعجب من ذلك فقال جبريل : يا عيسى ابن الطير جعله الله تعالى مثلاً لمن صلى الصلوات الخمس من أمة محمد ﷺ فالطين كالذنوب والاعتسال في البحر كفعل الصلوات . قال بعض المفسرين في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا)^(١) أي : على صلاة الصبح ، (وصابروا) أي : على صلاة الظهر (ورابطوا) أي : على صلاة العصر (واثقوا الله) أي : في صلاة المغرب (لعلكم تفلحون) بصلاة العشاء . وعنه ﷺ « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي »^(٢) وعنه ﷺ « ما من مسلم يسجد لله سجدة أرفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة »^(٣) وقال رجل : يا رسول الله : ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة قال « أعني بكثرة السجود »^(٤) وعنه ﷺ « من صلى ركعتين لم يحدث فيها نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »^(٥) . وفي رواية « لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه » قال

(١) آل عمران / ٢٠٠ .

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد من حديث خزيمة بن حبيب مرسلاً .

(٣) رواه ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح . ولم يروه من حديث ثوبان وأبي الدرداء .

(٤) ورد في صحيح مسلم من حديث « ربيعة بن كعب الأسلمي » نحوه . وهو الذي سأله ذلك .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث « صلي بن أشيم » مرسلاً دون قوله : وما تأخر . وهو في الصحيحين من حديث عثمان رضي الله عنه بزيادة في أوله دون قوله : بشيء من الدنيا . وزاد الطبراني في الأوسط قوله : إلا بغير .

بعضهم : إذا كان يوم القيامة يبعث الناس من قبورهم فتأتي الملائكة إلى المؤمنين فيمسحون التراب عن رؤوسهم فيبقي على جباههم فتمسحه الملائكة فلا يذهب فينادي مناد دعوه فإنه تراب محاريبهم لا تراب قبورهم ليعرفوا في الجنة أنهم خدامي ، وإذا كان يوم القيامة يأتي قوم فيقفون على الصراط فيكون فيقال لهم : جوزوا على الصراط فيقولون : نخاف من النار فيقول جبريل عليه الصلاة والسلام : كيف كنتم ترون على البحر فيقولون بالسفن فيؤتى بمساجد كانوا يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط ، وإذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة فتأتي أول زمرة كالشمس فتقول الملائكة من أنتم ؟ فيقولون : نحن المحافظون على الصلاة ، قالوا : كيف كانت محافظتكم ؟ قالوا : كنا نسمع الأذان ونحن في المسجد ، ثم تأتي زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر فتقول الملائكة من أنتم ؟ فيقولون : نحن المحافظون على الصلاة قالوا : كيف كانت محافظتكم على الصلاة ؟ قالوا : كنا نتوضأ قبل الوقت ، ثم نحضر سماع الأذان ، ثم تأتي زمرة أخرى كالكوكب فتقول الملائكة : من أنتم ؟ قالوا : نحن المحافظون على الصلاة قالوا : كيف كانت محافظتكم على الصلاة ؟ قالوا : كنا نتوضأ بعد الأذان . وقيل في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) : هو الذي يدخل بعد قيام الصلاة (ومنهم مقتصد) : هو الذي يدخل بعد الأذان (ومنهم سابق بالخيرات) : هو الذي يدخل المسجد قبل الأذان ، وقال عمر بن عبد

العزير رحمه الله تعالى في قوله تعالى (أضعوا الصلاة) : أي أضعوا موافقتها. وعنه عليه السلام : « أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله عز وجل » ^(١) وعنه عليه السلام : « لاتسلموا على يهود أممي قيل : من هم ؟ قال : من يسمع الأذان ولا يحضر الجماعة » . وقال عليه السلام : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » وفي حديث آخر « بخمس وعشرين درجة » . قال البرماوي في شرح صحيح البخاري : أما رواية السبع والعشرين فلأن فرائض اليوم واللييلة « سبع عشرة » ركعة والرواتب « عشرة » وهي « ركعتان » قبل الصبح و « ركعتان » قبل الظهر و « ركعتان » بعدها و « ركعتان » بعد المغرب و « ركعتان » بعد العشاء . فضعف أجر الجماعة بهذا الاعتبار ورواية « الخمس والعشرين » لأن الفرائض خمسة فتضربها في نفسها فتبلغ « خمسة وعشرين » . انتهى .

ولا تعارض بين الحديثين الشريفين لاحتمال أن تكون « السبع والعشرون » لمن أدرك الصلاة مع الجماعة من أولها و « الخمسة والعشرون » لمن أدرك بعضها أو تكون هذه التفرقة محمولة على اختلاف أحوال المصلين فرب مصل يجامعة لآتريد صلاته عن « خمس وعشرين » وربما مصل يجامعة تبلغ صلاته « السبعة والعشرين » وقال عليه الصلاة والسلام « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فتحطب ثم أمر

(١) رواه الدارقطني من حديث : إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبيه عن أبيه عن جده .

بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم ^(١) وقال عليه الصلاة والسلام « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد لا يقيم فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » ^(٢) وقال ﷺ « سوا صفوفكم فان تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » وفي رواية : « من قام الصلاة » ^(٣) . وقال أبو مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه « كانت رسول الله ﷺ يسبح مناكبنا في الصلاة ويقول : استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم » ^(٤) . وقال عليه الصلاة والسلام « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » ^(٥) . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها : كان رسول الله ﷺ يحث على حضور الجماعات في المساجد وغيرها لاسيما الصبح والعشاء وكان ﷺ يقول « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » ^(٦) وكان

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم : بلفظ قريب من لفظه ، وزاد زين في جامعه : وأنذبت الإنسان الشيطان إذا خلا به أكله ، والترغيب والترهيب : ٢٢٠/١ - ٢١ .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه مسلم وغيره .

(٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) رواه مالك ومسلم واللفظ له : كلاًهما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ﷺ يقول « من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله عز وجل فلا تخفروا الله في عهده »^(١) أي: لا تنتقضوا عهد الله . وكان ﷺ يقول « أثقل الصلاة على المنافقين العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبواً »^(٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه جاء رجل أعمى فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل تجد لي من رخصة أن أصلي في بيتي فرخص له فلما ولى دعاه فقلنا : هل تسمع النداء ؟ قال : نعم . قال : فأجب .^(٣) وكان ابن مسعود يقول : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق . وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مع المناذي فلم يمنعه من اتباعه عذر لا يقبل منه الصلاة التي صلى ، قيل ما العذر ؟ قال : خوف أو مرض »^(٤) وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول : ان رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى وان من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه ولو صليتم في بيوتكم وتركتم مساجدكم تركتم سنة نبيكم . وكان ﷺ يقول : « ليصل الرجل في المسجد الذي يليه

(١) رواه ابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ومسلم من حديث جندب رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه : عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقوله : حبواً ، أي : مشياً على الكفين والركبتين .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي : عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ قريب من لفظه .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه : عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ قريب من لفظه .

ولا يتبع المساجد^(١) وكان ﷺ يقول : «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، فقيل : من جار المسجد ؟ قال : هو من يسمع النداء^(٢) » وكان ﷺ يقول « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » وفي رواية « من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد نقي الله عز وجل بنور يوم القيامة » . وفي رواية « المشاؤون إلى المساجد في الظلم أولئك الخواضون في رحمة الله » . وكان ﷺ يقول « من سره أن يلتقى الله عز وجل غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن » وعنه عليه الصلاة والسلام « من حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وكان ﷺ يقول : « من صلى في المسجد أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقاً من النار^(٣) »

« تنبيه » : كانت ﷺ يرخص للنساء في ترك حضور المساجد ويقول « صلاتهن في بيوتهن خير لهن وإذا خرجن فليخرجن وهن متلفعات^(٤) » . وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول : « لو أن رسول الله ﷺ رأى من النساء ما رأينا لشعن من المساجد كما تمتعت

(١) رواه الطبراني : عن ابن عمر رضي الله عنهما .
 (٢) رواه الهارثي من جابر وأبى هريرة رضي الله عنهما .
 (٣) رواه ابن ماجه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : مسجد جماعة .
 وأشار إليه الترمذي ولم يذكر لفظه وقال : هو حديث مرسل .
 (٤) رواه أحمد وأبو داود بلفظ قريب من اللفظ .

نساء بني إسرائيل ، ^(١) وكانت « عمرة » تروي ذلك عن عائشة وتقول : بلغني أن رسول الله ﷺ منعهن قالت وكنت أسمعه كثيراً يقول : « خير مساجد النساء قعور بيوتهن » ^(٢) وكان ﷺ يقول : « أعظم الناس في الصلاة أجراً أبعدهم إليها مشى ثم الأبعد فالأبعد » ^(٣) وكان ﷺ يقول : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى » ^(٤) وكانت ﷺ يأمر بالسعي إلى المساجد بالسكينة ويقول : « إذا أتيت الصلاة فأتوها وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتوا » ^(٥) وفي رواية « فاقضوا »
« فواند » : وكان ﷺ ينهى الأئمة عن التطويل بالناس ويقول
« إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا الحاجة فإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » ^(٦) وكان ﷺ ينهي كثيراً عن عدم متابعة الإمام ويقول : « إغنا جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا قال : سمع الله

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد : عن أم سلمة بلفظ « قعور » بدل « قعور » .

(٣) رواه البخاري ومسلم بلفظ قريب من لفظه .

(٤) رواه أحمد والنسائي وأبو داود وابن حبان وابن عزيمة والحاكم : عن أبي بن

كعب رضي الله عنه .

(٥) رواه الترمذي .

(٦) رواه أحمد بلفظ قريب من لفظه .

لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ،^(١) وفي الحديث « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه إلى رأس حمار »^(٢) وفي رواية « أن يحول الله صورته صورة حمار » وفي رواية « صورة كلب » وقال عليه السلام « الذي يرفع ويخفض قبل الامام إنما ناصيته بيد شيطان »^(٣) وكان عليه السلام يقول كثيراً « يا أيها الناس إني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالقعود ولا بالانصراف »^(٤) وكان عليه السلام يقول : « إذا صلى أحدكم بقوم فليقدرهم بأضعفهم » . وعن ابن عباس عن رسول الله عليه السلام أنه قال « من أم أصحابه خمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » . وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن من أشرار الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماماً يصلي بهم »^(٥) وروى عن عيسى بن نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال . طول القيام « يعني في الصلاة » أمان على الصراط وطول السجود أمان من عذاب القبر ، وعنه عليه الصلاة والسلام « من طول القيام خفف الله عنه القيام يوم القيامة » وفي بعض الآثار « طول القيام في الصلاة يهون سكرات الموت » وعنه عليه الصلاة والسلام « أطيلوا

(١) بعض حديث رواه اخية : من أي حرية رضي الله عنه .

(٢) متفق عليه بلفظ يجعل بدل يحول . كما رواه أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي

وابن ماجه : من أي حرية رضي الله عنه .

(٣) رواه مالك : من أي حرية .

(٤) بعض حديث رواه الشيخان عن النبي رضي الله عنه . كما رواه أحمد وأبو داود .

(٥) رواه أحمد وأبو داود .

السجود بين يدي الله فإن الله يحب أن يرى عبده ساجداً بين يديه .
وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ثواب السجود لله فقال : الخلود في الجنة
كما أن عقاب من سجد لغير الله الخلود في النار . وذكر السمرقندي رحمه
الله تعالى أن إبليس لعنه الله صاح عند نزول الصلاة فاجتمع إليه جنوده
فأخبرهم بذلك فقالوا له : ما الحيلة ؟ قال : اشغلوهم عن مواقيتها فإن
الرحمة تنزل أول وقتها ، قالوا : فإن لم نستطع ، قال : إذا دخل أحدكم
الصلاة فليقم حوله أربعة منكم واحد عن يمينه فيقول : انظر عن يمينك
وواحد عن شماله فيقول : انظر إلى شمالك وآخر فوقه فيقول : انظر
فوقك وآخر تحته فيقول : انظر تحتك عجل عجل فإن لم يفعل كتبت
له هذه الصلاة أربعاً صلاة . وعنه رضي الله عنه « من صلى بعد المغرب
ست ركعات غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زيد البحر » . وعن أبي بكر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم
أسكنه الله حضرة ^{١١} القدس قلت : فإن صلى أربعاً قال : كمن حج حجة
بعد حجة قلت : فإن صلى ستاً قال : يغفر الله له ذنوب خمسين سنة » .
وفي الحديث « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا
وما فيها » ^{١٢} .

(١) كذا في الأصل - ووردت في حديث آخر بلفظ : حظيرة . قال عليه الصلاة
والسلام « لا يلج حظيرة القدس مدمن غر » . قال في النهاية : أراد بحظيرة القدس : الجنة .
ومعني في أصل اللغة : الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والأبل ، ينقيها البرد والريح .
(٢) رواه ابن نصر : عن حسان بن عطية عن سلا بلفظ : ابن آدم . يدل قوله : العبد .

« مطلب » في الخشوع

وينبغي للصلي : أن يكون خاشعاً خاضعاً حاضراً بقلبه ولبه مع ربه تعالى ليبلغ مقام الاحسان المشار اليه في قول سيد الأكوان عليه السلام « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » . وقد عد العلامة « الغزالي » من شروط الصلاة : الخشوع . وهو : سكون القلب والجوارح بأن لا يميل الى شيء مذموم . وروي أنه كان عليه السلام يقول : « عمدة صلاتكم الخشوع » . وكان عليه السلام يقول : « اذا قام أحدكم فليسكن أطرافه ولا يتأيل كما تتأيل اليهود فان سكون الأطراف في الصلاة من تمام الصلاة » . وكان عليه السلام اذا تلى القرآن في الصلاة يأخذه بالبكاء حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل . أي : التقدر الذي يغلي على النار . وكذلك ساداتنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين . ومن الأحاديث الواردة في حق الصلاة قوله عليه السلام « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » ^(١) وقوله عليه السلام « الصلاة وما ملكت أيمانكم » ، الصلاة وما ملكت أيمانكم ^(٢) وقوله عليه السلام « الصلاة في المسجد الجامع تعدل الفريضة حجة مبرورة والتافلة كعمرة متقبلة وفضلت الصلاة في المسجد الجامع على مائة من المساجد بخمسةائة

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان : عن أنس ، وأحمد وابن ماجه :

عن أم سلمة . والطبراني : عن ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين .

صلاة^(١) وقوله ﷺ « الصلاة نور المؤمن »^(٢) وقوله ﷺ « الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر »^(٣) وقوله ﷺ « الصلاة قربان كل تقى »^(٤) وقوله ﷺ « الصلاة خدمة الله في الأرض »^(٥) وقوله ﷺ « الصلاة خلف رجل ورع مقبولة والهدية إلى رجل ورع مقبولة والجلوس مع رجل ورع من العبادة والمذاكرة معه صدقة »^(٦) وقوله ﷺ « الصلاة عماد الدين »^(٧) وفي حديث آخر « الصلاة عمود الدين »^(٨) وفي حديث آخر « الصلاة عماد الإيمان والجهاد سنام العمل والزكاة بين ذلك »^(٩) وقوله ﷺ « الصلاة ميزان فمن أوفى استوفى »^(١٠) وقوله ﷺ « الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره . والتحابب في الله والتودد في العمل يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد منكم كطلع الشمس من مغربها »^(١١) وقوله ﷺ

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه القضاة وابن حبان : عن أنس .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط : عن أبي هريرة .

(٤) رواه القضاة : عن علي كرم الله وجهه .

(٥) مقدمة حديث : رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن ابن عباس رضي

الله عنهما .

(٦) رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن إبراهيم رضي الله عنه .

(٧) رواه البيهقي : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٨) رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في الصلاة : عن عمر .

(٩) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي .

(١٠) رواه البيهقي عن ابن عباس .

(١١) رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن ابن عمر .

« ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله »^(١) وقوله ﷺ
« ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »^(٢) وقوله ﷺ « ركعتان
بسواك خير من سبعين ركعة بغير سواك »^(٣) وقوله ﷺ « ركعتان
خفيفتان خير من الدنيسا وما عليها »^(٤) وقوله ﷺ « ركعتان في
جوف الليل يكفران الخطايا »^(٥) وقوله ﷺ « ركعتان من الضحى
تعذلان عند الله بحجة وعمرة متقبلتين »^(٦) وقوله ﷺ « ركعتان
من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط »^(٧) وقوله ﷺ
« ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم »^(٨) وقوله
ﷺ « ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل الآخر خير له من
الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم »^(٩) وقوله ﷺ
« صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده خمسا وعشرين درجة
فإذا صلاها بارض فلاة فاتموضوءها وركوعها وسجودها بلغت صلاته
خمين درجة »^(١٠) وقوله ﷺ « صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في

-
- (١) رواه الشيرازي في الألقاب عن علي رضي الله عنه .
(٢) رواه الترمذي والنسائي : من عائشة رضي الله عنها .
(٣) رواه الحارثي في الأفراده : عن أم المرداه .
(٤) مقدمة حديث : رواه سيمويه والطبراني : عن أبي أمامة .
(٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن جابر .
(٦) رواه أبو الشيخ في الثواب : عن أنس .
(٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن أنس .
(٨) رواه ابن النجار : عن محمد بن علي مرسل .
(٩) رواه ابن نصر : عن حسان بن صلي مرسل .
(١٠) رواه عبد بن حميد ، وأبو يعلى وابن حبان والحاكم : عن أبي سعيد .

مسجد القبايل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسة صلاة وصلاته في المسجد الأقصى بخمسة آلاف صلاة وصلاته في مسجدي هذا بخمسين ألف صلاة وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة^(١) وقوله ﷺ « صلاة الرجل قائماً أفضل من صلاته قاعداً وصلاته قاعداً على النصف من صلاته قائماً »^(٢) وقوله ﷺ « صلاة الرجل تطوعاً حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أربعين الناس خساً وعشرين »^(٣) وقوله ﷺ « صلاة الضحى صلاة الأوابين »^(٤) . وقوله ﷺ « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها »^(٥) وقوله ﷺ « صلاة المغرب وتر النهار »^(٦) وقوله ﷺ « صلاة الحجّير من صلاة الليل »^(٧) وقوله ﷺ « صلاة أحدكم في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة »^(٨) .

« فائدة » : قال ﷺ « صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمساً وعشرين صلاة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة »^(٩) وقوله ﷺ « صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين »^(١٠)

(١) رواه ابن ماجة : عن أنس .

(٢) رواه أحمد وأبو داود : عن عمران بن حصين .

(٣) رواه أبو يعلى : عن صبيب .

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس : عن أبي هريرة .

(٥) رواه أبو داود : عن ابن مسعود . والظاهر : عن أم سلمة .

(٦) رواه ابن أبي شيبة : عن ابن عمر .

(٧) رواه ابن نصر ، والطبراني : عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

(٨) رواه أبو داود : عن زيد بن ثابت ، وابن مسعود : عن ابن عمر .

(٩) رواه ابن مسعود : عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(١٠) رواه أبو داود : عن أبي أمامة .

وقوله ﷺ « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها وصلاة الجمعة في المدينة كالف صلاة فيما سواها » ^(١) وقوله ﷺ « صلاتان لا يصلى بعدهما : الصبح حتى تطلع الشمس والعصر حتى تغرب الشمس » ^(٢) وقوله ﷺ « أفضل الأعمال : الصلاة لوقتها وبر الوالدين » ^(٣) وقوله ﷺ « أفضل الأعمال : الصلاة في أول وقتها » ^(٤) وقوله ﷺ « أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله » ^(٥) وقوله ﷺ « أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة » ^(٦) وقوله ﷺ « أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » ^(٧) وقوله ﷺ « أفضل الصلاة طول القنوت » ^(٨) وقوله ﷺ « أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة » ^(٩) وقوله ﷺ

(١) أخرجه البيهقي : عن ابن عمر .

(٢) رواه أحمد وابن حبان : كلاهما من سعد رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم : عن ابن مسعود .

(٤) رواه أبو داود والترمذي والحاكم : عن أم فروة .

(٥) رواه الخطيب : عن أسد .

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي : عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٧) رواه مسلم والأربعة : عن أبي هريرة ، والرواية في مسته ، والطبراني :

عن جندب .

(٨) رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه : عن جابر رضي الله عنه .

(٩) رواه الطبراني والنسائي : عن زيد بن ثابت .

« إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلاً على الله بقلبه وجميعه وبصره
انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وعنه عليه
الصلاة والسلام أنه قال : « من دعا هؤلاء الدعوات دبر كل صلاة
مكتوبة حلت له الشفاعة مني يوم القيامة : اللهم أعط محمدًا الوسيلة
واجعل في المصطفين محبته وفي العلين درجته وفي المقربين داره » .
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في
صلاتي قال : قل : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر
الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور
الرحيم » .

ومما ورد في حق الجمعة : قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)^(١) الآية . وقوله ﷺ
« الجمعة إلى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تُغش الكبائر »^(٢) وقوله ﷺ
« الجمعة على من سمع النداء »^(٣) وقوله ﷺ « الجمعة حق واجب
على كل مسلم في جماعة إلا أربعا : عبداً مملوكاً أو امرأة أو صبياً أو
مريضاً »^(٤) وقوله ﷺ « الجمعة واجبة إلا على امرأة أو صبي أو

(١) الجمعة / ٩ / .

(٢) رواه ابن ماجه : عن أبي هريرة .

(٣) رواه أبو داود : عن ابن عمر .

(٤) رواه أبو داود والحاكم ، كلاهما عن طارق بن شهاب .

مسافر^(١) وقوله ﷺ « الجمعة حج المساكين »^(٢) وقوله ﷺ « الجمعة حج الفقراء »^(٣) وقال ﷺ « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله تعالى على قلبه »^(٤) وقال ﷺ « الجمعة واجبة على كل محتلم يسمع النداء في جماعة الا عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أو مسافر ومن استغنى عنها بلبو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد » . وكان ﷺ يقول « من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يجب فلا صلاة له »^(٥) وكانت الصحابة تأتي إليها من أبعد من ذلك اختياراً وكان ﷺ يبالي في تعظيم يوم الجمعة ويقول : « هو سيد الأيام وأعظمها عند الله عز وجل وأعظم عنده من يوم الفطر ويوم الأضحى »^(٦) وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحد أيام الجمعة إلا غفر له . وكان ﷺ يقول « اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيز من شيء إلا أعاضه الله

(١) رواه الطبراني : عن أبي القاسم .

(٢) رواه ابن زنجويه في تزيين وترغيب والقضاعي : عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) رواه القضاعي وابن صاكر : عن ابن عباس .

(٤) رواه أحمد والأربعة والحاكم : عن أبي الجعد .

(٥) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم : عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ

« من سمع النداء أو بأنه فلا صلاة له إلا من عذر » .

(٦) رواه أحمد والبخاري من حديث : سعد بن عباد بلفظ قريب من لفظ

عنه ^(١) وقال عليه السلام : «أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة» ^(٢) وعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا كانت ليلة الجمعة : «مرحباً ببليلة العتق والمغفرة طوبى لمن عمل فيك خيراً وويل لمن عمل فيك شراً وإن الله تعالى يعتق في كل ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب» . رواه الطبراني وعنه عليه السلام : «إذا سلت الجمعة سلحت الأيام» ^(٣) وعنه عليه السلام : «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجبر من عذاب الله يوم القيامة وطبع عليه بطابع الشهادة» ^(٤) . وعنه عليه السلام : «من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ثم سمعه فلم يأتها طبع الله على قلبه وجعل قلبه قلب منافق» ^(٥) وقال عليه السلام : «إن الله فرض عليكم الجمعة في يومكم هذا في شهركم هذا في سنتكم هذه فمن تركها استخفافاً بها ألا فلا صلاة له ألا فلا زكاة له ألا فلا حج له ألا فلا جمع الله شمله ولا بارك له في عمره فمن تاب تاب الله عليه» ^(٦) وعنه عليه السلام : «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره» ^(٧)

(١) رواه الترمذي والبيهقي : عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي : عن أبي هريرة .

(٣) مقدمة حديث رواه الدارقطني في الأثران ، وابن عدي ، وأبو نعيم في الحلية

والبيهقي : عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) رواه أبو نعيم عن جابر مع اختلاف يسير في لفظه .

(٥) رواه البيهقي : عن محمد بن عبد الرحمن بن زوارة رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن ماجه بلفظ قريب من لفظه : عن جابر رضي الله عنه . وكذلك

الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : باختصار .

(٧) رواه أبو يعلى موقوفاً بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «من ترك الجمعة ثلاث جمع مثاليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره» .

قال العلامة الماوردي: يستحب لمن ترك الجمعة بغير عذر أن يتصدق^(١)
بدينار أو ينصف دينار .

تم الجزء الأول بعون الله ويليه الجزء الثاني
وأوله : قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
﴿ وَاِتَاءَ الزَّكَاةَ ﴾

(١) قال حبيب الصلاة والسلام : من ترك الجمعة من غير عذر فليصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار ، رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم ، عن حمزة رضي الله عنه . وهو حديث صحيح - ٥١ .

« اسنдрالطات »

ص ٢ س ١٨ يضاف في نهاية السطر : كلهم يرويه بلفظ « لوتعلون
ماأعلم ... الحديث » . وأخرجه بلفظه المذكور الامام أحمد
في مسنده عن أبي هريرة : ج ٣ / ٢٥٧ - ٥١ .

ص ٧٠ س ١٦-١٨ وقع سهو في ترجمة السيد الواسطي وصوابه مايلي :
الواسطي : هو أبو بكر ، محمد بن موسى الواسطي رضي الله
عنه كان اماماً في علوم القوم ، فرداً في طريقهم ، مرشداً ،
عارفاً ، لم يشكلم أحد مثله في أصول التصوف ترك أولاده
وتزل إلى « فرغانة » . ثم دخل « خراسان » ثم استوطن
كورة « مرو » وهو أعلم أهل عصره بأصول الدين الحنيف ،
صحب الجنيد وبه تخرج ، وثققه بأبيه الشيخ موسى الأنصاري
الواسطي ، وتخرج بصحبته جماعة من أعلام الأولياء . مات
رضي الله عنه « برو » سنة ٣٢٠ هـ : ارشاد المسكين للسيد
عز الدين الفاروقي ص ١٦ - ٥١ .

ص ٢٣٥ س ١٨ يوضع في أوله رقم (٥) وهو حاشية لأهل بيعة الرضوان .
ص ٣٦٩ س ٢٢ وفي رواية : « وكان يميز رأسه » .

ملاحظة : العلامة عبد الرحمن الصفوري : هو عبد الرحمن بن
عبد السلام الصفوري نسبة إلى بلدته « صفوريا » كما ينص عليه
في كتابه « نزعة المجالس » نبغ بمكة عام ٨٨٤ هـ وله
تصانيف جليلة : معجم الطبوعات العربية (١٢١٣ / ٢) - ٥١ .

المؤلف

« على لسان ناشئتنا وفي طيات قلوبهم »

اطلع بعض اخواننا الصالحين على كراريس الجزء الاول من كتاب
« ضوء الشمس » للمؤلف رحمه الله . فتعجنا بما فاض على لسانه من الشناء
على المؤلف وسفره الجليل بما قاله نظماً واختاراً منه الأبيات التالية :

أبا الهدى يا ملاذ العرب يا أملي	جزيت خيراً من الرحمن ذي الكرم
منحت فخراً مماء الجهد تقبضه	ونلت عزاً سما في موكب الشيم
أقمت الدين صرحاً لا انهار له	وشدت حصناً قوياً غير منهدم
أحيا كتابك يا مولاي أفتدء	أمانها شبح الأوهام والسقم
الكل يشهد عن علم فضيلة ما	خطت أناملك من بارع الحكم
فيلبغ المدح فيه أنه حكم	صغت حقوداً فيا طوبى لمنظم
مستور حق من الأيأن مصدرة	أركانها شيدت من عالم القدم
حارت فهمي خصوصاً في مناقبه	كما وحار على تقريره قلبي
يا منكرأ مرعوه الشمس عن رمد	نخل عنك ودق مني واحتكم
فهو الكتاب الذي خرت بجلده	قصور جبل بناها كل منصرم
تفجرت منه آيات مرقرقة	تسري إلى الروح تحيها من العدم
كفاه فخراً وعزاً أن تقر به	أقطاب علم من الأعراب والعجم
خذه كتاباً رسول الله يشمله	بعين عطف على ما فيه من قيم
عليه منا سلام الله ما سطعت	أنوار آيات ضوء الشمس في الظلم

الشاب الأديب « نذير محبوب »

كما وافانا الشاب الأديب الصالح السيد عبد الرزاق قاعات ببديع
نظمه في المؤلف رحمه الله وفي سفره الجليل وهو ما يلي :

أبا الهدى إن ضوء الشمس هدانا	لدين طه ورب الخلق راعينا
أسهرت لك في علم وفي أدب	فكنت أسعد من في العصر يعطينا
فضوه شمسك هذا القلب مسكنه	به نزه على أقوال قائلنا
لينا الدين اذ بان دعامته	بضوء شمس أضاءت قلب وادينا
اني انفردت به والروح تشربه	كأنا تفرق من آيات بأسينا
وقد قطفت به علماً ومعرفة	وقد جئت به شهداً لصادينا
أبا الهدى أنت باجر العلوم لقد	أعطيتنا درراً من قلب مهدينا
شبل الرسول أتى بالخير في زمن	فيه الجباله صمت في يرادينا
عليه منا سلام الله ما طلعت	شمس تنور في الأرجار واديننا



من آثار المؤلف

للمؤلف رحمه الله ما يربو على أربعائة مؤلف نذكر منها
اختصاراً ما يلي :

- ديوان - براهين الحكم
- ديوان - مرآة الشهود في مدح سلطان الوجود ﷺ
- كتاب حضرة الاطلاق في معسكر الاخلاق
- داعي الرشاد في طريق الاتحاد
- المدنية الاسلامية في الحكم الشرعية
- تطبيق حكم الطريقة العلية على الاحكام الشرعية النبوية
- الواظ على العرب عن حقيقة المسلم المتأدب
- الفرائد في العقائد
- الصراط المستقيم في تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم »
- الحقيقة الحميدة في شأن سيد البويع
- الكوكب الزاهر في مناقب الفوت عبد القادر
- قلادة النجر في شرح حزب البحر
- النخبة في أحكام النسب
- روح الحكمة فيما يجب من الأخلاق على هذه الأمة
- سياحة القلم في الحكم
- سلسلة النجاح
- نقعة الرحمن في تفسير القرآن
- المجد المجلد في أصرار امم محمد ﷺ

- كتاب ضوء الشمس في قوله ﷺ بني الاسلام على خمس
- د قلالة الزبرجد على حكم الغوث الرفاعي أحمد
- د قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الاكابر
- د نور الانصاف في كشف ظلمة الخلاف
- د تنوير الابصار في طبقات السادة الرفاعية الاخيار
- د سلسلة الاسعاد في آل الصياد الاجداد
- د هداية الساعي في سلوك طريقة الغوث الرفاعي
- د بغية أولي الأنعام في الفرق بين احوال والمقام
- د الفجر المنير فيها ورد عن لسان الغوث الرفاعي الكبير
- د طريق الصواب في الصلاة على النبي الأواب
- د قرعة العين في مدائح الغوث أبي العلمين
- ديوان - الفيض الحمدي والمدد الاحدي
- ديوان - التبيان الجامع بين الحكمة والبيان
- د المشجر الانور في آل النبي الاطهر
- د مطالع البدور في جوامع كلم الغوث الرفاعي الغيور
- د عقود الجواهر في النسب الصيادي الطاهر
- د وسيلة العارفين في اخبار سيدنا القطب الجامع المهدي جاء الدين .
- كتاب الجواهر الشفاف في طبقات السادة الاشراف
- د أسرار الوجود الانساني
- د العقد النضيد في آفاب الشيخ والمريد
- د شفاء صدور المؤمنين في عدم قواعد المتدعين
- د بحجة السالكين
- د الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام
- د أصول الطريقة العلية الرفاعية

- رسالة في التواتر
فرحة الاحباب في أخبار الاربعة الاقطاب
كشف نقاب الاشكال عما زعمه الجبال في كلمة « الخلدال »
القلادة العسجدية
كتاب غيمة الصادقين في طريقة العالحين
» النفعات الحمدية في الاحاديث الاربعة الاحدية
» آداب المسلمين المأخوذة عن سيد المرسلين
» التحفة الهدائية في السنن النبوية
» شفاء القلوب بكلام النبي المحبوب ﷺ
» عقائد السادة الخفية
» السيرة الاحمدية
» الحق المبين في ايات الخاطمين
» الكليات الهدائية
» شوارد الادب
» أمرار الاسماء الحسنی
» برهان الرحمن
» أمرار الارواح
» الشرف الباذع في ترجيح المشايخ
» الكنز المطلق في مد النبي ﷺ يده لولده الغوث الاعظم
الرفاعي رضي الله عنه .
وهناك كثير من المكاتبات والمراسلات الأدبية والتعليقات الشرعية
والصوفية التي لا تكاد تعد ...

فهرس

الجزء الأول من كتاب ضوء الشمس

الصفحة	الصفحة
٤٠ مطلب في قوله ﷺ (لا) مع البحث	١ مقدمة المؤلف رحمه الله
٤١ في كلمة (إله) لفظاً ومعنى	٧ نص الحديث الشريف
٤٣ مطلب في الوجدانية لشيخ الجيلاني	٩ الحديث الشريف طريقه ودواياه
٤٥ مطلب في التوحيد لعلامة السيوطي .	١١ مطلب في تحقيقات لطيفة
٤٨ مطلب في الذكر وأفضله لا إله إلا الله .	١٢ شرح الحديث الشريف
٥٥ الشهادة برسالة النبي ﷺ جامعة لما يجب للرسل وما يجوز وما يستحيل .	٢٢ مذنب أهل السنة في الأعمال
٥٩ مطلب في اسمه تعالى « الرحمن »	٢٤ مطلب في التوبة
٦٠ « في الذكر وكونه باللسان والقلب .	٢٥ هل يزيد الإيمان وينقص
٦٣ الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة	٢٦ مطلب في لفظ « المؤمن »
	٢٨ « في وصف الإيمان بالقدم
	٢٨ « في المؤمن المفلح
	٣٠ علوم الشرع ثلاثة
	٣٠ مطلب في قوله ﷺ على خمس
	٣٧ الركن الأول : الشاهدان
	٣٧ مطلب في قوله ﷺ « شهادة »
	٣٩ « في قوله ﷺ « أن »

الصفحة	الصفحة
١٠٥	٦٥
مطلب في تسمية الله نبيه بكثير من أسمائه	مطلب في الترغيب بالذكر من كلام النبوة .
١٠٧	٦٧
محمد ﷺ آخر الأنبياء بعثة . الخ	مطلب في الترغيب بالذكر من كلامه تعالى .
١٠٨	٦٨
مطلب في شئانه الشريف	مطلب في فوائد الذكر
١١٠	٧٢
د في وفور عقله وفصاحته لسانه	د في استجاب من الصوت في : لا إله إلا الله .
١١١	٧٣
نسبه الشريف من جهة أبيه وأمه	مطلب في فضل الذكر وعدم تخصيصه بوقت .
١١٥	٧٦
فائدة في حب العرب	مطلب في مدد لا إله إلا الله ،
١١٥	٧٨
مطلب في خصال الحميدة ﷺ	د في الترغيب بالذكر ورفع الصوت به .
١١٧	٧٩
د في اعراضه عن الجاهلين	مطلب في خلق الذكر والاهتزاز له
١١٩	٨٧
د الحث على التخلق بأخلاقه الشريف	كلمة التوحيد ترفع إلى الله بلا واسطة .
١٢٠	٩٧
مطلب في جوده وسخائه	مطلب في قوله ﷺ : وأن محمداً رسول الله ،
١٢٢	٩٧
د في قوته وشجاعته	مطلب في قرن الله اسمه باسم نبيه
١٢٣	٩٨
لطيفة في تسمية الله له لشجاعته بأسماء تدل على هذه الصفات	د في أسمائه ﷺ
١٢٤	١٠٤
لطيفة في حياته واخضائه	د في استجاب التسمية باسمه ﷺ
١٢٥	
د في كونه حسن العشرة	
١٢٧	
د في وفاته ﷺ	
١٢٨	
د في تواضعه ﷺ	
١٢٩	
مطلب في الوقوف عند حد العبودية	

الصفحة	الصفحة
١٧٥	١٤٣ مطلب في عدله وأمانته وصدقه
وغيرها	١٤٥ د في زهده واعراضه عن الدنيا
١٧٩	١٤٧ لطيفة في خوفه من ربه عز وجل
له ﷺ	١٤٧ مطلب في معنى قوله تعالى وحله
١٨١	١٥١ د في أفضلته على الخلق
اختيار لفظ الرسول صلى الله عليه وآله	١٥٨ د في ذكر بعض معجزاته
١٨٥	١٥٩ د في حبس الشمس له ﷺ
مطلب في التوقُّب بالتمسك بسنة	١٦٠ د في تكثيره الماء بأذن الله تعالى
١٨٨	١٦١ مطلب في تكثيره الطعام القليل بأذن الله تعالى
مطلب في محبة ﷺ	١٦٤ مطلب في تكلم الحيوانات والجمادات
١٨٩	١٦٧ مطلب في إبرائه العالي بأذن الله تعالى
د في علامات محبة	١٦٩ تأثير دعائه ﷺ
١٩٢	١٧١ مطلب في إخباره بالمغيبات
د في الإمامة	١٧١ د في عصمته ﷺ
١٩٥	١٧٣ القرآن الكريم المعجزة الكبرى
١٩٨	١٧٤ مطلب في معجزاته بعد وفاته عليه
من علامات محبة كثرة الصلاة عليه	
١٩٩	
مطلب في معنى الصلاة عليه	
٢٠٠	
لطيفة في كرامة أفراد الصلاة من السلام	
٢٠٥	
استحباب الصلاة عليه في مواطن أكثر من غيرها	
٢٠٧	
مطلب فيما ورد في الصلاة عليه	
٢١٤	
لطيفة في كيفية الصلاة عليه	

الصفحة	الصفحة
الركن الثاني : الصلاة ، ٣٣٥	مطلب في أفضل الحامد ٣١٦
مطلب في قوله ﷺ ، وإقام الصلاة ، ٣٣٥	د في آله ﷺ ٣١٩
٣٣٨ الصلاة أفضل العبادات	د في أصحابه ﷺ ٣٢٢
٣٤٣ أول صلاة ظهرت في الاسلام	٣٢٦ فضل فاطمة رضي الله عنها على غيرها
٣٤٣ مطلب في حكم ترك الصلاة	٣٢٧ الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم
٣٤٦ الاحكام الخمس والفرص العيني والكفائي	٣٣٠ فضل العشرة المبشرين بالجنة
٣٤٧ القرض القطعي والظني	٣٣١ مطلب في فضل أزواجه ﷺ
٣٤٧ مطلب في بيان الواجب	د في أولاده ﷺ ٣٤١
د في بيان السنة ٣٤٨	د في فضل ذريته ﷺ ٣٤٣
د في بيان المكروه والحرام ٣٤٨	د في تعظيم أهل البيت ٣٦٤
د في ستر العورة ٣٤٩	د في محبة أهل البيت ٣٧٩
د في الوضوء ٣٥١	وحكمها
د في أركان الوضوء ٣٥٣	٣١٣ فائدة في علامات محبة ﷺ
د في المسح على الخفين ٣٥٥	٣١٣ مطلب في الاخلاق المذمومة
د في شروط المسح ٣٥٦	د في الزنا واللواط ٣٢٠
د في مبطلات المسح ٣٥٧	د في السكر ٣٢٧
د في سنن الوضوء ٣٥٩	د في الظلم ٣٢٨
د في آداب الوضوء ٣٦٣	د في عقوق الوالدين ٣٢٨
د في مكروهات الوضوء ٣٦٤	٣٢٩ ما يجب للرسل وما يجوز وما يستحيل
د في ترافض الوضوء ٣٦٥	٣٣١ ما يجب على كل مكلف معرفته من الرسل

الصفحة	الصفحة
٤٠٧ مطلب في طهارة المكان	٣٦٨ مطلب في الغسل
٤٠٨ د في تسمية التربة قبله	٣٧٠ د في سنن الغسل
٤١١ د في الثانية	٣٧١ د في مستحبات الغسل
٤١٤ د في دخول الوقت	٣٧١ د في سبب الجنابة
٤٢١ د في بقية شروط الصلاة	٣٧٣ د في الحيض
٤٢٥ د في سجد السهو	٣٧٤ د في النفاس
٤٢٦ د في سهو النبي ﷺ	٣٧٥ د فيما يحرم على الجنب
٤٢٩ د في فرائض الصلاة	٣٧٧ فائدة في احترام المصحف
٤٣٦ هل التعدي أفضل أو معقول المعنى	٣٧٨ فائدة في ترتيب الكتب
٤٣٩ مطلب في مميزات المفروض	٤٧٨ مطلب في حكم الحائض
٤٤٠ د في واجبات الصلاة	٣٨٠ د في حكم النفاء
٤٤٢ القنوت في الوتر والصبح	٣٨٠ د في حكم الاستحاضة
٤٤٤ مطلب في سنن الصلاة	٣٨٠ د في غسل الميت
٤٤٦ د في عدد الركعات	٣٨٣ فائدة في غسل بعض الميت
٤٤٨ د في مكروهات الصلاة	٣٨٤ مطلب في الاغسال المسنونة
٤٥٠ د في مفسدت الصلاة	٣٨٦ د في غسل العيدين
٤٥١ مطلب فيما سن قراءته في الصلاة	٣٨٧ د في غسل الاحرام
٤٥٢ د في التوافل	٣٨٨ د في غسل عرفة
٤٥٥ د في الوتر	٣٨٨ د في الاغسال المتدوية
٤٥٨ د في قيام الليل	٣٨٩ د في المياه
٤٦٦ د في فرض التهجيد عليه ﷺ	٤٠٣ د في طهارة الثوب
٤٦٨ د في صلاة الضحى	٤٠٥ د فرائد في تطهير الحنف إذا
٤٧١ كشف شبهة عن سورة الضحى	تنجس وفي حكم المني وغيره

الصفحة	الصفحة
٤٧٣ مطلب في دعاء صلاة الضحى	٥٠٦ مطلب في صلاة التساييح
٤٧٩ د في صلاة التراويح	٥١٠ د في سنة السفر
٤٨٥ الحتم في التراويح مرة سنة	٥١١ د في بعض الصلوات المندوبة
٤٨٦ الامراع في التراويح مخالفة	٥١١ صلاة الرغائب بدعة .
لشريع الحنيف .	٥١٢ الترغيب في الصلاة والترغيب من
٤٨٧ كراة اظهار الكسل في التراويح	تركها .
٤٨٩ مطلب في تحية المسجد	٥١٨ صلاة النساء في المسجد
٤٩٦ كراة البيع والشراء في المسجد	٥١٩ كراة التطويل في الصلاة
٤٩٧ استحباب التطيب في المسجد	٥٢٢ مطلب في الخشوع
٤٩٩ مطلب في سنة الوضوء	٥٢٥ بعض الأحاديث في فضل الصلاة
٥٠٠ مطلب في صلاة الحاجة	قرضاً كانت أو سنة ، جمعة
٥٠٣ د في صلاة الاستخارة	أو غيرها .
٥٠٥ الاستخارة سنة	انتهى وفي الحمد والمئة

« صوغ نسختك »

نقيض	صوابها	نقيض	س ١٠	ص ١٦
شبهة	»	شبهة	س ٥	ص ١٨
ههنا	»	هنا	س ٢	ص ٢٠
المصالحات	»	المصاحفة	س ١١	ص ٢٦
اختار	»	أختار	س ٤	ص ٣٩
(١)	صوابه	رقم (٢)	س ١٥	ص ٥٩
(٢)	»	رقم (١)	س ١٨	ص ٥٩
بان	صوابها	بان	س ٨	ص ١١٤
(١)	صوابه	رقم (٢)	س ١٨	ص ١١٥
فشقاء	صوابها	فشقاء	س ٣	ص ١٦٨
وغيرها	»	وغيرهما	س ٢٢	ص ١٧٥

وعناك بعض الأغلاط المطبعية لا تغوت القارئ النبيه ، فإن من شأن العبد العجز والتقصير ورحم الله رجلاً أعادى إلى عمر عبده والله الموفق .

ان الإسلام القي :

هو في صراع اليوم مع التيارات الفكرية الأخرى : فهو بحاجة إلى من يرفع رايته عالية خفاقة مبيناً للناس صلاحه لأمرى المعاش والمعاد .

ولقد كانت المؤلف السيد « محمد أبو الهدى » رحمه الله في طبيعة من حمل تلك الراية باذلاً في سبيلها ثمرة عقله وعصارة فكره ، وكان هذا الكتاب بعض تلك الثمرات الياقة استودعه الإسلام بأصوله وفروعه : عقيدة وسنة وفقهاً وسيرة نبوية ، فجاء المدد القياض والحصن الحصين لمن أراد الدفاع عن الإسلام وأهله ، والحجة البالغة على المتكر المعاند والله « لا يضيع أجر من أحسن عملاً » .